

للإمام الفقيه عمدة أهل التحقيق

الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي

المتوفى سنة (١٢٤١) هـ

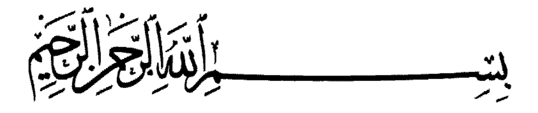
تحقيق وتعليق

الدكتور عبد الفتاح البزم

دار ابن كثير

دمشق بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد جاء في مقدمتي للطبعة الأولى أن الفضل كل الفضل لمن رأى خطأ فصححه وأهدانيه . لأتداركه في الطبعة التالية .

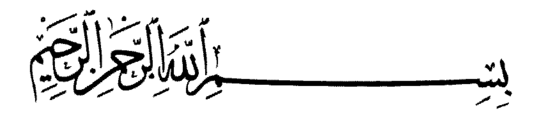
وإني لجد شاكر لمن استجاب لهذا الطلب ، وأقول لهم جميعاً : جزاكم الله عني كل خير ؛ فقد استلمت ملاحظات عدة ممن عرفت وممن لم أعرف تحمل في طياتها تسديداً وتذكيراً وتنبيهاً ، ووضعت ذلك موضع البحث والتحقيق ، فاعتمدت منها الكثير الذي ارتضيته ، وأثبته في موضعه ، فجاءت الطبعة الثانية مزيدة بتعليقات كثيرة ، ومنقحةً في مواضع جمة ، ولا أدعي كمال العمل وتمامه ، إنما أرجو الله التوفيق إلى الأفضل ، وأسأله ، جل وعلا ، أن يجعل هذا العمل متقبلاً ، إنه سبحانه خير مسؤول .

والحمـد لله أولاً وآخراً

١/ شـــــوال/ ١٤١٩هـ

٢٩/ كانون الثاني/ ١٩٩٩م

عبد الفتاح البزم



مقدمة المحقق

(الطبعة الأولى)

الحمد لله الذي تفرَّد في ذاته وصفاته وأفعاله ، فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ، وتنزَّه عن الشريك والنِّدِّ ، فقال : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، واستغنى عن الصاحبة والولد ، فقال : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ . أكرم بني آدم بإرسال الرسل ؛ ليخرجوهم من ظلام الشرك إلى نور التوحيد ، ورضي لعباده الإسلام ديناً ، فقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ .

والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد صاحب الحقِّ المبين ، الذي وصفه ربُّ العزَّة ، فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، شهادة مُوقِن بها ، أدَّخرها عند ربِّي راجياً منه ـ سبحانه ـ أن يكرمني بها عند انتهاء الأجل.

وبعـد:

فإنَّ علم التوحيد أشرف العلوم تبعاً للمعلوم ، لم يخرج فيه مصنِّفوه

المخلصون عن مدلول الكتاب والسنّة وإجماع العدول ، به تُنفى الشكوك والشُّبَه والأوهام ، وبه يُرَدُّ على أهل الزيغ والإلحاد ما حبَّروه من سوء الكلام ، وبه تُرزق النفسُ الراحةَ والاطمئنان في دار الفناء ، والنجاة والسعادة في دار البقاء . ورحم الله ذا النون المصري الذي سئل عن علم التوحيد فقال : (هو أن تعلم أنَّ قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مِزاج ، وصُنعه للأشياء بلا علاج ، وعلَّةُ كلِّ شيء صنعُه ، ولا علّةَ لصنعه ، وليس في السموات العلا ، ولا في الأرضين السفلى مدبِّر غير الله ، وكلُّ ما تَتَصوَّر في وهمك فالله بخلاف ذلك) .

ومن هنا وجب على كلّ مسلم أن يتعلَّم ما يصحِّح به عقيدته ؛ لينزل عند أمر الله ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ، وعند أمر رسول الله ﷺ «قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» ، فيشرق قلبه بنور اليقين الذي به يُحَقُّ الحقُّ ، ويُبطَلُ الباطل ، فيرى عند ذلك الآخرة ماثلة ؛ لأنَّها حقٌّ ، والدنيا فانية ؛ لأنها باطل ، وفي هذا قال ابن عطاء الله : (لو أشرقَ لكَ نورُ اليقين لرأيتَ الآخرةَ أقربَ إليك من أن ترحلَ إليها ، ولرأيتَ محاسنَ الدنيا قد ظهرتْ كِسفةُ الفناءِ عليها) .

وقد قرَّر الجنيد ـ رحمه الله ـ أنَّ أوّلَ ما يحتاجه العبد معرفةُ ربِّه ، فقال : (إنَّ أوَّل ما يحتاج إليه العبد من عَقْد الحكمة معرفةُ المصنوعِ صانعَه ، والمحدَثِ كيف كان إحداثُه ، فيعرف صفةَ الخالق من المخلوق ، وصفةَ القديم من المحدَث ، ويذِلُّ لدعوته ، ويعترف بوجوب طاعته ؛ فإنَّ مَن لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه) . ووضَّح ذلك ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ عندما فسَّر قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ بقوله : (إلا ليعرفون) .

ومن هنا جعل علماء التوحيد معرفةَ الله أوّلَ ما يجب على العبد ، فقال الإمام إبراهيم اللّقاني في منظومته (جوهرة التوحيد) :

واجْـزِمْ بـأَنَّ أَوَّلاً مِمَّـا يَجِـبْ   مَعــرِفَــةٌ ... ...

تلك المنظومة التي هي موضع اهتمامنا في هذا الكتاب من خلال شرح العلاّمة الصاوي لها، والتي أنشأها اللَّقاني في ليلة واحدة بإشارة شيخه في التربية والتصوُّف الشيخ أحمد عرب الشرنوبي، فحمده، ودعا له ولمن يشتغل بها بمزيد النفع. وقد ألَّف عليها ناظمها فيما بعد ثلاثة شروح صغير ووسط وكبير.

ومن ثمَّ اهتمّ بها العلماء، وانبَرَوا لها شارحين ومقرِّرين قديماً وحديثاً؛ لما وجدوه من صدق لهجة صاحبها، ولما استشعروه من محض إخلاصه، وقد جاءت جامعةً لعقائد التوحيد، مبنيَّةً على مختار الإمام أبي الحسن الأشعري، بألفاظ سهلة وأسلوب خالٍ من المعاظلة والتعقيد. فبلغت شروحها والحواشي عليها أكثر من خمسة عشر مؤلَّفاً، ذكرتُها مفصَّلة تحت عنوان (شروح جوهرة التوحيد وحواشيها).

ولمَّا كان الإمام اللَّقاني أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطِّلاع في علم الحديث والدراية والتبحُّر في الكلام، وكانت جوهرته أنفع تآليفه، وجدتُني بتوفيق الله من جملة خُدَّامها من خلال اهتمامي بشرح الإمام الصاوي، العارف بالله تعالى، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرُّسوخ. ذلك الشرح الذي جاء جامعاً لمذهب أهل السنَّة والجماعة، مَبْنِيّاً على أقوال الأشاعرة والماتريديَّة المعتمدة في علم التوحيد مع بيان كثير من آراء الفرق المخالفة، والردِّ عليهم. اعتمد فيه مؤلِّفه شروح إبراهيم اللقاني، وتقريرات النفراوي عليها، وحاشية الأمير على إتحاف المريد لعبد السلام اللقاني، والمزيد على إتحاف المريد للسُّحَيمي وحاشية الملَّوي على إتحاف المريد، كما اعتمد على بعض كتب الإمام السنوسي في العقيدة. يظهر ذلك من خلال توثيقه لأكثر ما نقله عن هؤلاء.

وكان اهتمامي بالشرح المذكور من سنين بعيدة حين أكرمني الله بقراءته على فضيلة شيخنا العلاَّمة الشيخ أديب الكلاَّس ـ بارك الله به

وبجميع العلماء العاملين ، ونفعنا بهم أجمعين - قراءة تدقيق وتمحيص، أثمرت اليوم هذا التحقيق الذي رجعتُ فيه إلى جُلِّ الشروح والحواشي والتقريرات الموضوعة على الجوهرة المذكورة ، وإلى كثير من الكتب المعتمدة في التوحيد ؛ ليزداد شرحُ العلاَّمة الصاوي وضوحاً ، ولتسهل عبارته ، ويعمَّ نفعه ، فيصل قارئه إلى لبِّ التوحيد بأسهل طريق وأيسر سبيل . فإن تحقَّق ذلك فبفضل الله وتوفيقه ، وإن كانت الأخرى فمن تقصيري وقلَّة زادي. والفضلُ كلُّ الفضل لمن رأى خطأً فصحَّحه وأهدانيه؛ لأتداركه في الطبعة التالية إن شاء الله تعالى . ورحم الله من قال :

فإن تَجِدْ عَيباً فَسُدَّ الخَللا فَجَلَّ مَن لا عيبَ فيه وعلا

والله أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنَّه خير سميع وخير مجيب .

والحمد لله ربِّ العالمين

عبد الفتاح البزم

٢٤/ رمضان/ ١٤١٧هـ
٢/ شباط/ ١٩٩٧م

ترجمة الشيخ إبراهيم اللَّقَاني (١)

صاحب الجوهرة
المتوفَّى سنة (١٠٤١هـ)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي . . . ابن الولي الشهير محمد بن هارون، أبو الإمداد الملقب ببرهان الدين اللقاني المالكي، أحد الأعلام المشار إليهم بسعة الاطلاع في علم الحديث والدراية والتبحُّر في الكلام، وكان إليه المرجع في المشكلات والفتاوى في وقته بالقاهرة.

فضله:

كان الإمام اللقاني ـ رحمه الله ـ قويّ النفس عظيم الهيبة، يصرف

---

(١) اللَّقاني: بفتح اللام ثم قاف وألف ونون. نسبة إلى لقانة قرية من قرى مصر.
انظر ترجمة الإمام اللقاني في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي (١/٦ـ٩)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٢٩١)، ومعجم المطبوعات العربية والمعرَّبة لسركيس (١٥٩٢)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ٩٠)، وهدية العارفين للبغدادي (١/ ٣٠)، ومعجم المؤلفين (١/ ٢).

وقته في الدرس والإفادة . وكان له نسبة هو وقبيلته إلى الشرف ، لكن لا يظهره تواضعاً منه ، وقد جمع بين الشريعة والحقيقة ، وله كرامات خارقة ومزايا باهرة .

شيوخه :

أخذ الإمام اللقاني عن كثير من المشايخ ذكرهم في كتابه نثر المآثر فيمن أدرك من القرن العاشر . فمن أجلّ مشايخه :

من الشافعية : علاَّمة الإسلام محمد البكري الصديقي ، والشيخ الإمام محمّد الرملي شارح المنهاج ، والعلامة أحمد بن قاسم .

ومن الحنفية : شيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي ، والشمس محمد النحريري ، والشيخ عمر بن نُجيم .

ومن المالكية : الشيخ محمد السنهوري ، والشيخ أحمد المنياوي ، وعبد الكريم البرموني صاحب الحاشية على مختصر خليل ، وغيرهم .

ومن مشايخه في الطريق : الشيخ أحمد البلقيني الوزيري ، والشيخ محمد بن الترجمان ، والشيخ أحمد عرب الشرنوبي ، وجماعة كثيرة .

وذكر الإمام اللقاني أنه لم يكثر عن أحد منهم مثل ما أكثر عن الإمام أبي النجا سالم السنهوري ، ويليه الشيخ محمد البهنسي ، ويليه الشيخ يحيى القرافي المالكي إمام الناس في الحديث تحريراً وإتقاناً .

تلاميذه :

أخذ عن الإمام اللقاني كثير من الأجلاّء منهم : ولده عبد السلام ، والشمس البابلي ، وعبد الباقي الزرقاني ، والعلاء الشَّبْرامَلِّسِي ، ويوسف الفيشي ، ويّس الحمصي ، وحسين النماوي ، وحسين الخفاجي ، وأحمد العجمي ، ومحمد الخرشي المالكي ، وغيرهم ممّن لا يحصى كثرة ، ولم يكن أحد من علماء عصره أكثر تلامذة منه .

مؤلفاته:

ألَّف اللقاني ـ رحمه الله ـ التآليف النافعة، ورغّب الناس في استكتابها وقراءتها، أكمل الكثير منها ولم يكمل باقيها.

ومن مؤلَّفاته التي كملت[1]:

ـ جوهرة التوحيد: منظومة في علم العقائد. ألَّفها في ليلة واحدة، ثم أقرأها تلاميذه فيما بعد.

ـ عمدة المريد لجوهرة التوحيد: أكبر شرح لمنظومته، وأوسعها، انتهى من تأليفها سنة (١٠١٩هـ). وهذا الشرح لا يزال مخطوطاً.

ـ تلخيص التجريد لعمدة المريد: شرح متوسط لجوهرة التوحيد، ألّفه للشيخ المعروف بقاضي زاده، فرغ منه في محرم سنة (١٠٣٥هـ). إلا أنّه لم يحرّره، فلم يظهر.

ـ هداية المريد لجوهرة التوحيد: قال في مقدّمته: (وقد وضعت فيه منظومتي المسماة بجوهرة التوحيد؛ لأنها حوت من بدائعه ما هو كالفريدة في العقد الفريد من الجيد، وشرحتها قبل هذا شرحين جليلين: أحدهما عمدة المريد، وثانيهما تلخيص التجريد[2]). أنهى تأليفها سنة (١٠٢٩هـ).

ـ وله توضيح ألفاظ الآجرُّومية، وقضاء الوطر من نزهة النظر في

---

(١) انظر مؤلفات اللقاني في: كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٦٢)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس (١٥٩٢)، ومعجم المؤلفين (١/ ٢)، وهدية العارفين للبغدادي (١/ ٤٩٨)، وخلاصة الأثر للمحبي (١/ ٧٠٦)، وفهارس التيمورية (٤/ ٣١ـ ١٤٢)، وفهارس الكتبخانية الخديويّة (٢/ ١٣ ـ ٥٩)، وفهرس الفهارس للكتاني (١/ ١٣٠).

(٢) انظر هداية المريد (ق٢/ أ).

توضيح نخبة الأثر للحافظ ابن حجر ، وإجمال الوسائل وبهجة المحافل بالتعريف برواة الشمائل ، ومنار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى ، وعقد الجمان في مسائل الضمان ، ونصيحة الإخوان باجتناب شرب الدخان ، وتحفة ذريّة عليّ ابهلول بأسانيد جوامع أحاديث الرسول .

من مؤلفاته التي لم تكمل:

تعليق الفوائد على شرح العقائد للسعد التفتازاني ، وشرح تصريف العِزِّي للسعد سمّاه : خلاصة التعريف بدقائق شرح التصريف ، وحاشية على جمع الجوامع سماها: بالبدور اللوامع من خدور جمع الجوامع، وجمع جزءاً في مشيخته سماه: نثر المآثر فيمن أدرك من القرن العاشر .

وفاتـه:

توفِّي ـ رحمه الله ـ وهو راجع من الحجّ سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بالقرب من عقبة أَيْلة بطريق الركب المصري ، وفي هذه السنة توفي الحافظ الكبير أبو العباس المُقَّري المالكي ، فرثاهما ابن محبِّ الدين الدمشقي قائلاً :

مضى المُقَّري إثـر اللَّقاني لاحقـاً   إمامـان ما للدهـر بعدهمـا خَلَفْ
فبدر الدجى أجرى على الخدّ دمعه   فأثّـر ذاك الدمـعُ ما فيه مِنْ كَلَفْ

* * *

ترجمة الشيخ أحمد الصاوي(١)

شارح جوهرة التوحيد

١١٧٥هـ ـ ١٢٤١هـ

نسبه وولادته:

هو الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي شهاب الدين أبو العباس، العارف بالله، الإمام الفقيه، شيخ الشيوخ، وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، قدوة السالكين، ومربِّي المريدين، العلّامة المحقق الحبر الفهامة المدقق. ولد سنة (١١٧٥هـ) في صاء الحجر، حفظ القرآن في بلده، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر لطلب العلم سنة (١١٨٧هـ).

أخلاقه وفضله:

ذكر السيد أحمد الششتي تلميذ الصاوي مناقب شيخه في كتاب

---

(١) الصاوي: نسبة إلى صاء الحجر على شاطىء النيل في إقليم الغربية بمصر. انظر معجم المؤلفين (٢/ ١١١).
وانظر ترجمة الإمام الصاوي في: (مناقب الصاوي)لمحمد بن حسين الكتبي الحنفي (ق١٢/ب) وما بعدها، وشجرة النور الزكية (١/ ٣٦٤)، وفهرس الفهارس (١/ ١٣٩)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٣٧٦)، وهدية العارفين (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، والأعلام (١/ ٢٤٦)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١١١)، وإيضاح المكنون (١/ ٧٥ـ ١٩٣)، وكشف الظنون (٥/ ١٨٤).

سمّاه: (مناقب الصاوي)[1] فقال: (اشتَغَلَ بالإرشاد إلى طريق الرشاد، وأنقذ الله به مُهج العباد من الحسد والبغي والعناد، فعمّ نفعه الحاضر والباد. ثم إن أستاذي ـ رضي الله عنه وعنّا به ـ شرع يدعو الناس إلى الله بحاله وقاله.

وحاله مع عباد الله العطف والرأفة وعدم التشديد، يربِّي أتباعه بالألحاظ في كلّ الألحاظ، ويدلّهم على المقام الأعلى من أوّل قدم، حتى فاح شذا عطره في الأكوان، وانتشر سرّه في جميع الوديان.

فمن أخلاقه مع أتباعه أنه لا يعظ أحداً بخصوصه، إنما يعظ وعظاً عامّاً، حتى إذا وقعت من أحدهم هفوة عرفها، وتاب منها سرّاً، فكل إنسان يأخذ من وعظه لنفسه عبرة، وهذا من كمال المعرفة وحسن التربية.

ومن أخلاقه معهم أن يعلمهم ترتيل الأوراد، وحسن إقامتها، وقرأ لهم كثيراً من كتب القوم بالدرس؛ ليعلمهم مكارم الأخلاق حرصاً عليهم، وإذا رأى نفوسهم سئمت من التشديد باسطهم بما يناسب أحوالهم مع أنه مهبط تجلِّي الجلال.

ومن أخلاقه معهم أنه كان يلاطف كلّاً منهم على قدر حاله حتى إنَّ من رآه جزم بأنَّ منزلتهم عنده مستوية، بل كلُّ واحد يظنُّ أنه الفريد في المحبَّة من عِظم ما يراه من الملاطفة... رضي الله عنه وعنّا به، وأيّده ونفعنا به بجاه سيِّدنا محمَّد خير أنبيائه)[2].

وقال محمد بن حسين الكتبي في فضل شيخه الصاوي: اعلم أنَّ

---

(١) أَلَّف هذا الكتاب في حياة شيخه الصاوي، وتوفِّي قبل إتمامه، فأكمله محمد بن حسين الكتبي الحنفي في حياة شيخه الصاوي أيضاً. وما يزال الكتاب مخطوطاً مودعاً في المكتبة التيمورية في القاهرة برقم (١٣٢٥).

(٢) انظر مناقب الصاوي: (ق) (١٢/ب) ـ (١٣/أ) ـ (١٤/أ).

الذي حصل لأستاذنا من اشتهار ذكره ، وجذب القلوب إليه ، وهيبته في قلوب الخلق ، وتعلّق الأتباع بأذياله ، والتئامهم في ذكر الله ، وكثرتهم ولهجهم بذكره في غيبته وحضوره ، والثناء عليه بين يديه ، لم يقع لغيره في عصره لأحد من إخوانه ، بل ولا لأشياخه الذين شاهدناهم ، مع أنّه ليس له مجلس مؤانسة ، وحديث دنيوي مما يستدعي جذب القلوب ، بل كان في غاية الكدّ والطاعة . رأيته مرّة في خلوة ، وقد غلب عليه الجلال يقول : (اللهمّ إن كان فيَّ بقيّة لغيرك ، فانزعها) ، وشاهدته بعد ذلك استوى عنده الجليل والحقير .

وأوّل من لهج بمدائحِ الأستاذِ السيدُ أحمدُ الششتي حيث قال :

فلا ثَمَّ بابٌ غيرُ بابِكَ سَيِّدي[1] ... ينالُ المُنى عَبدٌ أَتاهُ بِذِلَّةِ

تَقَبَّلْ دُعانا يا إلهي وكُن لنا ... نَصيراً ومَولى يا رَجائي وعُمدَتي

سألتُكَ يا اللهُ حِفظاً لشيخِنا ... مَنِ اقتبسَت أنوارَه كُلُّ بُقعةِ

هو العارفُ الصاويُّ أحمدُ عَصْرِهِ ... مقيمٌ على ذِكرِ الحبيبِ بِهِمَّةِ[2]

شيوخه :

أخذ الشيخ أحمد الصاوي عن أئمة أعلام من أجلّة شيوخ عصره ، منهم :

١ ـ العلامة الشهاب أحمد بن محمد الدردير[3] العدوي المالكي الأزهري المتوفى سنة (١٢٠١ هـ) ، فاضل من فقهاء المالكية ، صاحب التصانيف الكثيرة التي عُني الإمام الصاوي بشرحها ، ووَضْعِ الحواشي عليها[4] .

---

(١) يناجي الله سبحانه وتعالى، ثم يسأل الحفظ لشيخه.

(٢) انظر مناقب الصاوي (ق٣٩/ب)، (ق٤٠/أ).

(٣) انظر ترجمته في ص(١٠٥) من هذا الكتاب، وشجرة النور الزكية (٣٥٩)، وحلية البشر (١/ ١٨٥)، والأعلام (١/ ٢٤٤).

(٤) انظر قائمة مؤلفات الإمام الصاوي ـ رحمه الله ـ في ص(١٨) وما بعدها من هذا الكتاب.

٢ ـ العلاّمة الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري المعروف بالجمل، المتوفى سنة (١٢٠٤ هـ) ، أخذ عنه تفسير الجلالين من أوّله إلى آخره مرتين[١] .

٣ ـ العلاّمة شمس الدين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي[٢] الأزهري المتوفى (١٢٣٠ هـ) ، أخذ عنه ، وتردَّد عليه .

٤ ـ العلامة الشيخ محمد بن محمد بن أحمد الأمير الكبير[٣] المالكي الأزهري المتوفى سنة (١٢٣٢ هـ) ، أخذ عنه ، وأجيز منه إجازة عامة ، أشركه هو وغيرَه من الطلبة فيها .

تلاميذه[٤] :

أخذ عن الإمام الصاوي الكثيرون من شُداة الشريعة والحقيقة ، منهم :

١ ـ السيد أحمد الششتي المتوفى سنة (١٢٣٥ هـ) ، ألَّف كتاباً في مناقب شيخه الصاوي ، ومات في حياة شيخه ، قبل أن يُتمَّه ، وقد شعر الإمام الصاوي بوفاة ولده هذا القلبي الأعز من الصلبي ؛ وذلك أنَّه حين ودّع الأستاذ عند التوجُّه إلى الحجاز بكى الأستاذ كثيراً ، وقال : الله يعوِّضنا في السيِّد أحمد خيراً ، وقال لشريكه في المنزل : إن السيد أحمد لا يرجع من الحجاز هذه المرَّة ، فكان كذلك ، فمات فيها ، ودُفن بالبقيع[٥] .

---

(١) انظر مقدّمة الصاوي لحاشيته على الجلالين (١/ ٧).
(٢) انظر شجرة النور الزكية (١/ ٣٦٢)، وحلية البشر (٣/ ١٢٦٢).
(٣) انظر ترجمته في ص(١٣٣ ـ ١٣٤) من هذا الكتاب ،وشجرة النور الزكية (٣٦٢)، وحلية البشر (٣/ ١٢٦٦).
(٤) انظر تلاميذ الصاوي في (فهرس الفهارس) وفي (مناقب الصاوي).
(٥) مناقب الصاوي (ق٢٩/ ب).

٢ ـ العلاَّمة الهاشمي الرتبي المتوفى سنة (١٢٤٠ هـ) ، أجاز له الصاوي بجميع ما له من المرويات سنة (١٢٣٥ هـ) .

٣ ـ الشيخ يوسف بن محمد بن يحيى البطاح الأهدل الزبيدي المتوفى سنة (١٢٤٦ هـ) .

٤ ـ العلاَّمة أبو حامد العربي ابن محمد الدفتي الفاسي المتوفى سنة (١٢٥٣ هـ) .

٥ ـ الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي المتوفى سنة (١٢٧٦ هـ) ، أجاز له الصاوي .

٦ ـ محمد بن حسين الكتبي الحنفي الذي أتمّ كتاب صاحبه الشِّشتي في مناقب شيخهما الصاوي .

ومن جملة تلاميذه السيد محمد الكفراوي ، وأحمد محمد نصير ، والسيد محمد البنَّا الحنفي مفتي السادة الحنفية ، وكان من أعزّ أولاد الأستاذ ، وسليمان أفندي البلاني ، والسيّد قاسم الششتي ، والشيخ علي مطر الغرياني .

مؤلفاته[1]:

للشيخ الصاوي مؤلّفات كثيرة معظمها شروح وحواشٍ ، وأوّل ما أجرى الله على يديه رسالة ألّفها في حياة شيخه أحمد الدردير ردّاً على بعض المعاندين الجاحدين وجود الأولياء وثبوت الكرامات . ثم تعددت مؤلفاته فكان منها :

---

(١) انظر مؤلَّفاته في مناقب الصاوي (ق٣٦/ب) وما بعدها. ومعجم المطبوعات العربية والمعرَّبة (٣٧٦ ـ ٣٧٧). وكشف الظنون (٥/ ١٨٤). وهدية العارفين (١/ ١٨٤ ـ ١٨٥). وإيضاح المكنون (١/ ٧٥ ـ ١٩٣).

ـ الفرائد السنيّة على متن الهمزيَّة (شرح همزية البوصيري)، ألفها عام (١٢١٥هـ) إذ قرأ همزية الإمام البوصيري في بلدة بشاطىء النيل، وحضره فيها جمع من أفاضل العلماء والأولياء والأشراف، فحملوه على كتابة تقريره الذي سمعوه منه، وجعله شرحاً ينتفعون به، فكان شرحاً جليلاً واضحاً نافعاً مستوفى ليس مختصراً مخلاًّ، ولا طويلاً مملاًّ.

ـ شرح تحفة الإخوان في علم البيان لشيخه أحمد الدردير.

ـ الأسرار الربانية، والفيوضات الرحمانية، على الصلوات الدرديرية، شرحها عام (١٢١٩هـ) بعد أن ألحّ عليه أخوه في الله العارف صالح السباعي، فامتثل، وكتب شرحاً لا يضاهى، فيه كفاية للمريد في الآداب والشروط، وللعارف في إيضاح المقامات والأحوال مع مزيد الإتقان، وعدم التطويل، وكان مدّة تأليف شرح الصلوات تسعة وعشرين يوماً.

ـ شرح منظومة (أسماء الله الحسنى) للشيخ أحمد الدردير.

ـ بلغة السالك، لشرح أقرب المسالك، لمذهب الإمام مالك، للشيخ أحمد الدردير. فجاء شرح الصاوي في غاية من السهولة وجمع المسائل، وعلى نهاية من الفائدة والإيجاز ونفع السائل.

ـ حاشية على شرح الخريدة البهية، للشيخ أحمد الدردير في علم التوحيد، اشتهرت وكثر النفع بها.

ـ حاشية على تفسير الإمامين الجلالين، اختصر فيها حاشية أستاذه الشيخ الجمل المسمّاة: بالفتوحات الإلهية، فأودعها معارفه وأسراره، واشتهرت وعمّ النفع بها، واعتنى بها الأفاضل في زمنه، انتهى من تأليفها سنة (١٢٢٨هـ).

ـ شرح على جوهرة التوحيد: وذلك بعد أن قرأ جوهرة التوحيد سنة (١٢٢٠هـ) في رمضان، وألّف عليها حاشية لم يسبق مثلها موافقة لغرض المصنِّف اللقاني في السهولة والجمع والاختصار، مع عذوبة

الألفاظ ، وجزالة المعاني ، وتنقيح الأحكام ، تضع الدواء على الداء ، وتسقي الزُّلال على الظما ، وتزيل بالجلاء العمى . شكر الله له في ذلك.

ـ رسالة في الجهاد: جمع فيها كلَّ آية في القرآن تتعلَّق بالجهاد على الترتيب ، وكلَّ حديث في الجامع الصغير بشأن الجهاد على الترتيب ، وبعض زيادات أخر.

ـ حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي.

ـ رسالة فيما للخلوة من الشروط والآداب.

ثم اعلم أنَّ بعض تآليف الصاوي كانت تقارير ، وبيَّضها تلميذه أحمد الششتي بالمدينة المنوَّرة ، وبقيت بعد وفاته هناك ، كحاشية الصاوي على دلائل الخيرات ، وحاشيته على مختصر البخاري ، وحاشيته على بانت سعاد ، ودعاء سورة يّس.

وفـاتـه:

قال السيد محمد حسين الكتبي في مناقب شيخه الصاوي:

(ولمَّا توجَّهتْ همَّة الأستاذ إلى التوجُّه إلى المدينة المنوّرة ، وكان ذلك أوائل شعبان سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف هجريَّـة[1] ، اشتدَّ كرْب فراقه على جميع أتباعه ، وخصوصاً مع قوله : إنَّ الوقت قَرُب ، وحبيبي دعاني . فتهيّأ لصحبته بعض أعيان الإخوان ، وهو زوج أخت الأستاذ : الشيخ علي الشاذلي ، ونزل إلى بلده ؛ ليأتي ببعض لوازم السفر ، فلم ينتظره ، واستصحب أخته ، وقال وهو يبكي : لمن أتركُها؟ فتجاسرتُ عليه مرّة ، وقلت له: يا سيِّدي ، مولانا الشيخ علي الشاذلي معك، فهلاَّ انتظرته، فقال لي ـ والله على ما أقول وكيل ـ: إنّه لا يحجُّ،

---

(١) هكذا وردت في مناقب الصاوي (ق٣٥/أ). ولعلّ الصواب سنة أربعين ومئتين وألف هجريَّـة؛ لأنّ وفاة الصاوي كانت في المحرّم ، في مطلع عـام واحد وأربعين ومئتين وألف من الهجرة. كما سيأتي بعد أسطر.

ولا يسافر . وإذا به مات ، ودفن ببلده . وأدرك ـ رضي الله عنه ـ رمضان بمكّة ، وتوجَّه بعده لزيارة ابن عباس بالطائف ، ثمّ حضر موسم الحجِّ الشريف ، ونزل من مِنى مسرعاً إلى المدينة المنوَّرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ وهو يقول : الوقت قَرُب، وحبيبي دعاني . فوصل إلى المدينة ، وتملّى بالزيارة أيّاماً قلائل ، وتمرّض كذلك ، وتوفِّي إلى رحمة الله تعالى سابع محرّم الحرام ، افتتاح إحدى وأربعين ومئتين وألف من هجرة من له العزُّ والشرف).

رحمه الله ونفعنا بحاله وقاله .

* * *

شروح
جوهرة التوحيد وحواشيها[1]

اشتهرت جوهرة التوحيد في علم العقائد شهرة واسعة، وذاع صيتها حتّى عكف العلماء على شرحها، ووضع الحواشي والتقريرات على شروحها؛ لما وجدوا فيها من السهولة والجمع والاختصار. وقد بنيت على مختار رأي الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

وأوّل من شرحها ناظمها الإمام إبراهيم اللقاني المتوفى سنة (١٠٤١هـ) وذلك في ثلاثة شروح كبير ووسط وصغير:

١ ـ عمدة المريد لجوهرة التوحيد: وهو شرحه الكبير عليها، ألفه سنة (١٠١٩هـ).

٢ ـ هداية المريد لجوهرة التوحيد: وهو شرحه الصغير عليها، ألفه سنة (١٠٢٩هـ).

---

(١) انظر شروح جوهرة التوحيد في: كشف الظنون (١/ ٦٢٠)، وخلاصة الأثر (١/ ٦)، وفهارس مخطوطات مكتبة الأسد، وفهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف في بغداد (٢/ ٩٣ـ ٢٢٨ ـ ٢٣٢ ـ ٢٥٨)، والفهارس التيمورية (٤/ ١٤٢)، وفهارس الكتبخانية الخديويّة (٢/ ٢ ـ ٣ ـ ٩ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٣٥ ـ ٥٣ ـ ٥٩).

٣ ـ تلخيص التجريد لعمدة المريد: وهو شرحه الوسيط عليها، ألّفه سنة (١٠٣٥هـ). ولم يحرّره.

ثم شرحها ابنه الشيخ عبد السلام اللقاني المتوفى سنة (١٠٧٨هـ)، شرحين هما:

٤ ـ إرشاد المريد: شرح فيه الجوهرة بأوراق قليلة، وضمّنها مختار أهل السنة من غير مزيد.

٥ ـ إتحاف المريد بجوهرة التوحيد: شرح متوسّط لجوهرة التوحيد، فرغ منه في العشرين من شهر رمضان سنة (١٠٤٧هـ).

ومن شروح الجوهرة أيضاً:

٦ـ فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد: للشيخ عبد البر بن عبد الله الأُجهوري المتوفى سنة (١٠٧٠هـ).

٧ ـ شرح الجوهرة في علم التوحيد: لمحمد بن محمد بن عبد الرحيم الفرضي الخانطوماني. فرغ من شرحها (٢٣) ربيع الأول سنة (١٢٥٤هـ).

٨ ـ شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، شرحها سنة (١٢٢٢هـ).

٩ ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد: للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، المتوفى سنة (١٢٧٧هـ). شرحها سنة (١٢٣٤هـ).

ومن الحواشي الموضوعة على إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد لعبد السلام:

١ ـ المزيد على إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد: للشيخ أحمد بن محمد بن علي الحسني السحيمي المتوفى سنة (١١٧٨هـ).

٢ ـ حاشية الأمير على إتحاف المريد: لمؤلفها محمد الأمير المتوفى سنة (١٢٣٢هـ). انتهى من تأليفها سنة (١١٨٥هـ).

٣ ـ حواشي العدوي على إتحاف المريد: للشيخ علي بن أحمد العدوي

المالكي، المتوفَّى (١١٨٩هـ). وهي حاشيته الصغرى على شرح عبد السلام (إتحاف المريد).

٤ ـ مختصر حاشية على إتحاف المريد: للشيخ محمد سعيد بن أحمد الشهير كاتب الزعما.

٥ ـ حاشية الملَّوي أحمد بن عبد الفتاح المتوفَّى (١١٨١ هـ).

٦ ـ حاشية محمد بن علي الشنواني الشافعي المتوفَّى (١٢٣٣ هـ).

٧ ـ حاشية أبي الفوز محمد الحلفاوي.

ومن التقريرات الموضوعة على شروح الجوهرة:

١ ـ تقريرات النفراوي على إبراهيم اللقاني.

٢ ـ تقريرات أحمد الأُجهوري على إبراهيم الباجوري.

* * *

منهج التحقيق

ترجع صلتي بكتاب شرح الصاوي لجوهرة التوحيد إلى سنوات بعيدة ، حين قرأته على شيخنا العلاّمة الشيخ أديب الكلاّس ـ حفظه الله ـ في أواخر السبعينات قراءة أفدت منها الكثير في الوصول إلى معرفة مذهب أهل السنّة والجماعة في عقيدة التوحيد التي ارتضاها ربُّنا لعباده؛ إذ دَوَّنتُ من شيخنا تعليقات وتوضيحات لأكثر ما أُبهم عليّ من هذا الكتاب ، ثم قرأته مرّات عديدة ، فوجدت أن بعض عباراته لا تزال بحاجة إلى الإيضاح والبيان ، وأحاديثه المستشهد بها تحتاج إلى تخريج وتبيان ، فشمَّرت عن ساعد الجدّ ؛ لتحقيق هذا الكتاب ، كي تزيد فوائده ، ويسلم من الطعن كاتبه ، فقرّرت إخراجه لشُداة العلم محقَّقاً ، واضعاً نصب عيني ما يطلبه التحقيق من إخراج النص أقرب ما يكون إلى وضعه الأول ، مع توخِّي الدِّقة والتزام الأمانة.

وقد كان من دواعي التحقيق أن هذا الكتاب طبع في مصر بالمطبعة الحليمية دون تحقيق سنة (١٣٠٧هـ) ، ثم طبع ثانية بعناية لجنة إحياء الكتاب الإسلامي في مسجد السروجية بدمشق ، إلا أنَّ هاتين الطبعتين كانتا بحاجة إلى تحقيق وتدقيق ، وتصحيح ومقابلة ؛ فقد اتّضح أنَّ هناك فروقاً وزيادات على الطبعة الحليمية في مواطن كثيرة ، نبهتْ عليها لجنة إحياء الكتاب في المقدِّمة.

وإنني لا أنكر الجهود المبذولة التي أخرجت الكتاب المخطوط من

غياهب المكتبات؛ ليكون مطبوعاً بين أيدي روّاد العلم والمعرفة الذين استفادوا منه الكثير كما أفدت.

عملي في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق شرح الصاوي لجوهرة التوحيد نسخةً مخطوطة محفوظة في جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية برقم (٢٥٣٢). كان لمركز جمعة الماجد في دبي الفضل في الحصول عليها.

وهي نسخة قديمة من القطع المتوسط، في كل صفحة خمسة وعشرون سطراً، ومتوسِّط كل سطر عشر كلمات، وعدد أوراقها اثنتان وخمسون.

نُسخت بيد تلميذ الصاوي: علي مطر الغرياني، وقد كتبها لنفسه في حياة شيخه، انتهى من نسخها سنة (١٢٣٢هـ).

خطُّها حسن مقروء، ولكن فيها بعض التصحيف والتحريف، ويبدو أنّ الناسخ ترك فراغاً قبل كلّ فقرة جديدة من شرح متن الجوهرة، عوضاً من تدوين كلمة (قوله)، وربَّما كتب هذه الكلمة بلون مغاير، فلم يظهر في النسخة المصوّرة، فأثبتُّها من المطبوعة.

وُجد على الورقة الأولى من المخطوط تملّك وختمٌ باسم عبد العال أحمد سالم.

وبما أنني لم أحظ بغير هذه النسخة المخطوطة اضطررت لمقابلتها على النسخة المطبوعة في مصر بالمطبعة الحليمية، مشيراً إلى النسخة المخطوطة بـ (م) والمطبوعة بـ (د).

وبعد مقابلة المخطوط على المطبوع أثبتُّ الزيادات والفوارق بينهما، فما كان صواباً في المخطوط أثبتُّه دون الإشارة إلى ما يخالفه في المطبوع، إلا في مواضع أثبتُّها في الحاشية؛ لئلاَّ يظنَّ القارىء أن العبارة سقطت سهواً، أو في أثناء الطبع.

وقد أثبتُّ من (د) سقطاً وقع في (م) يقارب أربع ورقات، فأشرت في الحاشية إلى بداية هذا السقط ونهايته، وأثبتُّ منها كذلك بعض الكلمات الساقطة من (م) إذا كان السياق يقتضيها، ووضعتها بين معقوفتين [] مشيراً إلى هذا في الحاشية.

كما أثبتُّ من (د) الكلمات المطموسة أو غير الواضحة في (م) دون الإشارة إليها. وأغفلت الإشارة في أحيان كثيرة إلى تصحيفات وتحريفات وقعت في (م)، واكتفيت بالإشارة إلى بعضها في الحاشية حتى يطَّلع القارىء على شيء منها، ولا سيما إذا كان هذا الخطأ مخِلاً بقواعد اللغة العربية.

أصلحتُ أخطاءً إملائية وقعت من الناسخ، بدت وكأنّها سِمة متكرِّرة في كتابته تخالف رسم الإملاء الحديث، مثل إضافة ألف فارقة بعد واو جمع المذكَّر السالم المضاف، أو الفعل المعتلّ الآخر بالواو، وككتابة الألف المقصورة طويلةً وبالعكس.

قسّمتُ الكتاب أقساماً ثلاثة: إلهيات، ونبوات، وغيبيات، وجعلت ضمن كلّ قسم عناوين حسب الموضوعات مميَّزة بالخطّ الكوفي.

أثبتُّ في أعلى كل صفحة البيت المشروح من جوهرة التوحيد مضبوطاً بالشكل، مشيراً إلى الكلمة المشروحة في الصفحة باللون الأسود المباين لتتمَّة البيت.

وضعتُ أرقاماً لبعض الفقرات التي تحتاج إلى تقسيم.

ضبطتُ شواهد الكتاب من آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وشعر.

أتممتُ في الحاشية بعض الآيات التي يقتضي وضوحُ المعنى إتمامها، مشيراً إلى اسم السورة ورقم الآية.

أثبتُّ تخريج الأحاديث الشريفة، مميِّزاً الصحيح من الحسن من الضعيف، منبِّهاً على أحاديث رواها الصاوي ولا أصل لها، مستعيناً

ببعض أهل العلم ممّن لهم باع طويل في ذلك.

أثبتُّ ترجمة الأعلام الذين ذكرهم مؤلِّف الكتاب.

شرحتُ الألفاظ الغريبة التي وردت في الشرح معتمداً المعاجم الأصول في اللغة العربية.

رجعتُ إلى كثير من الشروح والحواشي والتقريرات على جوهرة التوحيد المخطوطة والمطبوعة، وإلى عدد من كتب العقيدة السليمة؛ لتوضيح بعض الفقرات المبهمة في المتن، أو إضافة تعليق لبيان فكرة مجملة، أو للتوثيق أوإحالة كثير من نقول الصاوي ـ رحمه الله ـ فأنهيتُ ما نقلته عن تلك الكتب بحرفيَّته بـ(اهـ)، وما نقلته بتصرف أو بمعناه بـ(اهـ بتصرف) أو (انظر). مثبتاً اسم الكتاب، ورقم الجزء والصفحة.

صنعتُ فهارس عامَّة للكتاب تساعد في الرجوع إليه، مثبتاً قائمة المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة.

جعلتُ رموزاً في أثناء التحقيق:

﴿﴾ لحصر الآيات القرآنية الكريمة.

«» لحصر الأحاديث الشريفة.

() لحصر الأقوال المنقولة عن العلماء، ولحصر الكلمات المراد شرحها من متن الجوهرة.

[] لحصر الزيادات الساقطة من (م) والمثبتة من (د).

/ إشارة إلى انتهاء الصفحة من المخطوط، وابتداء صفحة أخرى، مع إثبات رقم ورقة المخطوط. على يمين صفحة المطبوع أو يسارها.

(م) رمز للنسخة المخطوطة.

(د) رمز للنسخة المطبوعة بمصر.

(ق) رمز لورقة المخطوط المنقول عنه.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي من علينا بالإيمان والإسلام وأخرجنا بهما
من ظلمة الشرك والأوهام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة أدخرها عند الختام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
سيد الأنام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أتباعهم
وأشياعهم إلى منتهى الإسلام وبعد فيقول العبد الفقير المرتجي
عفو المساوي أحمد بن محمد المالكي الخلوتي الصاوي هذه تقييدات
على جوهرة التوحيد للإمام العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم بن حسن
المالكي اللقاني رأس سلسلة هذا الفن من أرباب الأحوال والكشف
وعاش مدة عمره لم ير ماشيا حيث من هيبته ولا غيرها وكان مهيبا
جدا لا يكلمه إلا القليل من الناس وأنشأ هذه المنظومة ليلا بإشارة شيخه
في التربية في التصوف سيدي أحمد عبد الحق الشرنوبي وأوصله لما فرغ منها
وهو قائم يصلي إذ لا يعتذر لأحد عن ذنب أو عيب يلقه عنه بل
يعترف له به ويظهر له التصديق على طريق القوم تزكية للنفس فلما
تم النظم بعد علمه أنه إذا قرأ في أذن المولود سورة القدر عن ولادته
لم يقدر الله عليه زنا مدة حياته ثم توفي منصرفا من الحج بمحل يقال له الشرم
ليلة الأحد قبيل العشاء الأخيرة ثالث شهر صفر سنة إحدى وأربعين
بعد الألف عن نيف وسبعين سنة وحمل إلى عقبة أيلة فدفن بمحل
بلا مجاور لا غريبا منها التي ينزل الحاج بعد رجوعهم خلفها على
يمين الراجع تجاه البحر الملح كذا في المحبي التي في شأنها وقد
السهو ولما جال السهو بجانب ضريح السيد البدوي وبعض الأعيان
من الملازمين لذلك المحل الأنور فقال لي أن أجمع على جوهرة التوحيد كتابا
نفيسا غير انتشار شراحه وحواشيه زاده الله صدقا
فاقتضى رأينا أن تجعل لنا عليها حاشية توضح معناه وتسهل
من غير تعقيد ولا تخليط فاستخرت لذلك وأجبته وأحسنا الظن

صورة الصفحة الأولى (أ) من المخطوط

الله الاولي وقوتي ورجوت منه النفع بها انه جواد
كريم قوله بسم الله الرحمن الرحيم ابتدأ بها اقتدا بالكتاب العزيز وعملا
بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
فهو اقطع او اجذم او ابتر والمعنى ناقص وقليل البركة ان قلت
ان هذا الكتاب نظم وقد قال العلما لا يبدأ الشعر بالبسملة اجيب
بان الشعر الذي لا يبتدى بالبسملة هو ما احتوى على مدح من لا يجوز مدحه
او ذم من لا يجوز ذمه واما هذا الكتاب فموضوعه علم التوحيد وهو
اشرف العلوم فكان من الامور ذوات البال فطلبوا فيه البسملة على انه
ربما يجاب بما نقل عن الشاطبي في قوله بدأت ببسم الله في النظم اولا لا يبتدى
بعض الابيات بها على ما بها من تغيير بخلاف الحمد لله والافضل
الاولى والبا للاستعانة متعلقة بمحذوف والاولى ان يكون فعلا لانه
الاصل في العمل وخاصا لان كل شارع في امر يضمر ما لاجله البسملة مبدا
له ومؤخرا لافادة الحصر واضافة اسم الى لفظ الجلالة من اضافة العام
للخاص لانه يعم لفظ الجلالة وغيره من باقي الاسما الواردة وما يا
ان اسماه تعالى توقيفية فلا يجوز ان يطلق عليه الا ما ورد النص
عند اهل التحقيق وانما خص في البسملة لفظ الجلالة لانه الاسم الجامع
لكونه موضوعا للذات المتصفة بكل كمال المنزه عن كل نقص ولانه
هو الاسم الاعظم عند اهل التحقيق وتخلف الاجابة بعض الناس لفقد
الشروط والاخذ بالحديث رب اشعث اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله
لابره وخص الرحمن الرحيم لانهما منطوي الانعم الدنيوية والاخروية فالاول
منهي جلايل النعم كما وكيفا والثاني [illegible] دقايقها كما وكيفا على الصحيح
ولاحتوايها على اسم الله الاعظم و[illegible] على الوصفين الذين هما منشا النعم
الدنيوية والاخروية الحسية والمعنوية كانت جامعة لمعاني القران
الذي جمع الكتب السماوية لان معنى القران انحصر في بيان صفات
كمالات الله تعالى وبيان ظهور رحمته وتصرفاته في خلقه دنيا واخرى

صورة الصفحة الأولى (ب) من المخطوط

اي ثابتة والمراد بالنار دار العذاب بجميع طباقها السبع ارضها من رصاص منه
وسقفها من نحاس وحيطانها من كبريت ووقودها الناس والحجارة اعلاها جهنم
وهي لعصاة المومنين وفصيلها [illegible] ابالجزر وحيهم منها وتحتها لظى وهي لليهود
قال تعالى كلا انها لظى نزاعة للشوى الاية ثم الحطمة قال تعالى وما ادراك ما الحطمة
نار الله الموقدة وهي للنصارى ثم السعير قال تعالى فسحقا لاصحاب السعير وهي
للصابئين فرقة من اليهود ازدادوا ضلالا لاتباعهم العجل ثم سقر وهي
للمجوس عباد النار قال تعالى ساصليه سقر الاية ثم الجحيم وهي لعبدة الاصنام قال
تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم الهاوية وهي للمنافقين وكل منه اشتد كفره
كفرعون وهامان وقارون وقد نظمها شيخنا الشيخ الامير بقوله

جهنم للعاصي لظى ليهودها ... وحطمة دار للنصارى اولي العمى
سعير على الصابئين ودارهم ... مجوس لها سقر جحيم لذي صنم
وهاوية دار النفاق فتبتها ... واسال رب العرش امنا من النقم

هكذا ذكر الاشياخ تبعا لبعض الاحاديث في
النار ولكن ايات القران شاهدة بان كل اسم من تلك الاسما يطلق على ما يعم الجميع
لانه يذكر صفات الكفار باي وجه ويعبر عنهم عندهم باي اسم من هذه الاسما
فتدبر وقد ذكروا في العدوي ان نار الدنيا من جهنم طفيت في البحر مرتين ولولا ذلك
لم ينتفع بها وبعد اخذ نار الدنيا منها اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سودا مظلمة   اوجدت
اي الان خلافا للمعتزلة   كالجنة هي لغة البستان والمراد منها دار الثواب
وابوابها الكبار ثمانية باب الشهادتين وباب الصلاة وباب الصيام وباب الزكاة
وباب الحج وباب الامر بالمعروف وباب النهي عن المنكر وباب الصلة وباب الجهاد
في سبيل الله ومن داخلها عشرة ابواب صغار وهي سبع جنات متجاورة اوسطها
وافضلها الفردوس وسقف الجميع عرش الرحمن وضعف نور الشمس بالنسبة
لنور العرش في الجنات كضعف نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا وجعل
الله فينا قوة يحصل لنا من التنعم بذلك كقوة باقي الحواس ويليها جنة المأوى
وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الجلال وقيل اربع وقيل

صورة الصفحة الأخيرة (أ) من المخطوط

التي تنجي من الاهوال ثم الصلاة والسلام لما كان هذا الكتاب من النعم
العظيمة وكان رسول الله هو الواسطة في كل نعمة ناسب ان يؤدي بعض حقه
الواجب عليه وختم بهما لا ابتدي بهما لوجا لقبول ما بينهما وتقدم معنى الصلاة
والسلام اول الكتاب وقوله الداير اي فضل كل منهما على نبي دائم المرحمة
اي عادته المستمرة الدائمة جميع مرحمة بمعنى الرحمة فرحمته عامة قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين حتى للكفار بتاخير العذاب عنهم فلم يعاجلوا بالعقوبة
كغيرهم من الامم ولذا لما قال العارف رضي الله عنه واهلك قومه في الارض نوح
بدعوة لا تذر احدا فانني ودعوة اهد رب اهد قومي فهم لا يعلمونا
وعترته اي اهل بيته وتابع لنهجه اي طريقته وسنته من امته اي امة الاجا بة
وهو لبيان الواقع لان المتبع له لا يكون الا من امته لان بعثته عامة قال تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وسلم وقد تم ما اجراه الله على يد
الفقير من التقييدات التي خرجت بحول الله وقوته مع العجز والتقصير يوم الاثنين
المبارك اخير يوم من رمضان المبارك سنة اثنين وعشرين بعد المائتين والالف من هجرة
البشير النذير صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك اربعة
عشر يوما مضت من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٣٢ على يد
كاتبها الفقير علي مطر الفرياني الناني
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين امين
وصلى الله على سيدنا
محمد النبي الامي
وعلى اله وصحبه
وسلم

[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة (ب) من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

متن جوهرة التوحيد للَّقاني

٢٠ ـ مِثَالُ هذَا الحَجُّ وَالصَّلاَةُ كَذَا الصِّيَامُ فَادْرِ والزَّكَاةُ ١٣٦
٢١ ـ ورُجِّحَتْ زِيادَةُ الإيمانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةُ الإِنْسَانِ ١٣٧
٢٢ ـ ونَقْصُهُ بِنَقْصِها وقِيلَ لاَ وقِيلَ لاَ خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلاَ ١٣٩
٢٣ ـ فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ كَذَا بَقَاءٌ لا يُشَابُ بالعَدَمْ ١٤٢
٢٤ ـ وأَنَّهُ لِما يَنَالُ العَدَمُ مُخَالِفٌ بُرْهانُ هَذا القِدَمُ ١٥٢
٢٥ ـ قِيامُهُ بالنَّفسِ وَحْدَانِيَّهْ مُنَزَّهاً أَوْصَافُهُ سَنِيَّهْ ١٥٤
٢٦ ـ عَنْ ضِدٍّ او شِبْهٍ شَرِيكٍ مُطْلقَا وَوَالِدٍ كَذَا الوَلَدْ وَالأَصْدِقَا ١٦٢
٢٧ ـ وقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ وغَايَرَتْ أَمْراً وَعِلْماً والرِّضَا كَما ثَبَتْ ١٦٨
٢٨ ـ وَعِلْمُهُ وَلاَ يُقَالُ مُكْتَسَبْ فَاتْبَعْ سَبِيلَ الحَقِّ وَاطْرَحِ الرِّيَبْ ١٧٨
٢٩ ـ حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلاَمُ السَّمْعُ ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ ١٨٠
٣٠ ـ فَهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ اوْ لاَ خُلْفُ وَعِنْدَ قَوْمٍ صَحَّ فِيهِ الْوَقْفُ ١٨٨
٣١ ـ حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مُرِيدُ سَمِعٌ بَصِيرٌ مَا يَشَا يُرِيدُ ١٩٠
٣٢ ـ مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صِفَاتُ الذَّاتِ لَيْسَتْ بِغَيْرٍ أَوْ بِعَيْنِ الذَّاتِ ١٩٤
٣٣ ـ فَقُدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلاَ تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ ١٩٧
٣٤ ـ وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِرَادَةٌ وَالْعِلْمُ لكِنْ عَمَّ ذِي ٢٠٠
٣٥ ـ وَعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً وَالمُمْتَنِعْ وَمِثْلُ ذَا كَلاَمُهُ فَلْنَتَّبِعْ ٢٠٤
٣٦ ـ وكُلُّ مَوْجُودٍ أَنِطْ لِلسَمْعِ بِهْ كَذا البَصَرْ إِدْرَاكُهُ إِنْ قِيلَ بِهْ ٢٠٧
٣٧ ـ وغَيرُ عِلْمٍ هَذِهِ كما ثَبَتْ ثُمَّ الحَيَاةُ ما بِشَيْ تَعَلَّقَتْ ٢٠٨
٣٨ ـ وعِندَنَا أَسماؤُهُ العَظِيمَهْ كَذا صِفَاتُ ذَاتِهِ قَدِيمَهْ ٢١١
٣٩ ـ واخْتِيرَ أَنَّ اسْمَاهُ تَوْقِيفِيَّهْ كَذَا الصِّفَاتُ فاحْفَظِ السَّمْعِيَّهْ ٢١٣
٤٠ ـ وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ ورُمْ تَنْزِيْهَا ٢١٥
٤١ ـ ونَزِّهِ القُرْآنَ أَيْ كَلاَمَهْ عَنِ الحُدُوثِ واحْذَرِ انتِقَامَهْ ٢٢٠
٤٢ ـ وكُلُّ نَصٍّ لِلْحُدُوثَ دَلاَّ اِحْمِل عَلَى اللَّفْظِ الذيْ قَدْ دَلاَّ ٢٢١

٦٦ ـ والأنْبِيَا يَلُونَهُ فِي الْفَضْلِ   وَبَعْـدَهُـمْ مـلائِكَـهْ ذِي الْفَضْـلِ ٢٩٦

٦٧ ـ هذَا وَقَوْمٌ فَضَّلُوا إِذْ فَضَّلُوا   وَبَعْـضُ كُـلٍّ بَعْضُـهُ قَـدْ يَفْضُـلُ ٢٩٧

٦٨ ـ بِالمُعْجِزَاتِ أُيِّدُوا تَكَرُّمَا   وَعِصْمَـةَ الْبَـارِي لِكُـلٍّ حَتِّمَـا ٢٩٨

٦٩ ـ وَخُصَّ خَيْرُ الخَلْقِ أَنْ قَدْ تَمَّمَا   بِـهِ الجَمِيـعَ رَبُّنَـا وَعَمَّمَـا ٣٠١

٧٠ ـ بِعْثَتَهُ فَشَرْعُهُ لاَ يُنْسَخُ   بِغَيْـرِهِ حَتَّـى الـزَّمَـانُ يُنْسَـخُ ٣٠٢

٧١ ـ وَنسخُهُ لِشَرْعِ غَيْرِهِ وَقَعْ   حَتْمـاً أَذَلَّ اللهُ مَـنْ لَـهُ مَنَـع ٣٠٤

٧٢ ـ ونَسْخَ بَعضِ شَرْعِهِ بالبَعْضِ   أَجِزْ ومَـا فـي ذَا لَـهُ مِـن غَضٍّ ٣٠٥

٧٣ ـ ومُعْجِـزَاتُـهُ كَثِيـرَةٌ غُـرَرْ   مِنهـا كَـلامُ اللهِ مُعْجِـزُ البَشَـرْ ٣٠٨

٧٤ ـ واجْزِمْ بِمِعْراجِ النَّبِيْ كَما رَوَوا   وبَـرِّئَـنْ لِعَـائِشَـهْ مِمَّـا رَمَـوا ٣١١

٧٥ ـ وصَحْبُهُ خَيرُ القُرونِ فاسْتَمِعْ   فَتَـابِعِـيْ فَتَـابِـعٌ لِمَـن تَبِـعْ ٣١٤

٧٦ ـ وخَيرُهُم مَن وُلِّيَ الخِلاَفَهْ   وأَمْرُهُم في الفَضْلِ كالخِلاَفَهْ ٣١٧

٧٧ ـ يَلِيهِـمُ قَـومٌ كِـرامٌ بَـرَرَهْ   عِـدَّتُهـم سِـتٌّ تَمـامُ العَشَـرهْ ٣١٨

٧٨ ـ فَأَهْلُ بَدْرِ العَظِيمِ الشَّانِ   فـأَهْـلُ أُحْـدٍ بَيْعَـةِ الـرِّضْـوَانِ ٣١٩

٧٩ ـ وَالسَّابِقُونَ فَضْلُهُمْ نَصًّا عُرِفْ   هـذَا وَفـي تَعْيِينِهِـمْ قَـدِ اخْتُلِـفْ ٣٢٨

٨٠ ـ وَأَوِّلِ التَّشَاجُرَ الَّذِي وَرَدْ   إِنْ خُضْتَ فِيهِ وَاجْتَنِبْ داءَ الحَسَدْ ٣٢٩

٨١ ـ وَمَـالِـكٌ وَسـائِـرُ الأَئِمّـهْ   كَـذَا أَبُـو الْقَـاسِـمْ هُـدَاةُ الأُمَّـهْ ٣٣٢

٨٢ ـ فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمُ   كَـذَا حكـى الْقَـوْمُ بِلَفْـظٍ يُفْهَـمُ ٣٤٢

٨٣ ـ وَأَثْـبِتَـنْ لِـلأَوْلِيـا الْكَرَامَـهْ   وَمَـنْ نَفَـاهَـا فَـانْبِـذَنْ كَـلاَمَـهْ ٣٤٤

٨٤ ـ وَعِنْـدَنَـا أَن الـدُّعـاءَ يَنْفَـعُ   كمـا مِـنَ القُـرآنِ وَعْـداً يُسْمَـعُ ٣٤٩

٨٥ ـ بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وُكِّلُوا   وَكَـاتِبُـونَ خِيـرَةٌ لَـنْ يُهْمِلُـوا ٣٥٠

٨٦ ـ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئاً فَعَلْ وَلَوْ ذَهِلْ   حَتَّى الأَنِينَ في المَرَضْ كما نُقِلْ ٣٥٤

٨٧ ـ فَحاسِبِ النَّفْسَ وَقِلَّ الأَمَلاَ   فَـرُبَّ مَـنْ جَـدَّ لأَمْـرٍ وَصَـلاَ ٣٥٥

٨٨ ـ وَوَاجِـبٌ إِيمَـانُنَـا بِـالْمَـوْتِ   وَيَقْبِـضُ الـرُّوحَ رَسُـولُ المَـوْتِ ٣٥٦

٨٩ ـ وَمَيِّتٌ بِعُمْرِهِ مَنْ يُقْتَلُ　　وَغَيرُ هذا بَاطِلٌ لا يُقْبَلُ ٣٥٩

٩٠ ـ وفي فَنَا النَّفسِ لَدى النَّفْخ اخْتُلِفْ　　واستظهر السُّبْكِي بقاها الَّذْ عُرِفْ ٣٦٠

٩١ ـ عَجْبُ الذَّنْبِ كالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحا　　المُزَنِيُّ لِلْبِلَى وَوَضَّحا ٣٦١

٩٢ ـ وكُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا　　عُمُومَهُ فاطْلُبِ لِما قَدْ لَخَّصُوا ٣٦٣

٩٣ ـ ولا تَخُضْ في الرُّوحِ إذ مَا وَرَدا　　نَصٌّ عَنِ الشَّارعِ لَكِنْ وُجِدَا ٣٦٤

٩٤ ـ لِمالِكٍ هِيْ صُورَةٌ كالجَسَدِ　　فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذا السَّنَدِ ٣٦٥

٩٥ ـ والعَقلُ كالرُّوحِ ولَكِن قَرَّرُوا　　فِيهِ خِلَافاً فانْظُرَنْ ما فَسَّرُوا ٣٦٨

٩٦ ـ سُؤَالُنا ثُمَّ عَذَابُ القَبْرِ　　نَعِيمُهُ وَاجِبٌ كَبَعْثِ الحَشْرِ ٣٦٩

٩٧ ـ وقُلْ يُعَادُ الجِسْمُ بالتَّحْقِيقِ　　عَن عَدَمٍ وقِيلَ عَنْ تَفْرِيقِ ٣٧٤

٩٨ ـ مَحْضَيْنِ لَكِنْ ذَا الخِلافُ خُصَّا　　بالأنبيا ومَنْ عَلَيهِم نُصَّا ٣٧٤

٩٩ ـ وفي إعادَةِ العَرَضْ قَوْلَانِ　　وَرُجِّحَتْ إِعَادَةُ الأَعْيَانِ ٣٧٥

١٠٠ ـ وفي الزَّمَنْ قَوْلَانِ والحِسَابُ　　حَقٌّ ومَا فِي حَقٍّ ارْتِيَابُ ٣٧٦

١٠١ ـ فالسَّيِّئاتُ عِندَهُ بالمِثْلِ　　والحَسَناتُ ضُوعِفَتْ بالفَضْلِ ٣٧٨

١٠٢ ـ وباجْتناب للكَبَائِرْ تُغْفَرُ　　صَغَائِرٌ وجَا الوُضُو يُكَفِّرُ ٣٨٠

١٠٣ ـ واليومُ الآخِرْ ثُمَّ هَوْلُ المَوْقِفِ　　حَقٌّ فَخَفِّفْ يا رَحِيمُ واسْعِفِ ٣٨٢

١٠٤ ـ ووَاجِبٌ أَخْذُ العِبَادِ الصُّحُفَا　　كَما مِنَ القُرْآنِ نَصّاً عُرِفَا ٣٨٤

١٠٥ ـ ومِثْلُ هَذا الوَزْنُ والمِيْزَانُ　　فتُوزَنُ الكُتْبُ أَو الأَعْيَانُ ٣٨٦

١٠٦ ـ كَذَا الصِّراطُ فالعِبَادُ مُخْتَلِفْ　　مُرُورُهُم فَسَالِمٌ ومُنْتَلِفْ ٣٨٩

١٠٧ ـ والعَرْشُ والكُرْسِيُّ ثُمَّ القَلَمُ　　والكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكَمُ ٣٩٠

١٠٨ ـ لاَ لاحْتِيَاجٍ وبِها الإيمَانُ　　يَجِبُ عَلَيكَ أَيُّها الإِنْسَانُ ٣٩٢

١٠٩ ـ والنَّارُ حَقٌّ أُوْجِدَتْ كَالجَنَّهْ　　فَلَا تَمِلْ لِجَاحِدٍ ذِي جِنَّهْ ٣٩٢

١١٠ ـ دَارَا خُلُودٍ للسَّعِيدِ والشَّقِي　　مُعَذَّبٌ مُنَعَّمٌ مهما بَقِي ٣٩٦

١١١ ـ إِيمانُنا بِحَوضِ خَيرِ الرُّسْلِ　　حَتْمٌ كَما قَدْ جَاءَنا فِي النَّقْلِ ٣٩٨

١١٢ ـ يَنالُ شُرْباً مِنهُ أَقْوامٌ وَفَوا بِعَهْدِهِمْ وَقُل يُذادُ مَنْ طَغَوا ٣٩٩

١١٣ ـ وواجِبٌ شَفاعَةُ المُشَفَّعِ مُحَمَّدٍ مُقَدَّماً لا تَمْنَعِ ٤٠٠

١١٤ ـ وغَيرُهُ مِن مُرْتَضى الأَخْيارِ يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ في الأَخْبَارِ ٤٠٣

١١٥ ـ إِذْ جَائِزٌ غُفْرانُ غَيرِ الكُفْرِ فَلاَ نُكَفِّر مُؤمِناً بالوِزْرِ ٤٠٣

١١٦ ـ ومَن يَمُتْ وَلَم يَتُبْ مِن ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ ٤٠٤

١١٧ ـ وواجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضٍ ارتَكَبْ كَبيرَةً ثُمَّ الخُلُودُ مُجْتَنَبْ ٤٠٥

١١٨ ـ وصِفْ شَهِيدَ الحَرْبِ بالحَياةِ وَرِزْقُهُ مِنْ مُشْتَهى الجَنَّاتِ ٤٠٦

١١٩ ـ والرِّزْقُ عِندَ القَومِ مَا بِهِ انْتُفِعْ وقِيلَ لا بل مَا مُلِكْ ومَا اتُّبِعْ ٤٠٩

١٢٠ ـ فَيَرزُقُ اللهُ الحَلاَلَ فاعْلَمَا ويَرزُقُ المَكْرُوهَ والمُحَرَّما ٤١٠

١٢١ ـ في الاكتِسابِ والتَوكُّلِ اختُلِفْ والرَّاجِحُ التَفْصِيلُ حَسْبَما عُرِفْ ٤١١

١٢٢ ـ وعِندَنا الشَّيءُ هو المَوجُودُ وثَابِتٌ في الخَارِجِ المَوجُودُ ٤١٤

١٢٣ ـ وُجُودُ شَيءٍ عَيْنُهُ والجَوْهَرُ الفَرْدُ حَادِثٌ عِندَنا لا يُنْكَرُ ٤١٥

١٢٤ ـ ثُمّ الذُّنُوبُ عِندَنَا قِسْمَانِ صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فالثَّانِي ٤١٦

١٢٥ ـ مِنهُ المتابُ وَاجِبٌ في الحَالِ وَلاَ انْتِقَاضَ إِنْ يَعُدْ لِلحَالِ ٤١٨

١٢٦ ـ لَكِنْ يُجَدِّدْ تَوْبَةً لما اقْتَرَفْ وفِي القَبُولِ رَأْيُهُم قَدِ اخْتَلَفْ ٤١٩

١٢٧ ـ وحِفْظُ دِينٍ ثُمّ نفس مَالْ نَسَبْ ومِثْلُها عَقْلٌ وَعِرضٌ قَدْ وَجَبْ ٤٢١

١٢٨ ـ وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرُوْرَةً جَحَدْ مِن دِينِنا يُقتَلُ كُفراً لَيسَ حَدْ ٤٢٣

١٢٩ ـ ومِثلُ هَذا مَن نَفَى لِمُجْمَعِ أَوِ استباحَ كالزِّنى فلتَسْمَعِ ٤٢٤

١٣٠ ـ وواجِبٌ نَصْبُ إِمَامٍ عَدْلِ بالشَّرْعِ فاعْلَمْ لاَ بِحُكْمِ العَقْلِ ٤٢٤

١٣١ ـ فَلَيسَ رُكناً يُعتَقَدْ في الدِّينِ فَلاَ تَزِغْ عَن أَمْرِهِ المُبِينِ ٤٢٦

١٣٢ ـ إلاَّ بكُفرٍ فانبذَنَّ عَهْدَهُ فاللهُ يَكفِينا أذاهُ وَحْدَهُ ٤٢٧

١٣٣ ـ بغَيرِ هَذا لا يُباحُ صَرْفُهُ ولَيسَ يُعزَلْ إن أُزِيلَ وَصْفُهُ ٤٢٨

١٣٤ ـ وأْمُرْ بعُرْفٍ واجتَنِبْ نَمِيمَه وغِيبَةً وخَصْلَةً ذَمِيمَه ٤٢٨

١٣٥ ـ كالعُجْبِ والكِبْرِ وداءِ الحَسَدِ   وكَـالمِـرَاءِ والجَـدَلْ فـاعْتَمِـدِ ٤٣٢

١٣٦ ـ وكُنْ كَما كَانَ خِيَارُ الخَلْقِ   حَليـفَ حِلْـمٍ تَـابِعـاً لِلحَـقِّ ٤٣٤

١٣٧ ـ فَكُلُّ خيرٍ في اتِّباعِ مَن سَلَفْ   وكُلُّ شَرٍّ في ابتِدَاعِ مَن خَلَفْ ٤٣٦

١٣٨ ـ وَكُلُّ هَدْيٍ لِلنَّبيِّ قَدْ رَجَحْ   فَما أُبيحَ افْعَل وَدَعْ مَا لَمْ يُبَحْ ٤٣٧

١٣٩ ـ فَتَابِعِ الصَّالِحَ مِمَّنْ سَلَفَا   وجَـانِـبِ البِـدْعَـةَ مِمَّـنْ خَلَفَـا ٤٣٨

١٤٠ ـ هَذَا وَأَرْجُو اللهَ فِي الإِخْلَاصِ   مِـنَ الـرِّيـاءِ ثُـمَّ فـي الخَـلَاصِ ٤٣٩

١٤١ ـ مِنَ الرَّجيمِ ثُمَّ نَفْسِي والهَوَى   فَمَـنْ يَمِـل لِهَـٰـؤُلاءِ قَـدْ غَـوَى ٤٤٠

١٤٢ ـ هَذَا وأَرجُو اللهَ أَنْ يَمْنَحنا   عِنـدَ السُّـؤَالِ مُطْلَقـاً حُجَّتَنـا ٤٤٢

١٤٣ ـ ثُمَّ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ الدَّائِمُ   عَلَـى نَبِـيٍّ دَأْبُـهُ المَـرَاحِـمُ ٤٤٢

١٤٤ ـ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وعِتْرَتِهْ   وَتَـابِـعٍ لنَهْجِـهِ مِـنْ أُمَّتِـهْ ٤٤٤

* * *

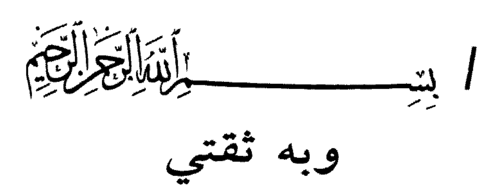


للإمام الفقيه عمدة أهل التحقيق

الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي

المتوفى سنة (١٢٤١) هـ

مقدمة الشارح



وبه ثقتي

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالإيمان والإسلام، وأخرجنا بهما من ظلمة الشِّرك والأوهام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدَّخرها عند الختام، وأشهد أن سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله سيِّد الأنام، صلَّى الله عليه وسلَّم، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وعلى أشياخنا وأشياخهم إلى منتهى الإسلام.

وبعد:

فيقول العبد الفقير المرتجي غفر المساوي، أحمد بن محمَّد المالكي الخَلْوَتي الصاوي:

هذه تقييدات على جوهرة التوحيد للإمام العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم بن حسن المالكي اللَّقاني رأس سلسلة هذا الفنِّ، ومن أرباب الأحوال والكشف. وعاش مدَّة عمره لم يُرَ ما تحت جبَّته من بغتة ولا غيرها، وكان مهاباً جدَّاً لا يكلمّه إلا القليل من الناس، وأنشأ هذه المنظومة ليلاً بإشارة شيخ التربية في التصوُّف سيِّدي أحمد عرب

الشُّرْنُوبِيّ[1] . وأوصاه لما فرغها وهو قائم يصلِّي: أن لا يعتذر لأحد عن ذنب أو عيب بلغه عنه ، بل يعترف له به ، ويظهر له التصديق على طريق التورية مذلَّة للنفس . فما خالفه بعدُ.

وعلَّمه أنَّه إذا قرأ في أذن المولود سورة القدر عند ولادته لم يُقدِّر الله عليه زنى مدة حياته.

توفي منصرِفاً من الحجِّ بمحلٍّ يقال له الشّرفة، ليلة الأحد قُبيل العشاء الأخيرة، ثالث شهر صفر سنة إحدى وأربعين بعد الألف عن نيِّف وسبعين سنة.

وحُمل إلى عقبة أَيلة[2] ، فدفن بمحلٍّ عالٍ مجاورٍ لآخر بساتينها التي ينزل الحاج بعد رجوعه خلفها على يمين الراجع تُجاه البحر الملح[3]. كذا في السُّحَيميّ[4].

سألني في شأنها وقت السحر وأنا جالس بجانب ضريح السيد البدوي[5] بعضُ الأعيان من الملازمين لذلك المحلِّ الأنور ، فقال لي:

---

(١) أبو العباس أحمد بن عثمان، العالم العارف بالله الوليُّ . طريقته شاذلية أخذ عنه إبراهيم اللَّقاني، وصحبه، وانتفع به ، له تأليف في التصوُّف، توفي سنة (٩٩٤هـ). انظر شجرة النور الزكية (٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٢) أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر القُلْزُم (المعروف بالبحر الأحمر) مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. انظر معجم البلدان (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر المزيد على إتحاف المريد للسحيمي. ج١ (ق١٧/ أـب).

(٤) أحمد بن محمد بن علي الحسني، فقيه مصري من أعيان الشافعية وصلحائهم. من كتبه: تاج البيان لألفاظ القرآن، والعطايا الربانية، والمزيد على إتحاف المريد، وزهرة الطالب بشرح الكواكب، والمقتدي بشرح الهدهدي. توفي (١١٧٨ هـ) . انظر الأعلام (١/ ٢٤٣).

(٥) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوي المتصوف، أصله من المغرب، ولد بفاس سنة (٥٩٦هـ)، وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر أيام الظاهر بيبرس. توفي سنة (٦٧٥هـ) ودفن في طنطا. =

(إنَّ جوهرة التوحيد كتاب نفيس ، غير أنَّ شُرَّاحه صعَّبوه ، وحَوَّاشيه زادوه صعوبة ، فاقتضىٰ رأينا أنَّك تجعل لنا عليه حاشية توضح معناه بسهولة من غير تعقيد ولا تخليط).

فاستبشرتُ لذلك ، وأجبتُ راجياً لفضل / الله ، لا لحولي وقوَّتي ، ١/ب
ورجوتُ منه النفع بها ، كما نفع بأصلها . إنه جواد كريم .

* * *

= الأعلام (١/ ١٧٥) بتصرف . وانظر لواقح الأنوار للشعراني (١/ ١٨٣) وشذرات الذهب (٥/ ٣٤٥) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان في البَسملة

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)

ابتدأ بها اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بقوله ﷺ: «كُلُّ أَمرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فيه بِبسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم فَهو أَقْطَعُ، أو أَجْذَمُ، أَوَ أَبْتَرُ»(١). والمعنى: ناقص وقليل البركة.

إن قلت: إنَّ هذا الكتاب شعر، وقد قال العلماء: لا يُبدأ الشعر بالبسملة.

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع برقم (١٢١٠)، والسبكي في طبقات الشافعية (١/٦)، وإسناده ضعيف جداً خلافاً لمن حسنه كالنووي وغيره، وقد جعله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٢٢٠) من قسم الضعيف والإسناد الواهي. ولكن من ناحية عملية كان رسول الله ﷺ عندما يرسل رسائل إلى الملوك والأمراء يبدأ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم. وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان والنسائي وأبو داود وغيرهم، وحسّنه النووي والسيوطي، ولفظه عندهم: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله أقطع» و«كل كلام لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم». انظر تخريج الحديث الأخير في ص(٥٠) من هذا الكتاب.

أجيب: بأن الشعر الذي لا يُبْدَأُ بالبسملة هو ما احتوى على مدح مَن لا يجوز مدحه ، أو ذمّ مَن لا يجوز ذمُّه.

وأما هذا الكتاب فموضوعه علم التوحيد ، وهو أشرف العلوم ، فكان من الأمور ذوات البال قطعاً.

وأفرد البسملة عن الشِّعر ، ولم يأتِ بها نظماً كما فعل الشاطبي[1] في قوله:

بَدَأتُ بِبِسْمِ اللهِ في النَّظْمِ أَوَّلا ... ...[2]

لأنَّه يعسر الإتيان بها على هيئتها من غير تغيير بخلاف الحمدلة ، ولأنَّه خلاف الأولى.

والباء للاستعانة متعلِّقة بمحذوف ، والأَولى أن يكون **فعلاً** ؛ لأنَّه الأصل في العمل . **وخاصّاً** ؛ لأنَّ كلَّ شارع في أمر يُضْمِر ما كانت البسملة مبدأً له . **ومؤخَّراً** ؛ لإفادة الحصر .

وإضافة (اسم) إلى لفظ الجلالة من إضافة العامِّ للخاصِّ؛ لأنَّه يعمُّ لفظ الجلالة وغيره من باقي الأسماء الواردة.

وسيأتي أن أسماءه تعالى توقيفيَّة[3]، فلا يجوز أن يُطلق عليه إلا ما ورد النصُّ به عند أهل التحقيق.

---

(١) القاسم بن فِيرُّة بن خلف الرعيني ، إمام القراء ، كان ضريراً ، ولد بشاطبة في الأندلس سنة (٥٣٨هـ) ، وتوفي بمصر سنة (٥٩٠هـ) ، وهو صاحب حرز الأماني المعروفة بالشاطبية . كان عالماً بالتفسير والحديث واللغة . انظر طبقات الشافعية (١/ ٣٦٨) ، بغية الوعاة (٢/ ٢٦٠) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٠).

(٢) وعجز البيت : تبارك رحماناً رحيماً وموئلا . حرز الأماني (٣).

(٣) انظر ص(٢١٣) من هذا الكتاب.

وإنما خُصَّ في البسملة لفظ الجلالة ؛ لأنه الاسم الجامع ؛ لكونه موضوعاً للذَّات المتصفة بكل كمال ، المنزَّهة عن كل نقص . ولذلك كان هو الاسمَ الأعظمَ عند أهل التحقيق ، وتخلُّف الإجابة لبعض الناس؛ لفقد الشروط[1] . وإلا ففي الحديث :

«رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذي طِمْرَين[2] لَو أَقْسَمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ»[3] .

وخُصَّ (الرَّحمٰن الرَّحيم) ؛ لأنَّهما مَظهر النعم الدنيوية والأخروية .

فالأوَّل : مَنْشَأ جلائل النعم كَمَّاً وكيفاً .

والثاني : مَنْشَأ دقائقها كمَّاً وكيفاً على التحقيق .

ولاحتوائها[4] على اسم الله الأعظم ، وعلى الاسمين اللذَين بهما

---

(١) إن للإجابة شروطاً أعظمها : أكل الحلال ، ثم الدعاء وأنت موقن بالإجابة ، ثم هناك شروط أُخَر القبول فيها أرجى ، كما هو في بعض الأوقات : كالسَّحَر ، وساعة يوم الجمعة ، وبين الأذان والإقامة ، وكما هو في بعض الأمكنة : كعرفات ، وفي مزدلفة ، وبعد رمي الجمرة الأولى والثانية ، وعند لقاء الكعبة المشرفة .
ومن جملة ما يُرجى أيضاً : الدعاء عند الاضطرار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ سورة النمل الآية ٦٢ .
وقد أفرد الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين باباً لآداب الدعاء. انظر (١/ ٣٠٤) .

(٢) الطِّمْرُ : الثوب الخَلَق . النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٨) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٨) عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ .
وأخرجه مسلم بنحوه (٢٦٢٢) عن أبي هريرة مرفوعاً .
وله شاهد أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان مرفوعاً . مجمع البحرين (٨/ ٢٤٦) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٤) : رجاله رجال الصحيح .

(٤) الجار والمجرور متعلقان بقوله : (كانت جامعة لمعاني القرآن . . .) الآتي .

مَنْشَأُ النِّعم الدنيويَّة والأخرويَّة ، الحسيَّة والمعنويَّة كانت جامعة لمعاني القرآن الذي جمع الكتب السماويَّة ؛ لأنَّ معنى القرآن انحصر في بيان كمالات الله تعالى ، وبيان ظهور رحمته وتصرُّفاته في خلقه دنيا وأخرى . / وقد احتوت البسملة على ذلك . وتفصيل ذلك عند أهل ٢/أ البصائر[1] .

* * *

(١) ويزيد الباجوري على ذلك : ومعناها الإشـاري (بي كان ما كان وبي يكون ما يكون) . وحينئذ يكون في الباء إشارة إلى جميع العقائد ؛ لأن المراد : بي وجد ما وجد ، وبي يوجد ما يوجد . ولا يكون كذلك إلا مَن اتصف بصفات الكمال ، وتنزَّه عن صفات النقصان اهـ . تحفة المريد (٣).

بيان في الحَمْدلة

قوله : (الحمد لله)

ابتدأ بها أيضاً ؛ لما ورد : «كُلُّ كِتَابٍ لاَ يُبْدَأُ فِيه بالحَمْدِ للهِ[1] فَهُو أَجْذَمُ»[2].

إن قلت : إنَّ الابتداء بالبسملة يُفَوِّت الابتداء بالحمْدَلة ، وبالعكس.

قلت : حَمل العلماء الابتداءَ بالبسملة على الحقيقي : وهو ما لم يسبقه شيء ؛ لقوّة حديثها على حديث الحمدلة[3] ، والابتداءَ بالحَمْدَلة على الإضافيِّ : وهو ما تقدَّم أمام المقصود[4] [سبقه شيء أم لا][5].

والبسملة وإن كانت تغني عن الحَمْدَلَة من حيث وجودُ الثناء

---

(١) في (د) : بالحَمْدَلة.

(٢) أخرجه ابن حبان برقم (١ ـ ٢) . والنسائي في الكبرى (١٠٣٢٨) . وأبو داود (٤٨٤٠) . وابن ماجه (١٨٩٤) . وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً.
وحسَّنه النووي في الأذكار (ص١٦٤) . والسيوطي في الجامع الصغير (٦٢٨٣) وغيرهما . ولفظه عندهم : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبدَأ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ أَقْطَعُ» و«كُلُّ كَلَامٍ لا يُبدَأ فِيهِ بالحَمْدِ للهِ فهو أَجْذَمُ».

(٣) ويظهر لنا من خلال تخريج حديثي البسملة والحمدلة أن الأمر على عكس ما ذَهب إليه المؤلف رحمه الله . والله أعلم . انظر تخريج حديث البسملة في ص(٤٦) من هذا الكتاب.

(٤) وهو علم التوحيد هنا.

(٥) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د).

١ ـ الحَمْـدُ للهِ عَلـى صِـلاَتـهِ   ثـمَّ سَـلاَمُ اللهِ مَـعْ صَـلاَتِـه

. . . .

فيها ، إلا أنَّ مراعاة الاقتداء بالكتاب العزيز أتمّ[١].

والحمد لغةً : الثناء باللسان[٢] على الفعل الجميل الاختياريِّ على جهة التعظيم والتبجيل [سواء][٣] كان في مقابلة نعمة أم لا .

ومراده باللسان : الكلام ؛ ليَشْمَل القديم والحادث ، فهو مجاز مرسل من إطلاق السبب ، وهو اللسان ، وإرادة المسبَّب ، وهو الكلام ، ودخلَ التعريفَ ؛ لأنَّه مجاز مشهور[٤].

وخرج بالاختياريِّ الاضطراريُّ[٥] ؛ فإنَّه مدح لا حمد.

وقولنا: على جهة التعظيم والتبجيل . أي : على وجه هو التعظيم. وفي الحقيقة ذِكْرُهما للإيضاح ؛ لفهم ذلك من قوله : على الفعل

---

(١) إذْ بدأ الكتاب العزيز بـ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

(٢) عرَّف الباجوري الحمد لغة فقال:
(الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل. . .) انظر تحفة المريد (٤) . أي : استبدل الكلام باللسان حتى لا يستعمل المجاز في التعريف.

(٣) ساقطة من (م)، وأثبتناها من (د).

(٤) لأن التعاريف عادةً تصان عن المجازات ، لذلك ينبغي أن تكون بألفاظ حقيقية. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٨).

(٥) كأن يكون الممدوح جميل الوجه حسن الصورة ؛ فإنه يمدح في ذلك ، ولا يُحمد عليه ؛ لأن الجمال ليس من صنيعه . على عكس الكريم مثلاً ؛ فإنه يحمد على كرمه ؛ لأنه من صنيعه. انظر تحفة المريد (٤).

الجميل ، وأيضاً لتخرج السخرية كقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[١] .

فشمل هذا التعريف **أقسام الحمد الأربعة**:

١ ـ حمد قديم لقديم : وهو حمد الله تعالى نفسه بنفسه أزلاً[٢] .

٢ ـ وحمد قديم لحادث : كحمد الله بعضَ عباده[٣] .

٣ ـ وحمد حادث لقديم : وهو حمدنا لله سبحانه وتعالى .

٤ ـ وحمد حادث لحادث : كحمدنا بعضنا لبعض .

وأما أركانه فخمسة:

١ ـ حامد : وهو فاعل الحمد .

٢ ـ ومحمود : وهو من وقع عليه الحمد .

٣ ـ ومحمود به : وهو مدلول صيغة الحمد[٤] .

٤ ـ ومحمود عليه : وهو السَّبب الباعث على الحمد[٥] .

٥ ـ وصيغته : وهي اللفظ الدَّالُّ على الحمد .

---

(١) سورة الدخان (٤٩) .

(٢) وذلك في قوله سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو كلام الله الأزليّ .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ سورة ص آية (٣٠ ـ ٤٤) .

(٤) كالكَرَم مثلاً .

(٥) وهو الكرم أيضاً ، فقد يكون محموداً به ، ومحموداً عليه . يقول الباجوري : (ثم اعلم أن المحمود به والمحمود عليه قد يتحدان ذاتاً ويختلفان اعتباراً ، كما إذا أكرمك زيد فقلت : زيد كريم ؛ فإن الكرم من حيث كونه باعثاً على الحمد يقال له : محمود عليه ، ومن حيث كونه مدلول الصيغة يقال له : محمود به ، وقد يختلفان ذاتاً واعتباراً كما إذا أكرمك زيد فقلت : زيد عالم ، فإن المحمود عليه هو الكرم والمحمود به هو العلم) اهـ . تحفة المريد (٤) .

وعُرفاً[١] : فعل[٢] ينبىء عن تعظيم المُنْعِم بسبب كونه منعماً على الحامد أو غيره.

والشكر لغة : هو الحمد عرفاً بإبدال الحامد بالشاكر.

واصطلاحاً : صرف العبد جميعَ ما أنعم الله به عليه إلى ما خُلِق[٣] لأجله.

و(أل) في الحمد : إما للجنس ، أو للاستغراق ، أو للعهد[٤].

سأل أبو العباس المرسيُّ[٥] ابنَ النحاس النحوي[٦] عن (أل) في الحمد ، فقال : (يا سيدي يقولون : إنها جنسية) ، فقال له : (لا بل هي عهدية ؛ لأن الله لما علم عجز خَلْقه عن كُنْه حمده أزلاً حَمِد نفسه بنفسه)[٧] اهـ.

---

(١) أي والحمد عرفاً.

(٢) كقيامنا إجلالاً لمن له علينا فضل ونعمة ، فهذا حمد بالفعل لا باللسان.

(٣) نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على ما أنعم الله به على العبد ، فيصرف العبدُ مثلاً نعمة البصر أو السمع أوغيرهما إلى ما خُلِقَتْ من أجله.

(٤) وهو حمد الله نفسه بنفسه ، وحمد أوليائه له.

(٥) أحمد بن عمر شهاب الدين ، فقيه متصوِّف ، من أهل الإسكندرية ، أصله من مرسيَة في الأندلس توفي سنة (٦٨٦هـ) ، كان عَلاَّمَةَ زمانه في العلوم الإسلامية . الأعلام (١/ ١٨٦) ، وانظر النجوم الزاهرة (٧/ ٣٧١).

(٦) محمد بن إبراهيم بهاء الدين الحلبي ، شيخ العربية بالديار المصرية ، ولد في حلب سنة (٦٢٧هـ) . سكن القاهرة ، مشهور بالدين والصدق والعدالة وحسن الأخلاق ، توفِّي سنة (٦٩٨هـ) . بغية الوعاة (١/ ١٣ ـ ١٤).

(٧) في هذه المحاورة دلالة على العلم اللدنيِّ الذي ينعم الله به على أوليائه ؛ إذ أدرك أبو العباس كون اللام في (الحمد) عهدية . والله أعلم.

٢/ب والـلام في (لله) للاستحقاق ، / وهي : ما وقعت بين معنى وذات.

وأما لام الملك فهي : ما وقعت بين ذاتين إحداهما تُملَك كقولك : (المال لزيد).

وأما لام الاختصاص فهي : ما وقعت بين ذاتين إحداهما لا تُملَك كقولك : (الجُلُّ للفرس).

قوله : (على صِلاتـه)

بكسر الصاد ، أي : عَطِيّاته ، والإضافة تأتي لما تأتي له اللام . أي : جميع إنعاماته . وآثر الحمد على النعمة ؛ لأنه مقيَّد وهو أفضل من المطلق[١] عند بعضهم ، وعند بعضهم المطلق أفضل .

وفي الحقيقة : الجارُّ والمجرور خبر بعد خبر ، فيكون مُؤَدِّياً للحمد المطلق بالخبر الأول ، وللمقيَّد بالثاني ، فجمع بين القولين ، وشرب بالكأسين .

وجملة (الحمد . . .) خبريَّة لفظاً ، إنشائيَّة معنى على التحقيق ، وهي

---

(١) والمطلق كقولنا : (الحمد لله) أما المقيَّد فهو ما أتى به الناظم بقوله : الحمد لله على صِلاته ، فقيَّد الحمد بالعطيات.
ومَن فضَّل الحمد المقيَّد جعله كالفرض؛ لأنَّه أتى بعد نعم الله على عبده ، وجعل الحمد المطلق كالنفل.
ومَن فضَّل الحمد المطلق فَحُجَّتُه في ذلك أن العبد يحمد ربه سبحانه على كل حال؛ لأنَّه ربٌّ يستحقُّ الحمد دائماً. انظر تحفة المريد (٥).

لإنشاء الثناء بالمضمون ، لا لإنشاء المضمون[1] ؛ لأنَّ المضمون كمال الله ، وهو قديم .

وأتى بها اسمية اقتداءً بالكتاب العزيز ، ولم يعطفها على البسملة اقتداءً بالقرآن العظيم أيضاً ، وليكون كلٌّ مقصوداً بالابتداء .

بيان في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

قوله : (ثمّ سلام الله)

ثـمَّ للتـرتيب الرُّتْـبي[2] ؛ لأنَّ حـقَّ الله مقـدَّم علـى حـقِّ المخـلوق ، فـإنَّ البسمـلة والحمـدلة ثنـاء علـى الله ، والصـلاة والسـلام ثنـاء علـى رسول الله ، ولذلك تُـقَـدَّم تحيَّـة مسجـده ، عليـه الصـلاة والسـلام ، علـى السلام عليه ﷺ .

وقدَّم السلام ـ وإن كانت رتبته التأخير عن الصَّلاة كما في آية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3] ـ لضرورة النظم ، وأفاد التأخير بلفظ (مع) . يقال : جاء الوزير مع السلطان ، ولا يقال : جاء السلطان مع الوزير .

---

(١) أي : لا لإنشاء الكمال لله بهذه العبارة ؛ إذ كمال الله أزليٌّ .

(٢) وهذا الترتيب غير الترتيب الذكري والترتيب الزمني المفادَين من (ثُمَّ) أيضاً . وتجيء ثمَّ لمعانٍ أُخر . انظر الكلِّيات لأبي البقاء الكفويّ (٢/ ١٢٥) .

(٣) سورة الأحزاب (٥٦) .

والسلام: التحيَّـة ، أي: زيادة الإكرام بأن يحيِّيه الله بكلامه القديم كما يحيِّي أحدنا ضيفه.

قوله: (مـع صَلاتـه)

الظرف متعلِّق بمحذوف حال من المبتدأ على رأي سيبويه[١].

والضمير في صلاته عائد على الله ، وجمع بين الصلاة والسلام؛ لأنَّ إفراد أحدهما عن الآخر قيل: مكروه.

والصلاة من الله رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن غيره التضرُّع والدُّعاء ولو من الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ . . .﴾[٢] الآيات إلى قوله: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ . . .﴾[٣].

ولا يجوز الدُّعاء للنبيِّ عليه الصلاة والسلام بغير الوارد (كرَحِمَه اللهُ)، بل المناسب واللاَّئق في حقِّ الأنبياء الدُّعاء بالصلاة والسلام ،

---

(١) عمرو بن عثمان بن قَنبر إمام البصريين أبو بشر ، أصله من فارس ، أخذ عن الخليل بن أحمد ويونس ، كان علاّمة حسن التصنيف ، توفي سنة (١٨٠ هـ) وعمره اثنتان وثلاثون سنة اهـ. بغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).

(٢) سورة غافر (٧) وتمام الآية: ﴿. . . رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

(٣) سورة غافر (٩).

وفي حقِّ الصحابة والتابعين والأولياء والمشايخ الترضِّي، وفي حقِّ غيرهم يكفي أيُّ دعاء كان.

قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1].

* * *

(١) سورة النور (٦٣) والآية ساقطة من (م) وأثبتناها من (د).

تعريف النبيِّ

قوله: (على نبيّ)

خبر المبتدأ أي: كائنان على نبيٍّ.

٣/أ / إن قلت: إنَّ الدُّعاء إن كان بخير تعدَّى باللام، وإن كان بشرّ تعدَّى بعلى.

أجيب: بأنَّه ضمَّن الصلاة معنى العطف، وهو يتعدَّى بعلى.

والحقُّ في الجواب أن يقال: محلُّ ذلك مالم يكن بعنوان الصلاة والسلام، فإن كان به تعيَّن تعديته بعلى؛ للفرق بين صلَّيتُ له وصلَّيت عليه، وسلَّمت له وسلَّمت عليه. فلو تعدَّى باللام لأوهم معنى فاسداً؛ لأنَّ صلَّيت له بمعنى عبدته، وسلَّمت له معناه فوَّضت له الأمر، ولأنَّه خلاف الوارد في القرآن والأحاديث.

والنبيُّ: بالهمز وعدمه، والوزن على كلٍّ صحيح في اللغة، مأخوذ من النبأ وهو الخبر، فهو اسم فاعل، أو اسم مفعول(١).

أو من النَّبْوَة وهي الرّفعة، فهو اسم فاعل لرفعه مرتبةَ غيره، أو اسم مفعول؛ لأنَّه مرفوع الرُّتبة، وما من نبيٍّ إلا وهو أفضل من أمَّته.

واصطلاحاً: إنسان ذكر حرٌّ من بني آدم، أوحيَ إليه بشرع، فإن أمر بتبليغه كان رسولاً أيضاً، وإلا فنبيّ فقط. فبينهما عموم وخصوص مطلق على الصحيح، فلا يكون النبيّ:

---

(١) لأنَّ (فَعِيْل) يأتي بمعنى فاعل: كعليم. وبمعنى مَفْعول: كجريح.

ـ من الجنِّ، وأمّا قول الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ...﴾[١] فمعناه من أحدكم وهم الإنس.

ـ ولا من الملائكة، وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾[٢] أي: للأنبياء ليبلغوهم عن الله الشرائع لا للأمة.

ـ ولا أنثى، والقول بنبوّة مريم ضعيف بل هي صدِّيقة، وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ...﴾[٣] الآية. لا يقتضي النبوّة، بل المراد الإلهام، وهو الإلقاء في القلب؛ فإنَّه يقع حتى لبعض الحيوانات غير العاقلة كما في آية: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ...﴾[٤].

وقولنا: أوحي إليه بشرع، أي: كان له كتاب أم لا.

واختُلف في عدَّة الأنبياء، فقيل: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وقيل: مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً، أرسل منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر، أو أربعة عشر.

والحقُّ أنه لا يعلم عدَّتهم إلا الله تعالى؛ لضعف الحديث الوارد في

---

(١) سورة الأنعام (١٣٠).

(٢) سورة الحج (٧٥). وتمام الآية: ﴿... وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾.

(٣) سورة القصص (٧). وتمام الآية: ﴿... أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

(٤) سورة النحل (٦٨) وتمام الآية: ﴿... أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾.

٢ ـ على نبيٍّ جَاء بالتَّوحيدِ وقد عَرَى الدِّينُ عنِ التَّوحِيدِ
. . . .

ذلك[١] ، ولقوله تعالى: ﴿ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾[٢] .

إرسال النبي ﷺ على فترة من الرسل

قوله: (جاء بالتوحيد)

صفة لنبيٍّ؛ لأنَّ الجمل بعد النكرات صفات ، ومحطُّ الصفة قوله:

. . . . وقد عرى الدين عن التوحيد

لأنَّه حال من فاعل جاء؛ لأنَّ الحال وصف لصاحبها قيد في عاملها ، وبهذا التقرير ظهر توضيح الصفة / للموصوف؛ لأنَّه لم يأت ٣/ب

---

(١) أخرج أحمد في المسند (٥/ ٢٦٥) عن أبي أمامة في حديث طويل فيه : أن أبا ذرّ سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله كم عدَّة الأنبياء ؟ قال : «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر جمَّاً غفيراً. . . » .
وأخرجه ابن حِبَّان (٣٦١) في حديث طويل.
والذي ثبت في هذا الباب ما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٢).
والطبراني في الكبير (٨/ ٧٥٤٥) عن أبي أمامة أن رجلاً قال: . . . يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال : ثلاثمئة وثلاثة عشر.
قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٠) : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة اهـ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأما رواية : «مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً» في عدَّة الأنبياء ، فقال الحافظ السيوطي في (تخريج أحاديث العقائد) ص(٢١٤) : لم أقف عليه.

(٢) سورة غافر (٧٨).

نبيٌّ بالتوحيد في حال خلوّ الدِّين عن التوحيد إلاّ نبينا ﷺ ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾(١) .

وقوله: (جاء) أي: أرسله الله للثَّقلين على رأس الأربعين ، وقيل: على أوَّل الأحد والأربعين ، والصحيح أنَّ الوحي في المنام كان في ربيع الأول ، وإتيان جبريل يقظةً له بالقرآن كان في رمضان.

واختُلف هل ربيع الأول الذي جاء له الوحي فيه مناماً هو أوَّل الأربعين ، أو الأحد والأربعين ، خلاف مبسوط في شرّاح الحديث(٢) .

والحكمة في كون النبوّة على رأس الأربعين؛ لأنَّ عندها كمال العقل ، وكمال القوَّة ، وليس هذا الأمر مختصَّاً بنبيِّنا ، بل الأنبياء كذلك إلا يحيى وعيسى؛ لقوله تعالى في حق يحيى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾(٣) ، وقوله تعالى في حق عيسى: ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾(٤) هكذا قيل ، والحقُّ حتى عيسى ويحيى. وأما قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ أي: العلم والمعرفة لا النبوّة ، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ من التعبير بالماضي عن المستقبل؛ لتحقُّق الحصول ، كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾(٥) ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾(٦) . أو المعنى: وجعلني نبيّاً أي: في علمه

---

(١) سورة المائدة (١٩) .

(٢) انظر توضيح الخلاف في فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/ ١٦٤) . وانظر تحفة المريد (٧ ـ ٨) .

(٣) سورة مريم (١٢) .

(٤) سورة مريم (٣٠) .

(٥) سورة النحل (١) وتمام الآية ﴿ . . . فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ .

(٦) سورة الكهف (٩٩) والآية بتمامها ﴿ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾

بأن أطلعه الله على اللوح المحفوظ ، فرأى نفسه معدوداً من الأنبياء ، وحينئذ فلم يُرفع للسماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة كما قيل ، بل الصَّحيح أنَّه ما رُفع إلا بعد مضيِّ ثمانين سنة من النبوَّة ، وبعد نزوله من السماء يعيش أربعين سنة ، فيكون عمره مئة وستين[(١)] ﷺ .

قوله : (بالتوحيد)

أي : الشرعيُّ ، وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً ، فقولنا : (إفراد المعبود بالعبادة) أي : عدم الشريك له فيها ظاهراً وباطناً .

وقولنا : (مع اعتقاد وحدته) أي : معرفة وحدته .

والاعتقاد هنا : هو الجزم المطابق للحقِّ ، إمَّا بكشف ، أو دليل

---

(١) أخرج الطبراني في الكبير عن عائشة عن فاطمة، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ أخبرها في مرضه الذي قبض فيه : « أنَّ جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرَّة ، وأنه عارضه بالقرآن العام مرَّتين ، وأخبره أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي قبله ، وأن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة . ولا أراني إلا ذاهباً على رأس الستين . . . » (٢٢/ ٤١٦ـ٤١٧) برقم (١٠٣١) .
ورواه الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٤٩ـ٥٠).
كما أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل عيسى بن مريم ، فيمكث في الناس أربعين سنة » (٦/ ٢١٨) برقم (٥٤٦٠) .
وروىٰ الحاكم نحوه في المستدرك عن أبي هريرة (٢/ ٥٩٥) ، وأبو داود في كتاب الملاحم باب خروج الدجال برقم (٤٣٢٤) .
أقول : إذا مكث عيسى ـ عليه السلام ـ مئة وعشرين سنة في قومه ، كما ورد في الحديث الأوَّل ، وسيمكث في الناس بعد نزوله أربعين سنة ، كما ورد في الحديث الثاني ، كان المجموع مئة وستين سنة ، وهذا موافق لما ذكره الإمام الصاوي رحمه الله .

تفصيليٍّ[١] ، أو إجماليٍّ[٢] ، أو تقليد لعارف .

وقولنا : (ذاتاً) أي : فلا تشبه ذوات المخلوقين ، ففيه نفي الكَمِّ المنفصل في الذات[٣] . وليست ذاته مركبَّة من أجزاء ، ففيه نفي [الكَمِّ][٤] المتَّصل فيها أيضاً .

وقولنا : (وصفات) أي : فقدرته واحدة ، وعلمه واحد ، وهكذا ، ففيه نفي الكَمِّ المتَّصل في الصِّفات ، ولا تشبه صفات الحوادث ، ففيه نفي الكَمِّ المنفصل/ فيها[٥] . ٤/أ

وقولنا : (وأفعالاً) أي : منفردٌ في الأفعال ، فليس لأحد فعلٌ كفعل الله تعالى ، ففيه نفي الكَمِّ المنفصل فيها . وأما المتَّصل فهو ثابت ؛ لأنَّ أفعال الله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه .

قوله : (وقد عرى . . . إلخ)

يقال : عرا يعرو عُرُوّاً ، كعلا يعلو علوّاً ، بمعنى الإصابة والاعترا ، كما قال الشاعر[٦] :

(١) كقولنا في البرهان على وجود الله : الكون متغير ، والتغير حادث وممكن ، وكل حادث وممكن لا بدَّ له من موجِد يوجده ، ومن مرجِّح يرجح أحد طرفي إمكانه على الآخر ، فلا بدَّ إذاً من وجود الخالق .

(٢) كقولنا في البرهان على وجود الله : هذا الكون من حيث كونه ممكناً أو حادثاً دليل على وجود الله سبحانه .

(٣) أي : نفي التعدد ، فلا إله آخر غير الله .

(٤) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د).

(٥) أي : لا يوجد قدرة ثانية كقدرة الله سبحانه وتعالى .

(٦) هو أبو صخر الهذلي ، شاعر من الفصحاء ، كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان متعصِّباً لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح . انظر خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٥٥٥) باختصار . وتمام البيت : =

٢ ـ على نبيٍّ جَاء بالتَّوحيدِ   وقد عَرَى **الدِّينُ** عنِ التَّوحِيدِ

....

وإنِّي لَـتَـعْرُوني لِذِكرَاكِ هِـزَّةٌ   ....

وليس هذا مراداً ، بل مراده الخلوُّ ، ومادَّته : عَرِيَ كعَلِمَ ، والوزن لا يستقيم عليه إلا بكسر الراء وحذف الياء[(١)] .

قوله : (الـدِّين)

هو لغـةً : ما يتديَّن به ، حقّاً كان أو باطلاً .

واصطلاحـاً : وضع إلهيٌّ ، سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات .

فقولنا : وضعٌ إلهيٌّ ، أي : أحكام وضعها المولى وشرعها وبيَّنها .

وأمَّا وصف نبيِّنا بكونه شارعاً فباعتبار نقلها عن الله ؛ ولذلك يقولون : نبيُّنا هو الشارع المجازيُّ ، والله هو الشارع الحقيقيُّ .

واحترز بذلك عن وضع الخلق ، كآلات النِّجارة والقِزازة[(٢)] وغير ذلك ، فلا تسمّى ديناً .

وقولنا : (سائق) أي : باعث[(٣)] ، خرج به الأوضاع الإلٰهية غير السائقة ، كإنبات الأرض وإمطار السماء[(٤)] .

= ....   كما انتفَضَ العصفورُ بلَّلهُ القَطْرُ

(١) يوجَّه بأن (عرا) في كلامه بفتح الراء المقلوب عن كسرها ، والأصل : عَرِيَ كعَلِمَ ، قُلبت الكسرة فتحة لمناسبة الوزن ، فتحرَّكت الياء ، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، وصار عرا كرأى اهـ . تحفة المريد (٩) .
وقد وقع في بعض النسخ (خلا) بدل (عرا) .

(٢) القِزازة : حرفة بيع القَزِّ ، والقَزَّاز كشدّاد بائع القزِّ . انظر تاج العروس (قزز) .

(٣) لأن المكـلَّف إذا سمع ما يترتب على فعـل الواجب من الثـواب ، أو علـى فعـل الحرام من العقاب ، انساق إلى فعل الأول وترك الثاني اهـ . تحفة المريد (١٠) .

(٤) قلنا هذا سائق لصلاح المعاش، أي : أنَّه سبب فيه ، كما أن الأحكام سبب =

وقولنا : (لذوي العقول) خرج به ما يسوقهم وغيرَهم من الحيوانات ، كالأوضاع الطبيعية التي تهتدي بها الحيوانات لمنافعها ، كنسج العناكب واتخاذ النحل بيوتاً ، ومضارِّها كاجتناب المهاوي والمهالك .

وقولنا : (باختيارهم) خرج به الأوضاعُ الإلهيةُ الاتفاقية ، كالحميَّة والعصبيَّة[1] .

وقولنا : (المحمود) احترازاً عن الاختيار المذموم ، كالانهماك في الدنيا والشهوات ، فلا يسمَّى دِيناً .

وقولنا : (إلى ما هو خير لهم بالذات) أي : كالانهماك في خِدْمة الله وطاعته ومحبته ؛ فإن ذلك خير ذاتيٌّ يترتَّب عليه الفوز الأكبر غداً ، واحترازاً بذلك عن الخير لا بالذات ، كالانهماك في تصحيح الأبدان بالحكمة والعقاقير وغير ذلك ، فلا يُسمّى دِيناً .

وأجمع من هذا التعريف وأظهر منه قوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[2] .

= للسعادة الأبديَّة . . . فالأحسن التمثيل لغير السائق بالأوضاع الإلٰهية التي لا اطلاع لنا عليها ، كما تحت الأرضين وما فوق السماء ؛ فإنَّ ما لا نعرفه لا يسوقنا لشيء ا هـ . حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٣) .

(١) **الحميَّة** : حَمِي من الشيء ، وعنه كرضي حميَّة بالتشديد كمنزلة أَنِف منه ، وداخله عارٌ وأَنَفَة أن يفعله ، وهي الأَنَفَة والغيرة اهـ . تاج العروس (حَمِيَ) .
والعصبيَّة : تعصَّب أتى بالعصبيَّة ، وهو أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألُّف معهم على مَن يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين . والتعصُّب المحاماة والمدافعة ، وتعصَّبنا له ومعه : نصرناه اهـ . تاج العروس (عصب).

(٢) سورة البيّنة (٥) .

٢ ـ علـى نبـيٍّ جَـاء بـالتَّـوحيـدِ وقد عَرَى الدِّينُ **عنِ التَّوحِيدِ**
٣ ـ **فأَرْشَدَ الخَلْقَ** لِدِينِ الحَقِّ بسَيْفِـــهِ وَهَـــدْيِـــهِ لِلْحَـــقِّ

وسمِّي ديناً للتديُّن به ، ويسمَّى مِلَّة أيضاً ، وصراطاً مستقيماً . قال تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) أي : الدِّين القيِّم الذي لا اعوجاج فيه .

قوله : (عن التوحيد)

المراد به اللغويُّ ، وهو مطلق الإفراد ، فبينهما جناس تام ، وهو اتفاق ٤/ب اللفظين لفظاً ، واختلافهما معنى ، فلا إيطاء/ في البيت (٢) .

قوله : (فأرشد الخلق)

مرتَّب على قوله : (جاء بالتوحيد) ، ويؤخذ منه أنَّـه لم يتأخر عن الإرشاد لحظة ما (٣) .

والإرشاد يطلق على الدلالة ـ وإن لم يكن معها وصول للمقصود ـ ويطلق على الوصول ، فإن حُمل على الأوَّل كان عامَّاً للناس مؤمنهم وكافرهم ، وإن حُمل على الثاني كان خاصَّاً بمن آمن .

و(أل) في (الخلق) للعهد ، أي : الخلق المعهودين ، وهم الثقلان(٤) : الإنس والجنّ ، أعني المكلفين منهم ، فإرساله لهما إرسال تكليف بنصِّ القرآن [لا] (٥) سيَّما في سورة الرحمن والجنِّ . وفي الحديث : « لَهُمْ مَالَنا

---

(١) سورة الفاتحة (٦) .
(٢) الإيطاء من عيوب القافية ، وهو : أن تتكرَّر القافية في قصيدة واحدة بمعنى واحد ، فإن كان لمعنيين لم يكن إيطاء . انظر الوافي في العروض والقوافي (٢٤٢) .
(٣) لأنَّ الفاء في قوله : (فأرشد الخلق) أفادت الترتيب مع التعقيب .
(٤) سمِّي الإنس والجن بالثقلين ؛ لأنَّهما أثقلا الأرض . وقيل : لثقلهما بالذنوب ، وقيل : لثقل ميزانهما بالحسنات . تحفة المريد (٧) . وانظر حياة الحيوان الكبرى (١/٢٥٨) .
(٥) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

وعَلَيهِم مَا عَلَيْنَا »[١] ومَن أنكره كفر .

ولم يرسل للجنِّ نبيٌّ غير نبيِّنا ﷺ ، وأمَّا حكم سليمان فيهم فحكم سلطنة وملك لا حكم نبوَّة . وأمَّا قوله تعالى : ﴿ . . . يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا ﴾[٢] فلا يقتضي أنَّ موسى أرسل لهم ، بل المراد أن هذا الكتاب يدعو إلى الله ، كما كان موسى يدعو إلى الله .

وأمَّا إرساله للملائكة فإرسال تكليف على المعتمد ، لكن بأمور تليق بهم[٣] ، لا تقاس على أمور الثقلين .

وأمَّا إرساله لباقي الخلق من الحيوانات غير[٤] العاقلة والجمادات فإرسال تشريف إجماعاً[٥] .

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[٦] المقتضي عذاب

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما بين يديَّ من المصادر ، ومع ذلك فإنَّ النصوص متواترة في تكليف الجنِّ منها قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

(٢) سورة الأحقاف (٣٠) . وهذه الآية مرتبطة في معناها بما قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

(٣) أمَّا ما يتعلَّق بالتوحيد والعقيدة فلا يحتاجون إلى رسول ؛ لأنّ الإيمان عندهم جِبلِّيٌّ ، وكذلك عبادتهم ، ولذلك فالرَّاجح أنَّ إرسال النبي ﷺ إلى الملائكة إرسال تشريف لا تكليف . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١١) ، وتحفة المريد (٧ ـ ١١) .

(٤) في (م) و(د) : الغير العاقلة ، وأثبتناها بدون (أل) لإغراقها في الإبهام وإضافتها .

(٥) وهذا العموم في الإرسال ينزل تحت قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء (١٠٧) .

(٦) سورة البقرة (٢٤) .

الحجارة ؛ فإن التعذيب لأهل النار لا لنفس الحجارة [١] .

وأمَّا ما ورد من أنه يقتصُّ للجمَّاء من القرناء [٢] ، فالقصاص بغير العذاب بالنار ، بل بشيء يرضي الآخر .

قوله : (لدين الحق)

أي : الله ؛ فإن الحقَّ من أسمائه تعالى ، ومعناه : الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً ، ولا يتصوَّر العقل عدمه .

قوله : (بسيفه وهديـه)

إن قلت : إنَّ إرشاده بالسيف لم يكن عَقِب البعثة ، بل كان بعد الهجرة ، فلم يحسن التعقيب .

أجيب : بأنَّ التعقيب بالنسبة للأمر به أي : فحين أُمر بالجهادِ لم يتأخَّر أبداً ، بل كان عيداً لمن آمن .

والمراد بالسَّيف آلة الحرب ، فيشمل غيره ، فهو من تسمية الكلِّ باسم البعض [٣] الأعظم الأشهر .

قوله : (وهديـه)

المراد به القرآن والسُّنَّة ، فكان ﷺ يراسل الأعداء أوَّلاً [٤] بالقرآن

---

(١) ووضع الحجارة معهم في النار إهانةٌ لعابديها الذين اتخذوها آلهة ، وأشدُّ تحسيراً . والحجارة الموضوعة في النار هي تلك التي اتُّخذت آلهة لا كلُّ حجارة . والله أعلم . انظر مدارك التنزيل (١/ ٣٢) .

(٢) أخرجه ابن حِبّان في صحيحه (٧٣٦٣) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣٥) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : « لَتُؤَدُّنّ الحقُوقَ إلى أَهْلِها حَتَّى يَقتَصَّ للشَّاةِ الجمَّاء من الشَّاةِ القَرْناءِ تنْطَحُها » . وإسناده صحيح . وأخرجه بنحوه مسلم (٢٥٨٢) .

(٣) في (م) : باسم جزئه ، وما أثبتناه من (د) .

(٤) أخرج نحوه مسلم في صحيحه (١٧٣١) .

٣ ـ فأَرْشَدَ الخَلْقَ لِدِينِ الحَقِّ   بسَيْفِـــهِ وَهَـــدْيِـــهِ لِلْحَـــقِّ

....

والدعوة للإسلام ، فإن أجابوا للإسلام فظاهر ، وإلا أعلمهم بالتهيُّؤ للجهاد ، وهكذا أصحابه وخلفاؤه من بعده ، / يجب عليهم أن يفعلوا هكذا . ٥/أ

قوله : (للحقّ)

هو مطابقة الحكم للواقع ، فبينهما جناس تامٌّ ، ولا إيطاء في البيت .

ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها عليه ، وضدُّه الباطل .

* * *

سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين

قوله : (محمَّد)

هو أشرف أسمائه ﷺ ، وله أسماء كثيرة ، فقد ورد أنَّ له ألفَ اسم ، كما أنَّ لله ألف اسم ، ولكن هذا الاسم أشرفها وأعلاها ؛ لاقترانه مع اسم الله في كلمة التوحيد ، ولما ورد : «أنَّه خَلَق النُّورَ المُحَمَّدِيَّ وسَمَّاهُ مُحَمَّداً»(١) ، ولأنَّه مكتوب على أوراق أشجار الجنَّة ، وعلى دائرة العرش ، ولا يدخل أحد الجنَّة إلا بذكره ، ولو من الأمم السابقة ؛ لأنَّ الأنبياء نُوَّابُه ؛ لما ورد في الحديث الشريف : «لَو أَدْرَكَنِي مُوسى مَا وَسِعَهُ إلا اتِّباعِي»(٢) ، ولأخذ الميثاق على الأنبياء أنَّه لو ظهر

---

(١) وَرَدَت عدة أحاديث تتعلَّق بالنُّور المحمَّديِّ ، منها هذا الحديث . ومنها ما ذكره العجلوني ناقلاً عن المواهب في حديث : «أَوَّلُ ما خَلَق اللهُ نُورُ نَبيِّكَ يا جَابرُ» ، فقال : رواه عبد الرزَّاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ : « . . . يا جَابرُ إنَّ اللهَ تَعالى خَلَق قَبلَ الأَشْياءِ نُورَ نبيِّكَ مِن نُورِهِ . . . » . انظر كشف الخفاء (١/ ٢٦٥) .
ولم يسلِّم الكثيرون بهذه الأحاديث ؛ لأنَّها لم ترد في كتب الحديث المعتمدة . وقد أفرد الشيخ عبد الله الغُماري رسالة سمَّاها : (مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر) . فلينظر ذلك في ص (١٣٠ ـ ١٣٣) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧) . وأبو يعلى . والبزار . كما في مجمع الزوائد (١/ ١٧٤) . قال الحافظ الهيثمي : وفيه مجالد بن سعيد ، ضعَّفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما اهـ .
ولفظه عند أحمد : أنَّ عمرَ بن الخطَّاب أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أَصابه مِن بعضٍ=

محمَّد، وواحد منهم حيٌّ، ليؤمنُنَّ به ولينصُرُنَّه(١).

ومحمَّد بدل من نبيّ، أو عطف بيان(٢)، والأَولى جعله عطف بيان؛ لأنَّ المبدل منه في نيَّة الطَّرح والرمي، مع أنَّ وصفه بالنبوَّة مقصود أيضاً(٣).

= أهلِ الكُتُب، فقرأه النبيُّ ﷺ، فغَضِبَ، فقال: «أَمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطَّاب؟ والذي نفسي بيدِهِ لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيَّةً. لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرُوكم بحقٍّ، فتكذِّبوا به، أو بباطلٍ، فتُصَدِّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى ﷺ كان حيّاً ما وَسِعَه إلا أن يتَّبعَني».
والتهوُّك كالتهوُّر، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّة. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٨٢).
وللحديث شاهد أخرجه الطبرانيُّ في الكبير كما في مجمع الزوائد (١/ ١٧٤) وقال: فيه أبو عامر القاسم بن محمَّد الأسدي، ولم أرَ من ترجمه، وبقيَّة رجاله موثَّقون. وللحديث شواهد بمعناه يقوى بها.

(١) هذا مضمون قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ آل عمران (٨١).

(٢) ويجوز أن يكون مرفوعاً على أنَّه خبر لمبتدأ محذوف، أي هو محمَّدٌ. وأن يكون منصوباً على أنه مفعول لفعل محذوف، والتقدير أعني محمَّداً أو نحو ذلك، ولكنَّ الرسم لا يساعده. انظر تحفة المريد (١٢).

(٣) وذكر الباجوري مثل هذا القول فتابعه الأُجهوري في تقريراته موضحاً ذلك بقوله: المطروح عمل عامل المبدل منه لا نفس المبدل منه، بل هو مقصود اهـ. تحفة المريد (١٢).
أي: إن المبدل منه في نيَّة الطَّرح والرمي من حيث العامل النحويُّ الذي تسلَّط على البدل لا من حيث المعنى. فالنبوَّة إذاً مقصودة ولو على القول بأنَّه بدل.

وهو عَلَم منقول من اسم مفعول الفعل المضعَّف، وهو حَمَّد بالتشديد ؛ لأنَّه أكثر الخلق حامديَّة ومحموديَّة[١] ، ولذلك لم يذكر اسمه في القرآن مجرَّداً عمَّا يُشعر بالتعظيم ، بخلاف غيره من الأنبياء ، وبيده لواء الحمد يوم القيامة ، وكلُّ الأنبياء والأمم السابقة تحت ذلك اللواء ؛ لقوله في الحديث : «آدَمُ فمَن دُوْنَهُ تَحْتَ لِوَائِي»[٢] .

وأوَّل من سمَّاه به ربُّهُ في الملأ الأعلى ، وأوَّل من سمَّاه به في الأرض أمُّه ، ثُمَّ أظهر ذلك جدُّه لرؤيةٍ كان رآها .

قوله : (العاقب)

أي : الخاتم أي : الذي أتى ختاماً لرُسُل الله وأنبيائه ، ففي الحديث : «أَنا العَاقِبُ فَلاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[٣] أي : تُبتدأ نبوّته[٤] فلا ينافي نزولُ

---

(١) حامديَّة : أي أكثر الخلق حمداً لله . ومحموديَّة : أي أكثر الخلق المحمودين مِنْ قِبَل المخلوقات .

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهو قطعة من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٠) من طريق إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت مرفوعاً . وإسحاق مجهول ولم يدرك عبادة . وهو قطعة من حديث أيضاً رواه الترمذي في سننه (٣٦١٨) وفيه عليُّ بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . ورواه تحت رقم (٣١٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وحسَّنه .

(٣) أخرجه البخاري في المناقب : باب رقم (١٧) . وفي التفسير : باب رقم (٦١) . وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم مرفوعاً بلفظ : «. . . وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد» .
وأخرجه الترمذي في سننه (٢٨٤٠) عن جبير بلفظ : «وأنا العاقِبُ الذي لَيسَ بَعدِي نَبيٌّ» .

(٤) أي : لا تبتدىء نبوة نبيّ بعده ﷺ .

عيسى في آخر الزمان ووجودُ الخَضِر(١) وإلياس الآن(٢).

قوله : (لرسل ربِّه)

إن قلت : كما أنَّه خاتم الرسل خاتم الأنبياء أيضاً.

أجيب : بأنه أطلق الخاصَّ ، وأراد العامَّ ، أو في الكلام اكتفاء على حدّ : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾(٣) يعني والبرد.

والربُّ يقال لمعانٍ منها(٤) : السيِّد والمالك والمصلح والمربِّي والخالق والمعبود والمدبِّر والحائز والصاحب والثابت والقريب والجامع

---

(١) في الخَضِر عليه السلام أقوال :
قيل ولي ، وقيل نبي ، وقيل رسول . وخير الأمور أوساطها . انظر تحفة المريد (١٤).
وقد أورده صاحب الإصابة في عداد الصحابة الذين ثبتت رؤيتهم النبيّ ﷺ اهـ.
انظر الإصابة لابن حجر (٢/٢٨٦).

(٢) قال ابن حجر في الإصابة (٢/٢٩٣): روى ابن شاهين بسند ضعيف إلى خُصيف قال : أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء : عيسى وإدريس ، واثنان في الأرض: الخضر وإلياس ، فأمَّا الخضر فإنَّه في البحر ، وأمَّا صاحبه فإنَّه في البرِّ.

(٣) سورة النحل (٨١).

(٤) نظم السُّجاعي معاني الربِّ في قوله:

قَريبٌ مُحيطٌ مَالِكٌ ومُدَبِّرٌ ... مربٍّ كَثيرُ الخَيرِ والمُولِ للنِّعَمْ
وخالقُنا المعبُودُ جَابرُ كَسْرِنا ... ومُصْلِحُنا والصَّاحِبُ الثابتُ القَدَمْ
وجامِعُنا والسَّيِّدُ احفَظْ فَهذِهِ ... معانٍ أَتتْ للرَّبِّ فادْعُ لِمَنْ نَظَمْ

تحفة المريد (١٣).

والمحيط والكثير الخَيْر والذي يولي النعم ويزيدها[١].

٥/ب وهو في الأصل / مصدر بمعنى التربية: وهي تبليغ الشيء شيئاً فشيئاً إلى الحدِّ الذي أراده المربي. أطلق عليه تعالى مبالغة (كعدل)[٢].

وقيل: اسم فاعل أصله (راببٌ) حُذفت ألفه، وأُدغمت إحدى الباءين في الأخرى.

أو صفة مشبَّهة، وأصله (رَبِبٌ كحَذِر).

وإذا أفرد ودخلت عليه (أل) اختص بالله سبحانه وتعالى.

آل النبي ﷺ وصحبه

قوله: (وآلـه)

معطوف على نبيٍّ، أي: ثمَّ سلام الله مع صلاته على آله ... إلخ.

وجازت الصلاة على غير الأنبياء تبعاً، وحذفت (على) لضرورة النظم، وإلا فالأصل ذكرها؛ للردِّ على الشيعة الذين يزعمون حديثاً لا أصل له، وهو: «لا تفصلوا بيني وبين آلي بعلى»[٣]، وليبيّن بها

---

(١) في (د): ويزيلها.

(٢) وذلك بجعل العين نفس المعنى؛ لكثرة استعمال المصدر نعتاً اهـ. شرح ابن عقيل (٢/ ٢٠١).

(٣) حديث باطل لا أصل له. ذكره القاوقجي في كتابه: اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له، أو بأصله موضوع ص(٢٢٠) برقم (٦٩٧).
=

اختلاف الرتب.

والآل: أ ـ في مقام الزكاة:

- بنو هاشم والمطَّلب (عند الإمام الشافعي).
- وبنو هاشم فقط (عند المالكية والحنابلة).
- وخَصَّت الحنفية فِرَقاً خمسة من بني هاشم: آل عليٍّ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وآل الحارث بن عبد المطلب.

فـــائدة:

أولاده ﷺ الذكور ثلاثة: عبد الله ـ ويلقَّب بالطيِّب الطَّاهر ـ والقاسم، وإبراهيم.

والإناث أربع: زينب، ورُقَيَّة، وأُمُّ كُلْثوم، وفاطمة.

وكلُّهم من خديجة إلا إبراهيم، فمن مارية القبطيَّة[1]، أهداها له المقوقس من مصر.

= وذكره ملاّ علي القاري في كتابه: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص(٣٣٩) برقم (٥١١) بلفظ: «مَن فصل بيني وبين آلي بعليٍّ، فعليه كذا وكذا». وقال: باطل لا أصل له.

(١) بعث بها وبأختها سيرين وأخيها مأبور المقوقسُ صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة، أسلمت هي وأختها ثم أخوها. أنزلها رسول الله ﷺ في العالية، وحملت منه بإبراهيم، ماتت سنة ست عشرة في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر الإصابة (٨/ ١١١ ـ ١١٢).

وجمع بعضهم زوجاته اللاتي مات عنهنَّ بقوله:

تُوفِّيْ رسولُ الله عن تِسْعِ نِسْوَةٍ   إليهنَّ تُعزَى المكرُماتُ وتُنْسَبُ
فعــائشــةٌ ميمــونَــةٌ وصَفِيَّــةٌ   وحَفْصَةُ تتلوهُنَّ هندٌ وزينبُ
جُويرِيَّةٌ مَعْ رَمْلَةٍ ثُمَّ سَوْدةٍ   ثلاثٌ وستٌ نَظْمهنَّ مهذَّبُ

ب ـ وأمَّا في مقام المدح والثناء الوارد في الكتاب والسنة فأقاربه[١].

جـ ـ وأمَّا في مقام الدعاء فأتقياء أُمَّته:

ـ إمَّا بتقوى الشرك بالإيمان.

ـ وإمَّا بتقوى المعاصي بالطاعات.

ـ وإمَّا بتقوى الأغيار بالتوجُّه للواحد القهَّار، وهذا مقام خواصِّ الخواصِّ كالأنبياء، والكُمَّل من غيرهم.

قوله: (وصحبه)

اسم جمع لصاحب، وجمعه أصحاب، وعَطْفُهُ على الآل من عطف الخاصِّ على العامِّ.

والصحابيُّ: مَن لقي النبيَّ ﷺ مؤمناً به في عمره ولو مرَّة، لقياً متعارفاً، ولو كان وقتَ الملاقاة صغيراً، ومات على ذلك، ولو من الجنِّ والملائكة والأنبياء في حال الحياة.

٦/أ فعيسى والخَضِر وإلياس والملائكة الذين / اجتمعوا به في الأرض

---

(١) أي: إذا ورد ذكر الآل في مقام المدح والثناء فالمراد أقاربه ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب (٣٣).

صحابة باقون إلى الآن.

قوله: (وحزبه)

عَطْفُه على الصحب من عَطْف الخاصِّ [على العام] (١)، فهو خاصُّ الخاصِّ؛ لأنَّهم الملازمون للنبيِّ في أشغاله وحروبه وهجرته وصلاته للقبلتين، وعاشروه الزمن الطويل، وفازوا بخطاب القرآن لهم مشافهة، وحلول جبريل بينهم في غالب الأوقات، ولذلك ورد فيهم: «اللهَ اللهَ في أَصْحابِي لا تَتَّخِذُوهُم غَرَضاً مِن بَعْدِي» «فوالذي نَفْسِي بِيَدِه لَو أَنْفَقَ أَحَدُكُم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَهُ» (٢) إلى غير ذلك.

---

(١) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٢) جمع الشيخ الصاوي هنا بين حديثين:

الأول: أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٧). والترمذي في سننه (٣٨٦٢). وغيرهما عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ:

«اللهَ اللهَ في أصحابي، اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومَن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

وإسناده ضعيف فيه عبد الله بن عبد الرحمن ويقال: عبد الرحمن بن زياد.

قال الذهبي في الميزان (٢/ ٤٥٢): لا يعرف. وقال ابن معين: لا أعرفه.

ولذلك قال الترمذيُّ: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال البخاري: في إسناده نظر. انظر (الضعفاء) للعقيلي (٢/ ٢٧٢).

الثاني: «لا تسبُّوا أصحابي فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

أخرجه البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً.

٥ ـ وبَعْدُ فالعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّيْنِ   مُحَتَّـــمٌ يَحْتَـــاجُ للتَّـبْيِيـــنِ

فـــائدة:

الحقُّ أَنَّه لا يعلم عِدَّة الصَّحابة إلا الله، كما لا يعلم عِدَّة الأنبياء والأولياء إلا الله تعالى.

علم العقيدة فرض على كل مكلّف

قوله: (وبعدُ)

جرت عادة المؤلِّفين بذكر هذه اللفظة في أوائل كتبهم اقتداء برسول الله ﷺ؛ لأنه كان يأتي بها في خطبه ومراسلاته[(١)]، واستمرَّ على ذلك العمل.

وأصلها: (أمَّا بعد) حذفت أمَّا، وعُوِّض منها[(٢)] الواو.

وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، فلا يؤتى بها بين كلامين متجانسين، ولا أوَّل الكلام ولا آخره.

واختُـلف في أَوَّلِ من نطق بها، فقيل: آدم، وقيل: قُسُّ بن

---

(١) أخرج مسلم (٨٦٧) عن جابر أنه ﷺ قال في خطبته: «... أمَّا بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله ...». وأخرج البخاري (٧) حديثاً جاء فيه إرسال النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل جاء فيه: «... أمَّا بعد فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِم تسلم ...».
وقد صحّ عن النبي ﷺ استعمال (أمَّا بعد) في مواطن كثيرة.

(٢) في (د) (عنها)، وفي (م) منها وهو الأفصح.

ساعدة[١] ، وقيل: سُحبان[٢] ، وقيل: كعب[٣] ، وقيل: يعرب بن قحطان[٤] ، وقيل: داود ، وقيل: إنها كانت له فصل الخطاب[٥] . والكلام عليها شهير[٦] .

---

(١) قُسُّ بن ساعدة الإيادي بن عمرو بن عديّ ، من بني إياد أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم ، طالت حياته ، وأدركه النبي ﷺ قبل النبوّة ، توفي سنة (٢٣ ق .هـ). انظر الأغاني (١٥/ ٥٥٧٠) ، البيان والتبيين (١/ ٣٠٨) .

(٢) سحبان بن زُفر بن إياس الوائلي من باهلة ، خطيب يضرب به المثل في البيان ، اشتهر في الجاهلية ، وعاش زمناً في الإسلام ، أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به ، وأقام في دمشق أيام معاوية ، توفي سنة (٥٤)هـ . انظر الإصابة (٣/ ٢٥٠) ، البداية والنهاية (٨/ ٦٩) .

(٣) كعب بن لؤيّ بن غالب من قريش من عدنان ، جدٌّ جاهليٌّ ، خطيب من سلسلة النسب النبويِّ ، كان عظيم القدر عند العرب ، وهو أوَّل من سنَّ الاجتماع يوم الجمعة ، وزعم ثعلب أنه أوَّل من قال : (أمَّا بعد) ، توفي سنة (١٧٣ ق .هـ). انظر البداية والنهاية (٢/ ٢٤٨) ، لسان العرب مادة (بعد) .

(٤) يعرب بن قحطان أحد ملوك العرب في جاهليَّتهم الأولى ، يوصف بأنَّه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم ، وهو أبو قبائل اليمن كلِّها ، وبنوه العرب العاربة . مات بصنعاء . الأعلام (٨/ ١٩٢) ، تاريخ أبي الفداء (١/ ٨٣) .

(٥) وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ سورة ص (٢٠) .

إذ قيل: في تفسيرها: إنَّ فصل الخطاب هو قوله: (أمَّا بعد) . انظر مدارك التنزيل (٤/ ٣٧) .

(٦) نظم بعضهم الخلاف في أوَّل مَن قال (أمَّا بعد) بقوله:

جَرَى الخُلْفُ أمَّا بعدُ مَن كانَ بادِئاً بها خَمسُ أقوالٍ وداودُ أَقْرَبُ
وكانَتْ لَهُ فَصْلَ الخِطَاب وبَعْدَهُ فقُسٌّ فسُحْبانٌ فكَعْبٌ فيَعْرُبُ

حاشية الصاوي على الشرح الصغير (١/ ١٤) .

٥ ـ وبَعْدُ فالعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّيْنِ مُحَتَّمٌ يَحْتَاجُ للتَّبْيِينِ

قوله: (فالعلم)

الفاء واقعة في جواب الشرط الذي نابت عنه الواو، وأصل الكلام: مهما يكن من شيء فأقول بعد البسملة والحمدلة[١].

وقوله: (بأصل الدين)

مراده به العقائد التي تجب على كل مكلَّف، وهو: الواجب والجائز والمستحيل[٢] في حق الله، وفي حق رسله.

والعلم: يطلق على الملكة الرَّاسخة في النفس التي بها إدراك الشيء على حقيقته، وعلى الإدراك، وعلى القواعد والضَّوابط التي احتوى عليها الفنُّ. والمناسب هنا الإدراك.

والمعنى: إدراك العقائد على ما هي عليه محتَّم.

وضِدُّه **الجهل**: وهو عدم الإدراك رأساً، وهو **البسيط**. أو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه، وهو **المركَّب**، كاعتقاد الفلاسفة قِدَم العالَم[٣].

---

(١) وفي (م) مهما يكن من شيء بعد فأقول البسملة والحمدلة. وما أثبتناه من (د) هو الأصوب. والله أعلم.

(٢) الواجب: هو ما لا يتصوَّر في العقل عدمه.
الجائز: ما يصح في العقل وجوده وعدمه.
المستحيل: هو ما لا يُتَصَوَّرُ في العقل وجوده، أو ما لا يقبل الوجود.
انظر شرح السنوسي على أم البراهين (٣١ ـ ٣٢).

(٣) وذلك بقولهم: (إن العالَم من عرشه لفرشه قديم).
انظر الرد عليهم في ص(١٢٨) من هذا الكتاب.

٥ ـ وبَعْدُ فالعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّيْنِ مُحَتَّمٌ يَحْتَاجُ للتَّبْيِينِ

قوله: (محتَّم)

هو واللازم والفرض والواجب بمعنى وهو:

ما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه، **عينيّاً** في العينيِّ: وهو معرفة الواجب والمستحيل والجائز بالدَّليل الجُمْلي، **وكفائيّاً** في الكفائيِّ: وهو معرفة ما ذكر بالدَّليل التفصيلي. فمن لم يعرف الدَّليل الجُمْلي، بل أدركها بكشف كفى ذلك بالأَوْلى ممن عرفها بالدَّليل التفصيليِّ.

وأمَّا مَن عرفها / بدون دليل أصلاً، بل بالتَّقليد فهو مؤمن عاصٍ ٦/ب باتِّفاق أهل السُّنة [(١)].

وأمَّا القول بكفر المقلِّد فهو لأبي هاشم الجُبَّائي[(٢)] من المعتزلة.

والواجب على العامِّ والخاصِّ الدليل الجُمْلي[(٣)]: وهو المعجوز عن

---

(١) وفي هذا الكلام تفصيل: وهو أنه يكون عاصياً؛ إذا كانت عنده أهليَّة لفهم الدَّليل، وقصَّر في ذلك. أمَّا إذا لم يرزق الأهليَّة فيكفيه التقليد وليس عاصياً انظر ص(١٠٩) من هذا الكتاب.

(٢) عبد السلام بن محمَّد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائيُّ المعتزليُّ، من أبناء أَبَان مولى عثمان، عالم بالكلام، من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، وتبعته فرقة سُمِّيت البهشميَّة نسبة إلى كنيته أبي هاشم. توفِّي سنة (٣٢١ هـ).
انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣)، البداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

(٣) عرَّفه الشيخ إبراهيم اللقاني في شرح جوهرته فقال: الجُملي بضم الجيم وفتح الميم أو إسكانها: الذي يحصل في الجملة للمكلَّف العلمُ والطمأنينةُ بعقائد =

تقريره وحلِّ شبهه معاً أو أحدهما.

وأمَّا التفصيليُّ: فهو المقدور على تقريره وحلِّ شبهه.

فصاحب الجُمْليِّ هو الذي يصورِّ العقائد في ذهنه، وإن لم يحفظ اللفظ، بحيث لو سُئل عن المعنى[1] لا يشكُّ فيه.

ودليله على كلِّ واحدة[2] وجود العالَم من غير تفصيل في كيفية الاستدلال، أو مع التفصيل لكن يعجز عن ردِّ الشُّبَه، فإن قدر على التَّفصيل وردِّ الشبه كان من أهل التفصيلي.

واعلم أنَّهم اختلفوا في كيفيَّة الاستدلال بالعالَم على أربعة أقوال:

الأوَّل ـ من جهة الإمكان، أي: استواء الوجود والعدم. ونظم الدليل عليه أن تقول:

العالم ممكن، وكلُّ ممكن له صانع، فالعالم له صانع، وهذا هو التَّحقيق كما قال البيضاوي[3].

= الإيمان؛ بحيث لا يقول قلبه فيها: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته اهـ. عمدة المريد ج١ (ق٦٣/أ).

(١) أي: لو سُئل عن أي معنى في العقيدة كالوحدانية أو القدرة مثلاً لا يشكُّ فيه.

(٢) في (د) واحد.

(٣) عبد الله بن عمر بن علي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، قاضي القضاة، الإمام العلامة، المفسّر الفقيه، ولد في المدينة البيضاء بفارس، ووِلّي قضاء شيراز، توفِّي سنة (٦٨٥ هـ). من تصانيفه: مختصر الكشَّاف، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، طوالع الأنوار في التوحيد. انظر الأعلام (٤/ ١١٠)، بغية الوعاة (٢/ ٥٠)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٠٩).

٥ ـ وبَعْدُ فالعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّيْنِ مُحَتَّــمٌ يَحْتَــاجُ للتَّبْيِيــنِ

. . . .

الثاني ـ من جهة الحدوث ، أي : الوجود بعد العدم . ونظمُ الدَّليل عليه أن تقول :

العالَم حادث ، وكلُّ حادث له صانع ، فالعالم له صانع ، وهذا عمدة أكثر المتكلِّمين .

الثالث ـ من جهتهما معاً . ونظمه :

العالَم ممكن حادث ، وكلُّ ما[١] كان كذلك فله صانع .

الرابع ـ من جهة الإمكان بشرط الحدوث . ونظمه كالذي قبله ، وإنَّما الفرق بينهما : أنَّ الحدوث أُخِذ جُزْءاً في الأوَّل[٢] ، وشرطاً في هذا . فتأمَّل .

مبادىء كلِّ فنٍّ عشرة

[واعلم أنَّه][٣] لابدَّ لكلِّ شارع في فنٍّ أن يعلم مبادئه العشرة ، وإلا كان شروعه من غيرها عبثاً . وهي : حدُّه وموضوعُه وواضعه وحكمه واسمه ونسبته ومسائله واستمداده وفائدته وغايته[٤] .

---

(١) في (م) مَنْ . وأثبتناها من (د) .

(٢) أي : في الثالث .

(٣) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٤) وقد جُمعت في قول الشاعر :

إنَّ مبــادِي كُــلِّ فــنٍّ عَشَــرَة الحَــدُّ والمـوضُـوعُ ثُـمَّ الثَّمَـرَةْ

وفَضْلُــهُ ونِسبــةٌ والــواضــعْ والاسمُ الاستمدادُ حُكْمُ الشَّارِعْ

مَسائِلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفَى ومَن دَرَى الجميعَ حَازَ الشَّرَفا

انظر حاشية الصبَّان على شرح السلَّم للملَّوي (٣٥) .

٥ ـ وبَعْدُ فالعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّيْنِ مُحَتَّمٌ يَحْتَاجُ للتَّبْيِينِ

. . . .

١ ـ **فحدُّه**: علم يعرف به ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز، وما يجب للرسل وما يستحيل وما يجوز، وأحوال المعاد والممكنات(١).

٢ ـ **وموضوعه**: ذات الله وصفاته.

٣ ـ **وواضعه**: الأشاعرة والماتريدية، أي: الذين دوَّنوا كتبه، وردُّوا على المعتزلة، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبيٍّ من آدم إلى محمد ﷺ، وهو معنى قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾(٢) وقوله تعالى:

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ . . .﴾(٣) الآيات. وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾(٤).

٧/أ ٤ ـ **وحكمه**: الوجوب العينيُّ بالدَّليل / الإجماليِّ، والكفائيِّ أي: بالدَّليل التفصيليِّ.

٥ ـ **واسمه**: علم التوحيد، وعلم أصول الدين، وعلم الكلام، وعلم العقائد.

٦ ـ **ونسبته**: أصل لعلوم الدِّين، وما سواه فرع.

---

(١) ذِكْرُ الممكنات هنا من حيث إنها يتوصَّل بها إلى وجود صانعها. وأحوال المعاد (السمعيَّات) من حيث اعتقادها. انظر تحفة المريد (٨).

(٢) سورة الأنعام (٩٠).

(٣) سورة الشورى (١٣) وتمامها: ﴿. . . وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

(٤) سورة الزخرف (٤٥).

٥ ـ وبَعْدُ فالعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّيْنِ مُحَتَّمٌ يَحْتَاجُ للتَبْيينِ

٧ ـ ومسائله: الواجبات والمستحيلات والجائزات.

٨ ـ واستمداده: من الكتاب والسُّنَّة والعقل [١].

٩ ـ وفائدته: في الدُّنيا صِحَّة الأعمال.

١٠ ـ وغايته: الفوز برضا الرَّحمن، ودخول الجنان.

قوله: (يحتاج للتبيين)

أي: الإيضاح. والتبيينُ: إخراج الشيء من حيِّز الخفاء إلى حيِّز التجلِّي، وإنَّما احتاج للتبيين؛ لظهور الشُّبَه والعقائد الفاسدة، وانتشارها بعد الخمسمئة؛ لأنَّ الأمَّة افترقت ثلاثاً وسبعين فرقة، منهم فرقة ناجية، وهي ما كانت موافقة لما عليه النبي وأصحابه، والاثنتان والسبعون غالبها كُفّار [٢]؛ لما في الحديث:

«افترَقَتِ الأُمَمُ السَّابقَةُ عَلى اثنَتين وسَبْعينَ [فِرْقَةً] [٣]، وستَفترِقُونَ ثَلاَثاً

---

(١) ولا يُؤخذ بالأمور العقليَّة في التوحيد إلا باليقينيات، أمَّا الفقه فيؤخذ فيه بالظنيَّات.

(٢) قال عبد القاهر البغدادي: قد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يُرد بالفِرَق المذمومة التي عدَّها من أهل النار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين، وإنما فصّل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل والتوحيد، أو في الوعد والوعيد، أو في بابي القدر والاستطاعة، ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السنَّة والجماعة، وخالفهم فيها أهل الأهواء الضالَّة من القدرية والخوارج والجهمية. . . ، فصحَّ تأويل الحديث المروي في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام. انظر الفَرْق بين الفِرَق (٦ ـ ٧).

(٣) ساقطة من (م)، وأثبتناها من (د).

وسَبعين فِرْقَةً ، واحدةٌ ناجيةٌ ، واثنتان وسبعونَ في النَّارِ»[(١)] فمن أجل ذلك احتاجت أهل السنة لإخراج عقائدهم من بين فَرْثٍ ودَمٍ لَبَناً خالِصَاً سائِغاً للشَّارِبين[(٢)].

وعلم التوحيد في الأصل كان سهلاً ، ولذلك اكتفى عبد الله بن سلام[(٣)] من النبي ﷺ حين سأله عن نسبة[(٤)] الله تعالى بسورة الإخلاص[(٥)]. فمن

(١) أخرج أبو داود نحو هذا السياق (٤٥٩٧).
والحديث له طرق بألفاظ متقاربة. أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢). وأبو داود (٤٥٩٦). وابن ماجه (٣٩٩١). والترمذي(٢٦٤٣). والحاكم (١/ ١٢٨). وغيرهم عن أبي هريرة.
قال الترمذي: حديث حسن صحيح اهـ. وصححَّه الحاكم ووافقه الذهبي. ورواه بنحوه ابن أبي عاصم في السُّنَّة برقم (٦٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) مذهب أهل السنة توسط بين المذاهب الفاسدة فقد خرج لبناً خالصاً سائغاً للشاربين من بين فرث ودم.
قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: إذا اعتلفت البهيمة وأُنضح العلف في كرشها كان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً. انظر المقتدي بشرح الهدهدي (١٩١).

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف صحابي. قيل: إنَّه من نسل يوسف بن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان اسمه: الحصين فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله ، أقام بالمدينة إلى أن مات سنة (٤٣ هـ). انظر الإصابة (٤/ ١١٨).

(٤) في (د) صفة.

(٥) قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام أن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال لأحبار اليهود ، إني أردت أن أحدث بمسجد أبينا إبراهيم عهداً. فانطلق إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فوافاه بمنى ، والناس حوله ، فقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم. قال: ادنُ ، فدنا منه ، فقال: أنشدك بالله! أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال له: انعت لنا =

٦ ـ لَكِنْ مِنَ التَّطْوِيْلِ كلَّتِ الهِمَمْ   فَصَارَ فيهِ الاختِصَارُ مُلْتَزَمْ

عرفها بمعانيها كفته في العقائد.

ثمَّ لمَّا اختلط بشبه أهل الضلال، اشتغل أبو الحسن الأشعري [1] وأبو منصور الماتريدي [2] بتدوينه وضبطه. كما اشتغلت الأئمة الأربعة المجتهدون بتدوين الفروع والردِّ على المخالف. وكاشتغال الجنيد [3] وأضرابه بعلم السرِّ والتصوُّف، ومعرفة شروطه وآدابه؛ لأنَّه نُقل عن النبي ﷺ علمُ الظاهر والباطن.

قوله: (لكن من التطويل)

هذا استدراك على قوله: ... يحتاج للتبيين؛ لأنَّه ربَّما يُتوهَّم منه أنَّه لمَّا كان محتاجاً للتبيين والتخليص من الشبه والعقائد الفاسدة لزمه التطويل، فقال: لكن... إلخ.

والتطويل: هو الكلام الزائد على أصل الحاجة.

= ربك، فجاء جبريل، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ. فقال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. ثم انصرف إلى المدينة، وكتم إسلامه اهـ. الدر المنثور (٨/ ٦٧٠).

(١) عليُّ بن إسماعيل بن إسحاق، من نسل الصحابيِّ أبي موسى الأشعري. مؤسِّس مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة (٢٦٠ هـ) تلقَّى مذهب المعتزلة، ثم رجع، وجاهر بخلافهم، توفِّي ببغداد سنة (٣٢٤ هـ) من مصنَّفاته: الردُّ على المجسِّمة، وإمامة الصدِّيق.
انظر اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٦٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) محمَّد بن محمَّد بن محمود، من أئمَّة علماء الكلام، نسبته إلى ماتريد بسمرقند. من كتبه: التوحيد، وأوهام المعتزلة، مات بسمرقند (٣٣٣هـ). الأعلام (٧/ ١٩)، وانظر الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفية (١٩٥).

(٣) انظر ترجمة الشارح له ص(٣٣٩).

٦ ـ لَكِنْ مِنَ التَّطْوِيْلِ **كَلَّتِ الهِمَمْ** فَصَارَ **فيهِ الاختِصَارُ** مُلْتَزَمْ
٧ ـ **وهـذِهِ** أُرْجُوزَةٌ لَقَّبْتُهَا جَوْهَرَةَ التَّوحِيدِ قَد هَذَّبْتُهَا

قوله: (كلّت) أي: تعبت.

قوله: (الهمم)

جمع هِمَّة، وهي في اللغة: القوَّة والعزم.

واصطلاحاً: حالة للنفس تتبعها قوَّة إرادة وغلبة انبعاث إلى نيل مقصود ما؛ فإن تعلَّقت بمعالي الأمور فهي عليَّة، وإلا فدنيَّة.

وقولنا: (بمعالي الأمور) أي: بأن كان ساعياً في حَسَنَةٍ لمعاده، أو درهم لمعاشه.

٧/ب وقولنا: (وإلا فدنيَّة) أي: [إنْ][١] تعلَّقت / بالدُّنيا فقط.

وإسناد الكَلِّ للهمم مجاز عقلي، أي: كلَّت أصحابها.

قوله: (فصار فيه الاختصار)

وهو ذكر العقائد بأدلَّتها فقط دون ذكر الشُّبَه وأدلتها، والردِّ على أصحابها، أي: فلا يكون مني تطويل بأن أذكر العقائد وأدلَّتها والشبه وأدلتها، والردَّ على أصحابها، ولا اقتصار[٢] بأن أذكر العقائد فقط دون أدلتها.

قوله: (وهذه)

اسم الإشارة عائد على الألفاظ فقط، أو المعاني فقط، أو النُّقوش فقط، أو الألفاظ والمعاني، أو الألفاظ والنُّقوش، أو المعاني

---

(١) ساقطة من (م)، وأثبتناها من (د).
(٢) في (م) والاقتصار، والصواب ما أثبتناه من (د).

والنُّقوش ، أو الثلاثة ، احتمالات سبعة ، المختار منها عوده على المعاني المستحضرة ذهناً.

ثمَّ إن قلنا: إنَّ الذِّهن يقوم به المُفَصَّلُ ، فالأمر ظاهر[١].

وإن قلنا : إنَّه لا يقوم به المُفَصَّل ، فالكلام على حذف مضاف واحد ، أي: مفصَّل هذه ، إن قلنا : إنَّ أسماء الكتب من قبيل عَلَم الشخص ، وأمَّا إن قلنا: إنَّها[٢] من قبيل عَلَم الجنس ، فالكلام على حذف مضافين أي : مفصَّل نوعِ هذه.

والحقُّ أنَّ الذِّهن يقوم به المفصَّل ، وأسماء الكتب والعلوم من قبيل علمِ الشخص؛ بناءً على أنَّ الشيء لا يتعدَّد بتعدُّد محلِّه ، والفرق تَحَكُّمٌ ، فلا حاجة لتقدير شيء أصلاً[٣].

واعلم أن اسم الإشارة لا يُشار به إلا لمحسوس حاضر ، والمعاني الذهنيَّة معقولة ، فيكون في الكلام استعارة بالكناية؛ حيث شبَّه المعاني الذهنية بشيء محسوس ، وطوى ذكر المشبَّه به ، ورمز له بشيء من لوازمه ، وهو الإشارة ، فإثبات الإشارة تخييل.

ولك أن تجري فيها استعارة تصريحية بأن تقول: شبَّه المعقول

---

(١) أي: فالأمر واضح في حصول التطابق بين المبتدأ و الخبر: (هذه أرجوزة) ، وهذا على قول: إنَّ الذهن يقوم به المفصَّل ، وهو تصوُّر المنظومة بأبوابها وأبحاثها . انظر تحفة المريد (١٧).

(٢) في (م): إنه . وأثبتناها من(د) .

(٣) أي: إنّ الفرق بين المبتدأ والخبر في كون أحدهما مجملاً والآخر مفصَّلاً ، وكون أحدهما عَلَم جنس والآخر علم شخص تحكُّمٌ لا تعرفه أرباب العربية ولا حاجة إليه . انظر تحفة المريد (١٧).

بالمحسوس، واستعير لفظ اسم الإشارة الموضوع للمحسوس لذلك المعقول. والأوَّل أقرب.

قولـه: (أرجوزة)

أي: منظومة من بحر الرَّجَز أحد بحور الشعر الستة عشر، وأجزاؤه: مستفعلن ستَّ مرات.

وعِدَّتها: مئة وأربعة وأربعون إن قلنا: إنَّها من كامله، وأمَّا إن قلنا: إنَّها من مشطوره، فتكون مئتين وثمانية وثمانين.

وإنَّما كانت نظماً؛ لأنَّه أسهل وأحلى في تعاطيه وحفظه، ولا يَرِدُ علينا ما ورد من ذمِّ الشعر؛ لأنَّ ذلك في شعر اشتمل على مدح مَنْ لا يجوز مدحه، وذمِّ مَنْ لا يجوز ذمُّه، وأمّا في مثل هذا الكتاب فممدوح غاية المدح؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَماً»[١].

قولـه: (لقَّبتها)

أي سمَّيتها تسمية تُشعر بمدح؛ لأنَّ اللَّقب ما أشعر بمدح أو ذمٍّ،
٨/أ وهو / يتعدَّى بالباء وبنفسه.

قولـه: (جوهرة)

هي في الأصل الدُّرَّة الغالية النفيسة، ولا شكَّ أنَّ مسائلها نفيسة

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن أُبيّ بن كعب مرفوعاً ولفظه: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً». وأبو داود (٥/٢٧٨) بلفظ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرَاً، وإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَمَاً» برقم (٥٠١١).
وأخرجه الترمذي، الأدب (٨/٦٢) عن ابن عباس: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَماً» برقم (٢٨٤٨).

٧ ـ وهــذِهِ أُرْجُــوزَةٌ لَقَّبْتُهــا   جَوْهَرَةَ التَّوحِيدِ **قَد هَذَّبْتُها**
٨ ـ **واللهَ أَرْجُو في القَبُولِ** نَافِعاً   بِها مُرِيْداً فِي الثَّوابِ طَامِعَا

. . . .

جداً ، فشبَّه الشيء النفيس بالجوهرة ، واستعار اسم المشبَّه به للمشبَّه بجامع النفاسة في كلٍّ ، على طريق الاستعارة التصريحيَّة الأصليَّة.

وإذا كانت جوهرةَ التوحيد الذي هو أشرف العلوم ، فهي جوهرة غيره بالأَوْلى.

قولـه: (قد هذَّبتُهـا)

أي : نقَّحتها وصفَّيتها من كدرات الشُّبَه والعقائد الفاسدة والحَشْوِ والتطويل ، وهذه الجملة دليل لتسميتها جوهرة.

قولـه: (والله أرجو)

تقديم المعمول يؤذن بالحصر ، أي: لا أرجو إلا الله.

والرجاء: تعلُّق القلب بمرغوب في حصوله في المستقبل مع الأخذ في الأسباب ، كرجاء الجنَّة مع ترك المعاصي وفعل الطاعات ، فإن لم يكن أَخْذٌ في الأسباب فهو طمع ، وهو مذموم.

وقولنا: (في حصوله في المستقبل) أي: وأمّا لو تعلَّق بماضٍ كتمنِّي الشباب بعد ذهابه ، فهو تمنٍّ.

قوله: (في القَبول)

أي: قبول أعمالي.

والقبول : هو الرِّضا بالشيء والإثابة عليه ، والرِّضا : هو إنعام الله على عبده ، أو إرادة إنعامه فيكون معنى القبول: إنعام الله أو إرادة

إنعامه، فهو مرادف للرِّضا، فعلى الأوَّل صفة فعل، وعلى الثاني صفة ذات، هذا في حقِّ الله.

وأمَّا القبول بالنسبة لغيره تعالى، فهو الرِّضا بالشيء مع ترك الاعتراض على فاعله.

قوله: (نافعاً بها)

حال من لفظ الجلالة، والضمير في (بها) يعود على الأرجوزة، أو على الجوهرة، ويكون المعنى نافعاً بمسمَّاها.

إن قلت: تقييده رجاء القبول من الله بالنفع لمريدها، يوهم أنَّ رجاءه لله قاصر على تلك الحالة، مع أنَّ الله يُرجى في كلِّ حال.

والجواب: أنَّه لمَّا وثق بالنفع لمريدها من الله، فكان أمراً لازماً لا يتخلَّف، فصحَّ تقييد رجائه به.

قوله: (مريداً)

أي: شخصاً مريداً لها وقاصداً لها.

والمعنى: لا أرجو في قبول تأليفي أو أعمالي إلا الله، حال كون الله سبحانه وتعالى نافعاً بتلك الأرجوزة مريدَها وقاصدَها؛ لأنَّها اشتملت على أشرف العلوم، فمن عرفها فهو ناجٍ في الدنيا والآخرة.

واعلم أنَّه شاع قوله ﷺ: «ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلِيٍّ جَاهِلٍ، وَلَوِ اتَّخَذَهُ لعَلَّمَهُ»[1].

---

(١) هذا الحديث لا أصل له. قال الحافظ ابن حجر: ليس بثابت كما في المقاصد الحسنة (٣٦)، وتابعه على ذلك الفُتَّني في التذكرة (٢٧)، وملاّ علي القاري =

٨ ـ واللهَ أَرْجُو في القَبُولِ نَافِعاً بِها مُرِيْداً فِي الثَّوابِ طَامِعَا

. . . .

فمعنى ذلك أنَّ شَرْطَ الولاية المعرفة بالله سبحانه وتعالى ، وظهورُ نور الإيمان / له حتَّى يكون مراقباً لله في جميع أحواله ، فيُنتِج ذلك أنَّه ٨/ب
يَسْتَدِلُّ بالحقِّ على الخلق عكس العوامِّ؛ فإنَّ كلَّ مؤمن ـ وإن كان معه نور الإيمان ـ إلا أنَّه تارة يحضر وتارة يغيب ، فلذلك كان يستدِلُّ بالخلق على الحقِّ ، وليس معناه العلم بالأحكام الشرعية كالأنكحة والبِياعات[1] وغير ذلك ، فإنَّ هذا ليس شرطاً بإجماع العارفين.

والنفع: ضِدُّ الضَّرِّ ، وهو إيصال الخير للغير.

قوله: (في الثواب طامعاً)

الجارُّ والمجرور متعلِّق بـ (طامعاً) مقدَّم عليه ، ومرادُه بالطمع: الرجاء؛ لأنَّ من تعلَّق بها وأرادها قاصداً وجه الله تعالى ، فهو راجٍ لرحمته وثوابه ، وليس بطامع؛ لوجود الأخذ في الأسباب.

والثواب: مقدار من الجزاء ، أعدَّه الله لعباده يوم القيامة بمحض فضله في نظير أعمالهم الحسنة ، فثواب الأعمال يكون في القيامة لا غير.

وأمَّا ما وجد في الدُّنيا من العافيةِ أو سعة الرزقِ مثلاً ، فهو قسمة من الله ، وليست جزاءً للأعمال الصالحة. وإلا لما رأى ذلك الكافر

= في المصنوع (١٥٦) ، وغيرهم . وقالوا: معناه صحيح . انظر كشف الخفا (٢/ ٢٥٣) ، والأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٠٢) .

(١) في (م): البيعات . وما أثبتناه من (د). والبِياعات: الأشياء التي يُتَبَايَعُ بها في التجارة. لسان العرب (بيع).

٨ ـ واللهَ أَرْجُو في القَبُولِ نَافِعاً بِها مُرِيْداً فِي الثَّوابِ طَامِعَا

. . . .

أصلاً. قال ﷺ:

«لَو كَانَتِ الدُّنيا تَزِنُ عِندَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوْضَةٍ مَا سَقَى الكَافِرَ مِنْها جَرْعَةَ مَاءٍ»(١).

واعلم أنَّ من العباد من يعبد الله لأجل تعجيل حظوظ الدنيا، وهذه كلا عبادة.

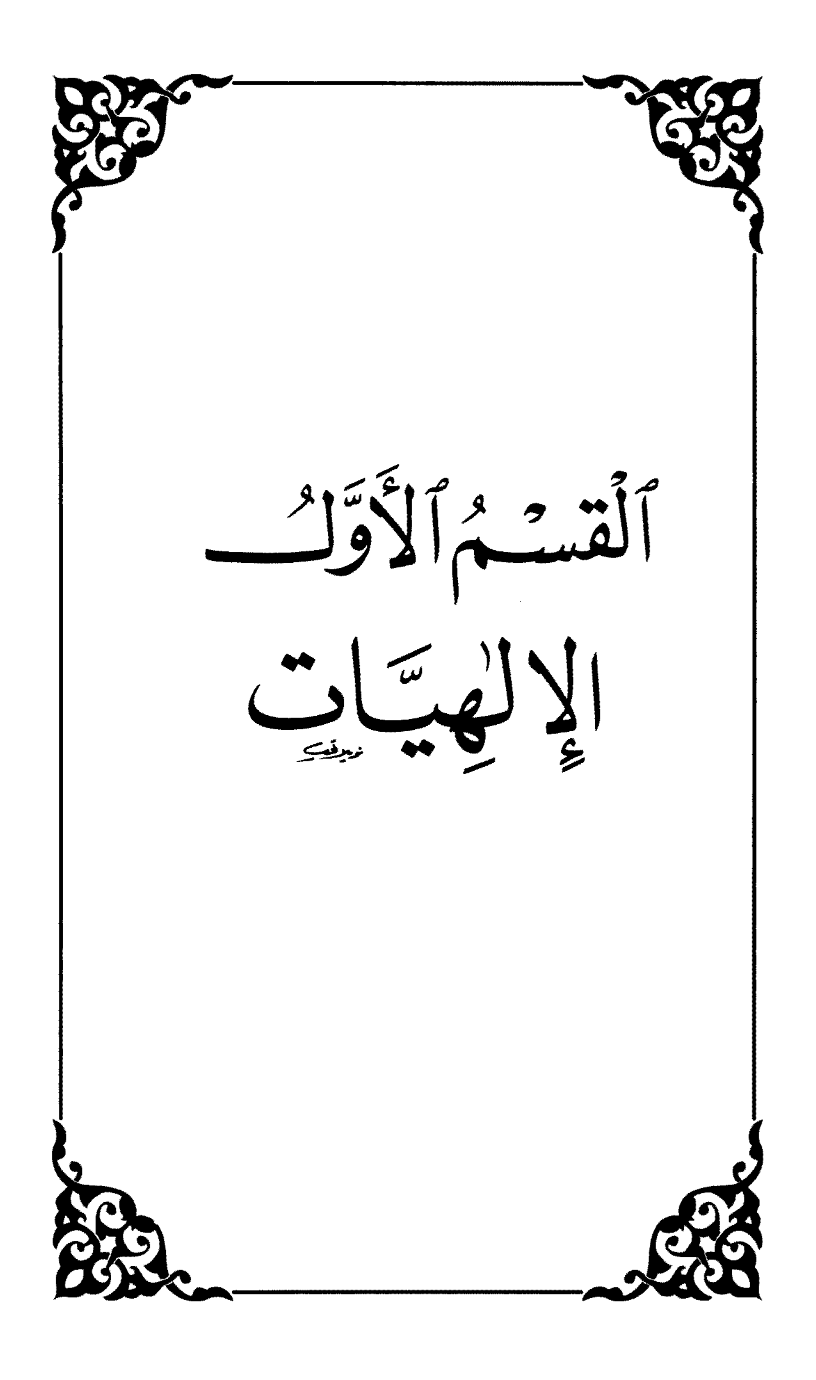
ومنهم من يعبد الله رجاءً في ثوابه وخوفاً من عقابه، وهذه مرتبة عوامِّ المؤمنين. وقد أشار المصنِّف إلى هذه المرتبة بقوله: ... في الثواب طامعاً.

ومنهم من يعبد الله لوجهه، ليس راجياً في ثواب ولا خائفاً من عقاب، وهذه مرتبة الخواصِّ، وهي أعلى. وعبارة المصنِّف في الحقيقة شاملة لهذه المرتبة، إمَّا بالأَوْلى؛ لأنَّه إذا نفع بها الطامع في الثواب فبالأَولى الطامع في ذات الله، أو لأنَّ من عَبَدَ الله لذاته لا ينافي قصدُه مع ذلك الثواب؛ لأنّه حاصل بوعد الله، فنظره للثواب من حيث هو أنَّ الله وعد به، ووعدُه لا يتخلَّف، فهو مصدِّق بوعد الله، وإن كانت همَّته رضا الله ورؤيةَ وجهه؛ لما في الحديث: «عَجِبَ ربُّكَ مِن قَوْمٍ يُسَاقُونَ إِلَى الجَنَّةِ بالسَّلاَسِلِ»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠). والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٢٥). وغيرهما عن سهل بن سعد مرفوعاً. وإسناده ضعيف، ولكن للحديث شواهد تقوِّيه من حديث ابن عُمر وابن عباس وغيرهما. وانظر مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٠) و(٤٥٥٧). وأحمد في المسند (٢/ ٣٠٢ ـ ٤٠٦ ـ ٤٥٧). وأبو داود (٢٦٧٧) بنحوه عن أبي هريرة مرفوعاً. وابن أبي عاصم في السنَّة رقم (٥٧٣).


القسم الأول
الإلهيات

٩ ـ فَكُلُّ مَن كُلِّفَ شَرْعَاً وَجَبَا عَلَيـه أَنْ يَعْـرِفَ مَـا قَـدْ وَجَبَـا

معرفة الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله ورسله واجبة

قوله: (فكل مَن كُلِّف . . . إلخ)

الفاء واقعة في جواب شرط مقدَّر، كأنَّه قال: إذا علمت ما تقدَّم من المقدِّمة فأصغ للمقصود من الكتاب؛ لأنَّ المقصود منه بيانُ الواجب والمستحيل والجائز / في حقِّ الله، وفي حقِّ رسله. ٩/أ

والمكلَّف من الإنس: هو البالغ العاقل الذي بلغته دعوة النبيِّ.

وأمَّا من الجنِّ: فلا يشترط فيه البلوغ؛ لأنَّ تكليفهم من حين الولادة [١].

فالمرادُ: المكلَّفُ من الثقلين احترازاً عن الملائكة؛ لأنَّ توحيدهم جبلِّيٌّ لا كُلْفة فيه، ولو على القول بتكليفهم بشرعنا؛ لأنَّ المراد أنَّهم مكَلَّفون بما يليق بهم.

والتكليف: هو إلزام ما فيه كُلْفة، وقيل: طلب ما فيه كلفة.

---

(١) قال السحيمي: لا يعتبر البلوغ في آدم وحواء والملائكة والجن، لأن آدم وحواء والملائكة مكلفون من أوّل الفطرة ـ أي: الخِلقة ـ قطعاً، وكذا الجنّ على المعتمد اهـ. المزيد على إتحاف المريد (ج١ ق ١٣٨/أ).
كما ذكر الإمام السيوطي نقلاً عن الشيخ عزِّ الدين بن جماعة في شرح بدء الأمالي أنَّ المكلفين على ثلاثة أقسام:
١ ـ قسم كُلِّف من أول الفطرة قطعاً، وهم الملائكة وآدم وحواء.
٢ ـ قسم لم يُكلَّف من أول الفطرة قطعاً، وهم أولاد آدم.
٣ ـ قسم فيهم نزاع، والظاهر أنهم مكلفون من أول الفطرة، وهم الجانّ.
انظر الحبائك في أخبار الملائك (٢٥٥).

٩ ـ **فَكُلُّ مَن كُلِّفَ** شَرْعاً وَجَبَا   عَلَيهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

فعلى الأوَّل: يكون قاصراً على الواجب والحرام، وعلى الثاني: يكون شاملاً للخمسة.

وعدُّهم المباحَ من أقسام التكليف فيه نوع تسمُّح؛ لأنَّه لا يقال له إلزام ما فيه كُلْفة، أو طلب ما فيه كُلْفة.

فالمكلَّف مَنْ تعلَّقت به هذه الخمسة، أعني: الواجب، والحرام، والمندوب، والمكروه، والمباح [١].

وقولنا: (هو البالغ) من البلوغ. وله علامات وهي:

فرق الأرنبة، وغلظ الحَنْجَرة [٢]، ونبات العانة، ونتن الإبط، وكبر الثدي، والإنزال، والحيض، وبلوغ خمس عشرة سنة [٣] عند الإمام الشافعي [٤]، وثماني عشرة عند مالك [٥]، فمن مات قبل البلوغ فهو ناجٍ، ولو من أولاد الكفَّار، ولا يعاقب على كفر ولا غيره [٦].

---

(١) الواجب: ما يُثاب على فعله، ويعاقب على تركه.
الحرام: ما يُثاب على تركه، ويعاقب على فعله.
المندوب: ما يُثاب عليه، ولا يعاقب على تركه.
المباح: ما لا يُثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه.
انظر المقاصد للإمام النووي (١٤).

(٢) الحَنْجَرة بالفتح: رأس الغلصمة حيث تراه ناتئاً من خارج الحلق، والجمع حناجر، والحُنْجُور: الحلق اهـ. لسان العرب مادة (حنجر).

(٣) وهو المفتىٰ به عند السادة الأحناف رضي الله عن جميع الأئمة. انظر حاشية ابن عابدين (٥/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٤) انظر ترجمة الشارح للإمام الشافعي في ص(٣٣٥) من هذا الكتاب.

(٥) انظر ترجمة الشارح للإمام مالك في ص(٣٣٢) من هذا الكتاب.

(٦) اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال:
أحدها: أنَّهم في الجنَّة، واحتجُّوا بحديث سَمُرة: «أنه عليه الصلاة والسلام رأى=

٩ ـ فَكُلُّ مَن كُلِّفَ شَرْعَاً وَجَبَا عَلَيـه أَنْ يَعْـرِفَ مَـا قَـدْ وَجَبَـا

. . . .

وإنَّما يؤمر الصبيُّ بالإيمان إن كان عاقلاً ، فإن جُنَّ قبل البلوغ ، واستمرَّ حتَّى مات ، فهو ناجٍ.

وإن جُنَّ بعد البلوغ ، والحال أنَّه كان غير مؤمن ، ومات كذلك ، فهو غير ناجٍ.

وقولنا: (ولا يعاقب على كفر) ينافي قول المالكيَّة: (إنَّ ردَّة الصبيِّ معتبرة ، وإسلامه كذلك) [١].

أجيب: بأنَّه لا منافاة؛ لأنَّ اعتبار ردَّته عندهم [٢] إنَّما هي من جهة ترتُّب

= مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين».

والقول الثاني: أنَّهم مع آبائهم في النار ، واستدلَّ عليه بما روي عن عبد الله بن أبي قيس أنه أتى عائشة ، فسألها عن ذراري الكفَّار ، فقالت: قال رسول الله ﷺ: «هم تبع لآبائهم» فقلت: يا رسول الله بلا أعمال؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

والقول الثالث: التوقُّف فيهم ، واعتمدوا على قوله ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين» وهو في الصحيحين.

ومنهم: من جعلهم من أهل الأعراف ، وهذا القول يرجع إلى مَنْ ذهب إلى أنَّهم من أهل الجنة؛ لأنَّ الأعراف ليس دار قرار ، ومآل أهلها إلى الجنة. انظر مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٠).

ونقل ابن عابدين ـ رحمه الله ـ في حاشيته عن ابن الهمام قوله: وقد اختلف في سؤال أطفال المشركين وفي دخولهم الجنَّة أو النار ، فتردَّد فيهم أبو حنيفة وغيره ، وقد وردت فيهم أخبار متعارضة ، فالسبيل تفويض أمرهم إلى الله تعالى ، وقال محمد بن الحسن: اعلم أنَّ الله لا يعذِّب أحداً بلا ذنب. انظر ردّ المحتار على الدرِّ المختار (١/ ٥٧٢).

(١) انظر بلغة السالك لأقرب المسالك للصاوي (١/ ٣٧٤).

(٢) في (م) عنده ، وأثبتناها من (د).

الأحكام الدنيوية: كالغسل والصلاة عليه والدفن [١] لا غير.

واعلم أنَّ أهل الفترة ناجون، ولو بدَّلوا وغيَّروا، وعبدوا الأصنام، على الصحيح [٢]؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [٣].

وكذا البُلْه والصبيان والمجانين.

إن قلت: إنَّه قد ورد في امرىء القيس [٤] وحاتم الطائي [٥] وبعض أفراد أنَّهم يدخلون النار، ويُعذَّبون مع أنَّهم من أهل الفترة.

---

(١) في (م) الكفن، وأثبتناها من (د).

(٢) هذا عند الأشاعرة؛ لأن معرفة الله عندهم وجبت بالشرع، وأمَّا عند الماتريدية فمعرفته سبحانه وجبت عندهم بالعقل؛ إذ لو لم يرِد بها الشرع لأدركها العقل استقلالاً لوضوحها. انظر تحفة المريد (٢٠).

(٣) سورة الإسراء (١٥).

(٤) ورد: «امْرُؤُ القَيسِ صَاحِبُ لِوَاءِ الشُّعراءِ إلى النَّار» أخرجه أحمد (٢/٢٢٨). والبزَّار في زوائده (٢٠٩١). وابن عديّ (٧/ ١٣٨ و٣٠٠) و(٤/ ٨٥). والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ الكنى ٢٠). وابن حبَّان في المجروحين (٣/ ١٥٠).
قال صاحب فيض القدير عن هذا الحديث: أحمد بن حنبل وكذا البزار كلاهما من حديث هشيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال الهيثمي: (فيه أبو الجهم شيخ هشيم بن بشير، ولم أعرفه، وبقيَّة رجاله رجال الصحيح) اهـ. وأقول: أبو الجهم ضعيف جداً. قال الذهبي في الضعفاء: أبو الجهم عن الزهري. قال أبو زرعة: واهي الحديث. (٢/ ١٨٦).

(٥) ورد في حقِّ حاتم الطائي الحديث الذي أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٨). والطيالسي (١٠٣٤). وابن حبّان (٣٣٢) وغيرهم عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله إنَّ أبي كان يصل الرَّحِم وكان يفعل ويفعل! قال ﷺ: «إنَّ أباكَ أَرادَ أَمْراً فَأَدْرَكَهُ» يعني الذِّكْرَ. وفي رواية لأحمد (٤/ ٣٧٩): «... إنَّ أبي كانَ يَصِلُ الرَّحمَ، ويفعل ويفعل، فهل له في ذلك؟ يعني من أجر، قال ﷺ: «إنَّ=

أجيب: بأن الحديث في شأن ذلك رواية آحاد، ورواية الآحاد لا تقاوم الدَّليلَ القطعيَّ (١).

وعلى أنَّه ليس رواية آحاد، فدخولهم النَّار لحكمة يعلمها الله.

ودخل في أهل الفترة أجداد رسول الله ﷺ وأبواه، فهم ناجون خلافاً لمن شذَّ، وقال بموتهما على الكفر، على أنَّه ورد حديث بإحيائهما/ ٩/ب وإيمانهما به، وإن كان ضعيفاً (٢).

= أباكَ طَلَبَ أمْراً فَأَصَابَهُ». وإسناده قويٌّ. انظر مجمع الزوائد (١/ ١١٩) فالحديث حسن.

(١) وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾. سورة الإسراء (١٥).

(٢) نصَّ كثير من الحفَّاظ على بطلان هذا الحديث: كالدار قطني وابن عساكر والجوزقاني وابن نصار السلامي وابن الجوزي وابن كثير والذهبي وابن حجر وغيرهم.

والحديث أخرجه الخطيب في السابق واللاحق كما في اللآلىء (١/ ٢٦٦)، وابن شاهين في الناسخ (٦٣٠) وغيرهم. وهو في إحياء أمِّ النبي ﷺ.

أما حديث إحياء والد النبيِّ ﷺ فلا أصل له.

وصرَّح الإمام الباجوريّ بنجاة أبوي النبي ﷺ؛ لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه وأمَّهاته ناجون، ومحكوم بإيمانهم.

وأورد في ذلك نصوصاً، ثمّ قال: ولعلَّ هذا الحديث صحَّ عند أهل الحقيقة بطريق الكشف، كما أشار إليه بعضهم بقوله:

أيقَنْتُ أنَّ أَبَا النَّبِيِّ وأُمَّهُ ... أَحْيَاهُمَا الرَّبُّ الكَرِيمُ البَارِي
حَتَّى لَهُ شَهِدا بِصِدْقِ رِسَالَةٍ ... صَدِّقْ فَتِلكَ كَرامَةُ المُخْتارِ
هَذَا الحَديثُ ومَن يَقُول بضَعفِهِ ... فهو الضَّعيفُ عَنِ الحقيقَةِ عَارِ

تحفة المريد (٢٠)

وانظر كتاب نشر العلمين المنيفين في إحياء الوالدين الشريفين للإمام جلال الدِّين السيوطي الذي عقده مؤلِّفه لبيان هذه المسألة.

٩ ـ فَكُلُّ مَن كُلِّفَ **شَرْعَاً** وَجَبَا　　　عَلَيه أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

قال الحافظ الدمشقي [١] :

حبَا اللهُ النَّبيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ　　　عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفَا

فأَحْيَا أُمَّهُ وكَذَا أبَاهُ　　　لإيمانٍ بِهِ فَضْلاً مُنِيْفَا

فَسَلِّمْ فَالقَدِيمُ بِذَا قَدِيْرٌ　　　وإنْ كانَ الحَدِيثُ بِهِ ضَعِيْفا

إن قلت : [إنَّ] [٢] آزر أبا إبراهيم الخليل كان كافراً بنصِّ القرآن .

أجيب : بأنَّه كان عمَّه ، وإنَّما سمَّاه أباً ؛ لأنَّ عادةَ العرب تسمية العمِّ أباً [٣] .

قوله : (شرعاً)

منصوب على التميز لقوله : (وجب) أي : وجب عليه أن يعرف ما ذكر من جهة الشرع ، وليس منصوباً بنزع الخافض؛ لأنَّه سماعيٌّ . ورَدَّ [٤]

---

(١) حافظ دمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد القيسي الدمشقيُّ ، المعروف بابن ناصر الدين الشافعي ، ولد سنة (٧٧٧هـ) بدمشق وبها نشأ ، حافظ للحديث ومؤرخ ، مات سنة (٨٤٢هـ) بدمشق مسموماً وحصلت له الشهادة ، ودفن بمقابر العقيبة . من كتبه : افتتاح القاري لصحيح البخاري ، برد الأكباد عند فقد الأولاد ، وغيرهما . انظر شذرات الذهب (٧/ ٢٤٣) . والضوء اللامع (٨/ ١٠٣) .

(٢) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

(٣) في هذا بيان يوضِّح فيه المؤلِّف أنَّ أبا سيدنا إبراهيم في الجنَّة لأنَّ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ جدُّ النبي ﷺ وأبو إبراهيم كذلك ، وهكذا استطاع أن يوفِّق المؤلِّف بين الآية : ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الأنعام (٧٤) والقول الذي أتى به ، ومفاده : أنَّ أجداد النبي ﷺ ناجون كما هو حال أهل الفترة .

(٤) وردُّه على المعتزلة : هو بيانه أنَّ التكليف ثبت بالشرع لا بالعقل وذلك بقوله :

فكُلُّ مَن كُلِّفَ شَرْعاً وَجَبا　　　عَلَيه أَنْ يَعرِفَ مَا قَدْ وَجَبا

وهذا هو مذهب أهل السُّنة والجماعة .

٩ ـ فَكُلُّ مَن كُلِّفَ شَرْعَاً وَجَبَا عَلَيهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

. . . .

بذلك على المعتزلة القائلين: إنَّ معرفة الله تعالى واجبة بالعقل[١].

فمنهم من يقول: لا حاجة للرُّسل، فإرسالهم عبث. وهؤلاء كفَّار.

ومنهم من يقول: إنَّ إرسالهم معونة للعقل. وهؤلاء فُسَّاق.

واعلم أنَّ الأحكام التي وردت لنا عن الشَّرع عشرة، ولا مدخل للعقل فيها، ـ خلافاً لمن ذُكِرَ ـ[٢] خمسة وضعيَّة[٣]، وخمسة تكليفيَّة:

فالأولى هي: السبب[٤]، والمانع[٥]، والشَّرط[٦]، والصِّحة، والفساد.

والثانية هي: الحرمة، والوجوب، والنَّدب، والكراهة، والإباحة.

قوله: (أن يعرف)

أَنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل (وجب)، أي: معرفة.

والمعرفة: هي الجزم المطابق للحقِّ، قيل: عن دليل، وقيل: ولو بلا دليل.

---

(١) ويزيدون على ذلك معرفة الأحكام أيضاً، فمذهب المعتزلة يوجب معرفة الله، ومعرفة الأحكام بطريق العقل لا بطريق الشرع. انظر تحفة المريد (٢٠).

(٢) جملة اعتراضية المراد بها القائلون: إنَّ المعرفة واجبة بالعقل. وانظر التعليق السابق.

(٣) المراد بالخمسة الوضعية: الأحكام التي استنبطها الفقهاء، وإنَّما هي في الأصل خطاب الله تعالى المتعلق بجعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً. انظر تحفة المريد (١٩).

(٤) وهو ما يلزم من وجوده الوجود. كالصلاة فقد ذكر أنَّ أسبابها أوقاتها.

(٥) وهو ما يلزم من وجوده الفساد أو عدم الوجود.

(٦) وهو ما يتوقَّف على وجوده الشيء، وهو خارج عن ماهيَّته كالوضوء للصلاة. انظر تفصيل الأحكام الوضعيَّة والتكليفيَّة في كتاب المقتدي بشرح الهدهدي على أمِّ البراهين للسحيميّ (٣٣ ـ ٣٤).

٩ ـ فَكُلُّ مَن كُلِّفَ شَرْعَاً وَجَبَا عَلَيـه أَنْ يَعْـرِفَ مَـا قَـدْ وَجَبَـا

قوله: (ما قد وجبا لله... إلخ)

أي: ثبت، بمعنى أنَّه لا يَتَصوَّرُ العقلُ عدمَه، ودليل هذا: إمَّا العقل، أو السمع، أو مختلف فيه؛ لأنَّ ما توقَّفت المعجزة عليه، وهي: الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والقدرة والإرادة والعلم والحياة، وكونه قادراً ومريداً وعالماً وحيّاً، دليلها[1] عقليٌّ، والذي أوجبها هو الشرع، بمعنى أنَّه إذا جاءنا رسول وقال لنا: إنِّي مرسل من عند الله، وآية صدقي انشقاق القمر مثلاً، يحتاج الأمر إلى استفادة هذه الصفات من العقل أوَّلاً، وإلا بأن استفيدت من الرَّسول لزم الدور؛ لأنَّ بهذه الصفات تثبت المعجزة، وبالمعجزة تثبت هذه الصفات، فصار كلٌّ متوقِّفاً على الآخر.

واختلفوا في الوحدانية، والأصحُّ أنَّ دليلها عقليٌّ، وأمَّا ما لا تتوقَّف المعجزة عليه كالسمع والبصر والكلام، وكونه سميعاً بصيراً متكلماً، فدليله سمعيٌّ[2].

وأمَّا القول بأنَّ دليلها عقلي ـ لأنَّه لو لم يتَّصف بها لاتَّصف بضدِّها
١٠/أ وهو نقص، والنقص عليه محال ـ فمردود بأنَّ / هذا نقص في حقِّ الحوادث، ولا يقاس الحادث على القديم[3]؛ لأنَّ ما كان كمالاً في حقِّ

---

(١) كذا في (د). وفي (م): (دليلهما). ولعله أراد بتثنية الضمير عوده على صفات المعاني والصِّفات المعنوية.

(٢) أي: نصٌّ قرآنيٌّ، أو حديث شريف، نؤمن به بمجرَّد السماع، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ سورة طه (٤٦).

(٣) لأنَّ كلّاً من الحادث والقديم له صفته: فالعقل مثلاً انتقاصه في الحوادث نقص، ووجوده في القديم نقص، فلا يوصف الله سبحانه بأنَّه عاقل؛ لأنَّ العقل هو الذي يعقل صاحبه عن فعل ما لا ينبغي.

١٠ ـ للهِ والجَـائِـزَ والمُمْتَنِعَـا ومِثْـلُ ذَا لِـرُسْلِـهِ فـاسْتَمِعـا

الحادث لا يلزم أن يكون كمالاً في حقِّه تعالى ، ألا ترى الزوجة والولد، فإنَّهما من كمالات الحادث لا القديم ، فلو لم تثبت هذه الصفات من القرآن والسنة ما بُرْهِنَ عليها ، وأمَّا الصفات المتقدِّمة فصنعة[1] العالَم متوقِّفة على ثبوتها ، فبراهينها عقليَّة.

واعلم بأنَّهم عرَّفوا **الواجب**: بأنَّه ما لا يُتصوَّر في العقل عدمه ، أي: لا يحكم العقل بعدمه.

والجائز: بأنَّه ما يصحُّ في العقل وجوده وعدمه.

والممتنع الذي هو المستحيل: بأنَّه ما لا يتصوَّر في العقل وجوده ، أي: لا يحكم العقل بوجوده ، وهذا معنى قول أستاذنا الشيخ الدَّرْدير[2] في خريدته[3]:

فالوَاجِبُ العَقْلِيُّ مَا لَم يَقْبَلِ الانتِفَـا فـي ذَاتِـهِ فـابتَهِـلِ
والمُستحِيلُ كلُّ ما لم يَقْبَلِ في ذَاتِهِ الثُّبُوتَ ضِدُّ الأَوَّلِ
وكُـلُّ أَمـرٍ قَـابِـلٌ لِـلانتفـا ولِلثُّبـوتِ جَـائِـزٌ بِـلا خَفَـا

وهو أوضح وأخصر من كلام السَّنوسيِّ[4] رضي الله عن الجميع.

---

(١) في (د) فصفة.

(٢) أحمد بن محمَّد العدويُّ أبو البركات الشهير بالدَّرْدير ، فاضل من فقهاء المالكية، ولد بمصر سنة (١١٢٧هـ) من كتبه: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك ، الخريدة البهية في علم التوحيد ، شرح الخريدة ، توفِّي بالقاهرة سنة (١٢٠١هـ) انظر شجرة النور الزكية (٣٥٩) ، وحلية البشر (١/ ١٨٥).

(٣) انظر حاشية الصاوي على شرح (الخريدة البهيَّة) للدردير ص (٣٩) وما بعدها.

(٤) محمَّد بن يوسف السنوسي الحسني من جهة الأمِّ ، عالم تِلِمْسان في عصره ، له تصانيف كثيرة منها: عقيدة أهل التوحيد ، ويسمَّى: العقيدة الكبرى ، وأمُّ =

١٠ ـ للهِ والجَائِزَ والمُمْتَنِعَا وَمِثْلُ ذَا لِرُسْلِهِ فاسْتَمِعا

وكلٌّ منها إمَّا نظريٌّ أو ضروريٌّ[1]:

١ ـ آ ـ فالواجب النظريُّ كصفات الله تعالى.

ب ـ والضروريُّ كتحيُّز الجرم، أي: أخذه قدراً من الفراغ

٢ ـ آ ـ والمستحيل النظريُّ كثبوت النقائص لله.

ب ـ والضروريُّ كخلوِّ الجرم عن الحركة والسكون أو الحيِّز.

٣ ـ آ ـ والجائز النظريُّ كتعذيب المطيع وإثابة العاصي.

ب ـ والضروريُّ كحركة الجِرم أو سكونه.

وهذه الأقسام الثلاثة إمَّا عقلية، وهي المقصودة هنا، أو عادية أو شرعية[2]، وتفصيلها يطلب من المطوَّلات.

قوله: (ومثل ذا... إلخ)

بالرفع: مبتدأ خبره محذوف تقديره ثابت، أو معطوف على (أن يَعْرف). أي: [وجب عليه][3] معرفةٌ، ووجب عليه مثل ذا، واسم الإشارة عائد على ما ذكر من الواجب والجائز والمستحيل، فلذلك أفرده. واعترِض بأنَّ الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله غير

= البراهين، ويسمَّى: العقيدة الصغرى. ولد سنة (٨٣٢هـ)، وتوفِّي سنة (٩٨٥هـ). انظر شجرة النور الزكية (٢٦٦).

(١) فالنظريُّ: ما يتوقف على نظر واستدلال، كالقدم لله تعالى.
والضروريُّ: ما لا يتوقف على نظر واستدلال.
انظر شرح الدردير على الخريدة البهية (٤٠).

(٢) وهذا التقسيم إلى عقليَّة وعاديَّة وشرعيَّة يشبه تقسيم الدلالات في المنطق إلى دلالة عقليَّة وطبيعيَّة ووضعيَّة. انظر إيضاح المبهم للدمنهوري ص(٦).

(٣) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

١٠ ـ للهِ والجَـائِـزَ والمُمْتَنِعَـا ومِثْـلُ ذَا لِـرُسْلِـهِ فـاسْتَمِعـا

. . . .

ما ذكر في حقِّ الرُّسُل ، أجيب : بأنَّ التشبيه غير تامٍّ ، بل التشبيه في مطلق واجب ومستحيل وجائز . فإنَّ الواجب في حقِّ الله الوجود . . . إلخ ، وفي حقِّ الرسل الصدق . . . إلخ . وأيضاً أدلَّة صفات الله غالبها عقليٌّ ، وأمَّا أدلَّة صفات الرُّسل فسمعية ما عدا الصدقَ .

قوله : (فاستمعا)

يحتمل أن يكون تكملة ، ويحتمل أنَّه تنبيه على الاعتناء بهذا الكلام(١) .

وأَلِفُه بدل من نون التوكيد الخفيفة ، وأصله : استمِعَنْ ، فلَمّا وقف عليها أبدلت ألفاً ، قال ابن مالك(٢) :

وأَبْـدِلَنْهـا بَعْـدَ فَتْـحٍ أَلِفـا وَقْفاً كما تَقُولُ في قِفَنْ قِفا(٣)

---

(١) وهناك احتمال ثالث : هو أنَّه أشار بقوله : (فاستمعا) إلى المبحث الثالث من التوحيد وهو : السمعيَّات . فقد ذكر الصاوي في شرح قول الناظم : فَوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ . . . أنَّ مباحث هذا الفنِّ ثلاثة : الإلهيَّات والنبوات والسمعيّات . انظر ص(١٤٢) من هذا الكتاب .

(٢) محمد بن عبد الله جمال الدين الطائي الشافعي النحوي . ولد سنة (٦٠٠هـ) كان إماماً في النحو والقراءات وعللها ، له تصانيف منها : الألفية في النحو ، وسمَّاها الخلاصة ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، توفِّي سنة (٦٧٢هـ) انظر بغية الوعاة (١/ ١٣٠) وما بعدها .

(٣) انظر ألفية ابن مالك (باب نوني التوكيد) .

١١ـ إذْ كلُّ مَن قَلَّدَ في التَّوحيد   إيمـانُـهُ لـمْ يَخـلُ مِـن تَـرْدِيـدِ

. . . .

حكم إيمان المقلِّد والخلاف فيه

قوله: (إذ كلُّ من قلَّد. . . إلخ)

علَّة لقوله: (. . .   . . .   وَجَبا   علَيهِ أَنْ يَعْرِفَ . . . إلخ)

١٠/ب   وحاصل ما انحطَّ عليه كلام الأشياخ: أنَّ / مَن عرف الله بالدَّليل ولو جمليّاً، ولو لم يكن باصطلاح أهل الكلام، فهو مؤمن اتِّفاقاً، ومَن عرفه بلا دليل أصلاً، بل بالتقليد، ففيه **ستة أقوال**:

الأوَّل: لأبي هاشم الجُبَّائي[1] رئيس المعتزلة، ونَقْلُه عن أهل السنَّة كَذِبٌ؛ إذ إيمانه غير صحيح في الآخرة[2]، وأمَّا في الدنيا فاتَّفقوا

---

(١) سبقت ترجمته في ص (٨١).

(٢) هـذا هو رأي الجبَّـائي يقول: إنَّ إيمان المقلِّد غير صحيح فـي الآخرة. ولا توافق أهل السنَّـة على ذلك؛ فقد قال رسول الله ﷺ لأعرابـيٍّ: «قُلْ آمَنْتُ باللهِ ثُـمَّ اسْتَـقِمْ» أخرجه مسلم (الإيمان ٦٢) برقم (٣٨). وسأل عليه الصلاة والسلام الجاريةَ: «أَينَ اللهُ؟» فأشارت بيدها إلى السماء، فقال عليه الصلاة والسلام: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّها مُؤْمِنَة»، أخرجه مسلم في حديث طويل (المساجد ٣٣) برقـم (٥٣٧)، وأخرجـه الإمـام مالك فـي الموطـأ، بـاب العتق برقـم (١٤٦٤).

فبمجرَّد نطق الأعرابي بالإيمان مع الاستقامة صار في عِداد المؤمنين، وبإشارة الجارية إلى السماء عند سؤالها: أين الله؟ شهد رسول الله ﷺ لها بالإيمان. وكلُّ ذلك دون معرفتهما بالدَّليل.

١١ـ إذْ كلُّ مَن قَلَّدَ في التَّوحيد   إيمانُهُ لَمْ يَخلُ مِن تَرْدِيْدِ

. . . .

على[١] إيمانه ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ[٢] لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[٣].

الثاني: هو صحيح إلا أنَّه عاصٍ لترك النظر مطلقاً ، كان فيه أهلية للنظر أم لا[٤].

الثالث: [هو][٥] صحيح إلا أنَّه عاصٍ بترك النظر إن كان فيه أهلية للنظر ، وكان متمكِّناً من المعرفة[٦].

الرابع: إنْ قلَّد معصوماً كالقرآن والسنَّة فهو غير عاصٍ ، وإلا فهو عاصٍ.

الخامس: أنَّ النظر حرام ، وهو مذهب غالب الصوفية؛ فإنَّهم يقولون : متى غاب حتَّى يُستدلَّ عليه ، ومتى خفي حتى تكون الآثار تدل عليه؟

السادس: أنَّ النظر شرط كمال ، فمن كان فيه أهلية النظر ، ولم ينظر فقد خالف الأَولى.

---

(١) الاتفاق عند أهل السنة والمعتزلة.

(٢) فبمجرَّد إلقاء السلام سمِّي مؤمناً رغم عدم تبيُّنِ دليله على إيمانه.

(٣) سورة النساء (٩٤).

(٤) المراد به : ترك النظر في الدليل الجُملي ، أمَّا النظر في الدليل التفصيلي فهو فرض كفاية.

(٥) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٦) هذا هو القول المعتمد من بين الأقوال الستَّة ، كما صرح الشارح بذلك بعدُ.

والحقُّ الذي عليه المعوَّل: أنَّه مؤمن عاص بترك النظر إن كان فيه أهلية.

واعلم أنَّهم اختلفوا في الإيمان:

فقيل: هو المعرفة، ورُدَّ ذلك بأنَّ كثيراً من الكفَّار يعرفونه كما يعرفون أبناءهم مع أنَّهم كفَّار، فلو كانت المعرفة تستلزم الإيمان لكان كلُّ مَن عرف أنَّ الله واحد ومحمَّداً رسوله مؤمناً، وليس كذلك. وهذا القول مكذوب على الأشعريِّ[1].

وقيل: هو حديثُ النفس التابعُ للمعرفة، أي: قول النفس: آمنت وصدَّقت، بعد المعرفة التي هي الجزم المطابق للحقِّ عن دليل، فلو كان حديث النفس تابعاً للتَّقليد لكان مقتضاه أنَّه ليس بمؤمن[2].

ولكن قال المصنِّف:

إنَّ هذا تعريف للإيمانِ الكامل، فالتابع للتقليد إيمان إلا أنَّه غير كامل.

أو يقال: إنَّه تعريف لأصل الإيمان، ويكون جارياً على أحد القولَين المتقدِّمَين في المعرفة[3]، وهذا القول للأشعريِّ، وأبي بكر

---

(١) سبقت ترجمته في ص(٨٧).

(٢) ومن هنا نخرج بتعريف للإيمان مختصر جامع هو: أنه التصديق الصادر عن الجزم في القلب، مع القبول والإذعان. وانظر شرح قول الماتن: (وفُسِّر الإيمان بالتصديق...) في ص(١٣٠) وما بعدها.

(٣) وهما: أنَّ المعرفة هي الجزم المطابق للحق عن دليل، أو الجزم المطابق للحق عن غير دليل. انظر ص(١٠٣) من هذا الكتاب.

الباقلَّاني[١] ، وأبي إسحاق الأَسْفراييني[٢] ، وجُمهورهم.

قال ابن العربي[٣] : أقسام الإيمان **خمسة** :

---

(١) محمَّد بن الطيِّب بن محمد ، قاضٍ من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرِّياسة في مذهب الأشاعرة . ولد في البصرة سنة (٣٣٨هـ) ، وسكن بغداد ، وتوفِّي فيها سنة (٤٠٣هـ) . من كتبه: إعجاز القرآن ، ومناقب الأئمة ، التمهيد . انظر شجرة النور الزكية (٩٢) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩).
انظر تعريف الإيمان للباقلاني في كتابه التمهيد ص(٣٤٦).

(٢) إبراهيم بن محمَّد ، عالم بالفقه والأصول ، كان يلقَّب بركن الدِّين ، وكانت له مناظرات مع المعتزلة . نشأ في أسفرايين ـ بين نيسابور وجرجان ـ له كتاب: الجامع في أصول الدِّين ، مات سنة (٤١٨هـ) . وفيات الأعيان (١/ ٢٨) ، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٩).

(٣) محمَّد بن علي بن محمَّد بن العربي ، أبو بكر الحاتمي ، الطائي ، الأندلسي ، المعروف بمحيي الدين بن عربي ، الملقَّب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف ، ولد في (مرسية) في الأندلس (٥٦٠هـ) ، زار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ، ثم استقرَّ في دمشق ، وتوفي فيها (٦٣٨هـ) . له نحو أربعمئة كتـاب ورسالة منها : الفتوحـات المكيـة ، مفـاتيـح الغيب ، التعريفـات . انظر الأعـلام (٧/ ١٧٠) ، وشذرات الذهب (٥/ ١٩٠).
واعلم أنَّ ابن العربي اثنان ، وكلٌّ منهما أندلسي ، الأوَّل الذي قيل فيه خزانة العلم وقطب المغرب ، هو الإمام محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي القاضي الفقيه المالكي المولود في إشبيلية (٤٦٨هـ) ، والمتوفَّى (٥٤٣هـ) . والثاني محيي الدين بن العربي الصوفيّ المترجم أعلاه.
وقد يفرَّق بينهما فيقال في الأوَّل ابن العربي بـ(أل) ، وفي الثاني ابن عربي بدون (أل).
انظر حاشية الدسوقيّ على أمِّ البراهين (٥٨) ، وشجرة النور الزكية (١٣٦) ، والأعلام (٦/ ٢٣٠). =

١١ـ إذ كلُّ مَن قَلَّدَ في التَّوحيـد   إيمـانُـهُ لـمْ يَخـلُ مِـن تَـرْدِيْـدِ

. . . .

١ ـ **إيمان تقليد**: وهو مَن أخذ العقائد عن شيخ ، وجَزَمَ بها من غير معرفة دليل.

٢ ـ **وإيمان علم**: وهو معرفة العقائد بأدلَّتها ، وهذا من أهل علم اليقين.

وكلا القسمين صاحبهما محجوب.

٣ ـ **وإيمان عيان**: وهو معرفة الله بمراقبة القلب ، فلا يغيب ربُّه عن خاطره طرفة عين؛ بل هيبته في قلبه كأنَّه يراه ، وهو مقام / المراقبة وعين اليقين. ١١/أ

٤ ـ **وإيمان حقٍّ**: وهو رؤية الله بقلبه ، وهو معنى قولهم: (العارف يرى الله في كل شيء) . وهو مقام المشاهدة وحق اليقين .

وصاحب هذا المقام والذي قبله يستدلُّ بالحقِّ على الخلق.

٥ ـ **وإيمان حقيقة**: وهو الفناء بالله عمَّا سواه والسكر بحبِّه ، فلا يشهد إلا إيَّاه ، كمن غرق في بحر ، ولم يرَ له ساحلاً ، وهذا ليس له دليل ولا مدلول.

فالواجب على الشخص أحد القسمين الأوَّلين ، وأمَّا الثلاثة الأُخَر فعلوم ربانيَّة يَخُصُّ بها مَن يشاء.

قوله: **(من ترديد)** أي: تردُّدٍ وشَكٍّ وتحيُّرٍ.

= والملاحظ في كتب الترجمة أنه قد يطلق (ابن العربي) على كلٍّ منهما كما فعل الشارح هنا.

١٢ـ فَفِيه بعضُ القَوم يَحكِي الخُلفَا وبَعْضُهم حَقَّقَ فِيهِ الكَشْفَا
١٣ـ فقَالَ: إنْ يَجْزِم بقَولِ الغَيْرِ كفى وإلا لَم يَزَلْ في الضَّيْرِ

. . . .

قوله: (يحكي الخُلْفا)[١]

أي: الخلاف، وأصل الخُلْف يكون في خُلْف الوعد.

قوله: (وبعضهم)

أي: القوم، وهو التاج السُّبْكيُّ[٢]، حيث جعل الخلاف لفظيّاً.

قوله: (حقَّق فيه) الضمير يعود على المقلِّد.

قوله: (الكشفا)

أي الإيضاح، والألف فيه للإطلاق، جامعاً بهذا الكشف بين القول بالإجزاء وعدمه.

قوله: (فقال) أي: السُّبكي.

وقوله: (إن يجزم)

أي: المقلِّد، أي: يُصَمِّمُ اعتقاده بحيث لو رجع مُقَلَّدُه لم يرجع.

قوله: (بقول الغير)

المراد بالغير الشخص الذي قلَّده في العقائد من غير معرفة دليلها.

قوله: (كفى) أي: كفاه في العقائد.

---

(١) المراد بالخلف هنا: الأقوال الستَّة التي مرَّت في إيمان المقلِّد ص(١٠٨) وما بعدها.

(٢) تاج الدين السُّبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، قاضي القضاة، المؤرِّخ الباحث، ولد في القاهرة سنة (٧٢٧هـ)، وانتقل إلى دمشق مع والده وسكنها، وتوفِّي بها سنة (٧٧١هـ). نسبته إلى (سُبْك) من أعمال المنوفية بمصر. من تصانيفه: طبقات الشافعية الكبرى، معيد النعم ومبيد النقم، جمع الجوامع. انظر الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٥).

١٣ـ فقَالَ: إنْ يَجْزِم بقَولِ الغَيْرِ كفى وإلا لَم يَزَلْ في الضَّيْرِ

قوله: (وإلا لم يزل في الضَّير)

أي: في ضرر الشكِّ، فتحصَّل أنَّ الحقَّ الذي عليه جميع أهل السنَّة، أنَّ إيمان المقلِّد صحيح، إلا أنَّه يكون عاصياً بترك النظر إن كان فيه أهلية له، والحال أنَّ اعتقاده جازم بحيث لا يرجع برجوع مقلَّده.

قال الغزالي[١]: (أسرفت طائفة بتكفير عموم[٢] المسلمين، وزعموا أنَّه مَن لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلَّة التي حرَّروها فهو كافر، فضيَّقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنَّة مختصَّة بجماعة يسيرة من المتكلِّمين) اهـ. سحيمي[٣].

وأمَّا مَن عنده شكٌّ أو وهم أو تردُّد فهو كافر إجماعاً[٤]. كمن يقول:

---

(١) محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجَّة الإسلام، فيلسوف متصوِّف، له نحو مئتي مصنَّف، ولد في خراسان سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي فيها سنة (٥٠٥هـ). نسبته إلى صناعة الغزل، أو إلى (غزالة) من قرى طوس. من كتبه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، المضنون به على غير أهله. انظر وفيات الأعيان (٤/٢١٦) وما بعدها. شذرات الذهب (٤/ ١٠ ـ ١١).

(٢) وردت العبارة عند السحيمي: (بتكفير عوامّ المسلمين). انظر المزيد على إتحاف المريد ج١ (ق١٥٢/ ب ـ ١٥٣/ أ).

(٣) سبقت ترجمته ص(٤٤).

(٤) أما الخواطر النفسيَّة التي لا يرتاح القلب إليها، وتشمئزُّ السريرة المؤمنة الداخلية منها، فذاك محض الإيمان؛ لما ورد من حديث أبي هريرة قال: جَاء ناسٌ مِن أَصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنَّا نَجدُ في أنفُسنا ما يَتَعاظَمُ أَحَدُنا أن يتكلَّم بهِ، قال: «أَوَ قَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قالوا: نعم قال: «ذاكَ صَرِيحُ الإيمانِ». قال الخطَّابي: قوله: «ذَاكَ صَرِيحُ الإيمَانِ» معناه: أنَّ صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم والتصديقِ به، وليس معناه أنَّ الوسوسة نفسها صريح الإيمان. وذلك أنَّها إنَّما تتولَّد من فعل الشيطان =

١٣ـ فقَالَ: إنْ يَجْزِم بقَولِ الغَيْرِ كفى وإلا لَم يَزَلْ في الضَّيْرِ

. . . .

المسلمون لهم دين، والنصارى مثلاً لهم دين، والله أعلم بمَنْ هو على الحقِّ.

واعلم أنَّ ثمرة الإيمان فعل الطاعات، فمن آمن ولو بالتقليد، وأكثرَ من الطاعات نوَّر الله قلبه[١]، فلربَّما رقَّاه إلى تلك المراتب التي تقدَّم ذكرها، وأمَّا مخالفة الله فلا تفيد إلا الوبال، ولو للعالِم بالأدلَّة؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ . . .﴾[٢] الآية.

ولربَّما يُظلم قلبه، وتلتبس عليه الأدلَّة حتَّى لا يدري أين يتوجَّه.

وقد حُكي أنَّ الفخر[٣] حين احتضرته الوفاة ورَدَت عليه شُبَهٌ عجز عن دفعها، فصار يقول: / (اللهمَّ إيماناً كإيمان العجائز). ١١/ب

= وتسويله، فكيف يكون إيماناً صريحاً؟!
أخرج الحديث مسلم (١٣٢). أبو داود (٥١١١). وللتوسع انظر: زاد المعاد (٢/ ٤٦١).

(١) فكما أنَّ الأطعمة تقوي الجسم وتغذيه، وتقوي شهيته؛ فإنَّ الطاعات تفتح لصاحبها أبواباً في طاعات أكثر، فينوِّر الله بها قلبه. وكذلك فإنَّ كثرة المعاصي تجرُّ إلى معاصٍ أكثر فيُران على قلب صاحبها.
وذكر الغزالي ـ رحمه الله ـ في إحيائه أنَّ كثرة المعاصي سببٌ لسوء الخاتمة والعياذ بالله. انظر إحياء علوم الدين (٥/ ٣٠).

(٢) سورة الجاثية (٢٣) وتمامها: ﴿. . . وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

(٣) محمَّد بن عمر بن الحسين التيمي البكري، الإمام المفسِّر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول، وهو قرشيُّ النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الرَّيِّ سنة (٥٤٤هـ)، توفي في هَرَاة سنة (٦٠٦هـ). من تصانيفه: مفاتيح الغيب، معالم أصول الدين، المسائل الخمسون في أصول الكلام.
انظر وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨) وما بعدها. البداية والنهاية (١٣/ ٦٦ ـ ٦٧).

١٣ـ فقَالَ: إِنْ يَجْزِم بقَولِ الغَيْرِ كفى وإلا لَم يَزَلْ في الضَّيْرِ

. . . .

وحكي عن ابن العربي[١] أنَّه في تلك الحالة كان واقفاً في الصلاة، فضرب برجله مراراً، فسُئِل عن ذلك فقال: (إن الفخر احتضرته الوفاة، فاحتوشته الشياطين يريدون نزع إيمانه، فضربتهم برجلي، فمات على الإيمان والحمد لله)[٢].

* * *

(١) وهو محيي الدين بن عربي الذي سبقت ترجمته في ص (١١١).

(٢) علَّ الاستغناء عن ذكر هذه القصة في كتاب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة أولى.

١٤ـ واجْزِمْ بأَنَّ أَوَّلاً مِمَّا يَجبْ   مَعْـرِفَـةٌ وفِيـهِ خُلْـفٌ مُنْتَصِـبْ

. . . .

وجوب معرفة الله تعالى

قوله : (واجزم بأنَّ أوَّلاً . . . إلخ)

الجزم : هو القطع ، أي : اقطع باعتقادك أيها المكلف ذكراً أو أنثى ، حرَّاً أو عبداً ، جنيَّاً أو إنسيَّاً .

وأوّل : أصله : أَوْأَلُ على وزن أَفْعَل ، فقلبت الهمزة واواً ، ثم أدغمت في الواو لاجتماع المثلين ، وله **استعمالان** :

١ ـ بمعنى قبل وسابق ، فيكون منصرفاً منوَّناً ، ومنه قولهم : الحمد لله أوَّلاً وآخراً .

٢ ـ وصفة ، فيكون أفعل تفضيل معناه الأسبق ، ويكون ممنوعاً من الصرف للوصف ووزن الفعل ؛ فإن حمل في النظم [على الأول فظاهر ، وإن حُمل][1] على الثاني فصرفه لضرورة النظم .

وفي ذلك المعنى قال الأُجْهُوريُّ[2] :

إذا أَوَّلُ قَدْ جَـاءَ معناهُ أَسبَقُ   فَمنْعُ انصِرافٍ فيه أَمرٌ مُحَتَّمُ
لوصْفٍ ووزنِ الفعل ياأيُّهـا الفتى   عليكَ بضَبْطِ العلمِ علَّكَ تَفْهَمُ
وإنْ كان ظرفاً فاحكُمَنْ فيه بالذي   حَكَمْتَ به في قَبْلُ واللهُ أعلمُ

---

(١) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د) .

(٢) عبد البرِّ بن عبد الله ، فقيه شافعي مصري ، له شروحٌ وحواشٍ في الفقه وغيره . منها : منحة الأحباب ، فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد ، توفِّي سنة (١٠٧٠هـ) . هدية العارفين (١/ ٤٩٨) ، خلاصة الأثر (٢/ ٢٩٨) .

١٤ـ واجْزِمْ بأَنَّ أَوَّلاً مِمَّا يَجبْ مَعْرِفَةٌ وفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبْ

. . . .

قوله: (ممَّا يجب)

(مِنْ): تبعيضيَّة، و(ما): اسم موصول، أي: بعض الذي يجب، وهو صفة (لأَوَّلاً) الواقع اسم أَنَّ على المعنى الأوَّل، وللمضاف إليه اسمُ التفضيل على الثاني، والأصل: أنَّ أوَّلَ شيء ممَّا يجب.

وقوله: (معرفة)

خبر أنَّ، وهي عند المناطقة والنحويين أخصُّ من مطلق العلم؛ لأنَّها تطلق على إدراك الجزئيات والبسائط، والعلم يطلق على إدراك المركَّبات والكليَّات والجزئيَّات والبسائط(١).

وأمَّا عند أهل السنَّة فهما مترادفان، ولكن لا يقال في الله عارف؛ لإيهامها سبق الجهل، ولأنَّ أسماءه توقيفية.

والمراد بمعرفة الله معرفةُ صفاته، لا معرفة حقيقة ذاته؛ لأنَّها ليست من الواجبات، فضلاً عن كونها من أوَّلها، بل لا تُعرف لأحد، ولو

---

(١) لذلك نقول: عرفت زيداً، وعلمت زيداً، وعلمت زيداً مجتهداً.
ولا يجوز: عرفت زيداً مجتهداً؛ لأنَّ المعرفة مختصَّة بالمفردات.
قال النسفي في تبصرة الأدلَّة: المعرفة اسم للعلم المستحدَث لا لمطلق العلم، وقال بعض أهل اللغة: بأنَّ العلم اسم شامل على ما يتعلَّق بالمعنى في الجملة، وما يتعلَّق به في التفصيل، والمعرفة: اسم لما يتعلَّق بالمعنى في التفصيل، وبيانه أنَّك تقول: أعلم زيداً، كما تقول: أعرف زيداً، فيتعلَّقان بذات زيد منفصلاً عن خبر يتعلَّق به، وتقول: علمت زيداً عالماً، فيتعلَّق العلم بمعنى الجملة المركَّبة من المبتدأ والخبر، ولا يقال: عرفت زيداً قائماً إلا إذا أريد بقولك: (قائماً) الحال لا الخبر. انظر تبصرة الأدلة (١/ ٧).

١٤ـ واجْزِمْ بأَنَّ أَوَّلاً مِمَّا يَجِبْ   مَعْـرِفَـةٌ وفِيـهِ خُلْـفٌ مُنْتَصِـبْ

. . . .

ارتفعت درجته، وإن أمكنت معرفتها عقلاً[١] كذا قيل، والأصحُّ أنَّها لا تجوز عقلاً كما لا تجوز شرعاً، كما في شرح الكبرى عن الإمام الغزالي[٢]. فإنَّ الحادث يقصر بالطبع عن عظيم هذا المقام.

قال الشريف المقدسيُّ[٣] في مفاتيح الكنوز:

ظَنَنْتَ جَهْـلاً بأَنَّ الله / تُدْرِكُـهُ   ثَوَاقِبُ الفِكرِ أو تَدْرِيهِ إِيْقَانا ١٢/أ
أو العُقُـولُ أَحَـاطَتْـهُ بَـدِيهَتُهـا   أَوْ هَل أَقَامَت بِهِ لَوْلاهُ بُرْهَانا[٤]
اللهُ أَعظَمُ قَدْراً أَنْ يُحيطَ بِهِ   عِلمٌ وعَقْلٌ ورَأْيٌ جَلَّ سُلْطانا
هَذا اعتِقَادِي فإنْ قَصَّرتُ في عَمِلِي   فَأَسأَلُ الله تَوفِيْقاً وغُفْرَانا[٥]

---

(١) أي: لو أعطى الله عقلاً القدرةَ على إدراك ذاته سبحانه لكان ذلك ممكناً لا مستحيلاً.
وقولُه: (كذا قيل) مطيّة التضعيف، والأصحُّ عدم الجواز كما ذكر الشارح.

(٢) سبقت ترجمته ص(١١٤).

(٣) عبد السَّلام بن أحمد بن غانم المقدسي عزُّ الدين، حكيم صوفيٌّ واعظ. من تصانيفه: حلُّ الرُّموز ومفاتيح الكنوز، الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية، توفي بالقاهرة سنة (٦٧٨هـ).
البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤)، شذرات الذهب (٥/ ٣٦٢).

(٤) أي: هل استطاعت العقول أن تقيم برهاناً لولا توفيق الله لها؟
فإذا كانت لا تستطيع ذلك إلا بفضل منه فكيف تستطيع هذه العقول القاصرة المحتاجة إلى توفيق الله ومدده أن تدرك ذاته سبحانه وتعالى؟!

(٥) الأبيات من قصيدة طويلة مطلعها:

يـا أيُّهـا المـدَّعـي للهِ عِـرْفَـانـا   وقـد تفـوَّه بـالتـوحيـد إعـلانـا
وتطلبُ الحقَّ بالعقلِ الضعيفِ وبالـ   ـقياسِ والـرأي تحقيقاً وتبيـانـا
ظننـــتَ جهـــلاً ... ...

انظر مفاتيح الكنوز وحلّ الرموز (ق٣٠/ ب ـ ٣١/ أ).

وفي الحديث: «إنَّ اللهَ احتَجَبَ عَنِ البَصَائِرِ كَما احتَجَبَ عَنِ الأَبْصَار، وإِنَّ المَلأَ الأَعْلى يَطْلُبُونَهُ كما تَطْلُبُونَهُ»[١]. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تفكَّروا في الخَلْقِ ولاَ تفكَّرُوا في الخَالِقِ؛ فإِنَّهُ لاَ تُحيطُ بِهِ الفِكْرَةُ»[٢].

وسئل أبو بكر الصدِّيق: بمَ عرفتَ ربك؟ قال: (عرفتُ ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي)، فقيل له: هل يتأتّى لبشر أن يدركه؟ فقال: (العجز عن الإدراك إدراك)[٣].

وسئل علي بن أبي طالب: بمَ عرفتَ ربَّك؟ قال: (عرفته بما عرَّفَني به نفسَه، لا يُدرَك بالحواسِّ، ولا يقاس بالقياس، ولا يُشَبَّه بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كلِّ شيء، ولا يُقال تحته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال أمامه شيء، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء، فسبحان من هو كذا، ولا يقال هكذا أحد سواه).

وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلمةٍ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيهم مِن

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٥٩٧) نقلاً عن ابن عربي في حقائق الأسماء. ولم نجده فيما بين أيدينا من كتب الحديث.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٥ ـ ٦٧) عن عبد الله بن سلام وابن عباس. وأخرجه الطبراني في الأوسط. والبيهقي في الشعب (١٢٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨١): وفيه الوازع بن نافع وهو متروك اهـ. وأخرجه الأصبهاني في الترغيب (٦٧٢) عن عمرو بن مرَّة مرسلاً. انظر الجامع الصغير (تَفَكَّرُوا في خَلْقِ اللهِ...) و(تَفَكَّرُوا في آلاءِ اللهِ...).

(٣) وأنشدوا في ذلك:

لا يَعْرِفُ اللهَ إلا اللهُ فاتَّئدوا   والدِّينُ دينانِ إيمانٌ وإشراكُ
وللعقولِ حُدودٌ لا تجاوِزُهَا   والعجزُ عنْ دَرْكِ الإدراكِ إدراكُ

انظر المقتدي بشرح الهدهدي على أم البراهين (١٨١).

نُورِهِ ، فمَن أَصَابَهُ ذلكَ النُّورُ هُدِيَ ، ومَن أَخطَأَهُ ذَلكَ النُّورُ ضلَّ»[١] ، أي: فمعرفة العبد ربَّهُ نور من الله يقذفه في قلبه ، فيُدرك بذلك أسرار ملكه ، ويشاهد غيب ملكوته ، ويلاحظ صفاته. وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] أي: منوِّرهما ، ومنوِّر قلوب المؤمنين فيهما ، وسَمَّى الحقُّ ذاته نوراً؛ لأنَّ النور هو الضياء المُظْهِر للأشياء ، فإذا سَمَّى ما يُظْهِرُ غيرَه بالإضافة إلى الإدراك نوراً ، فَلأَنْ يُسَمِّيَ مَن يُظْهِرُ الأشياءَ من العدم إلى الوجود بالإيجاد أَولى ، بل هو نور النور؛ لأنَّه مُظْهِرٌ لكلِّ نور. مَثَل نوره أي: نور الله في قلب المؤمن [كمشكاة][٣] ، والمشكاة كُوَّة غير نافذة فشبَّه صدره بالمشكاة ، وشَبَّه قلبه في صدره بالقنديل في المشكاة ، وشبَّه معرفته بالمصباح في القنديل ، وشبَّه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدريِّ المضيء ، وشبَّه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافي الذي يمدُّ السِّراج في الاشتعال.

وقد أطلق سيِّد الصوفية الجنيد[٤] القول: بأنَّه لا يعرف اللهَ إلا اللهُ.

وقال / العارفون: (سبحان مَن كان عينُ العلم به عينَ الجهل ١٢/ب

(١) أخرجه ابن حِبَّان في صحيحه (٦١٦٩) و(٦١٧٠). والحاكم (١/ ٣٠). وأحمد (٢/ ١٧٦). وغيرهم ، وإسناده صحيح ، وصحَّحه الحاكم ، وأقرَّه الذهبيُّ. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنَّة رقم (٢٤٣) و(٢٤٤).

(٢) سورة النور (٣٥) وتمام الآية: ﴿... مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٣) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٤) انظر ترجمة الشارح للجنيد في ص(٣٣٩).

به ، وعينُ الجهل به عينُ العلم به[١]، وسبحان من يُعْرَفُ بأنَّه لا يُعْرَف).

وسُئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال:

إن سألت عن أسمائه فقد قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢].

وإن سألت عن صفاته فقد قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] إلى آخر السورة.

وإن سألت عن أقواله فقد قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

وإن سألت عن أفعاله فقد قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٥].

وإن سألت عن نعته فقد قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦].

وإن سألت عن ذاته فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾[٧].

---

(١) أي: مَن قال: عرفتُ الله على حقيقته وصفناه بالجهل.
ومَن قال: لا يعرف حقيقة الله أحد ، وأنا أجهل تلك الحقيقة ، وصفناه بالعلم.

(٢) سورة الأعراف (١٨٠).

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) سورة النحل (٤٠).

(٥) سورة الرحمن (٢٩).

(٦) سورة الحديد (٣).

(٧) سورة الشورى (١١).

١٤ـ واجْزِمْ بأَنَّ أَوَّلاً مِمَّا يَجبْ   مَعْرِفَةٌ وفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبْ

قال أبو يزيد البسطامي[١] في مقام المعرفة والتوحيد: (خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله)[٢].

وهذا كلام مُشكِل الظاهر، وأجيب عنه بثلاثة أجوبة:

الأوَّل: أنَّ معنى قوله: (وقفت الأنبياء بساحله) أنَّهم خاضوه وانتُشلوا منه، فوقفوا على ساحله الثاني؛ لعلوِّ درجته، وأمَّا أنا فقد خضت ذلك البحر واستمَرَّيْتُ[٣] غارقاً فيه.

الثاني: أنَّ المراد بالأنبياء ما عدا نبينا ﷺ فإنَّه أعطي معارف لم يَصِلْ إليها الأنبياء، وقد وصل هذا العارف لبعضها بالتَّبع له ﷺ ولا محظور في ذلك[٤].

الثالث: أنَّ الأنبياء شارعون، فلم يخوضوا ذلك البحر خوفاً على

---

(١) طيفور بن عيسى بن سروسان البَسطامي، زاهد مشهور، نسبته إلى بَسطام: بلدة بين خراسان والعراق، ولد سنة (١٨٨هـ)، وتوفي سنة (٢٦١هـ).
وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١)، حلية الأولياء (١٠/ ٣٣)، اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ١٥٢).

(٢) ولو أنَّ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ لم ينقل هذا القول عن أبي يزيد في كتاب يبيِّن فيه عقيدة أهل السنة والجماعة لكان أولى، حتى لا يتجشَّم تأويل هذا القول الذي يحتاج إلى التحقيق في نسبته إلى أبي يزيد. فقد سئل ابن حجر الهيتمي عن هذا القول، فأجاب: لم يصح عنه، وإن صح تعين تأويله بما يليق بجلالة الأنبياء. انظر قول ابن حجر في كتابه الفتاوى الحديثية (٢٣٥).

(٣) هذه لغة في استمرَّرْتُ أُبدل مكان اللام ياء؛ لكراهية التضعيف، وإرادة حرف أخفَّ. ونحوه تسرَّيت، والأصل تسرَّرْت، فلمَّا توالت ثلاث راءات أبدلوا إحداهنَّ ياءً. انظر كتاب سيبويه (٤/ ٤٢٤)، تاج العروس (٣/ ٢٦٤).

(٤) الإجابة الأُولى أَولى؛ لأنّ الواحد من أمَّة النبي ﷺ مهما وصل لا يفوق مقام واحد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلاماته أجمعين.

١٤ـ واجْزِمْ بأَنَّ أَوَّلاً مِمَّا يَجِبْ مَعْرِفَةٌ وفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبْ

. . . .

أممهم من اقتدائهم بهم في ذلك الخوض . وأما هذا العارف فليس بمشرِّع ، فلم يبالِ بما[١] يقال فيه ، وليس بمقتدى به ، وذلك كقصَّة موسى عليه السلام مع الخَضِر . وفي هذا القدر كفاية .

قوله : (وفيه خلف منتصب)

أي : اختلاف قائم في أوَّل الواجبات على المكلَّف .

فقيل : المعرفة وهو الحقُّ ، ولذا قدَّمه ، وأفرده عن قوله : (وفيه خلف) . وقيل : النظر . وقيل : أوَّل جزء منه[٢] . وقيل : القصد إليه[٣] . وقيل : الشكُّ[٤] ، وهو لأبي هاشم الجُبَّائي[٥] رئيس المعتزلة . وقيل : النطق بالشهادتين . وقيل : الإسلام . وقيل : التقليد . وقيل : أحد أمرين ، إمَّا التقليد أو المعرفة . وقيل : التفرُّغ للنظر بمعنى ترك الشواغل . وقيل : اعتقاد وجوب النظر . وقيل : الإيمان .

---

(١) في (م) : فيما . وما أثبتناه من (د) ، وهو الأفصح ، وبالى بالشيء يُبالي به إذا اهتمَّ به . لسان العرب (بلا) .

(٢) أي : المقدِّمة الأولى من النظر ، وهي : أن العالم متغيِّر .

(٣) القصد إلى النظر ، أي تفريغ القلب عن الشواغل اهـ . تحفة المريد (٤) .

(٤) ورُدَّ بأنَّه مطلوب زواله؛ لأنَّ الشكَّ في شيء من العقائد كفر ، فلا يكون مطلوباً حصوله ، ولعلَّهم أرادوا ترديد الفكر ، فيؤول إلى النظر ، وعلى كلٍّ هو قول للمعتزلة وغير مُعتمَد . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٣٩) ، وتحفة المريد (٢٤) .

(٥) سبقت ترجمته في ص(٨١) .

١٥ـ فانظُرْ إلى نَفْسِكَ ثُمَّ انْتَقِلِ   لِلعَالـم العُلْـوِيِّ ثُـمَّ السُّفْلِـي

النظر وسيلة لمعرفة الله

قوله: (فانظر... إلخ)

لمَّا كان أوَّلَ الواجبات المعرفةُ على الأصحِّ، وكان النظر وسيلة لها، كان واجباً.

وهو لغة: الإبصار والفكر.

واصطلاحاً: ترتيب أمور معلومة يُتوصَّل بها إلى مجهول، كما إذا أردت أن ترتِّب أموراً؛ لتعرف بها وجوده تعالى، وذلك / بأن تقول: ١٣/أ

العالَم متغيِّر، وهذه مقدِّمة صغرى عُلمت بالمشاهدة، وكلُّ مُتغيِّر حادث؛ فإن كان موجوداً بعد عدم فحدوثه ظاهر، وإن كان معدوماً بعد وجود، فكلُّ ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القِدَم[1]، فنتج: العالَم حادث. فتقول: العالَم حادث، وكلُّ حادث لا بدَّ له من مُحْدِث، وإلا لزم الترجيح من غير مرجِّح وهو محال[2]، فنتج: العالَم لا بدَّ له من محدِث، وهذا المحدِث واجب الوجود، إلى آخر الصفاتِ

---

(١) يوضَّح ذلك بالمثال التالي:
ابني مثلاً وُجِد بعد عدم، فهذا تمَّ بالمشاهدة، وحدوثه ظاهر.
وجدِّي مثلاً عُدم بعد وجود، ولم أرَ وقت ولادته، ولكنَّه طالما عُدم بعد وجود فهو حادث؛ لأنَّ القديم لا يعدم.
ومن هنا نقول: كلُّ ماله بداية أو نهاية فهو ليس بقديم، إنَّما هو حادث.

(٢) لأنَّ العالَم بحدِّ ذاته ممكن، فوجوده وعدمه متساويان، وترجيح أحدهما بدون مرجِّح مستحيل، لذلك لا بدَّ له من موجِد أوجده، وهو الله تعالى. وهذا دليل وجوده سبحانه.

التي يتوقَّف عليها الإيجاد [١] ، وإلا ما وُجِد العالَم .

قوله : (إلى نفسك)

أي : لأنها أقرب الأشياء إليك ، قال تعالى : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[٣] .

فإذا تأمل الإنسان نفسه وجدها مشتملة على سمع وبصر وكلام وذوق وشمٍّ ولمس وطول وعرض ورضا وغضب وحزن وفرح وغير ذلك ، وكلها خارجة من العدم إلى الوجود ، ومن الوجود إلى العدم ، فهي حادثة مفتقرة لصانع حكيم واجب الوجود . . . إلخ .

وقوله : (إلى نفسك) الكلام على حذف مضاف ، أي : إلى أحوال نفسك .

والمراد بالنفس الذات ، وإنما بدأ بها لما ورد : «مَن عرف نفسه عرف ربه»[٤] .

فقيل : معناه مَن عرف نفسه بالحدوث والفقر عرف ربه بالقدم والغنى .

---

(١) وهي القدم والبقاء . . .

(٢) سورة الذاريات (٢١) .

(٣) سورة المؤمنين (١٢ ـ ١٣ ـ ١٤) .

(٤) لا أصل له باتفاق المحدثين ، قال الإمام النووي في فتاويه (١٢٠) : (ليس هو بثابت) اهـ . وتابعه على ذلك السيوطي في الحاوي (٢/ ٢٣٩) ، والسخاوي في المقاصد (٤١٩) وغيرهما . ونقل الزركشي في التذكرة (١٢٩) عن أبي المظفر السمعاني أن هذا الحديث محكي عن يحيى بن معاذ الرازي من قوله . انظر كشف الخفا (٢/ ٣٦٢) ، والدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة رقم (٣٩٣) .

١٥ - فانظُرْ إلى نَفْسِكَ ثُمَّ انْتَقِلِ   لِلعَالـم العُلْـوِيِّ ثُـمَّ السُّفْلِـي

أي: مَن تفكّر في بدائعها استدل بها. وقال الشريف المقدسي [١] في مفاتيح الكنوز وحل الرموز:

(هو إشارة للتعجيز، أي: أنت لا تعرف نفسك، فلا تطمع في كنه ربك).

قوله: (للعالم العلويِّ)

أي: كالسَّموات السبع، والعرش والكرسيِّ والملائكة والليل والنهار والسحاب.

وقوله: (ثمَّ السفلي)

أي: كالأرض وما حوت من أشجار وأنهار قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢]، فمن تأمَّل تلك الأشياء، وعرف أنَّها مخلوقة لله سبحانه وتعالى، وهو مُتصرِّف فيها بالإيجاد والإعدام، والحركة والسكون، كان عارفاً بالدَّليل. قال بعض العارفين:

وَفـي كُـلِّ شَـيءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ علـى أنَّـهُ الـواحِـدُ [٣]

---

(١) سبقت ترجمته ص (١١٩) وانظر مفاتيح الكنوز... (ق ٢٦/ ب - ٢٧/ أ).

(٢) سورة البقرة (١٦٤).

(٣) البيت من مجموعة أبيات قالها أبو العتاهية ليدل بها على سلامة عقيدته وهي:

ألا إننـا كلّنـا بـائـدُ   وأيُّ بنـي آدم خـالـدُ
وبَـدؤهـمُ كـان مـن ربهـم   وكـلٌّ إلـى ربـه عـائـدُ
فيـا عجبـاً كيـف يُعصـى الإلـ   ـهُ أم كيـف يجحـده الجاحـدُ
وفـي كـل شـيء لـه آيـةٌ   تـدل علـى أنـه واحـدُ

انظر الأغاني (٤/ ١٢٤٩).

١٦ـ تَجِدْ بِهِ صُنْعَاً بَدِيعَ الحِكَمِ   لَكِـنْ بِـهِ قَـامَ دَلِيـلُ العَـدَمِ

قوله: (تجد به) أي: تعلم، وتتحقَّق فيه.

١٣/ب قوله: (صنعاً) يعني صنعة باهرة وبديعة على غير مثال سابق /

قوله: (لكن به قام دليل العدم... إلخ)

هذا ردٌّ على الفلاسفة القائلين: (إنَّ العالَم من عرشه لفرشه قديم) فردَّ عليهم بقوله:

...   .   لَكِـن بِـهِ قَـامَ دَلِيـلُ العَـدَمِ

يعني وإن كان العالَم متقناً بديعاً، هو حادث؛ لِمَا قام به من دليل العدم؛ لأنَّه أجرام وأعراض[١]، فحدوثُ الأعراضِ بمشاهدة التغيُّر، والأجرامِ لملازمتها لها، وملازم الحادث حادث بالضرورة[٢].

---

(١) العالم كلُّه محصور في المقولات العشرة، وهي الجوهر وأعراضه التسعة: **الكمُّ** بقسميه المتصل: أي المقدار من طول وعرض وعمق. والمنفصل: أي العدد. **والكيف**: أي الصفة. **والإضافة**: كالأبوَّة والبنوَّة. **والأين**: وهو حصول الشيء في المكان. **والمتى**: وهي حصول الشيء في الزمان. **والوضع**: وهو هيئة تحصل للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها إلى بعض، نسبة تخالف الأجزاء لأجلها بالقياس إلى الجهات كالتربُّع والافتراش. **والملك**: وهو كون الجسم بحيث يحيط بكلِّه أو ببعضه ما ينتقل بانتقاله كالتقميص والتعميم. **والفعل**: وهو كون الشيء مؤثِّراً في غيره، ما دام مؤثِّراً. **والانفعال**: وهو كون الشيء متأثِّر الغير، ما دام متأثِّراً.
ونظمها بعضهم فقال:

زيدُ الطَّويلُ الأَزْرَقُ ابن مالكِ   في بيتِـهِ بـالأمْـسِ كـانَ مُتَّكـي

في كفِّـهِ غُصْـنٌ لـواهُ فـالتـوى   فهـذِهِ عَشْـرُ مقـولاتٍ سـوى

كتاب المقتدي بشرح الهدهدي للسحيمي ص(٣١).

(٢) شرح الباجوري الشطر الأخير بقوله: (أي: بالعالم ـ بمعنى الأجرام ـ قام دليل جواز العدم، فهو على تقدير مضاف) انظر تحفة المريد (٢٦). فإنَّنا لو نظرنا =

١٧ـوكُلُّ مَا جَازَ عَلَيه العَدَمُ   عَلَيْـهِ قَطْعَـاً يَسْتَحِيـلُ القِـدَمُ

. . . .

قوله: (وكلُّ ما جاز عليه العدم. . . إلخ)

هذه كُبْرى قياسٍ مطويِّ الصغرى[١] ؛ لدلالة قوله:

. . .   .   لكِـنْ بِـهِ قَـامَ دلِيـلُ العَـدَمِ

وتقريره أن تقول: العالم جائز عليه العدم.

وكلُّ ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم.

فنتج: العالَم استحال عليه القِدم، أي: فيكون حادثاً؛ لأنَّه لا واسطة[٢] بين القديم والحادث؛ لأنَّ المراد بالعالَم كلُّ ما سوى الله من الموجودات فقط، إن مشينا على الراجح من أَنَّ الحقَّ: أَنْ لا حال[٣]، وأمَّا إن مشينا

= إلى موجود الآن كالباب مثلاً فإنَّه لا يقوم دليل العدم؛ إذ هو موجود، وليس معدوماً، وإنَّما هو قابل للعدم، وكل ما جاز عليه العدم استحال عليه القِدَم.

(١) أي: هذا قياس اقترانيٌّ لأنَّه مؤلَّف من مُقَدّمتين مشتركتين في أمر يناسب طرفي المطلوب:
- المقدِّمة الصغرى، وهي محذوفة، وهذا معنى قوله: (مطوي الصغرى).
- المقدِّمة الكبرى، وهي مذكورة.
انظر تعريف القياس الاقتراني في مطالع الأنظار على طوالع الأنوار للأصفهاني (٤٤).

(٢) أي: لا حالة ثالثة بين القدم والحدوث، وبانتفاء القدم يثبت الحدوث. وكلمة (واسطة) هنا مأخوذة من علماء المنطق؛ إذ معنى ذلك عندهم: وجود فرَض ثالث لفرَضين.
فقولنا مثلاً: زيد جالس، أو واقف، هذان فرَضان، والواسطة أن يقول آخر: بل هو نائم أو سابح أو راكض مثلاً.
فالواسطة هنا نفت الصفتين (جالس وواقف) وأثبتت صفة ثالثة.

(٣) أي: من أنَّ الصواب أَنْ لا واسطة بين الموجود والمعدوم.

على مذهب من يُثبت الأحوال[1] ، فتقول: العالَمَ كلُّ ما سوى الله من الموجودات والأحوال ، فالمعدومات على كلٍّ حال ليست من العالم ، فلا يقال شريك الباري من العالم.

الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما

قوله: (وفُسِّر الإيمان)

أي: الشرعيُّ ، لمَّا كان الإيمان والإسلام من مباحث هذا الفنِّ ، بل هما المقصودان منه ، استشعر سؤالَ سائل عنهما ، فأجاب بما ذكر.

والإيمان لغةً: مطلق التصديق.

واصطلاحاً: تصديق النبي ﷺ فيما جاء به مِمَّا عُلم من الدِّين ضرورة[2]: كالصلاة والصيام والزكاة والحجِّ.

---

(١) أي: يثبت أنَّ هناك واسطة بين الموجود والمعدوم ، وهي الأحوال ، والمراد بالأحوال عند أصحاب هذا القول الوجودُ ، فقولنا مثلاً: (فلان على الكرسيِّ) ينبىء بوجوده ، والوجود هذا واسطة بين كون فلان على الكرسيِّ ، وكونه ليس كذلك . وهذا الوجود في نظرهم غير الموجود (وهو فلان).
ومن أثبت الأحوال أبو بكر الباقلّاني وإمام الحرمين الجويني. ولكنَّ المعتمد ما اتفق عليه الجمهور من نفي الحال . انظر مطالع الأنظار على طوالع الأنوار (٩٩). وشرح المقاصد (١/ ٥٩).

(٢) أي: ما عَلم به العامَّة والخاصَّة ، ولا حاجة للرُّجوع إلى النصوص والعلماء في فَهم هذا العلم ، كفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج وحرمة الزنى وشرب الخمر. انظر تحفة المريد ص(١٢٤) ، وصفحة (٤١٧) من هذا الكتاب.

١٨ـ وفُسِّرَ الإِيْمانُ بالتَّصْدِيقِ والنُّطْقُ فِيه الخُلْفُ بالتَّحْقِيقِ

. . . .

والإسلام لغةً: مُطْلَق الانقياد، يقال: أسلمَتِ الدَّابَّة، واستسلمت بمعنى انقادت.

واصطلاحاً: الانقياد إلى ما جاء به النبي ﷺ مِمَّا عُلِمَ ضرورة.

فالإسلام: انقياد ظاهريٌّ ناشىء عن تصديق باطنيٍّ.

والإيمان: تصديق باطنيٌّ ينشأ عنه انقياد ظاهريٌّ، فتغايرا مفهوماً[١]، ولكن بينهما تلازم[٢].

فإذا علمت: أنَّ الإيمان تصديق النبيِّ بما جاء به، مِمَّا صار كالمعلوم بالضرورة، تعلم أنَّه يجب الإيمان بالأنبياء والرسل، ولا يعلم عدَّتهم إلاَّ الله على الصحيح.

ويجب الإيمان تفصيلاً بمن اشتُهر منهم، وهم خمسة وعشرون مُجمَعٌ عليهم، وثلاثة مختلف فيهم. ثمانية عشرة في آية: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾[٣] في الأنعام. وسيِّدنا محمَّد وآدم وصالح وشعيب وهود وإدريس وذو الكفل.

والثلاثة المختلف فيهم: ذو القرنين، ولقمان، والعُزَير.

---

(١) لأنَّ الناشىء عن شيء (وهو الإسلام) غير الشيء نفسه (وهو الإيمان).

(٢) من حيث نفعُ صاحبهما؛ إذ لا يكون الإنسان مقبولاً إلا إذا كان مؤمناً مسلماً في آنٍ واحد.

(٣) والآية بتمامها مع ما بعدها: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٨٣ ـ ٨٦).

١٨ـ وفُسِّرَ الإيْمانُ بالتَّصْدِيقِ والنُّطْقُ فِيه الخُلْفُ بالتَّحْقِيقِ

ويجب الإيمان إجمالاً بجميع الملائكة، وتفصيلاً بمن اشتُهر
١٤/أ منهم / وهم:

جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورقيب وعتيد ورضوان ومالك.

وأمَّا منكر ونكير فلا يكفر منكرهما؛ لأنَّه اختلف في أصل سؤال القبر[(١)].

وقولنا: (ولكن بينهما تلازم... إلخ) هو الصحيح، ولا يبعده قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(٢)] لأنَّ تغاير مفهوم المسلم والمؤمن كافٍ في العطف، فلا يلزم منه مغايرة ذات المؤمن لذات المسلم.

ومحلُّ التلازم المذكور أَنْ كان منه انقياد ظاهريٌّ وتصديق باطنيٌّ، وإلا فلا تلازم بينهما.

بل قد يكون مؤمناً، وليس بمسلم؛ إنْ كان معه تصديق، ولم يَثْبُت منه نطق. وقد يكون مسلماً وليس بمؤمن، إن كان معه انقياد ظاهريٌّ دون تصديق، وهو معنى قوله تعالى:

﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[(٣)].

فإنَّ المعنى: لم يكن منكم تصديق بالقلب، إنَّما كان منكم انقياد ظاهريٌّ، ولم يدخل التصديق في قلوبكم. فتأمَّل.

---

(١) لأنَّه ثبت في الأثر بغير تواتر. انظر العقائد النسفيَّة (١٦٠).

(٢) سورة الأحزاب (٣٥).

(٣) سورة الحجرات (١٤).

١٨ـ وفُسِّرَ الإِيْمانُ بالتَّصْدِيقِ والنُّطْقُ فِيـه الخُلْفُ بالتَّحْقِيقِ
١٩ـ فقِيلَ شَرْطٌ كالعَمَلْ وقِيلَ بَلْ شَطْرٌ والإِسْلاَمَ اشْرَحَنَّ بالعَمَلْ

قوله: (والنطق فيه الخُلف. . . إلخ)

هذا مقيَّد بالكافر الأصليِّ، وأمَّا أولاد المسلمين فمسلمون، ولو لم ينطقوا طول عمرهم، غير أنَّهم خالفوا الواجب الفرعيَّ، فالكافر الأصليُّ القادر على النُّطق، وترَكه كافرٌ في الدَّارين، وإن تركه لعذر كخرس، أو مات فوراً، وقامت قرائن دخوله في الإسلام بغير النطق كإشارة مُفهمة أو نحو ذلك، فمسلم عندنا وعند الله، وإلاَّ فمؤمن عند الله فقط.

قوله: (فقيل شرط)

١ ـ أي: لإجراء الأحكام الدنيويَّة، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهمَّ ثَبِّتْ قَلبي على دِينِكَ»(٢)، (٣).

قال شيخنا الأمير(٤): سمعنا من المشايخ كثيراً أنَّ المدار عند المالكية

---

(١) سورة المجادلة (٢٢).

(٢) رواه بهذا اللفظ ابن ماجه رقم (٣٨٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال البوصيري في الزوائد (٢/ ١٩٩): وهذا الحديث ضعيف؛ لأنَّ مداره على يزيد الرقاشيِّ. ويزيد هذا ضعَّفه كثير من علماء الحديث. انظر ميزان الاعتدال (٤/ ٤١٨).
وهو بنحوه عند الترمذي (٢١٤٠)، وابن حِبَّان (٩٤٣)، وأحمد بن حنبل (٤/ ١٨٢)، والحاكم (١/ ٥٢٥). وقد صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) الآية والحديث كلٌّ منهما دليل على أنَّ الإيمان في القلب، وهو التصديق فقط. أمَّا النطق فشرط لإجراء الأحكام الدنيويَّة من التوارث والتناكح وغير ذلك؛ لأن التصديق القلبي وإن كان إيماناً إلا أنه باطن خفي، فلا بدَّ له من علامة ظاهرة تدل عليه؛ لتُعَلَّق به تلك الأحكام. انظر تحفة المريد (٢٩).

(٤) محمَّد بن محمَّد السنباوي الأزهري، عالم بالعربية من فقهاء المالكية، ولد بمصر =

١٩ ـ فقِيلَ شَرْطٌ كالعَمَلْ وقِيلَ بَلْ شَطْرٌ والاِسْلاَمَ اشْرَحَنَّ بالعَمَلْ

على أيِّ لفظ يفيد الوحدانية والرسالة، ونقله المصنِّف في شرحه[1] عن الأُبِّي[2] مخالفاً لشيخه ابن عرفة[3] المشترط اللفظ المخصوص، ونحوه للرملي[4]، وجماعة من الشافعية، ونحو ما للأُبِّي للنووي[5]، لكنَّ

= سنة (١١٥٤هـ) اشتهر بالأمير؛ لأنَّ جدَّه كانت له إمرة في الصعيد، أصله من المغرب، توفِّي سنة (١٢٣٢هـ). من مؤلَّفاته: حاشية على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد، حاشية على مغني اللبيب. انظر شجرة النور الزكية (٣٦٢ ـ ٣٦٣)، وحلية البشر (٣/ ١٢٦٦).

(١) انظر عمدة المريد للقاني ج١ (ق١٠٤/ ب)، وهداية المريد للقاني أيضاً (ق٣٩/ أ ـ ب).

(٢) أبو عبد الله محمَّد بن خلف، المعروف بالأُبِّي الوشتاتي، البارع المحقِّق الأصولي، أخذ عن أئمَّة منهم ابن عرفة، وهو من أكابر أصحابه، توفِّي سنة (٨٢٨هـ).
من مؤلَّفاته: إكمال الإكمال شرح على صحيح مسلم، وله نظم وتفسير.
انظر شجرة النور الزكية (٢٤٤). والبدر الطالع (٢/ ١٦٩) وعنده محمد بن خِلْفَة.

(٣) محمَّد بن محمَّد الورغمِّي أ ـ عبد الله، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده سنة (٧١٦هـ). من كتبه: المختصر الشامل في التوحيد، المختصر الكبير في الفقه المالكي، توفِّي سنة (٨٠٣هـ). انظر شجرة النور الزكية (٢٢٧).

(٤) محمد بن أحمد بن حمزة الرمليُّ المصري الشافعي (شمس الدين) فقيه، شارك في بعض العلوم، ولد في القاهرة سنة (٩١٩هـ)، نسبته إلى الرَّملة من قرى المنوفيّة بمصر، توفي سنة (١٠٠٤هـ). من تصانيفه: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي، الفتاوى، غاية البيان في شرح زبدة الكلام. انظر خلاصة الأثر (٣/ ٣٤٢). ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٥) يحيى بن شرف، الحزامي، الحوراني، الشافعي، أبو زكريا محيي الدين النووي، علاَّمة بالفقه والحديث، مولده في (نوى) سنة (٦٣١هـ)، ووفاته فيها سنة (٦٧٦هـ)، تعلَّم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. له مؤلَّفات كثيرة =

المصنِّف رجَّح التقييد بخصوص هذا اللفظ، ونقل أيضاً الخلاف في الترتيب[1]، وظاهره تقوية اشتراطه. فانظر اهـ[2].

٢ ـ وقيل: شرط في صحَّة الإيمان، والمعتمَد الأوَّل.

قوله: (كالعمل)

تشبيه في مطلق الشرطيَّة[3]؛ لأنَّ المختار عند أهل السنَّة: أنَّ الأعمال الصالحة شرط كمال للإيمان، فالتارك لها أو لبعضها من غير استحلال ولا عناد ولا شكّ في مشروعيَّتها مؤمن، فوَّت على نفسه كمال الإيمان.

قوله: (وقيل: بل شطر)

أي: جزء من حقيقة الإيمان، وهذا القول لأبي حنيفة[4]. وجماعةٌ من الأشاعرة/ يقولون: (إنَّ النطق ركن داخل في حقيقة الإيمان، دون ١٤/ب سائر الأعمال الصالحة)، فالإيمان عندهم اسم لعمليَ القلب واللسان جميعاً، وهذا في غير المعذور، وإلا فيكفي التصديق للمعذور اتفاقاً. فتحصَّل أنَّ الأقوال ثلاثة لكنَّها ترجع إلى قولين؛ لأنَّ مَن قال: (إنه شرط

= منها: تصحيح التنبيه في فقه الشافعية، حلية الأبرار، رياض الصالحين، انظر النجوم الزاهرة (٧/ ٢٧٨).

(١) أي ترتيب الشهادتين بتقديم وتأخير. انظر عمدة المريد للقاني ج١ (ق١٠٢/ ب).

(٢) انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٤٩).

(٣) أي: النطق شرط، والعمل شرط آخر، لكن كلٌّ منهما مغاير للآخر، فالأوَّل لإجراء الأحكام، والثاني شرط كمال، لذا كان التشبيه بينهما لمطلق الشرطية. انظر تحفة المريد (٢٩).

(٤) انظر ترجمة الشارح للإمام أبي حنيفة ص(٣٣٧). وانظر شرح الفقه الأكبر لملاّ علي القاري (٨٥).

١٩ـ فقِيلَ شَرْطٌ كالعَمَلْ وقِيلَ بَلْ   شطْرٌ والاسْلاَمَ اشْرَحَنَّ بالعَمَلْ
٢٠ـ مِثالُ هَذا الحَجُّ والصَّلاةُ   كـذَا الصِّيَـامُ فـاذْرِ والـزَّكَـاةُ
. . . .

صحة) فقد وافق القائل في المعنى بأنَّه شطر .

وبقـي قول ثالث وهـو: أنَّ الإيمان مركَّب من تصديق ونطق وعمل ـ وهو للمعتزلة ـ وعليه فمَن ترك واجباً كالصلاة ، أو فَعَلَ حراماً كالزنى فهو كافر . وسيأتي للمتن ردُّه بقوله:

. . .   .   ولاَ نُكَفِّـر مُـؤْمِنَـاً بـالـوِزْر [١]

قوله: (اشرحنَّ بالعمل)

أي: وضِّحه بالعمل الصالح ، وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيَّات، والمراد الإذعان لتلك الأحكام ، وعدم ردِّها سواء عملها أم لا .

قوله: (مثال هذا)

[المثال][٢] جزئي يذكر لإيضاح القاعدة ، والشاهد جزئيٌّ يذكر لإثبات القاعدة .

واسم الإشارة يعود على العمل الذي فَسَّر به الإسلام .

قوله: (الحجُّ . . . إلخ)

أي: بعد النطق بالشهادتين؛ لأنَّه لا بدَّ منهما في ثبوت الإسلام .

والحـاصـل: أنَّ النطـق بـالشهـادتين مـن الإسـلام ، وتقـدَّم الكـلام عليه ، وأنَّ الحجَّ وما عطف عليه ليس بلازم الاتصاف بأدائه بالفعل ، بل المدار على الإذعان والقبول ، وعدم مقابلتها بالرد والاستكبار . فتأمَّل .

---

(١) انظر ص(٤٠٤) من هذا الكتاب .

(٢) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

٢١ـ ورُجِّحَتْ زِيَادَةُ الإيْمانِ   بِمَـا تَـزِيْـدُ طَـاعَـةُ الإنْسَـانِ
. . . .

الخلاف في زيادة الإيمان ونقصه

قوله: (ورجِّحت زيادة الإيمان. . .إلخ)

تقدَّم أنَّ عمل الجوارح من كمال الإيمان، فمَن صدَّق بقلبه، ونطق بلسانه، ولم يعمل بجوارحه، فهو مؤمن ناقص، فلمَّا كان له مَدْخَلِيَّة في كمال الإيمان شرع يتكلَّم على زيادته بالعمل ونقصه بنقصه، فقال: (ورجِّحت. . .إلخ).

وهذا الترجيح لجمهور الأشاعرة، والماتريدية، ومالك، والشافعي، وأحمد[1]. وحجَّتُهم: العقل والنقل.

أما العقل: فلأنَّه يلزم عليه مساواة إيمان المنهمكين في الفسق والمعاصي لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم باطل فكذا الملزوم[2].

---

(١) بقي من الأئمَّة الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إذ عنده الإيمان واحد، وهو: الجزم والتصديق، ولا يزيد بالطاعات، ولا ينقص بالمعاصي، ويقول ـ رحمه الله ـ: (إيماني كإيمان جبريل عليه السلام). وقد تبعه في ذلك بعض الماتريدية. وهو اختيار إمام الحرمين.
انظر شرح ملا علي القاري للفقه الأكبر (١٢٦ ـ ١٢٧). وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ٢٩٢).

(٢) المراد باللَّازم هنا المساواة بين إيمان أهل المعاصي، وإيمان الأنبياء والملائكة، وهو باطل في نظرهم، فكذا الملزوم أي: الإيمان لا يزيد ولا ينقص بالعمل.
وردَّ القائلون بعدم الزيادة والنقصان: بأنَّ الاختلاف بين أفراد المؤمنين بما فيه كمال الإيمان من الطاعات والمعاصي، أمَّا الجزم والتصديق فواحد.

وأما النقل : فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَـٰنًا . . . ﴾[1] .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : قلنا : يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : «نَعَم يَزِيدُ حَتَّى يُدْخِلَ صَاحبه الجَنَّةَ ، ويَنْقُصُ حَتَّى يُدْخِلَ صَاحِبَهُ النَّارَ»[2] .

وقال رسول الله ﷺ : «لَو وُزِنَ إيمانُ أَبِي بَكرٍ بإيمَانِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ»[3] .

وقال عمر في حقِّ أبي بكر : (ليت عملي[4] مدى عمري كيوم وليلة لأبي بكر ، إنَّما أنا حسنة من حسناته) .

---

(١) سورة الأنفال (٢).

(٢) كل حديث فيه أن الإيمان يزيد وينقص ، أو لا يزيد ولا ينقص فكذب مُخْتَلَق .
وهو كلام صحيح من إجماع السلف ، حكاه الشافعي وغيره . انظر المنار المنيف (١١٩).
وقد ذكر ابن ماجه في باب الإيمان: (الإيمان يزيد وينقص) من قول أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (١/ ٢٨).

(٣) لا أصل له في المرفوع ، وإنَّما هو من قول عمر . أخرجه من قول عمر البيهقيُّ في شعب الإيمان (٣٦) ، وغيره.
والمرفوع أخرجه ابن عديّ في الكامل (٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) وإسناده واهٍ.
انظر إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للمرتضى الزبيدي (١/ ٣٢٣) و(٧/ ٥٧٢) ، وأحاديث القصاص (١٨).

(٤) قال عمر هنا رضي الله عنه : (ليت عملي) ، ولم يقل: (إيماني وتصديقي) وهذا حجَّة لأبي حنيفة ـ رحمه الله ـ ومن تبعه في ذلك.

٢١ ـ ورُجِّحَتْ زِيادَةُ الإِيْمانِ بِمـا تَـزِيـدُ طَـاعَـةُ الإِنْسَـانِ
٢٢ ـ ونَقْصُهُ بِنَقْصِهِ وقِيلَ لا وقِيلَ لا خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلا

. . . .

ومراد عمر باليوم والليلة يوم وفاته، عليه الصلاة والسلام، وليلة / الغار؛ فإنَّه رافقه في الغار، وثبَّت الناس حين دَهِشُوا يوم الوفاة. ١٥/أ

وأيضاً فإنَّ المشاهَد للشخص في نفسه أنَّه عند كثرة عبادته وذكره وإقباله على الله، يجد في نفسه رقَّة ونوراً، لم يوجد عند عدم الطاعة[١].

قوله: (طاعة الإنسان)

هذا هو الشأن، وإلا فقد يزيد من فضل الله، لا بسبب طاعة.

قوله: (وقيل لا)

أي: وقال جماعة، منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه: إنَّه لا يزيد ولا ينقص؛ لأنَّه التصديقُ البالغُ حدَّ الجزم، فلو قلنا بنقصه لكان ظنّاً، وهو كفر، ولو قلنا بزيادته لكان لا معنى له؛ لأنَّه في غاية الجزم، وهو منتهى الزيادة.

ومحلُّ الزيادة والنقص، على القول به، في غير إيمان الأنبياء والملائكة؛ فإنَّ إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص، وكذا إيمان الملائكة على قول، وقيل: إيمانهم لا يزيد ولا ينقص.

إن قلت: إنَّ قوله تعالى في حقِّ الخليل: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾[٢] يوهم

---

(١) هذا كلام مسلَّم به إلا أنَّه لا علاقة له بالجزم والتصديق، إذ الإيمان واحد، والإقبال على الله يزيد القلب رقَّة ونوراً لا إيماناً.

(٢) سورة البقرة (٢٦٠) والآية بتمامها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أنَّ إيمان الأنبياء ينقص .

أجيب : بأنَّ المعنى : أوَ لم يكفك إيمانك الكامل ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئنَّ قلبي برؤية المعجزة الباهرة ؛ لتقوم له الحجَّة على قومه .

وتأوَّل أبو حنيفة ومَن تبعه أدلَّة الأوَّلِينَ بأنَّ آية : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1] المراد المُؤْمَنُ به[2] ؛ فإنَّ الصحابة كان يتجدَّد عليهم القرآن والأحكام شيئاً فشيئاً ، فكلَّما زادت الأحكام زاد علمهم بها[3] .

وتأوَّل الحديث : بأنَّ الزيادة والنقص ترجع إلى الأعمال لا التصديق .

ويُرَدُّ قوله بأنَّ التصديق مراتب قد تقدَّمت[4] ؛ فإنَّ تصديق المقلِّد ليس كتصديق العارف بالدَّليل ، وتصديق العارف بالدَّليل ليس كتصديق المراقِب ، وتصديق المراقب ليس كتصديق المشاهد ، وتصديق المشاهِد ليس كتصديق المستغرِق ، بل كلُّ واحد أعلى ممَّا قبله .

---

(١) سورة الأنفال (٢) . انظر تفسير هذه الآية في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية (٦/ ٢١٧) . فقد ذكر لزيادة الإيمان وجوهاً كلها خارجة عن التصديق نفسه .

(٢) انظر شرح مُلاَّ علي القاري على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ص (٨٧) وما بعدها .

(٣) أي : أفراد الإيمان ، فحين نزل قوله تعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ آمنوا بها ، ثمَّ نزل قوله تعالى : ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ آمنوا بالصلاة ، ثمَّ نزلت آية الزكاة فآمنوا بالزكاة ، وهكذا كلمَّا نزلت آية آمنوا بمضمونها ، فزادت أفراد الإيمان مع زيادة الآيات التي نزلت عليهم ، ولم يزد الجزم والتصديق .
انظر ما قاله التفتازاني في شرح المقاصد على زيادة المُؤْمَنِ به (٢/ ١٩٣).

(٤) انظر الصفحة (١١١ ـ ١١٢) من هذا الكتاب .

فالأوجَه قول الجماعة : إنَّ الزيادة والنقص للتصديق نفسه ؛ لوجود هذه الأدلَّة العقلية والنقلية . وغيرُ ذلك تأويلٌ لا يحتاج له .

ويحتمل أنَّ قول المصنف : وقيل [لا][١] ، يعني لا ينقص بل يزيد فقط ، وهو قول الخطَّابي[٢] : الإيمانُ **قولٌ** وهو لا يزيد ولا ينقص ، **وعملٌ** وهو يزيد وينقص ، **واعتقادٌ** وهو يزيد ولا ينقص ، فإذا نقص ذهب[٣] .

قوله : (وقيل : لا خلف)

هذا للفخر الرازي[٤] جامعاً بين القولين بحمل القول بالزيادة والنقص على الأعمال ، والقولِ بأنَّه لا ينقص ولا يزيد على التصديق . وهو مردود بأنَّ الخلاف إنَّما هو في أصل الإيمان ، وهو التصديق فهو حقيقيٌّ لا لفظيٌّ[٥] .

وأشار **بقوله : (كذا قد نُقِلا)** إلى التبرِّي منه ، وأنَّه غير معوَّل عليه ، وتقدَّم أنَّ المعوَّل عليه / الأوَّل . ١٥/ب

---

(١) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د).

(٢) حَمْدُ بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطَّاب البُستي ، أبو سليمان ، فقيه محدِّث من أهل بُست من بلاد كابل ، من نسل زيد بن الخطَّاب ، أخي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما . ولد سنة (٣١٩هـ) ، وتوفِّي سنة (٣٨٨هـ) . من كتبه : معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وإصلاح غلط المحدِّثين . انظر وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤) ، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٦٠) .

(٣) انظر حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية للدردير (١١٢) .

(٤) سبقت ترجمته ص(١١٥) . وانظر تفسيره مفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ سورة الأنفال (٢). (١٥/ ٩٦).

(٥) انظر إتحاف المريد (٥٦).

٢٣ـ فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ ... كَـذَا بَقَـاءٌ لا يُشَـابُ بـالعَـدَمْ

. . . .

١ ـ الصفات الواجبة لله تعالى

(النفسية ، السلبية ، المعاني ، المعنويَّة)

أ ـ الصفة النفسية واحدة وهي :

الوجود

قوله : (فواجب له الوجود)

اعلم أنَّ مباحث هذا الفنِّ ثلاثة :

الإلهيَّات : وهو ما يتعلَّق بالإله من واجب وجائز ومستحيل .

ونبوَّات : وهو ما يتعلَّق بالأنبياء ممَّا يجب لهم وما يستحيل وما يجوز .

وسمعيَّات : وهي ما دلَّ عليها النقل فقط ـ ولا مدخل للعقل فيها ـ كالحشر والنشر والصراط والجنَّة والنار ، وتقدَّم ذكرها إجمالاً في قوله : فَكُلُّ مَن كُلِّف شَرْعاً . . . إلخ[١]

وشرع الآن يفصِّل ما أجمله مقدِّماً للإلٰهيَّات ؛ لتعلُّقها بالحقِّ ، وما تعلَّق به مقدَّم على غيره ، وبدأ من الإلهيَّات بالواجب لشرفه ، مقدِّماً للوجود لأصالته ؛ فإنَّ ما سواه مفرَّع عليه .

---

(١) فكُلُّ من كُلِّفَ شَرْعَاً وَجَبَا ... علَيه أَنْ يَعرفَ مَا قَد وَجَبا
للهِ والجـائـزَ والمُمتَنِعـا ... ومثلُ ذا لِرُسْلِهِ فاستَمِعا

٢٣ـ فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ كَـذَا بَقَـاءٌ لا يُشَـابُ بـالعَـدَمْ

. . . .

قوله : (الوجود)

أي: الذاتيُّ وهو صفة نفسية ؛ والمراد بها : صفة ثبوتيَّة ، يدلُّ الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها .

فقولنا : (ثبوتية) خرج به الصفات السلبية كالقِدم والبقاء .

وقولنا : (على نفس الذات) خرج به صفات المعاني ؛ فإنَّها تدلُّ على معنى لا على ذات .

وبقولنا : (دون معنى زائد عليها) خرجت المعنوية .

واختُلف في الوجود : هل هو عين الموجود أو غيره .

والـذي عليـه الأشعـريُّ الأوَّل ؛ بنـاء علـى نفـي الأحـوال ، وهـو المعتمد ؛ لأنَّه لا واسطة بين الوجود والعدم عند الأشعريِّ ، فالوصف به[1] [أمر][2] اعتباري[3] ، يعتبره الشخص ، لا ثبوت له ، مثال ذلك : كما إذا أخرجت ثوباً من صندوق مثلاً ، فالثوب يوصف بالظهور ، وهو

---

(١) (به) أي : بالوجود .

(٢) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٣) الأمر الاعتباريُّ هو قيام الصفة بالذات ، وهو قسمان :
- أمر اعتباريٌّ اختراعيٌّ : وهو الذي يخترع بالذهن ، ولا وجود له في الواقع ، كتصوُّرنا جبلاً من ياقوت ، أو بحراً من زئبق .
- وأمر اعتباريٌّ انتزاعيٌّ : وهو ما انتُزِع من الهيئة القائمة ، كقولنا مثلاً : (قيام زيـد) فهـذا الوصف منـتزَع من الهيئـة ، فزيـد أمامنـا ، ووصفـه بالقيام أمر اعتبـاريٌّ انتزاعيٌّ ، والوجـود مـن هـذا القبيـل . انظر تحفـة المريد (٤٨) . وتقريرات الأُجهوري عليها.

أمر اعتباريٌّ لا ثبوت له في الخارج ـ بحيث يصحُّ أن يرى [(١)] ـ ولا[(٢)] في نفسه ، بل هو أمر يعتبره الشخص في نفسه فقط .

وعلى هذا فتسمية الوجود صفة[(٣)] بناء على قول بعض المحقِّقين : ليس المراد بالصفة المعنى القائم بالشيء ، بل[(٤)] ما يُحكم به عليه ، سواء كان عين حقيقته أو قائماً بها أو خارجاً عنها . فدخل في هذا التعريف الوجودُ ، وصفات السلوب ، وصفات المعاني ، والصفات المعنوية . ولو على القول بنفي الأحوال[(٥)] . فتأمَّل .

وقولنا : (أي الذاتي) معناه : أنَّه وجد لذاته[(٦)] ، ولا مدخل لغيره فيه ، فوجوده واجب لذاته ، لا يقبل الانتفاء أزلاً ولا أبداً .

---

(١) نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (الظهور) .

(٢) في (د) : بحيث يصحُّ أن يرى في نفسه .

(٣) هذا قول آخر في تعريف الوجود : وهو أن الوجود صفة .

(٤) هذا تفسير للصفة ، بأنَّ المراد منها ما يحكم به عليه سواء كان عينَ حقيقته كقولنا : الله موجود ، أو قائماً به كقولنا: الله قادر ، أو خارجاً عنه كقولنا : الله قديم ، فقد نفينا عنه الحدوث .

(٥) ونفي الأحوال هو المعتمد عند المحقِّقين ؛ إذ يقولون : (الحال محال) .
وصار المراد من الجملة الأخيرة : أنَّه لا مانع من وصف الشيء بصفة تكون عين حقيقته ، أو قائمة به ، أو خارجة عنه ، مع نفي الأحوال .

(٦) ولا يعني (أنَّه وجد لذاته) أنَّه أوجد ذاته ؛ إذ لا يقول هذا الكلام عاقل ، إنَّما يعني : أنَّه لا مدخل لغيره في وجوده ، وهو احتراز عن الوجود المسبَّب عن الغير . انظر تحفة المريد (٣٤) .

وقولنا : (لذاته) احترازاً من تعلُّق علم الله بوجود وَلَدٍ لشخص مثلاً ، فوجود الولد واجب ، لكن ليس لذاته بل لتعلُّق علم الله به[1] .

والدَّليل على كونه واجب الوجود أن تقول : الله مفتقر إليه العالَم ، وكلُّ ما افتقر إليه العالَم فهو واجب الوجود ؛ لأنَّه لو كان جائز الوجود لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث ، ولو افتقر إلى محدث لافتقر محدثه إلى محدث / ، فيلزم إما الدَّور[2] أو التسلسل[3] ، وما أدَّى للدور ١٦/أ باطل ؛ لأنَّه يلزم عليه تقدُّم الشيء على نفسه وتأخُّره عنها ، وهو تناقض ، فهو محال ، وكذا ما أدَّى للتسلسل ؛ لأنَّه يلزم عليه وجود حوادث لا أوَّل لها ، وهو باطل للتناقض ؛ لأنَّ مقتضى كونها حوادث أن تكون لها أوَّل ، فبطل افتقار محدِثه إلى محدِث ، ويلزم منه بطلان افتقاره إلى محدث ،

---

(١) وهناك مثال أوضح ، وهو قوله تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ سورة هود (٣٦) . لذلك صار في عقيدة سيِّدنا نوح أنَّ إيمان مَنْ لم يؤمن مستحيل ، وذلك لتعلُّق علم الله به لا لذاته ، ولهذا دعا عليهم بالهلاك . انظر تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٧) .

(٢) الدَّور : هو توقُّف كل واحد من الشيئين على الآخر اهـ . الكليات (٢/ ٣٣٤) .
ومثاله : مالو فُرض أن أحدهم أراد الانتساب إلى كلية جامعية ، فقيل له : إن ذلك متوقف على أن يكون موظَّفاً ، ولما طَلَب التوظيف قيل له : إن ذلك متوقف على أن يكون متخرجاً من كلية جامعية ، فإن تحقيق أحد الغرضين مستحيل ما دام الأمر كذلك . انظر كبرى اليقينيات الكونية(٨٦) .

(٣) التسلسل : ترتُّب أمور غير متناهية اهـ . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٠) .
ومثاله : ادِّعاء أحد حقيقة علمية ، ولما سُئل عن دليلها ذكر برهاناً مجهولاً يتوقف على برهان ، ولما سُئل عن برهان هذا البرهان جاء ببرهان مثله يتوقف على برهان آخر ، وهكذا إلى مالا نهاية ، فمن ذلك يتبيَّن أن ادعاء تلك الحقيقة العلمية باطل . انظر كبرى اليقينيات الكونية (٨٣) .

ولزم منه بطلان كونه حادثاً ، ولزم منه بطلان جواز وجوده ، فثبت وجوب وجوده ؛ لأنَّه لا واسطة بينهما .

تنبيـــه :

شاع على ألسنة العوام : (الله موجود في كل الوجود) ، وهو كلام صحيح في نفسه ؛ لأنَّ مفاده وحدة الوجود ، لكنَّه غير لائق منهم ؛ لإيهام الحلول[(١)] ، وتأويله أن تقول :

معناه أنَّـه مع كلِّ موجـود أي : لا يغيب عن موجود[(٢)] أصـلاً ، ومعيَّتـه معه معناها تصرُّفه فيه وتدبيره له معيَّة معنويَّة لا يعلمها إلا هو ، كما أنَّ ذاته لا يعلمها إلا هو . لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[(٣)] .

ومن كلام ابن وفا[(٤)] : . . . أنَّ من أعظم إشارات وَحدة الوجود قوله تعالى :

(١) الحلول والاتحاد مستحيلان ، وهما كفر وإلحاد.
أمَّا وَحدة الوجود فهي صحيحة ، وتفسيرها : أنَّه لا شيء غير الله سبحانه وتعالى وجوده ذاتيٌّ ، بل تفرَّد ربُّنا بذلك ، فوَحدة الوجود الذاتيِّ له دون غيره جلَّ وعلا . قال الباجوري في سياق هذا المعنى عند قول الناظم (الوجود) : وجوده لذاته لا لعلَّة . أي : إنَّ الغير ليس مؤثِّراً في وجوده تعالى ، وليس المراد أنَّ الذات أثَّرت في نفسها ؛ إذ لا يقوله عاقل ، وإنَّما ضاق عليهم التعبير . . . . وبعضهم لا يشاهد لغيره وجوداً ، وهذا يسمَّى عندهم : وحدة الوجود اهـ. انظر تحفة المريد(٣٤).

(٢) في (د) لا يغيب عنه موجود.

(٣) وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة يونس (٦١).

(٤) عليُّ بن محمَّد بن وفا أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي المتصوِّف ، إسكندريُّ الأصل ، مولده في القاهرة سنة (٧٥٩هـ). له مؤلفات =

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[١] .

ومن ألطف إشاراتها كما قال شيخنا الأمير في حاشيته[٢] قولُ أبي مَدْين التِّلِمْسَانِيِّ[٣] :

اللهَ قُلْ وذَرِ الوُجودَ وما حَوَى   إنْ كُنتَ مُرتَاداً بُلوغَ كَمالِ
فالكلُّ دونَ اللهِ إنْ حقَّقتَهُ   عَدَمٌ على التفصيل والإجمَالِ
واعْلَم بأنَّكَ والعَوالمَ كُلَّهَا   لَولاهُ في مَحْوٍ وفي اضْمِحْلالِ
مَنْ لا وُجودَ لِذاتِهِ مِن ذَاتِهِ[٤]   فوجودُهُ لَولاهُ عَينُ مُحَالِ
والعارِفُون فَنُوابِه لم يَشْهَدُوا   شَيئاً سِوَى المتكبِّرِ المُتَعالِي
ورَأَوا سِواهُ على الحقِيقَةِ هَالِكاً   في الحالِ والماضي والاستِقْبَالِ

= منها: الوصايا ، الباعث على الخلاص في أحوال الخواص ، مفاتيح الخزائن العليّة. توفي (٨٠٧ هـ) . الضوء اللامع (٦/ ٢١) ، هدية العارفين (١/ ٧٢٧).

(١) سورة فصلت (٥٣ ـ ٥٤).

(٢) حاشية الأمير على إتحاف المريد لعبد السلام اللقاني (٥٩).

(٣) شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ، صوفيٌّ ، أصله من الأندلس ، وأقام بفاس ، وسكن بوجاية ، وكثُر أتباعه ، توفِّي بتلمسان سنة (٥٩٤هـ) ، وقد قارب الثمانين. له: مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب. انظر شجرة النور الزكية (٦٤) ، شذرات الذهب (٤/ ٣٠٣).

(٤) هذا البيت تأييد للتعليق (١) من الصفحة (١٤٦) الذي بُيِّن فيه أنَّ معنى وحدة الوجود هو تفرُّد الله سبحانه وتعالى بالوجود الذاتي ؛ إذ كلُّ وجود غير ذاتي هو عين المحال لولا المدد الإلهي.

٢٣- فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ   كَــذَا بَقَــاءٌ لا يُشَابُ بالعَــدَمْ

. . . .

ب - الصفاتُ السلبيّةُ خَمْسٌ

١ - القدم

قوله : (والقدم)

هذا شروع منه في أوّل الصفات السلبية ، وهي خمسةٌ ، وتسمَّى مهمّات الأُمّهات[١] ؛ لأنّه يلزم من نفي ضدِّ هذه الخمسة تنزيهه تعالى عن جميع النقائص .

ومعنى القدم في حقِّه تعالى عدم الأوّلية ، أو عدم افتتاح الوجود ، فالقديم هو الذي لا أوّل له ، أو الذي لا افتتاح لوجوده .

وهل الأزليُّ مرادف للقديم ؟ وهو ما قاله ابن التِّلِمْساني[٢] وأئمَة اللغة ، فهما ما لا أوّل له عدمياً كان أو وجودياً[٣] ، قائماً بنفسه أَوْ لا[٤] .

---

(١) ويقصد بهذا أنَّ الصفات السلبية أكثر من أن تحصى إلا أنَّ هذه الخمسة أهمُّها ، وذلك كنفي الصاحبة والوالد والولد ، فيدخل ذلك تحت الوحدانية مثلاً . . . وهكذا . انظر تحفة المريد (٣٤ - ٣٥) ، وحاشية الصاوي على شرح الخريدة (٥٤) .

(٢) ابن التلمساني عبد الله بن محمَّد بن علي ، الفهري المصري الشافعي ، شرف الدين أبو محمَّد ، فقيه أصوليٌّ ، تصدَّر للإقراء بالقاهرة ، ولد سنة (٥٦٧هـ) ، وتوفِّي سنة (٦٤٤هـ) . من تصانيفه : شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي . انظر معجم المؤلفين (٦/ ١٣٣) .

(٣) فالعدميّ مثلاً : القِدم ، والوحدانية ، فهما ينفيان الحدوث والشريك .
والوجوديُّ : كالقدرة فهي مثبتة لله تعالى .

(٤) القائم بنفسه هو الذات العلية ، والقائم بغيره القدرة التي هي من صفات الله =

٢٣ـ فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ كَـذَا بَقَـاءٌ لا يُشَابُ بالعَـدَمْ

. . . .

وقال السعد[١] : الأزليُّ أعمُّ من القديم ؛ إذ القديم : ما قام بنفسه ولا أوَّل لوجوده ، والأزليُّ : ما لا أوَّل له عَدَمياً أو وجودياً ، قائماً بنفسه أو بالذات العليَّة .

فصفات الله يقال لها / أزليَّة ، ولا يقال لها قديمة ، والأعدام ١٦/ب
الأزليَّة كذلك[٢] .

وأما ذات الله فيقال لها : أزليَّة قديمة ، ودليله : أنَّه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى مُحْدِث ، ولو افتقر إلى مُحْدِث لافتقر مُحْدِثه إلى مُحْدِث ، وهكذا فيلزم الدَّور أو التسلسل ، وتقدَّم بطلانهما[٣] .

= سبحانه ، وكل من العدميِّ والوجوديِّ والقائم بنفسه والقائم بغيره يسمَّى قديماً وأزليّاً على قول ابن التلمساني.
انظر تحفة المريد (٣٥) ، وحاشية الصاوي على شرح الخريدة (٥٤) .

(١) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني ، من أئمَّة العربية والبيان والمنطق ، وُلد بتفتازان من بلاد خراسان سنة (٧١٢هـ) ، وتوفي في سمرقند (٧٩١هـ) . من كتبه : تهذيب المنطق ، مقاصد الطالبين . انظر بغية الوعاة (٢/ ٢٨٥) ، الدرر الكامنة (٥/ ١١٩ـ ١٢٠) .

(٢) مثال للأعدام الأزلية : فلان ولادته سنة كذا ، وقبل ولادته لم يكن موجوداً ، أي : كان معدوماً ، فعدمه ليس له أَوَّل ، فيقال : إنَّه عدم أزليٌّ ، ولا يقال : إنَّه عدم قديم بناء على القول الثاني ، وهو قول السعد .

(٣) وبطلانهما يؤدِّي إلى بطلان افتقاره إلى محدث ، وهذا البطلان يؤدِّي إلى بطلان كونه حادثاً ، وهذا بدوره يؤدِّي إلى قِدمه سبحانه وتعالى . انظر تحفة المريد (٣٥) .

٢٣ـ فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ كَـذَا بقَـاءٌ لا يُشَابُ بالعَـدَمْ

٢ ـ البقاء

قوله : (كذا بقاء)

هو في حقِّه تعالى عدم الآخِرِيَّةَ ، أو عدم اختتام الوجود ، فالباقي هو الذي لا آخر لوجوده ، أو الذي لا اختتام لوجوده .

إن قلت : إنَّ وجوب الوجود يغني عن القدم والبقاء ، بل والمخالفة للحوادث[١] .

أجيب : بأنَّه وإن كان يغني لكنَّه بالمعنى الالتزامي[٢] ، وعلماء هذا الفنِّ لا يكتفون بدلالة الالتزام لزيادة الإيضاح .

والدَّليل على ثبوت البقاء أنَّه لو جاز عليه طروُّ العدم لاستحال عليه القدم[٣] ؛ لأنَّ[٤] مَن جاز عدمه استحال قِدَمه ، كما تقدَّم في قول

---

(١) وذلك لأنَّ وجوب الوجود ينفي كلاًّ من الحدوث وعدم البقاء ؛ إذ تعريف الواجب كما نعلم هو : (ما لا يُتصوَّر في العقل عدمه) . فلو قلنا : إنَّه حادث ، فمعنى ذلك أنَّه كان قبل حدوثه عدماً ، وهذا ينافي وجوب الوجود .
وإن قلنا : لن يكون باقياً ، نافى أيضاً وجوب الوجود ، إذاً ثبت القِدم والبقاء بوجوب الوجود ، وكذلك المخالفة للحوادث .

(٢) أي : ثبت ذلك بالدِّلالة الالتزامية ، وهي الدِّلالة العقلية التي لا يتفطن لها كل إنسان ، كالشرح الذي بُيِّن في التعليق السابق ؛ لذلك يرى علماء التوحيد أنَّه لا بدَّ من التصريح بالدِّلالة الوضعية ؛ لشدَّة خطر الجهل في هذا الفن ، فلا يستغنون بملزوم عن لازم ، ولا بعامٍّ عن خاصٍّ ، فبيَّنوا القدم والبقاء والمخالفة للحوادث . انظر تحفة المريد (٣٥) .

(٣) وبعبارة أخرى : مَنْ ثبت قِدمه استحال عدمه ؛ لأنَّ القديم (وهو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده) لا موجِد له ، ووجوده ذاتيٌّ ، وعلى هذا فهو واجب الوجود ، ولو لحقه عدم لا يكون وجوده واجباً .

(٤) في (م) بأنَّ . وأثبتناها من (د) .

٢٣ـ فوَاجِبٌ لَهُ الوُجُودُ والقِدَمْ كـذَا بَقَـاءٌ لا يُشَابُ بالعَـدَمْ

المصنِّف :

وَكُـلُّ مـا جَـازَ عَليـهِ العَـدَمُ عَلَيـهِ قَطعَـاً يَستَحِيـلُ القِـدَمُ

أو يقال : لو لم يتَّصف بوجوب البقاء لجاز عليه العدم ، ولو جاز عليه العدم لكان حادثاً ، إلى آخر دليل القدم ، فدليله إمَّا القِدم نفسه أو دليله .

قوله : (لا يشاب بالعدم)

أي : لا يخالطه العدم ولا يلحقه ، فبقاء الله تعالى لا يقارن بزمان(١) ، بل وسائر صفاته ؛ لأنَّ الزمان إمَّا مقارنة متجدِّد موهوم لمتجدِّد معلوم(٢) ، أو حركة للفلك ، وكلاهما حادث ، ولا يقترن بالمتجدِّد والحادث إلاَّ ما كان مثلهما ، فليس له أجل . بخلاف بقاء غيره تعالى ، فإنَّه مخالَط بالعدم ومقرون بالزمان . كما أنَّ قِدمه تعالى ذاتيٌّ لا يَتصوَّر العقل عدمه . وأمَّا قِدم غيره فزمانيٌّ يقال : (بناء قديم) ، يعني طال زمنه .

فالأقسام ثلاثـة :

١ ـ شيء لا أوَّل له ولا آخر ، وهو ذات الله وصفاته .

٢ ـ وشيء له أوَّل وآخر ، وهو الدُّنيا .

٣ ـ وشيء له أوَّل ولا آخر له ، كالجنَّة والنار وما فيهما .

---

(١) فهو سبحانه وتعالى كان قبل الزمن ، وهو مع الزمن ، وبعد الزمن ، وليس وجوده ضمن زمان .

(٢) كوعد أحدٍ زيارتنا مثلاً عند طلوع الشمس ، فمجيئه موهوم ، وطلوع الشمس معلوم . انظر حاشية الملَّوى على أمِّ البراهين (ق ٢١/ب) . وانظر تحفة المريد (٣٦) .

وبقاء الجنَّة والنار شرعيٌّ بالفضل والعدل ، لا عقليٌّ ، بل هو جائز عقلاً ؛ لسبق الحدوث .

٣ ـ مخالفته تعالى للحوادث

قوله : (وأنَّه لما ينال العدم مخالف. . . إلخ)

أنَّ بفتح الهمزة ، هي واسمها وخبرها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : والصفة الثالثة أنَّه[١] . . . إلخ ، وهو حرف توكيد ونصب ، والهاء اسمها ، ومخالف خبرها ، ولما ينال متعلِّق بمخالف ، والعائد محذوف ، أي : يناله . وهذه هي الصفة الثالثة من صفات السُّلوب . والمعنى : أنَّ ذاته وصفاته تعالى مخالفة لكلِّ حادث ، والمخالفة لما ذُكِرَ عبارة عن سلب الجِرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها[٢] عنه تعالى ، وإنَّما وجب له ما ذُكر[٣] ؛ لأنَّ الحوادث إمَّا : جواهر أو أعراض ، أو أزمنة

---

(١) يقول الباجوري : (. . . وأنَّ وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الوجود ، والتقدير : وواجب له تعالى مخالفته للحوادث التي يلحقها العدم . . .) . اهـ تحفة المريد (٣٦) .
أي : فواجب له الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث .

(٢) فلازم الجرمية التحيُّز ، ولازم العرضية القيام بالغير ، ولازم الكلية الكِبَر ، ولازم الجزئية الصِغَر اهـ . حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٧) . وتحفة المريد (٣٦) .
وقال السحيمي : فلازم الجرميَّة التحيّز ، ولازم العرضيَّة القيام بالغير ، ولازم الكليَّة التركيب ، ولازم الجزئيَّة كونها حيِّزاً للغير ، وإن كان التحيُّز حقيقة من أوصاف الجرم لا الجِرميَّة ، وهكذا الباقي اهـ . المزيد على إتحاف المريد ج١ (ق٢٤٤/ ب).

(٣) كذا في (د) ، والمراد وجوب سلب الجرمية والعرضية ، والكلية والجزئية ، ولوازمها عن الله تعالى . =

٢٤ـ وأنَّـهُ لِمـا يَنَـالُ العَـدَمُ مُخَالِفٌ بُرْهـانُ هَـذا القِـدَمُ

. . . .

أو أمكنة ، أو جهات / أو حدود ، ولا شيء منها بواجب الوجود ؛ لِما ١٧/أ ثبت لها من الحدوث ، واستحالة القدم عليها .

وقد تسمَّح[١] ـ رضي الله عنه ـ في التعبير عن الصفة بقوله :

وأنَّــهُ لمــا يَنَــالُ العَــدَمُ مُخــالِــفٌ . . . .

لأنَّ الصفة هي مخالفته تعالى للحوادث ، والمؤدَّى واحد .

قوله : (برهان هذا القدم)

يصحُّ أن يكون برهان مبتدأ ، والقِدم خبره ، والمعنى : برهان المخالفة للحوادث نفس القدم ، وهو قد ثبت دليله . ويصحُّ أن يكون الكلام على حذف مضاف تقديره : دليل القدم ، وتقريره أن تقول : الله تعالى مخالف للحوادث ؛ إذ لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً ؛ لعدم الواسطة[٢] ، لكنَّ مماثلته للحوادث باطلة ؛ إذ لو ماثل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها ، لكنَّ كونَه حادثاً باطل ؛ إذ لو كان حادثاً لافتقر إلى

= وفي (م) : (وإنما ما وجب له ما ذُكر . . .) ولعلَّ المراد نفي وجوب الجرمية والعرضية ، والكلية والجزئية ، ولوازمها عنه جلَّ وعلا . والله أعلم .

(١) يندفع ادِّعاء التسمُّح الذي أشار إليه الصاوي ـ رحمه الله ـ بأنَّ الصفة مخالفته ، لا أنَّه مخالف ، ووجه اندفاع ذلك : أنَّ القاعدة سبك أنَّ المفتوحة بمصدر من خبرها ، وهو شائع في العربية، فلا يقال فيه تسمُّح . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٩) . وتحفة المريد (٣٦) .

(٢) أراد بالواسطة هنا الشيء الوسط بين أمرين ، وقد نفى هذه الواسطة؛ لأنَّه ليس هناك أمر ثالث ، فإمَّا مخالف للحوادث أو مماثل ، وحاشاه سبحانه أن يكون مماثلاً ، إذاً هو مخالف للحوادث .

مُحْدِث ، لكنَّ افتقاره باطل . . .إلخ ما تقدَّم .

٤ ـ قيامه تعالى بالنفس

قوله : (قيامه بالنَّفس)

المراد بالنَّفس الذات ، واختلف في معنى الباء هذه ، فقيل : للآلة [١]، وقيل : للسببية [٢] ، وقيل : بمعنى (في) وهو الأقرب ، وقد اقتصر عليه الملَّوي [٣] في حاشيته ، والمعنى : أنَّه مستغنٍ في نفسه ليس باعتبار شيء آخر [٤] ، ويؤخذ من هذه الصفة جواز إطلاق النفس على

---

(١) أصل هذا القول للسكتاني ، ونحوه للشيخ يحيى الشاوي ، وزاد : وفائدته تظهر في المقابل ، أي : قيامه بنفسه لا بغيره ، فالمعنى أن الغير ليس آلة في قيامه تعالى . وهو تخلص من إساءة الأدب ، لو جُعلت نفسه آلة ، وهو نظير قولهم : وجوده لذاته لا لعلة . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٨) ، وتحفة المريد (٣٧) .

(٢) قال الأمير في حاشيته على إتحاف المريد : ولكنَّ الأولى أن الباء للسببية ؛ لأن الآلة واسطة الفعل ، كقطعت بالسكين ، ولا يناسب هنا . وتبعه في ذلك الباجوري . انظر حاشية الأمير (٦٨) ، وتحفة المريد (٣٧) .

(٣) أحمد بن عبد الفتَّاح بن يوسف المجيري الشافعي شهاب الدين ، ولد سنة (١٠٨٨هـ) ، وتوفي (١١٨١هـ) . من مؤلَّفاته : حاشية على شرح القيرواني على متن السنوسية في التوحيد .
انظر سلك الدرر للمرادي (١/ ١١٦ ـ ١١٧) ، معجم المؤلِّفين (١/ ١٧٢) .

(٤) يوضح الباجوري هذا المعنى بقوله : (. . . هذا العبد في نفسه يساوي كذا ، أي : لا باعتبار شيء آخر معه) . تحفة المريد (٣٧) . وانظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٦٨) .

٢٥ـ قِيامُـهُ بالنَّفْسِ وَحْدَانِيَّهْ   مُنَـزَّهـاً أَوْصَـافُـهُ سَنِيَّـهْ

. . . .

الله تعالى وقد ورد : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١] ، ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[٢] .

وفي الحديث : «لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَليكَ أَنتَ كَما أَثْنيتَ عَلى نَفسِكَ»[٣] إلى غير ذلك .

خلافاً لمن يقول : إنه لا يجوز إطلاقها على الله إلا في مقام المشاكلة[٤] مستدلا بقوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾[٥] ، ومعنى استغنائه المذكور عدم افتقاره إلى مَحَلٍّ أي : ذاتٍ يقوم بها ، وإلى مخصِّص أي : مؤثِّر[٦] .

---

(١) سورة الأنعام (٥٤) .

(٢) سورة طه (٤١) .

(٣) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ مرفوعاً . وأخرجه مالك في الموطَّأ (١/ ٢١٤) .

(٤) المشاكلة لغة : المماثلة . واصطلاحاً : ذكر الشيء بلفظ غيره ؛ لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً . مثال التحقيقي قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ و﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباريء تعالى إنما هو للمشاكلة . ومثاله التقديري قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ أي : تطهير الله ؛ لأنَّ الإيمان يطهِّر النفوس . شرح عقود الجمان (١١٠ـ١١١) .

(٥) سورة المائدة (١١٦) .

(٦) وعلى هذا أصبح القيام بالنفس له معنيان ، الأوَّل : الموجِد الذي لا يحتاج إلى مَن يوجده ، بل هو وجد بذاته ، والثاني : أنَّه لا يحتاج سبحانه إلى ذات يقوم بها ؛ لأنَّ ذلك للعَرَض ، أي : للمعاني والصفات ، كالكرم مثلاً يحتاج إلى كريم .

والحاصل أن القسمة رباعيَّة :

١ ـ مستغنٍ عن المحلِّ والمخصِّص معاً ، وهو ذات الله .
٢ ـ ومستغنٍ عن المخصِّص فقط ، وهو صفات الله تعالى .
٣ ـ ومفتقرٌ للمخصِّص فقط ، وهو ذواتنا[١] .
٤ ـ ومفتقرٌ لهما ، وهو صفاتنا .

ـ والدليل على استغنائه **عن المحلِّ** أن تقول : لو احتاج إلى محلٍّ لكان صفة ، ولو كان صفة لم يكن متَّصفاً بصفات المعاني والمعنوية[٢] ، والفَرَض أنَّه متصف بها ، وإلا لما وُجِد العالَم[٣] ، فبطل كونه صفة ، وثبت كونه ذاتاً .

ـ والدَّليل على استغنائه **عن المخصِّص** أن تقول : لو احتاج إلى مخصِّص لكان حادثاً ، ولو كان حادثاً لافتقر إلى مُحْدِث ، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمِه وبقائه ومخالفتِه للحوادث ؟ !

٥ ـ الوحدانية

قوله : (وحدانية)

هذه الصفة أهمُّ الصفات ، ولذا سُمِّيَ علم التوحيد بها ، ولم يكفر
١٧/ب بضدِّها إلا بعض الإنس ، وأمَّا الجن برمَّتهم فلا / يعتقدون الشرك لله سبحانه ، وإنَّما الكافر منهم بغير الشرك .

---

(١) أي : ليست ذواتنا محتاجة إلى ذات تقوم بها ، لكنَّها محتاجة إلى مخصِّص فقط ، أي : موجِد يوجدها وهو الخالق سبحانه . انظر تحفة المريد (٣٧).
(٢) لأنَّ الصفة لا تقوم بصفة .
(٣) لأنَّ من صفاته القدرة ، ولو لم يتَّصف بذلك لما وجِد العالَم .

٢٥ـ قِيامُـهُ بالنَّفْسِ وَحْـدَانِيَّـهْ مُنَــزَّهــاً أَوْصَــافُــهُ سَنِيَّــهْ

....

وهذه هي الصفة الخامسة من الصفات السلبية ، وقد نفت **كموماً**[1] **خمسة** :

١ ـ الكمَّ المتَّصل في الذات ، وهو عدم التَّركيب فيها[2] .

٢ ـ والكمَّ المنفصل فيها ، وهو عدم النَّظير .

٣ ـ [والكمَّ المتَّصل في الصفات ، وهو عدم التَّركيب[3] فيها .

٤ ـ والكمَّ المنفصل فيها ، وهو عدم النَّظير][4] .

٥ ـ والكمَّ المنفصل في الأفعال ، وهو عدم المشارك له فيها ، والمتَّصل فيها لا يُنفى ؛ لأنَّه ثابت ؛ لأنَّ أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه .

وهذا على مختار الأشعريّ[5] : من أَنَّ صفات الأفعال حادثة[6] .

---

(١) المراد هنا بالكمِّ العدد . والكمُّ نوعان : المنفصل : وهو ما كان في أشياء متباعدة متفاكَّة ، والمتصل ضدُّه ، هكذا الاصطلاح هنا . انظر حاشية الأمير (٧٣) .

(٢) إذ ذات أحدنا تتألَّف من أعضاء مختلفة ، أمَّا ذات الله سبحانه وتعالى فليست كذلك ؛ لأنَّـه ليس كمثله شيء .

(٣) ونفى الباجوري في الكـمِّ المتَّصل في الصفات عدمَ التعدُّد في صفات الله تعالى من جنس واحـد ؛ إذ لـه قدرة واحـدة ، وعلم واحـد ، وكـذلك بقيَّـة الصفـات . انظر تحفة المريد (٣٨) .
أقول : لأنَّ الصفات معانٍ ، والمعاني لا تتعدَّد .
والصاوي هنا ينفي عدم التركيب في الصفات كما نفى ذلك في الذات .

(٤) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .

(٥) سبقت ترجمته في ص(٨٧) .

(٦) أي : إنَّ التعلُّق التنجيزيَّ للأفعال حادث ؛ إذْ أراد الله إيجاد أحدنا مثلاً من الأزل ، فما أراده نفَّذه بقدرته ، فهذا فعله ، وهذا الفعل حادث .
وضَّح أبو بكر الباقلاّني هذه الفكرة في كتابه التمهيد : بأنَّ وَصْفَ الله نفسه =

وأمَّا على كلام الماتريدية : من أنَّ صفات الأفعال قديمة ترجع لصفة واحدة وهي التكوين ، فالكمَّان[1] معاً منفيَّان أيضاً .

والدَّليل على ثبوت الوحدانية ، بمعنى عدم النظير في الذات والصفات ـ وأمَّا عدم التركيب فتقدَّم في المخالفة ، وأمَّا عدم المشارك في الأفعال فسيأتي في قوله :

وَقُـدْرَةٌ بِمُمْكِـنٍ تَعَلَّقَـت[2] ... ...

وأمَّا عدم التركيب في الصفات فسيأتي في قوله :

ووحـدة أوجـب لهـا ... ...ـ

النقل والعقل :

أمَّا النقل فآيات كثيرة جدًّا منها : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[3] ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[4] ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[5] إلى غير ذلك .

= بنحو : إنِّي خالق ورازق وعادل ومحسن وما جرى مجرى ذلك ، هو من صفات الأفعال ، وهي محدثات اهـ بتصرف . انظر التمهيد (٢١٥) .

(١) الكمُّ المنفصل في الأفعال ، والكمُّ المتَّصل فيها .

(٢) وفي قوله أيضاً :

فَخَـالِـقٌ لِعَبْـدِهِ ومَـا عَمِـل مُـوَفِّـقٌ لمـنْ أَرادَ أَن يصِـلْ

(٣) سورة البقرة (١٦٣) .

(٤) سورة البقرة (٢٥٥) وآل عمران (٢) .

(٥) سورة آل عمران (٦) .

وأما العقل فقد علَّمنا الله كيفيَّته بقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[(١)] وقوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[(٢)] .

وتقرير ذلك البرهان ، ويسمَّى برهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما ، وبرهان التوارد في فرض اتِّفاقهما .

أمَّا الثاني فتقريره أن تقول : لو وجد فردان متَّصفان بصفات الألوهيَّة تقديراً ، وأرادا معاً إيجاد شيء ، فإمَّا أن يحصل بإرادتهما معاً ، وذلك باطل ؛ لأنَّه يلزم عليه اجتماع مؤثِّرين على أثر واحد[(٣)] ، أو بإرادة أحدهما ، وذلك باطل أيضاً ؛ لأنَّه يلزم عليه عجز الآخر ، ويلزم عجز الأوَّل أيضاً ؛ لوجود المماثلة بينهما[(٤)] .

وتقرير الأوَّل أن تقول :

لو اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه ، فإمَّا أن يتمَّ مرادهما ، وهو باطل للزوم اجتماع الضدَّين ، أو لا يتمَّ مرادهما معاً ، وهو باطل أيضاً ؛ للزوم عجزهما معاً . أو يتمَّ مراد أحدهما دون الآخر ، وهو باطل أيضاً ؛ للزوم عجز من لم يتمَّ مراده ، وعجز مَن تمَّ

---

(١) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٢) سورة المؤمنون (٩١) .
الدليل في الآيتين السابقتين ، دليلٌ نقلي عقلي : أما النقلي فظاهر ، وأما العقلي فهو ما سيوضحه الشارح في تقرير البرهان .

(٣) واجتماع المؤثِّرين على أَثَر واحدٍ مستحيل .

(٤) ولو قلنا : كلُّ إله أوجد نصفاً على حدة ، فمعنى ذلك أنَّ كلَّاً منهما عاجز عن النصف الآخر الذي لم يوجده . انظر تحفة المريد (٣٨).

مـراده أيضـاً ؛ لـوجـود المماثلـة بينهمـا[1] ، فبطـل التعـدُّد ، وثبـت الوحدانية[2] .

والحقُّ أنَّ آية : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾[3] حُجَّة قطعية ، لا
١٨/أ دليل إقناعي[4] كما قيل ، بل قال في التبصرة : (إن هذا القول كاد/ أن يكون كفراً) .

وتقريره[5] : لو تعدَّد الإله لم تتكوَّن السموات والأرض ؛ لأنَّ تكوُّنَهما إمَّا بمجموع القدرتين أو بأحدهما ، والكلُّ باطل .

أمَّا الأوَّل فلأنَّ شأن الإله كمال القدرة ، فإذا توجَّهت قدرته لشيء أبرزته .

وأمَّا الآخر فلِمَا مرَّ ، فيلزم عجزه ، فلا يوجد شيء من العالم ، وعدم وجود العالم محال ؛ لأنَّه خلاف الحسِّ والعيان ، فيكون معنى (فسدتا) لم توجدا ، وهذا هو الحقُّ .

تنبيـــه :

(إلاَّ) في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾[6] صفة لآلهة

---

(١) لأنَّ الفرضية قائمة أصلاً على وجود المماثلة بين الإلهين .

(٢) يُحكىٰ عن ابن رشد : أنَّـه إذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو الإلٰه دون الآخر ، وتمَّ دليل الوحدانيَّة ، وهذا يسمَّى برهان التمانع ؛ لتمانعهما وتخالفهما . تحفة المريد (٣٨) .

(٣) سورة الأنبياء (٢٢) .

(٤) لأنَّ الدليل الإقناعي يفيد الظنَّ لا اليقين . انظر مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية (١/ ٨٩) .

(٥) أي : تقرير الدليل القطعيِّ .

(٦) سورة الأنبياء (٢٢) .

بمعنى غير ، فهي اسم،لكن لم يظهر إعرابها إلا فيما بعدها ؛ لكونها على صورة الحرف ، ولا يجوز أن تكون (إلّا) هنا أداة استثناء ، لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ .

أمَّا الأَوَّل : فلأنَّه يلزم منه نفي التوحيد ؛ إذ التقدير : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، فيقتضي بمفهومه : أنَّه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا ، وهو باطل .

وأمَّا الثاني : فلأنَّ المتسثنى منه يشترط أن يكون عامَّاً ، و(آلهة) جمع منكَّر في الإثبات فلا عموم له ، فلا يصحُّ الاستثناء منه[١] ، كذا قال المحقِّقون .

قوله : (منزهــاً)

حال من الضمير في قوله : (فواجب له الوجود) وكذا قوله : (أوصافه سنيَّة) فهي حال مترادفة[٢] .

قوله : (سنـيَّـة)

إمَّا من (السنا) بالقصر بمعنى الضياء ، أي : صفاته كالضياء بمعنى النور بجامع الاهتداء ؛ لأنَّه يهتدى بآثارها ، أو من (السناء) بالمدِّ بمعنى الرفعة ؛ لأنَّها مرتفعة ومنزَّهة عن النقائص ، فأوصافه سبحانه وتعالى

---

(١) وتوضيح ذلك أنَّـه لا يصح أن يقال في المستثنى : جاء رجالٌ إلا زيداً ، على عكس : جاء الرجال إلا زيداً .

(٢) أي : حال بعد حال . ويجوز جعل (أوصافه سنيَّة) حالاً من الضمير في (منزَّهاً) ، فصارت الحال متداخلة ؛ لدخول صاحب الحال الثانية في الحال الأولى ؛ لأنه ضمير مستتر فيه . انظر تحفة المريد (٣٩). والمزيد على إتحاف المريد ج١ (ق٢٦٥/ب).

رفيعة جميلة جليلة ، فمَن تعلَّق بها ، ونظر لها وشاهدها لم يحكم بقبح شيء . قال بعض العارفين :

إِذَا مَا رَأَيتَ اللهَ في الكُلِّ فَاعِلاً   رَأَيتَ جَميعَ الكَائِنَاتِ مِلاَحَا
وإِنْ لَم ترَ إلا مَظاهِرَ صُنْعِهِ   حُجِبْتَ فصَيَّرتَ الحِسَانَ قِبَاحَا

قولـه : (عن ضدّ)

متعلِّق بمنزَّهاً ، والضدَّان : هما الأمران الوجوديَّان اللذان بينهما غاية الخلاف[1] ، فلو كان لله ضدٌّ في ذاته أو صفاته لم يكن واجب الوجود والقدم والبقاء . . . إلخ .

فكلُّ صفة من هذه الصفات تنفي الضدَّ.

قوله : (أو شبه)

هو المشابه في غالب الأحوال ، وأمَّا النظير فهو المشابه في أندر الأحوال ، والمثيل هو المشابه في جميع الأحوال ، وتقدَّم أَنَّه مخالف للحوادث ، فلا شيء يشبهه ولا يناظره ولا يماثله .

قوله : (شريك مطلقاً)

أي : في ذاته وصفاته وأفعاله ، وتقدَّم البرهان على ذلك[2] .

---

(١) وهمـا لا يجتمعـان ، وإذا قُـدِّر وجـود أحدهمـا انتفى الآخر ، وطالمـا ثبت وجود الله عز وجل ، وثبتت صفاته ، انتفت أضدادهما . انظر تحفة المريد (٣٩).

(٢) في شرح قول الماتن : (قيامه بالنفس وحدانية) انظر ص (١٥٨ ـ ١٥٩) من هذا الكتاب.

٢٦ـ عَنْ ضِدٍّ او شِبْهٍ شَرِيكٍ مُطْلقَا وَوَالِـدٍ كَذَا الوَلَـدْ وَالأَصْدِقَـا

....

قوله : (ووالد)

أي : منزَّه عن كونه ناشئاً ومنفصلاً عن غيره ؛ لأنَّه حينئذٍ يكون غير واجب الوجود ، مماثلاً للحوادث ، مع أنَّه ثبت وجوب وجوده ، ومخالفته للحوادث .

قوله : (كذا الولد)

أي : فهو منزَّه عن الولد ؛ لكونه / مخالفاً للحوادث ، ودليل ذلك ١٨/ب قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[١] ، فتنزَّه الله عن أن يكون غيره علَّة فيه ، أو هو علَّة في غيره[٢] ؛ لوجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث .

قوله : (والأصدقا)

جمع صديق وهو الذي قال فيه بعضهم :

إِنَّ أَخَاكَ الحَقَّ مَن كَانَ مَعَكْ ومَــن يضُــرُّ نَفْسَــهُ لِيَنْفَعَـكْ
ومَن إذا رَيْبُ[٣] الزَّمَانِ صَدَّعَكْ شَتَّـتَ فِيـكَ شَمْلَـهُ لِيَجْمَعَـكْ

وكما أنَّه منزَّه عن الصديق منزَّه عن ضدِّه وهو العدوُّ ، وفي الحديث القدسيِّ :

«يا عِبَادِي إِنَّكُم لَنْ تَقدِرُوا عَلى ضَرِّي[٤] فَتَضُرُّوني ، ولا نَفعِي

---

(١) سورة مريم (٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢).
(٢) انظر العلَّة والمعلول في ص(١٦٥) من هذا الكتاب .
(٣) الريب : صَرْف الدهر . انظر لسان العرب (ريب).
(٤) الضَّر بالفتح ضدُّ النفع ، والضُّر بالضم الهُزال وسوء الحال . انظر مختار الصحاح (ضرر).

فَتَنْفَعُونِي»[١] فلا يصل له من أحد ضَرٌّ ولا نفع ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾[٢] فمعناه المخلصين في عبادته وحبِّه ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[٣] معناه غير المخلصين ، فالصديق هو المخلص ، والعدوُّ ضدُّه وهو غير المخلص ، والمولى منزَّه عن الصديق والعدوِّ بالمعنى الأوَّل لا بالمعنى الثاني ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤] .

---

(١) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ مرفوعاً ، بلفظ : «. . . يا عِبَادِي إِنَّكُم لَن تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتضُرُّوني ، ولَن تَبْلُغُوا نَفْعِي فتَنفَعُونِي . . .» .
وروى أيضاً أحمد في المسند (٥/ ١٦٠) . والترمذي رقم (٢٤٩٥) . وقال الإمام النووي : (قال أبو مسهر : قال سعيد بن عبد العزيز : كان أبو إدريس [الخَوْلاني] إذا حدَّث بهذا الحديث جثا على ركبتيه [وقال] : هذا حديث صحيح رويناه في صحيح مسلم وغيره ، ورجال إسناده منِّي إلى أبي ذرٍّ رضي الله عنه كلُّهم دمشقيّون ، ودخل أبو ذرٍّ رضي الله عنه دمشق .
فاجتمع في هذا الحديث جمل من الفوائد ، منها : صحَّة إسناده ومتنه ، وعلوُّه وتسلسله بالدمشقيِّين ـ رضي الله عنهم وبارك فيهم ـ ومنها ما اشتمل عليه من البيان لقواعد عظيمة في أصول الدين وفروعه ، والآداب ، ولطائف القلوب ، وغيرها ولله الحمد .
وروينا عن الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ قال : (ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث) اهـ . الأذكار (٣٥٦ ـ ٣٥٧).
(٢) سورة النساء (٦٩).
(٣) سورة فصلت (١٩) .
(٤) سورة الشورى (١١) .

٢٦ـ عَنْ ضِدٍّ او شِبْهٍ شَرِيكٍ مُطْلقَا وَوَالِدٍ كَـذَا الوَلَـدْ وَالأَصْدِقَا

. . . .

قال أبو إسحاق الأسْفَراييني[١] : (أجمع أهل الحقِّ على أنَّ جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد يرجع إلى كلمتين :

إحداهما : اعتقاد أنَّ كل ما تُصُوِّر في الأذهان فالله بخلافه .

ثانيهما : اعتقاد أنَّ ذاته ليست مشبَّهةً بذات ، ولا خالية عن صفات) .

وناهيك بسورة الإخلاص دليلاً ؛ فإنَّها نفت أصول الكفر الثمانية :

الكثرةَ : بمعنى التركيب ، والعددَ ، والنَّقصَ : بمعنى الاحتياج ، والقلَّةَ : بمعنى البساطة ، والعلَّةَ[٢] ، والمعلولَ[٣] ، والشبيهَ ، والنظيرَ .

أمَّا الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾
والنَّقص والقلَّة بقوله : ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾
والعلَّة والمعلول بقوله : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾
والشبيه والنظير بقوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ .

تتمَّـــة :

في آية : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤] سؤال مشهور ، وهو أنَّ الجمع بين الكاف ومثل يوهم محالاً في حقِّه تعالى[٥] ؛ لأنَّ الكاف بمعنى

---

(١) سبقت ترجمته ص(١١١) .
(٢) فليس هو علّة لغيره ، أي : ليس والداً لغيره .
(٣) وليس هو معلولاً لغيره ، أي : ليس هو مولوداً من غيره . انظر تحفة المريد (٤٠)
(٤) سورة الشورى (١١) .
(٥) وهو أنَّه ليس مِثْلَ مِثْلِهِ شيء . أي : ويوجد مثلُه شيءٌ ، وهذا محال في حقِّه سبحانه . انظر تحفة المريد (٤٠) .

مثل ، والنفي إنما سُلِّط عليها ، وهو باطل من وجهين :

أحدهما: أنَّ المقصود من الآية نفي مثل ذاته(١) ، لا نفي مثل مثله.

والآخر: أنَّ مثل المثل يقتضي إثبات المثل وهو محال .

أجيب عنه بستة أجوبة :

أحدها : أنَّ الكاف زائدة لغير توكيد .

الثاني: أنَّها مُؤكِّدة لنفي الشبيه ، أي : انتفى المِثْل انتفاء مؤكَّداً
١٩/أ لا أنَّه من نفي المؤكَّد/ الذي هو مِثْلُ المثلِ حتى يتوهَّم بقاء المثل.

الثالث : أنَّ مِثْلَ بمعنى المَثَل بفتحتين أي : الصفة .

الرابع : أنَّه بمعنى نفس نحو: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ. . .﴾(٢).

الخامس: أنَّها من باب الكناية ، وفيها طريقان ثانيهما هو **السادس** ، وتقرير أَوَّلهما : أنَّ نفي مثل المثل أريد به نفي المثل ؛ لأنَّ مِثْلَ المِثْلِ لازم للمِثْلِ(٣) ، ونفي اللازم يدلُّ على نفي الملزوم(٤) .

---

(١) أي : أنَّ المِثْلَ بمعنى الذات ، ودخلت عليها الكاف على هذا التقدير ، فأصبح المعنى: ليس كذاته شيء.

(٢) سورة البقرة (١٣٧).

(٣) لأنَّهما متماثلان ، وبإثبات المثل أو نفيه يثبت أو ينتفي المماثل أيضاً ، وهنا لمَّا نفى المثل انتفى المماثل أيضاً.

(٤) ولتوضيحها نقول : هناك ما يعرف في علم المنطق باللازم والملزوم ، كقولنا مثلاً : (يلزم من كون هذا إنساناً كونُه حيواناً) ، ففاعل يلزم وهو : (كونُه حيواناً) يسمَّى لازماً ، و(كون هذا إنساناً) يسمَّى ملزوماً.
ومن القواعد المتعلِّقة باللازم والملزوم :
أ ـ نفي اللازم يدلُّ على نفي الملزوم ؛ إذ نفي كونه حيواناً يدلُّ على نفي كونه=

٢٦ـ عَنْ ضِدٍّ او شِبْهٍ شَرِيكٍ مُطْلقَا   وَوَالِدٍ كَذَا الوَلَدْ وَالأَصْدِقَا

. . . .

الثاني : أنَّها من باب : (مِثلُك لا يبخل) بمعنى أنت لا تبخل[1]، فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه ؛ إذ هي أبلغ من الصريح ؛ لتضمُّنها إثباتَ الشيء بدليله اهـ . تقرير النَّفَراوي[2] على المصنِّف .

إنساناً.

ب ـ إثبات الملزوم يدلُّ على إثبات اللازم ؛ إذ إثبات إنسانيته يدلُّ على إثبات حيوانيته.

جـ ـ نفي الملزوم لا يدلُّ على نفي اللازم ولا على إثباته ، فنفي إنسانيته لا يدلُّ على نفي حيوانيته أو إثباتها ، فيمكن أن يكون جامداً أو حيواناً غير ناطق.

د ـ إثبات اللازم لا يدلُّ على نفي الملزوم ولا على إثباته ، فثبوت الحيوانية لا يدلُّ على نفي الملزوم أو إثباته ، فيمكن أن يكون حيواناً ناطقاً أو حيواناً غير ناطق.

(١) هذا على طريقة العرب من أنَّهم إذا قصدوا سَلْبَ أوصاف الذمِّ أو النقص عن أحد لا يسندونها إليه تأدُّباً وتشريفاً ؛ فلذا كان قولُك للكريم: مثلك لا يبخل ، أحسنَ من قولك: أنت لا تبخل ؛ لأنَّ فيه إيهام اتصافه بالبخل ثم سلبه عنه . فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أحسنُ من قوله: ليس كالله شيء ، أو ليس مثله شيء اهـ بتصرف من المقتدي بشرحِ الهدهدي على أم البراهين (٧٤).

(٢) أحمد بن غنيم بن سالم شهاب الدين ، النَّفَراوي الأزهري المالكي ، فقيه من بلدة نَفَرى بمصر نشأ بها ، وتفقَّه وتأدَّب ، ولد سنة (١٠٤٤هـ) ، وتوفي سنة (١١٢٦ هـ) في القاهرة . من كتبه: الفواكه الدواني ، التعليق على البسملة ، شرح الرسالة النورية . انظر شجرة النور الزكية (٣١٨) ، سلك الدرر (١٤٨/١).

٢٧ ـ وقُـدْرَةٌ إِرَادَةٌ وغَـايَرَتْ   أَمْراً وَعِلْماً والرِّضَا كَما ثَبَتْ

. . . .

ج ـ صفات المعاني سبع

١ ـ القدرة

قوله : (وقدرة. . . إلخ)

لمّا تكلَّم على الصفة النفسية ، والصفات السلبية ، شرع الآن في الكلام على صفات المعاني ، وقدَّمها على المعنوية ؛ لكونها وجودية وأصلاً للمعنوية ؛ لأنَّ مَن وجب له العلم لزم منه كونه عالماً وهكذا. . . .

وكما تسمَّى صفاتِ المعاني ، تسمى الصفات الذاتية ؛ لأنَّها لا تنفكُّ عن الذات ، والصفات الوجودية ؛ لأنَّها متحقِّقة باعتبار نفسها[١] ، وإضافة صفات للمعاني للبيان .

وصفات المعاني في اللغة : ما قابل الذات[٢] ، فشمل النفسية والسلبية[٣] .

---

(١) أي : ليست مكتسبة ولا حادثة ، بل هي ثابتة متحقِّقة بنفسها ، ليست مفتقرة إلى غيرها .

(٢) قوله : (ما قابل الذات) أي : أنَّ صفات المعاني ليست بذات ، بل هي عَرَض في الحادث .

(٣) قوله : (شمل النفسية والسلبية) كقولنا مثلاً : فلان كريم ، أو فلان يأبى الضيم ، فكلٌّ من الكرم وإباء الضيم ، مقابل الذات.

٢٧ـ وقُـدْرَةٌ إِرَادَةٌ وغَـايَرَتْ   أَمْراً وَعِلْمـاً والرِّضَا كَمـا ثَبَتْ

. . . .

واصطلاحاً: كلُّ صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجِبَة له حُكْماً.

فخرج بقولنا: (قائمة بموصوف) السلبية، وبقولنا: (زائدة على الذات) النفسية، لأنَّها عين الذات، وبقولنا: (موجبة له حكماً) المعنوية؛ لأنها نفسها حكم[1]، وعلى القول بأنَّها أمور اعتبارية[2] فقد خرجت بقولنا: (قائمة بموصوف).

وهذا التعريف للمعاني من حيث هي كانت لقديم أو حادث، وحينئذٍ فالفرق بين صفات القديم والحادث: أنَّ صفات القديم قديمة ولا تسمّى أعراضاً[3]، وصفات الحادث حادثة وتسمَّى أعراضاً.

وبدأ من صفات المعاني بالقدرة، ومعناها:

لغـة: القوَّة.

واصطلاحاً: صفة أزليَّة، قائمة بذاته، زائدة عليها، يتأتَّى بها إيجاد كلِّ ممكن وإعدامه، على وَفق الإرادة. وتعبيرنا بأزليَّة دون

---

(١) فالعلم مثلاً يوجب كونه عالماً، فصفة (كونه عالماً) معنوية؛ لأنها نفسها حكم.

(٢) ذكر الباجوري ـ رحمه الله ـ أنَّ الصفات المعنويَّة ليست بصفات، إنما هي أمور اعتباريَّة، وهي عبارة عن الإخبار بأنَّ المعاني قائمة بالموصوف (ككونه قادراً وكونه عالماً ...) أي قيام القدرة والعلم و... بذاته سبحانه.
انظر تحفة المريد (٤٩).

(٣) لأنَّ العَرَض من الطروِّ، فالجاهل مثلاً عندما يعرِض له العلم يصير عالماً، فعلمه حادث، أمَّا علم الله سبحانه فليس بعَرَض؛ لأنَّ الله اتَّصف به من الأزل، وكذلك بقيَّة صفات الله تعالى.

٢٧ ـ وقُــدْرَةٌ إِرَادَةٌ وغَــايَــرَتْ   أَمْراً وَعِلْماً والرِّضَا كمَا ثَـبَتْ

. . . .

قديمة : إمَّا بناء على أنَّ القديم والأزليَّ مترادفان ، أو على أنَّ الأزليَّ أعمُّ من القديم[١] ؛ لأنَّه يشمل الذات والصفات والمعدوم[٢] والموجود[٣] ، وتخصيص القديم بالذات الواجبة الوجود .

فخرج بقولنا : (قائمة بذاته) السلبيَّة ، وبقولنا : (زائدة عليها) النفسيَّة[٤] ، وبقولنا : (يتأتَّى بها إيجاد كلِّ ممكن وإعدامه . . . إلخ) ما عدا المعرَّف[٥] ؛ لأنَّ تعلُّق الإرادة التخصيص ، وتعلُّق [العلم][٦] الانكشاف والإحاطة ، وتعلُّق الكلام الدلالة ، والحياة لا تعلُّق لها بشيء ، والسمع والبصر الانكشاف .

وخرج بقولنا : (كلِّ ممكن) الواجبات كذات الله وصفاته ،

---

(١) قال الباجوري:
واعلم أنَّ لهم في القديم والأزليِّ ثلاثة أقوال:
ـ **الأول** : أنَّ القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده ، والأزليُّ : ما لا أوّل له عدميًّا أو وجودياً ، فكلُّ قديم أزليٌّ ولا عكس .
ـ **الثاني** : أنَّ القديم هو القائم بنفسه الذي لا أوّل لوجوده ، والأزليُّ ما لا أوّل له عدميًّا أو وجودياً ، قائماً بنفسه أو بغيره . . .
ـ **الثالث** : أنَّ كلاً منهما ما لا أوّل له عدمياً أو وجودياً ، قائماً بنفسه أَوْ لا ، وعلى هذا فهما مترادفان اهـ . تحفة المريد (٣٥) . وانظر ص(١٤٨ ـ ١٤٩) من هذا الكتاب.

(٢) المراد بالمعدوم هنا شريك الله ، فهو معدوم من الأزل.

(٣) المراد بالموجود ربُّنا سبحانه وتعالى.

(٤) لأنّـه كما قال الأشعري : الوجود هو عين الموجود.

(٥) أي : القدرة ، وتعلُّقها الإيجاد ؛ لذلك خرج بقوله : (يتأتى بها إيجاد . . .) كلُّ ما عداها ، وبيان ذلك ما أورده بعدُ بقوله : (لأنَّ تعلُّق الإرادة . . .).

(٦) ساقطة من (م) ، وأثبتناها من (د).

٢٧ ـ وقُـدْرَةٌ إرَادَةٌ وغَـايَـرَتْ   أَمْراً وَعِلْماً والرِّضَا كَمـا ثَبَتْ

. . . .

والمستحيلات / كالشَّريك والولد ، فإنَّ القدرة لا تعلُّق لها بهما؛ لأنَّها ١٩/ب
إن تعلَّقت بالواجب فإمَّا أن تعدمه ، وهو محال ، وإمَّا أن توجده ، وهو تحصيل الحاصل.

وإن تعلَّقت بالمستحيل فإمَّا أن تتعلَّق بإعدامه ، وهو تحصيل الحاصل ، أو بإيجاده وهو محال ، فتخلُّف قدرة الله عن تعلُّقها بالواجب والمستحيل ليس بعجز[١].

ودخل في قولنا: (كل ممكن) أفعالنا الاختيارية ، ففيه ردٌّ على المعتزلة القائلين: بأنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية[٢].

وكما أنَّ قدرة الله تتعلَّق بالإيجاد ، تتعلَّق بالإعدام على المشهور ، وقيل: لا تتعلَّق بالإعدام ، بل إذا أراد الله إعدام شيء أمسك عنه المدد[٣].

---

(١) إذ ذلك ليس من تعلُّقها ، ويوضَّح هذا بتمثيل هو: أن نطلب من إنسان النظر بأُذنه في كتاب ، فتعجز الأذن عن النظر ، وهي في ذلك ليست بعاجزة حقيقة؛ لأنَّها يطلب منها غير وظيفتها؛ إذ وظيفتها السمع لا البصر.

(٢) فأفعالنا اكتسابية ، والخالق هو الله القائل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ سورة فاطر (٣) و﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ سورة الصافات (٩٦). انظر ص(٢٣٠) من هذا الكتاب.

(٣) وهو قول الأشعريِّ الذي يقرِّر فيه: أنَّه لا حاجة لتعلُّق القدرة بالإعدام ، إنَّما يرى أنَّه متى انقطع المدد الإلهيُّ عن العبد رجع إلى صفته العدمية ، فيكون الانعدام بهذا الانقطاع لا بقوة. وذلك كالفتيل الذي انتهى زيته؛ فإنَّه ينطفىء تلقائياً دون حاجة إلى قوَّة تطفئه. انظر تحفة المريد (٤٠). وحاشية الدسوقي على أم البراهين (٩٩).

٢٧ ـ وقُــدْرَةٌ إِرَادَةٌ وغَــايَـرَتْ أَمْراً وَعِلْمـاً والرِّضَـا كَمـا ثَبَتْ

. . . .

والتعاريف في صفات الباري ـ جلَّ وعلا ـ ليست حدوداً حقيقية(١)، وإنما هي رسوم(٢)؛ لأنَّه لا يعلم كنه ذاته وصفاته إلا هو.

واعلم أنَّ أعدامنا(٣) الأزلية لا تتعلَّق بها القدرة، ولا الإرادة اتِّفاقاً لوجوبها، وأمَّا أعدامنا فيما لا يزال(٤) السابقة على وجودنا، ووجودُنا بعد عدمنا، واستمرار وجودنا، وإعدامُنا بعد وجودنا، وإيجادُنا يوم القيامة، فمن تعلُّقات القدرة والإرادة(٥).

وأقسام الممكنات ستَّة، أشار لها بعضهم بقوله:

المُمْكِنَــاتُ المُتَقَــابِــلَاتُ وُجُــودُنـا والعَــدَمُ الصِّفَـاتُ
أَزْمِنَــــةٌ أَمْكِنَــــةٌ جِهَـــاتُ كَذَا المقادِيرُ رَوَى الثِّقَاتُ(٦)

---

(١) لأنَّ **الحدَّ** في علم المنطق تعريف بالجنس والفصل، وهو تعريف بالحقيقة، كقولنا مثلاً: (الإنسان حيوان ناطق) فكلمة حيوان (جِنْسٌ)، وكلمة ناطق (فَصْلٌ)، وهذه هي حقيقة الإنسان. أمَّا حقيقة الله ـ سبحانه ـ وصفاته فلا يعلمها إلا هو.

(٢) المراد بكلمة رسوم القسم الثاني من التعريفات في علم المنطق التي هي عند المناطقة ثلاثة أقسام: (**الحدُّ، الرسم، التعريف باللَّفظ**)، فأمَّا **الحدّ**: فقد أشرنا إليه في التعليق الماضي. وأمَّا **الرسم**: فهو التعريف بالآثار كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك. وأمَّا **التعريف باللفظ**: فهو إبدال اللفظ بلفظ مرادف له أشهر منه، كتعريف الغضنفر بالأسد. انظر إيضاح المبهم للدمنهوري (٩).

(٣) أعدام جمع عدم، ومراده بهذا: أنَّ أعدامنا في الأزل واجبة، إذْ كان الله ولا شيء معه، فلذلك لا تتعلَّق بها القدرة ولا الإرادة؛ إذ تعلُّقهما بالجائز لا بالواجب. انظر تحفة المريد (٤٠).

(٤) أي: بعد الأزل.

(٥) لأنَّ كلَّ المذكورات جائزة الوجود، فلذلك تعلَّقت بها القدرة والإرادة.

(٦) ومعنى كونها متقابلات أنها متنافيات. فالوجود يقابل العدم وبالعكس. وبعض =

ومعنى على وَفق الإرادة: أنَّ ما خَصَّصه بإرادته أبرزه بقدرته، فالإرادة سابقة على القدرة[١].

إن قلت: إنَّهما قديمان فلا يتصوَّر سَبْقِيَّة.

أجيب: بأنَّ السَّبْقية بالنظر للتعلُّق التنجيزي، لا بالنظر لذات الصفات[٢]، ولا للصلاحية.

ودليل اتِّصافه بالقدرة أن تقول: الله صانع قديم له مصنوع حادث، وكلُّ ما كان كذلك لا بدَّ له من قدرة يُوجِد بها الأشياء ويُعدِمها، فينتج: الله لا بدَّ له من قدرة.

= الصفات يقابل بعضاً، فكونه أبيض مثلاً يقابل كونه أسود. وبعض الأزمنة يقابل بعضاً، فكونه في زمن الطوفان مثلاً يقابل كونه في زمن سيدنا محمدﷺ. وبعض الأمكنة يقابل بعضاً، فكونه في مكان كذا كمصر يقابل كونه في مكان غيره. وبعض الجهات يقابل بعضاً، فكونه في جهة المشرق يقابل كونه في جهة المغرب. وبعض المقادير يقابل بعضاً، فكونه طويلاً مثلاً يقابل كونه قصيراً اهـ. تحفة المريد بتصرف (٤١). وانظر حاشية الدسوقي على أم البراهين (١٠٠).

(١) أي: إنَّ إرادة الله سبحانه خَصَّصت أيَّ مخلوق بشيء من الممكنات الستَّة المتقابلة، فأبرزته قدرة الله عزَّ وجلَّ، وجائز على هذا المخلوق أن يكون بغير هذه الصفات والأزمنة والأمكنة والجهات والمقادير.

(٢) إذ الصفات بذاتها أزلية، أمَّا بالتعلق التنجيزي فالإرادة سابقة على القدرة؛ لأنَّ القدرة أنجزت ما خصَّصته الإرادة. وعليه فتعلُّق القدرة التنجيزي الحادث بعد تعلُّق الإرادة التنجيزي القديم.

٢٧ ـ وقُــدْرَةٌ إِرَادَةٌ وغَــايَرَتْ   أَمْراً وَعِلْمــاً والرِّضَــا كَمــا ثَبَتْ

٢ ـ الإرادة

قوله: (إرادة)

هي **لغة**: القصد.

واصطلاحاً: صفة أزليَّة زائدة على الذات قائمة بذاته تعالى، شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

فقولنا: (قائمة بذاته تعالى) يعني أنَّ ذاته متَّصفة بها.

وقولنا: (ببعض ما يجوز عليه) أي: وهو واحد من الستَّة المتقدِّمة، فلا يخرج عن إرادة الله شيء من الممكنات؛ لأنَّ تعلُّقها كتعلُّق القدرة، فلا تتعلَّق بالواجبات ولا بالمستحيلات، وإنَّما تتعلَّق بالممكنات خيرها وشرِّها، فالشرور والقبائح بإرادة الله كغيرها.

الفرق بين الإرادة وكلٍّ من الأمر والعلم والرضا

قوله: (وغايرت أمراً. . . إلخ)

حاصل ذلك أنَّ القسمة رباعيَّة؛ لأنَّه:

١ ـ إمَّا أن يأمر ويريد، كإيمان المؤمنين والأنبياء، أمرَهم به وأراده منهم بدليل وقوعه.

٢٠/أ ٢ ـ وإمَّا أن لا يريد ولا يأمر، / ككفر من ذكر، لم يأمرهم به ولم يرده منهم؛ إذ لو أراده لوقع.

٣ ـ وإمَّا أن يأمر ولا يريد، كإيمان أبي جهل وإبليس وأضرابهما،

أمرهم بالإيمان ولم يرده منهم؛ إذ لو أراده لوقع.

٤ ـ وإمَّا أن يريد ولا يأمر، ككفر من ذكر، أراده منهم بدليل وقوعه منهم، ولم يأمرهم به.

فبَيْن الأمر والإرادة عموم وخصوص من وجه[1]، يجتمعان في إيمان المؤمنين، وينفرد الأمر دون الإرادة في إيمان الكافرين، وتنفرد الإرادة دون الأمر في كفرهم.

واختلف العلماء في جواز نسبة فعل الشرِّ لله، واستحسن بعض المتأخِّرين جوازه في مقام التعليم لا في غيره، وهو المعتمد، وكذا يقال في نحو: خالق القِرَدَة والخنازير وكلِّ أمر خسيس، فلا يجوز: سبحان مَنْ رزق الهدهد، وسبحان من دبَّب الشوك، إن لم يكن في مقام التعليم.

وقوله: (أمراً)

أي نفسياً: وهو اقتضاء فعلٍ غير كفٍّ[2] مدلولٍ عليه بلفظ غيرِ نحو كُفَّ.

---

(١) وضابط العموم والخصوص الوجهي: أن يجتمعا في مادة، وينفرد كل منهما في مادة أخرى. وذلك كما في النسبة بين معنى الإنسان والأبيض؛ فإنهما يجتمعان في الإنسان الأبيض وينفرد الإنسان في الأسود مثلاً كما ينفرد الأبيض في الثلج والقطن. انظر المنطق المفيد للبهنسي (١/ ٣٦).

(٢) أي: فعل إيجابي لا سلبي كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ سورة البقرة (٤٣)، أمَّا الكَفُّ فهو النهي كقولنا مثلاً: (كُفَّ عن كذا).
قال الأمير:
قوله: (غير كَفٍّ) بفتح الكاف استثناء متصل؛ فإن الكَفَّ فعل من أفعال النفس.
قوله: (مدلول) صفة لكَفٍّ المخرَج، ومصدوق الغير لا تفعلْ، فالاقتضاء، أي: طلب الكفِّ من حيث دلالتها عليه نهي، وأما إن دلَّ عليه بكُفَّ بضم =

. . . .

قوله: (وعلماً)

أي: لأنَّ تعلُّقه تعلُّق انكشاف عامٌّ في الواجبات والجائزات والمستحيلات[١].

قوله: (والرِّضا)

هو قبول الشيء والإثابة عليه، وحينئذٍ فبين الأمر والرِّضا تلازم؛ لأنَّه لا يأمر إلا بما يرضاه.

قوله: (كما ثبت)

أي: بالدَّليل العقليِّ، وهو أن تقول: الله صانع للعالم بالاختيار، وكلُّ ما كان كذلك تجب له الإرادة، فينتج: الله تجب له الإرادة.

واعلم أنَّهم اختلفوا في معنى إرادته تعالى، قال سعد الدِّين[٢] في شرح المقاصد:

- فعندنا هي صفة قديمة زائدة على الذات... إلخ ما تقدَّم[٣].
- وعند الجُبَّائي[٤]: صفة زائدة على الذات قائمة لا بمحلٍّ.
- وعند الكرَّامية[٥]: صفة حادثة قائمة بالذات.

= الكاف، ونحوها كاترك، كان أمراً بهذا الاعتبار، فالمغايرة إضافية. فتأمَّل. حاشية الأمير على إتحاف المريد (٨٣ـ٨٤).

(١) بينما تعلُّق الإرادة خاصٌّ بالجائزات فحسب، لذلك غايرت الإرادةُ العلمَ.

(٢) سبقت ترجمته ص(١٤٩).

(٣) انظر تعريف الإرادة في ص(١٧٤) من هذا الكتاب.

(٤) سبقت ترجمته ص(٨١).

(٥) أصحاب أبي عبد الله محمَّد بن كرَّام، كانوا ممَّن يثبتون الصفات، إلا أنَّهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه، وهم طوائف بلغ عددهم اثنتي عشرة =

٢٧ـ وقُدْرَةٌ إرَادَةٌ وغَايَرَتْ أَمْراً وَعِلْماً والرِّضا كَما ثَبَتْ

. . . .

ـ وعند ضِرَار[١]: نفس الذات.

ـ وعند النّجار[٢]: صفة سلبية، هي كون الفاعل ليس بمكره ولا ساهٍ[٣].

والحقُّ ما ذكرنا[٤]. [٥]

= فرقة. انظر الملل والنحل (١/١٠٨).

(١) ضرار بن عمرو الغطفاني، قاضٍ من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، ولم يدركها فخالفهم، فكفَّروه وطردوه. صنَّف نحو ثلاثين كتاباً بعضها في الردّ عليهم وعلى الخوارج. قال الجشمي: ومَن عدَّه من المعتزلة فقد أخطأ؛ لأنَّا نتبرَّأ منه فهو من المجبِرة. الأعلام (٣/ ٢١٥)، لسان الميزان (٣/ ٢٠٣).

(٢) الحسين بن محمَّد بن عبد الله النجار الرازي، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة، وإليه نسبتها، وهو من متكلِّمي المجبِرة، له مع النَّظَّام عدَّة مناظرات، وله كتب منها: البدل، والقضاء والقدر. توفِّي سنة (٢٢٠هـ).
انظر اللُّباب في تهذيب الأنساب (٣/ ٢٩٨)، كشف الظنون (٥/ ٣٠٣ـ ٣٠٤).

(٣) انظر قول سعد الدين هذا في شرح المقاصد (٢/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٤) تنفي عبارةُ المصنِّف: (والحقُّ ما ذكرنا) قولَ كلٍّ من الجُبَّائي والكرَّامية وضِرار والنجار، وقد أتى بأقوالهم من قبيل الاطِّلاع فحسب.

(٥) انظر التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سور يس (٨٢)، وفي الردِّ على أقوال بعض الفرق التي ذكرها الإمام الصاوي هنا. (٢٦/ ١١٠) وما بعدها.
وانظر المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الحنبلي في الردِّ على هذه الفرق ص(٧٤) وما بعدها.
وانظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني ص(٩٤) وما بعدها في الردِّ على هذه الفرق.

٢٨ ـ وعِلْمُهُ ولاَ يُقالُ مُكْتَسَبْ   فاتْبَعْ سَبيلَ الحَقِّ واطْرَحِ الرِّيَبْ

. . . .

٣ ـ العلم

قوله: (وعِلْمُه)

هذه هي الصفة الثالثة من صفات المعاني وهي:

صفة أزليَّة قائمة بذاته تعالى، تتعلَّق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلُّق إحاطة وانكشاف[١].

والدَّليل على ثبوت العلم له تعالى أن تقول: الله صانع للعالم صنعاً متقناً بالإرادة والاختيار، وكلُّ من كان كذلك يجب له العلم، ينتج: الله يجب له العلم.

إن قلت: إنَّ هذا الدليل أفاد علمه بالجائزات فقط لا الواجبات والمستحيلات.

قلت: عِلمه بالواجبات والمستحيلات مأخوذ من عدم افتقاره للمخصِّص؛ لأنَّه لو لم يعلم ذاتَه وصفاتِه، وأنَّ الشريك مستحيل عليه، لكان محتاجاً لمن يكمِّله.

قوله: (ولا يقال مكتسب)

أي: ناشىء عن نظر واستدلال[٢]، أو متجدِّد بعد عدم، فيلزم عليه

---

(١) المراد بالانكشاف ظهور الشيء من غير سبق خفاء. انظر تحفة المريد (٤٣).

(٢) لأنَّه إن نشأ عن نظر واستدلال فقد سبقه جهل؛ لذلك ليس علمه سبحانه مكتسَباً، إنَّما هو أزليٌّ. انظر تحفة المريد (٤٤).

٢٨ ـ وعِلْمُهُ ولاَ يُقالُ مُكْتَسَبْ فاتْبَعْ سَبيلَ الحَقِّ واطْرَحِ الرِّيَبْ

. . . .

قيام الحادث به ـ تعالى / الله عن ذلك ـ وما ورد ممَّا يوهم اكتساب ٢٠/ب
علمه مؤوَّل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ . . .﴾[1] فظاهر الآية أنَّ بإيقاظهم يتجدَّد علم الله، وحاصل التأويل أن تقول: إنَّ قوله: (لنعلم)، أي: ليَظْهَر لهم مُتَعَلَّق علمنا، أي: لنُعلِمهم، واللام للعاقبة والفائدة، لا للعلَّة.

قوله: (فاتبع سبيل الحقِّ) أي: طريق الحكم المطابق للواقع.

قوله: (واطرح الرِّيَب) جمع ريبة أي: اطرح الشكوك، وكلام أهل الزيغ[2] القائلين بعدمِ اتِّصافه بصفات المعاني؛ لئلاَّ يلزم عليه تعدُّد القدماء.

---

(١) سورة الكهف (١٢) وتمامها: ﴿. . . أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾.

(٢) وهم المعتزلة الذين يقولون بعدم وجود صفات المعاني (القدرة والإرادة والعلم. . .) ويرون في ذلك تعدُّد القدماء؛ لأنَّ الصفات المذكورة قديمة عند أهل السنَّة والجماعة، ويتَّهمون أهل السنَّة بالإشراك، ويقولون عن أنفسهم بأنَّهم أهل التوحيد والعدل؛ لأنَّهم وحَّدوا القديم، ولم يعدِّدوه، وسيأتي الردُّ الصريح عليهم في قوله:

مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صِفاتُ الذَّاتِ لَيسَتْ بِغَيْرِ أَو بِعَينِ الذَّاتِ

وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص(٤٨٣)، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (٧٩)، والتمهيد للباقلاني ص(٩٧) والردَّ عليهم.

٢٩ ـ حَيَاتُه كَذا الكَلَامُ السَّمْعُ ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانا السَّمْعُ

٤ ـ الحياة

قوله: (حياتـه)

هذه هي الصفة الرابعة من صفات المعاني، وهي صفة أزليّة قائمة بذاته تقتضي صحّة العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر(١).

ودليل اتِّصافه تعالى بها أن تقول: الله متَّصف بالقدرة والإرادة والعلم، وكلٌّ من كان كذلك تجب له الحياة، ينتج: الله تجب له الحياة؛ إذ لا يتصوَّر قيامها بغير حيٍّ، وحياة الله أزليّة لا بروح، بخلاف حياة الحادث فإنَّها بالروح.

٥ ـ الكلام

قوله: (كذا الكلام)

هذه هي الصفة الخامسة من صفات المعاني، ودليلها هي وما بعدها نقليٌّ، وسيأتي في قوله: (...بذي أتانا السمع)؛ لأن صنع العالم لا يتوقَّف على الاتصاف بها(٢).

---

(١) أي: من لم يكن متَّصفاً بصفة الحياة لا يصحُّ أن يتَّصف بهذه الصفات: (العلم والقدرة والإرادة...).

(٢) أي: بالصفات التي أشار إلى أنَّ دليلها نقليٌّ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فالأمر في هذه الآية ليس قولاً ولا أمراً على حقيقته، بل هو عبارة عن تعلُّق القدرة التنجيزيِّ الحادث، كُنِّي عنه بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وإلا فكيف يخاطب الشيء قبل وجوده؟

وانظر التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ=

٢٩ ـ حَيَاتُه كَذا الكَلاَمُ السَّمْعُ ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانا السَّمْعُ

. . . .

إن قلت: إنَّه يمكن أن يكون دليلها عقلياً ، وتقريره أن تقول: لو لم يتَّصف بها لاتَّصف بضدِّها وهو نقص ، والنَّقص عليه محال.

أجيب: بأن النَّقص مشاهَد في الحوادث ، ولا يقاس القديم على الحادث؛ لأنَّ كمال الحادث لا يلزم أن يكون كمالاً في حقِّ الله ، ألا ترى الزوجة والولد؛ فإنهما كمال في حقِّ الحادث لا القديمْ ، فضَعُفَ الدَّليل العقليُّ[١].

ثمَّ إنَّ الكلام في حقِّ الله تعالى صفة أزليَّة قائمة بذاته ، ليست بحرف ولا صوت ، منافية للسُّكوت والآفة ، تتعلَّق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلُّق دلالة.

واعلم أنَّ كلام الله يطلق بالاشتراك على الحسيِّ ، وعلى النفسيِّ: الذي هو الصفة القديمة ، فهو حقيقة عرفيَّة في كلٍّ[٢].

ـ **فالحسيّ**[٣]: ما كان بحرف وصوت ، ومدلوله بعض مدلول

= ﴿أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ سورة يس (٨٢).

(١) والحقُّ أنَّ الدَّليل على الصفات ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
الأوَّل: عقلي يؤيِّده السمع ، وذلك في البرهان على (الوجود والقدم والبقاء. . .)
والثاني: سمعيٌّ يؤيِّده العقل ، وذلك في البرهان على (السمع والبصر والكلام).
والثالث: ما اختلف فيه ، وهو الوحدانية ، فقيل: دليلها سمعي ، وقيل: عقلي.
والأصح أنَّ دليلها عقليٌّ. تحفة المريد (٢١) بتصرف.

(٢) أي: إنَّ كلام الله حقيقة عرفية في الكلام الحسيِّ والكلام النفسيِّ ، وليس هو حقيقيّاً في واحد مجازيّاً في الآخر.

(٣) أي: اللفظي وهو حادث والله سبحانه لا يتكلَّم به بل خلَقه الله في اللوح المحفوظ ، وأنزله على جبريل ، ونزل به جبريل على سيِّدنا محمَّد ﷺ بالمعنى واللفظ جميعاً على الراجح. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٨٨) ، وتحفة المريد (٤٥ ـ ٤٦ ـ ٥٩).

الكلام النفسيِّ القديم القائم بذاته تعالى.

ـ **والنفسيّ**(١) : ما ليس بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير ، ولا تقسيم ، ولا بداية ولا نهاية(٢) ، يتعلَّق بما يتعلَّق به العلم(٣) ، وهو قديم ليس بمخلوق.

فالكتب السماويَّة دالَّة على بعض مدلول الكلام النفسي ، ولا يحيط بكلِّ مدلوله إلا هو(٤) ؛ [لأنَّ مدلول الكلام النفسيِّ : الواجبات والمستحيلات والجائزات تفصيلاً. وأمَّا الكتب السماوية فقد دلَّت على بعض الواجبات

---

(١) يوضَّح الكلام النفسيُّ بالخواطر الداخليَّة في النفس التي تُتَرْجَم عن طريق اللسان بالكلام الحسيِّ كما قال الأخطل:

إنَّ الكَلامَ لَفِي الفُؤادِ وإنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ عَلى الفُؤَاد دَلِيلاَ

(٢) الله سبحانه متكلِّم في كلِّ لحظة بجميع كلماته ، ويوضَّح ذلك: بتصوُّر العبد مثلاً قانوناً في الرياضيات بجميع أجزائه في كلِّ لحظة ، وذلك من قبيل إحاطة علم العبد في هذه المسألة ، فكيف والله ـ جلَّ وعلا ـ محيط بكلِّ شيء في كلِّ لحظة؟! ولله المثل الأعلى.

(٣) أي: بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، وتَكَلُّمُ الله سبحانه وتعالى على الواجبات كقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ سورة الحشر (٢٢).

وتكلُّمه على الجائزات كقوله : ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ سورة القصص (٧٦) .

وتكلُّمه على المستحيل كقوله : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ سورة المؤمنون (٩١) . انظر تحفة المريد (٤٥) .

(٤) إذ لو كانت الكتب السماويَّة دالَّة على كلِّ مدلول الكلام النفسي لكان علم الرسل مساوياً لعلم الله تعالى ، وذلك مستحيل. انظر ص(٢٠٢ ـ ٢٠٣) من هذا الكتاب.

تفصيلاً ، وكلِّ الواجبات إجمالاً ، وكذا المستحيلات والجائزات][1].

وتكليم الله لموسى على الجبل كان / بالكلام النفسي على التحقيق ٢١/أ
عند الأشاعرة وبعض الماتريدية ، خلافاً للمعتزلة[2] والبعض الآخر من الماتريدية.

فتقسيم الكلام إلى أمر ونهي ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد، إنَّما هو لتلك المدلولات التي دلَّ عليها الكلام الحسيُّ ، وأمَّا الصفة القديمة فيستحيل انقسامها كما علمت.

أخرج الطبراني[3] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

«أَوْحَـى اللهُ إِلَـى مُوسى عليـه السلام أَنِّـي جَعَـلتُ فيكَ عَشْرَةَ آلافِ

---

(١) وردت هذه الفقرة في (م) على النحو التالي: [. . .لأنَّ مدلول الكلام النفسي الواجبات تفصيلاً ، وكذا الواجبات إجمالاً ، وكذا المستحيلات والجائزات. وتكليم الله لموسى. . .] وأثبتنا ما في (د) . وبعد الرجوع إلى حاشية الصاوي على شرح الخريدة ص(٧٠) تبين أن العبارة التي أثبتناها هي الصحيحة.

(٢) تقول المعتزلة: إنَّ التكليم كان بالأصوات التي خلقها الله في الشجرة ، وأسمعها موسى عليه الصلاة والسلام. انظر تحفة المريد (٤٧).
والمعتزلة ينفون الكلام النفسيّ لله تعالى ، ويقولون: الكلام مخلوق حادث. انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص(١٩٢ ـ ١٩٣).

(٣) سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم من كبار المحدِّثين ، أصله من طبريَّة الشام ، وُلِدَ بعكَّا سنة (٢٦٠ هـ) ، توفِّي بأصبهان سنة (٣٦٠ هـ). له المعجم الصغير والأوسط والكبير ، وكتب في التفسير ، ودلائل النبوَّة. انظر النجوم الزاهرة (٤/ ٥٩) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧).

سَمْعٍ حتَّى سَمِعتَ كلامي ، وعَشْرةَ آلافِ لِسانٍ حتَّى أَجَبْتَني»[١] .

وأخرجَ القضاعي[٢] : «إِنَّ الله ناجَى مُوسى بمئةِ أَلفٍ وأربعينَ أَلْفَ كلمةٍ ، فأشرقَ وجهُهُ بالنُّور لمَّا جاءَ مِن عند ربِّه؛ ليَعرفَ النَّاسُ صِدقَ ما ادَّعاهُ ، فما رَآهُ أَحَدٌ إلا عَمِيَ ، فكان يمسحُ الرَّائيَ إِليهِ ـ أي: وجهَه ـ بثوبٍ ممَّا عَليهِ ، فيَرُدُّ اللهُ عَليهِ بَصَرَهُ ، فتبَرْقَعَ؛ لئلاَّ تَذهبَ أبصارُ النَّاسِ عِندَ رُؤيتِه ، وبَقِيَ البُرْقُعُ على وَجهِهِ إلى أن مَاتَ ، وكانَ يسُدُّ أُذنَيهِ بَعدَ رُجوعِهِ من المناجاة مُدَّةً؛ لئلاَّ يسمعَ كلامَ النَّاسِ ، فيموتَ مِن وَحْشَةِ قُبْحِهِ[٣] ، وصَار يَسمَعُ دَبيبَ النَّملَةِ السَّوداءِ في اللَّيلَةِ الظَّلماءِ مِن مَسِيرَةِ عَشَرَةِ فَراسِخَ»[٤] .

---

(١) أخرجه البيهقيُّ في الأسماء والصفات (٢٧٥) . وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١١٢ ـ ١١٣) . والبزَّار . وابن أبي حاتم . وأبو نعيم . وهو حديث منكر لا أصل له ، ولم نجده عند الطبراني كما ذكر المؤلف .
والأشبه أنَّه من الإسرائيليات فقد أخرج نحوه الحكيم في النوادر عن كعب الأحبار كما في الدر المنثور (٣/ ٥٣٦).

(٢) محمَّد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي ، من علماء الشافعية ، توفي سنة (٤٥٤ هـ).
من كتبه: الإنباء عن الأنبياء ، تواريخ الخلفاء ، دُرَّة الواعظين. انظر وفيات الأعيان (٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣).

(٣) يقول الباجوري: (... لأنَّه صار عنده كأشدِّ ما يكون من أصوات البهائم المنكرة ، بسبب ما ذاق من اللذَّة التي لا يحاط بها عند سماع كلام مَن ليس كمثله شيء). اهـ تحفة المريد (٤٧).

(٤) الذي أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٥٨) هو الشطر الأوَّل فقط . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢) برقم (١٢٦٥٠) ، وليس في كلا الروايتين =

٢٩ ـ حَيَاتُه كَذا الكَلاَمُ السَّمْعُ ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانا السَّمْعُ

. . . .

وقال سيدي علي الخوَّاص[١]: نشأة أهل الجنَّة مخالفة لنشأة أهل الدُّنيا التي نحن عليها صورةً ومعنى، كما أشار إليه حديث: «إنَّ في الجنَّة ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَر على قَلبِ بَشَرٍ»[٢]. فيبصر الإنسان في الجنَّة بسائر جسده، ويسمع كذلك، ويأكل كذلك، ويشَمُّ كذلك، وينطق كذلك، ويدرك كذلك، وهذا القدر القليل من أحوال الجنَّة يبعده عقل من يسمع ذلك، فكيف بغير القليل ممَّا هو أعظم من ذلك؟! . وقال: ولمْ أر أَحَداً تكلَّم على ما ذكرته غير سيِّدي عمر بن الفارض[٣] ـ رضي الله عنه ـ في

= ما سرده الصاوي سوى اللفظ الأوَّل، وإسناده تالف ساقط.
وقوله: «صار يسمع دبيب النملة السوداء...» أخرجه الطبراني في الصغير (٤٦).
وبقيَّة الكلام ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما هو من الإسرائيليات، أخرجه أبو الشيخ وابن المنذر بنحوه كما في الدر المنثور (٣/ ٥٣٧).

(١) علي البرلسي الخوَّاص، أحد العارفين بالله تعالى، أستاذ الشيخ عبد الوهَّاب الشعراني، كان عليٌّ أميّاً، لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك يتكلَّم على الكتاب والسنَّة، توفِّي سنة (٣٩٣هـ)، ودفن بمصر. انظر الكواكب السائرة (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، لواقح الأنوار (٢/ ١٥٠)، لطائف المنن (١/ ٢٦).

(٢) أخرج البخاري (٣٢٤٤). ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أَعْدَدتُ لِعبادِيَ الصَّالحيَن ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذُن سَمِعَت، ولا خَطَر على قلبِ بَشَرٍ». وأخرجه مسلم (٢٨٢٥) عن سهل بن سعد مرفوعاً.

(٣) عمر بن عليٍّ بن مرشد الحموي الأصل، المصريُّ المولد والدار والوفاة، أشعر المتصوفين، يلقَّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتَّصل بما يسمَّى بوَحدة الوجود، وُلد سنة (٥٧٦هـ)، وتوفي سنة (٦٣٢هـ). له ديوان شعر. انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٥٤)، شذرات الذهب (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٣).

تائيَّته اهـ[١] ملخَّصاً من السحيمي[٢].

فإذا علمت ذلك فلا تستغرب قول العلماء: (إنَّ موسى سمع الكلام بجميع أجزائه، من جميع جهاته).

٦ ـ السَّمْع

قوله: (السَّمْع)

هذه هي السادسة من صفات المعاني وهي: صفة أزليَّة قائمة بذاته تعالى تتعلَّق بجميع الموجودات[٣] تعلُّق إحاطة وانكشاف، وهذا هو

---

(١) انظر المقتدي بشرح الهدهدي للسحيمي (١٠٥).

(٢) في (د) زيادة هي: [أي حيث قال:

يُشاهِدُ منِّي حُسنَها كلُّ ذرةٍ   بها كلُّ طرفٍ جال في كلِّ طرفةِ
ويُثني عليها فيَّ كلُّ لطيفةٍ   بكلِّ لسانٍ طال في كلِّ لفظةِ
وأنشَقُ ريّاها بكلِّ رقيقةٍ   بها كلُّ أَنْفٍ ناشقٍ كلَّ هَبَّة
ويسمعُ مني لفظَها كلُّ بَضْعَةٍ   بها كلُّ سَمْعٍ سامعٍ مُتَنَصِّتِ
ويَلْثَمُ مني كلُّ جزءٍ لِثامَها   بكلِّ فَمٍ في لَثْمِهِ كلُّ قُبْلَةِ]

انظر الأبيات في ديوان ابن الفارض (٦٩).

(٣) فيسمع سبحانه وتعالى كلّاً من الأصوات والذوات، ويبصر جميع الموجودات حتى الأصوات ولو خفيَّة جدّاً، كدبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء. بمعنى أن كلّاً منكشف لله بسمعه وبصره.
ولكن يجب اعتقاد أنَّ الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وأنَّ كلّاً منهما غير الانكشاف بالعلم، ولكلٍّ حقيقة يفوَّض علمها لله تعالى اهـ.
تحفة المريد ص(٤٦) بتصرف.

٢٩ ـ حَيَاتُه كَذا الكَلاَمُ السَّمْعُ ثُمَّ البَصَرْ بِذِي أَتَانا السَّمْعُ

. . . .

التحقيق عند السنوسي[١] والأشعري[٢]، لا بالمسموعات فقط خلافاً للسعد[٣].

٧ ـ البَصَر

وكذا (**البصَر**) الذي هو الصفة السابعة، فالخلاف فيه أيضاً، والحقُّ أنَّ تعلُّقه بالموجودات لا بالمبصَرات، فيسمع الأصوات، ولو خفيَّة جدَّاً كدبيب النملة السوداء في الليل المظلم. وكذا يونس وهو في قعر البحر في بطن الحوت، فنداؤه ونداء سيدنا محمد ليلة الإسراء[٤] فوق السموات السبع مستويان له تعالى، ويبصر الأشياء، ولو دقيقة، قال بعضهم:

يا مَنْ يَرى مَدَّ البَعُوضِ / جَناحَها في ظُلْمةِ اللَّيل البَهِيم الأَلْيَلِ ٢١/ب

ولكنَّ سمع الله تعالى ليس بصِماخ وآذان، وبصره ليس بحدقة وأجفان ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٥].

قوله: (بذي أتانا السَّمْع)

اسم الإشارة عائد على الصِّفات الثلاثة: الكلام والسمع والبصر. أي: إنَّ دليل هذه الصفات الثلاثة نقليٌّ من الكتاب والسنة والإجماع

---

(١) سبقت ترجمته ص(١٠٥ ـ ١٠٦).

(٢) سبقت ترجمته ص(٨٧).

(٣) إذ يرى السَّعْد التفتازاني ـ رضي الله عنه ـ أنَّ السمع يتعلَّق بالمسموعات فقط، أي بالأصوات خاصَّة لا بالموجودات عامَّة. انظر شرح العقائد النسفية (١٠٧).

(٤) أخرج حديث الإسراء والمعراج البخاري (٣٨٨٧). ومسلم (١٦٢) وما بعدها.

(٥) سورة الشورى (١١).

والتواتر ، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾(١) ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾(٢).

وأجمع أهل الأديان والعقلاء على أنَّه تعالى سميع بصير متكلم ، والمشتَقُّ يدلُّ على المشتَقِّ منه. خلافاً للمعتزلة النافين للمعاني ، حيث قالوا: سميع بلا سمع ، بل بذاته وهكذا(٣).

وأمَّا إنكار كونه سميعاً وهكذا ، فهو كفر ؛ لأنَّه صادَم الوارد صراحة، وإنَّما كانت أدلَّة هذه الصفات الثلاثة نقليَّة؛ لأنَّ إيجاد العالَم ليس متوقِّفاً عليها؛ لأنَّ صفة العلم مغنية عنها ، فإنَّ الفَرَض أنَّ علمه محيط بحقائق الواجبات والجائزات والمستحيلات على ما هي عليه تفصيلاً في كل جزئيَّة ، فهو غنيٌّ عن المؤكِّد(٤).

صفة الإدراك (والخلاف فيها)

قوله: (فهل له إدراك. . . إلخ)

حاصله أنَّهم اختلفوا هل للمولى صفة زائدة على السبع المعاني

---

(١) سورة النساء (١٦٤).
(٢) سورة الشورى (١١).
(٣) أي: بصير بلا بصر ، ومتكلِّم بلا كلام.
(٤) أي: غنيٌّ عن إقامة الدَّليل العقليِّ على السمع والبصر والكلام.

٣٠ـ فهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ اوْ لاَ خُلْفُ   وعِنْد قَوْمٍ صَحَّ فِيه الوَقْفُ

....

تسمَّى الإدراك ـ يدرك بها الملموسات والمذوقات والمشمومات؛ لأنَّها كمالات، وكلُّ كمال يجب أن يثبت له ـ أَوْ لا؛ لأنَّه لم يرد إطلاقه على الله، وصفة العلم مغنية عنه.

وقيل بالوقف وهو الأصحُّ؛ لأنَّه وإن لم يرد إطلاقه، لكنَّه كمال، فلا نثبته ولا ننفيه.

وعلى القول بإثباته، فقيل يتعلَّق بالملموسات والمذوقات والمشمومات، وقيل: يتعلَّق بالموجودات، وقيل: هو صفات ثلاث على حسب تعلُّقه بالملموسات والمشمومات والمذوقات، فتكون صفات المعاني عشرة، ومن نفاها أو صحَّح الوقف بنى ذلك على أنَّ دليل الصفات الثلاثه[1] نقلي؛ لأنَّ العقلي ضعيف، فإنَّه لا يلزم من كونها كمالاً في حقِّ الحوادث كونها كمالاً في حقِّ القديم[2].

قوله: (خُلْف)

خبر لمبتدأ محذوف تقديره: في جوابه خُلْف، أي: اختلاف[3].

---

(١) السمع والبصر والكلام.

(٢) والحاصل أنَّ صفة الإدراك: يثبتها مَن يقول بالدَّليل العقلي فيها، وفي السمع والبصر والكلام، إلى جانب الدَّليل النقلي في الثلاثة الأخيرة. وينفيها مَنْ يقول في ذلك بالدَّليل السمعي فقط. ويقول بالوقف من يراها كمالاً، فلا يثبتها ولا ينفيها. وهذا القول أسلم وأصحُّ من القولين الأوَّلين. انظر تحفة المريد (٤٨).

(٣) والصحيح أن يقول ـ رحمه الله ـ: مبتدأ خبره محذوف تقديره: في جوابه خلف. أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الجواب خلف.

٣١ـحَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مُرِيْدُ   سَمِـعْ بَصِيْـرٌمَـا يَشَـا يُـرِيْـدُ
. . . .

د ـ الصفات المعنوية سبع

١ ـ كونه حيّاً

قوله: (حيٌّ)

لمَّا فرغ من صفات المعاني شرع يتكلَّم على الصفات المعنوية، والصفة هي: كونه حياً. وأمَّا (الحيُّ) فهو اسم من أسمائه تعالى.

ودليلها هو دليل المعاني؛ لأنَّها ملازمة لها؛ لأنَّ كونه حيّاً.. إلخ يستلزم حياة وهكذا.

وحياته تعالى حقيقية ذاتية، وأمَّا حياة الحادث فهي عرضية قابلة للزوال في كلِّ لحظة.

٢ ـ كونه عليماً

(قوله: عليم)

أي: من صفاته كونه عليماً بالواجبات والجائزات والمستحيلات، فالصفة هي كونه عليماً وعالماً، والاسم عليم وعالم وعلَّام، وتقدَّم الدليل عليها[1].

---

(١) انظر ص(١٧٨) من هذا الكتاب.

٣١ـ حَيٌّ عَلِيمٌ قَـادِرٌ مُرِيْـدُ سَمعْ بَصِيْرٌ مَا يَشَا يُرِيْدُ

٣ ـ كونه قادراً

(وقوله: قادر)

هذا هو الاسم أيضاً ، وأمَّا / الصفة فهي كونه قادراً. ٢٢/أ

٤ ـ كونه مريداً

قوله: (مريد)

هذا هو الاسم أيضاً ، وأمَّا الصفة فهي كونه مريداً ، وتقدَّم الدليل [عليها][(١)] أيضاً[(٢)].

٥ ـ كونه سميعاً

قوله: (سَمِـع)

بحذف الياء للضرورة ، وهذا هو الاسم أيضاً.

(١) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٢) انظر ص(١٧٦) من هذا الكتاب.

٦ - كونه بصيراً

وكذا **قوله**: **(بصير)**

وأمَّا الصفة فهي كونه سميعاً بصيراً، وتقدَّم أنَّ دليلها سمعي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(١)].

قوله: (ما يشا يريد)

أشار بذلك إلى أنَّ المشيئة والإرادة مترادفان، خلافاً لمن فرَّق بينهما، فما أراده أزلاً أظهره فيما لا يزال[(٢)]، ومراداته تعالى هي شؤونه في خلقه، كالخلق والرَّزق والإحياء والإماتة والخفض والرفع.

حكي أنَّ ابن الشجري[(٣)] كان يقرِّر في درسه قولَه تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[(٤)] فسأله سائل وقال له: ما شأن ربِّك اليوم؟ فأطرق رأسه، وقام متحيِّراً، فنام فرأى النبي ﷺ، فسأله عن ذلك، فقال له: السائل لك

---

(١) سورة الشورى (١١).
(٢) أي: فيما بعد الأزل.
(٣) هبة الله بن عليٍّ أبو السعادات، من أئمَّة العلم باللُّغة والأدب وأحوال العرب، ولد سنة (٤٥٠هـ) في بغداد. من كتبه: الأمالي، الحماسة. توفِّي سنة (٥٤٢هـ). النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٢)، وفيات الأعيان (٦/ ٤٥).
(٤) سورة الرحمن (٢٩).

الخضر، فإذا أتاك في غدٍ وسألك، فقل له: (شُؤونٌ يُبدِيها ولا يَبْتَدِيها[١]، يَرفَعُ أَقْواماً ويَضَعُ آخَرينَ)[٢] فلمَّا أصبح أتاه وسأله، فأجابه بما ذكر، فقال له: صلِّ على مَن علَّمك، ومشى مسرعاً.

وورد: «إنَّ في كلِّ يوم ولَيلـةٍ لكُـلِّ إنسانٍ مئـةَ أَلْـفِ نَفَسٍ وَأَرْبَعَـةً وعِشرِينَ أَلفَ نفَسٍ، في كُلِّ نفَس يموت مئةُ ألفٍ، ويُولدُ مئةُ ألفٍ، وتَحِملُ مئةُ ألفٍ، ويُفَرَّج عن مِئةِ ألفٍ، ويُعَزُّ مئةُ ألفٍ، ويُذَلُّ مئةُ ألفٍ، ويُعْتَقُ من النَّارِ مِئةُ أَلَفٍ»[٣]، وقيل: في كلِّ [نَفَس][٤] ستمئةِ ألفٍ، ومع هذا كلِّه الملائكةُ أكثر المخلوقات، فقد قال الصُّنهاجي[٥]

---

(١) معنى (شؤون): أحوال، (يبديها): يظهرها، (ولايبتديها): لا يستأنفها علماً. ومعنى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ كل وقت هو في أمر يظهره على وفق ما قدَّره في الأزل، كإحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وإجابة داعٍ. انظر المزيد على إتحاف المريد للسحيمي ج١ (ق٢٩٢/ب).
قال بعضهم: شؤون يبديها لا شؤون يبتديها، أي: لا يتغير حكمه بأنه سيكون، ولكن يأتي وقتٌ قدَّر الله فيه فعله، فيبدو فيه ما قدَّره الله. انظر التفسير الكبير للرازي (٢٩/١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) أخرج البخاري في تاريخه، وابن ماجه، وابن حبان، وجماعة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: «من شانه أن يغفر ذنباً، ويُفرِّج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين» وزاد البزار: «ويجيب دعاءً». انظر روح المعاني للألوسي (٢٧/ ١١٠ ـ ١١١).

(٣) لم نجد هذا النص في كتب الحديث. وجعله السحيمي من كلام الصوفيَّة. انظر المزيد ج١ (ق٢٩٣/ أ).

(٤) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٥) محمَّد بن سعيد بن عمر المغربي الصُّنهاجي، قاضٍ بأزمور، يعرف بابن =

في كنز الأسرار:

(إن بني آدم عُشر الجنِّ ، وبني آدم والجنَّ عُشر حيوانات البَرِّ ، وهؤلاء كلُّهم عُشر الطيور ، وهؤلاء كلُّهم عُشر حيوانات البحار ، وهؤلاء كلُّهم عُشر ملائكة الأرض ، وهؤلاء كلُّهم عُشر ملائكة سماء الدُّنيا ، وهؤلاء كلُّهم عُشر ملائكة السماء الثانية ، وهكذا إلى الكرسيِّ إلى العرش) .

٧ ـ كونه متكلماً

قوله: (متكلِّم)

هذا هو الاسم ، وأمَّا الصفة فهي كونه متكلِّماً ، وتقدَّم الكلام بدليله(١) .

قوله: (ثمَّ صفات الذات . . . إلخ)

هذه المسألة قصد بها المصنِّف الردَّ على المعتزلة ، حيث أوردوا على أهل السنَّة شُبْهَةً حاصلها: إنَّكم ادَّعيتم وجود صفات المعاني وقدمَها ، وقد كفَّرْتم النصارى بزيادة إلٰهين ، فأنتم من باب أَولى في الكفر؛ لإثبات قدماء ثمانية.

وحاصل الجواب: أَنَّ المحظور المبطِلَ للتوحيد إنَّما هو تعدُّد القدماء المتغايرة المنفكَّة ، وصفات الذات ليست كذلك ، فقوله:

= شابذ . له : كنز الأسرار ، ولواقح الأفكار . توفِّي سنة (٧٩٥هـ) . هدية العارفين (٢/ ١٧٥) .

(١) انظر ص(١٨٠ ـ ١٨١) وما بعدهما من هذا الكتاب .

٣٢ـ مُتَكَلِّمٌ ثُمّ صِفَاتُ الذَّاتِ   لَيْسَتْ بَغَيْرٍ أَوْ بِعَيْنِ الذَّاتِ

. . . .

ليست بغير الذات: أي ليست مغايرة للذات منفكَّة عنها.

وقوله: (أو بعين الذات)

أو بمعنى الواو[١]، أي: وليست هي عين الذات، أي: بل لا يقال لها: غير ولا عين. ولزوم الفساد بتعدُّد الآلهة إنَّما يحصل إن كانت قدماء منفكَّة، كلٌّ مستقلٌّ، / أو كانت الصفات عين الذات؛ لما يلزم ٢٢/ب عليه من أنَّ العلم والقدرة إلى آخر الصفات عين الذات، والذات عينها، وهو تهافت باطل[٢].

فعلم أنَّ مذهب أهل السنَّة أَنَّ صفات الذات زائدة عليها، قائمة بها، لازمةٌ لها لزوماً لا يقبل الانفكاك، فهي دائمة الوجود مستحيلة العدم، فهو حيٌّ بحياة، عالم بعلم، قادر بقدرة، وهكذا.

وقد نفى المعتزلة تلك الصفات هروباً من تلك الشُّبْهَة، وقالوا: قادر بذاته[٣] إلى آخرها، وهو مذهب باطل[٤]، لكنَّه فسق[٥]، وليس بكفر.

ثم اعلم أنَّ وجوب صفات المعاني ذاتيٌّ لها، مثل وجوب الذات،

---

(١) لأن القاعدة أنها تكون بمعنى الواو بعد النفي. تحفة المريد (٥٠).

(٢) خلاصة القول: هو أنَّ صفات الله سبحانه: القدرة والإرادة والعلم... هي صفات ملازمة له غير منفكة عنه جلَّ وعلا، وهذا معنى قوله: (ليست بغير...). كما أنَّ صفاته ليست عين الذات مفهوماً؛ لأنَّ الذات هو الله سبحانه، أمَّا القدرة والإرادة والعلم... فبمفهومها صفات الله جلَّ جلاله، وليست ذاته، وهذا هو معنى قوله: (ليست بعين...).

(٣) أي: قادر وليس له قدرة، وعالم وليس له علم وهكذا... وكلُّ هذا باطل.

(٤) إذ أثبت الله العلم لنفسه في محكم كتابه بقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾.

(٥) لأنَّهم ما قالوا هذا القول إلا خوفاً من التعدُّد، فلذلك كان فسقاً ولم يكن كفراً.

وليست ممكنةً[١] في نفسها واجبةً بوجوب الذات، خلافاً لسعد الدِّين[٢]، تبعاً للفخر[٣]، وتبعه أيضاً جماعة كالبيضاوي[٤]، وشنَّع عليه ابن التِّلِمْساني[٥] فقال: (وصَرَّح أي: الفخر ـ والعياذ بالله ـ بكلمة لم يُسبَق إليها، فقال: هي ممكنة باعتبار ذاتها، واجبة بوجوب ذاته، جلَّ وعلا، وضاهى قولَ الفلاسفة: العالَم ممكن باعتبار ذاته، واجب بوجوب مقتضيه، ونعوذ بالله من زلَّة عالِم) وبناها على اعتقاد صحَّة شبهة الفلاسفة: بأنَّ الافتقار بمعنى مطلقِ التوقف يوجب الإمكان[٦]، وأنَّ كلَّ مركَّب مفتقر إلى جزئه، وجزؤه غيره، والمفتقر للغير لا يكون إلا ممكناً، وتَوَهَّم التركيبَ باعتبار الصفات، وادَّعوا بأنَّ الإمكان لا ينافي [القِدَم][٧]، وهي عقيدة باطلة تهدم كثيراً من مسائل أهل السنَّة.

والحاصل أنَّ الصفات:

١ ـ إما عين الذات، وهي النفسية.

---

(١) قوله: (وليست ممكنة) أي: لا يؤيِّد الصاوي فكرة كون صفات الله سبحانه ممكنةً، أي: قابلة للوجود والعدم في نفسها، واجبة بوجوب الذات، إنَّما هي واجبة الوجود أصلاً.

(٢) سبقت ترجمته (١٤٩). انظر قول سعد الدين في شرح المقاصد (٢/ ٥٥ـ٥٦). وشرح العقائد النسفية (١٠٢ـ١٠٣).

(٣) سبقت ترجمته (١١٥).

(٤) سبقت ترجمته (٨٢). انظر مطالع الأنظار على طوالع الأنوار (١١٧ـ١١٩).

(٥) سبقت ترجمته (١٤٨).

(٦) أي: كلُّ ما يتوقَّف بوجوده على غيره يجب أن يكون ممكناً.

(٧) في (م) الإمكان. وما أثبتناه من (د).

٣٣ ـ فَقُدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلا تَنَاهِيْ مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ

....

٢ ـ أو غير الذات ، وهي السلبية ـ لكون مدلولها عدماً ـ والفعلية[1] ؛ لحدوثها.

٣ ـ أو لا عينُ الذات ولا غيرها ، وهي وجودية ، وتسمَّى المعاني.

٤ ـ أو لا عين الذات ولا غيرها ، وهي اعتبارية ، وتسمَّى معنوية.

٥ ـ أو صفات جامعة وهي: العزَّة والجلال والجمال والغنى ونحو ذلك.

بيان تعلُّقات الصفات

١ـ تعلقات القدرة

قوله: (فقدرة بممكن تعلَّقت)

اعلم أنَّ الصفات الوجودية قسمان: **متعلِّق ، وغير متعلِّق**.

وضابط الأوَّل: ما يقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلِّها[2]:

ـ كالقدرة: فإنَّها تقتضي مقدوراً يتأتَّى بها إيجاده وإعدامه.

ـ والإرادة: فإنَّها تقتضي مراداً يتخصَّص بها[3].

---

(١) المراد بالفعلية أفعاله سبحانه وتعالى كالإماتة والإحياء والإعطاء والمنع وغيرها.

(٢) قوله: القيام بمحلِّها يريد به الذات ، وعليه فالضابط هو: (ما يقتضي أمراً زائداً على الذات). انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٩٣).

(٣) وعليه فوظيفة الإرادة التخصيص بإحدى الاحتمالات المتعدِّدة للمخلوق (الممكنات المتقابلات) كأن يوجده الله بإرادته: في زمن دون زمن ، وحجم دون حجم ، ولون دون لون. =

ـ والعلم: فإنَّه يقتضي معلوماً ينكشف به.
ـ والكلام: فإنَّه يقتضي معنى يدلُّ عليه.
ـ والسمع: فإنَّه يقتضي مسموعاً يُسمع به.
ـ والبصر: فإنَّه يقتضي مُبْصَراً يُبْصَرُ به.

وضابط ما لا يتعلَّق: ما لا يقتضي أمراً زائداً على قيامها بمحلِّها، وهو الحياة لا غير.

والمتعلِّق إما متعلِّق:

ـ بجميع أقسام الحكم العقليِّ، وهو العلم والكلام.
٢٣/أ ـ أو بالجائزات فقط، وهو / القدرة والإرادة.
ـ أو بالموجودات فقط واجبةً أو جائزة، وهو السمع والبصر.

وقد شرع في تفصيل ذلك بقوله: **(فقدرة)**. فالفاء فاء الفصيحة[1]، واقعة في جواب شرط مقدَّر، تقديره إذا أردت معرفة تعلُّقات الصفات، فالواجب عليك اعتقاد أنَّ القدرة الأزليّة تتعلَّق بكلِّ ممكن؛ والمراد بالممكن ما عدا الواجب والمستحيل، فتتعلَّق بالممكنات إيجاداً وإعداماً. ولا تتعلَّق بالواجبات؛ لأنَّها إن تعلَّقت بإيجادها لزم تحصيل الحاصل، أو بإعدامها لزم قلب الواجب جائزاً، وهو قلب للحقائق. ولا بالمستحيلات؛ لأنَّها إن تعلَّقت بإيجادها لزم قلب الحقائق، أو بإعدامها لزم تحصيل الحاصل.

= بينما وجدنا أنَّ وظيفة القدرة الإيجاد والإعدام. انظر ص(٢٠٠ ـ ٢٠١) من هذا الكتاب.

(١) سمِّيت فاء الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر. انظر شرح الكفراوي على متن الآجرُّوميَّة ص(١١).

٣٣ ـ فقُدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعَلَّقَتْ   بِـلا تَنـاهِـيْ مَـا بِـهِ تَعَلَّقَـتْ

فعـدم تعلُّق القدرة بالواجب والمستحيـل ليس بعجز ، بخلاف الممكن. وأمَّا قول حُجَّة الإسلام الغزالي[١]: (ليس في الإمكان أبدعُ مما كان) فاستشكلوه قديماً لإيهامه العجز ، وهو عليه محال ـ تعالى الله عنه ـ وأجيب عنه بأجوبة منها:

١ ـ أنَّ المراد بالإمكان إمكان الخلائق ، فالمعنى ليس في إمكان الخلائق تغيير ما أراده الله وأبدعه ، فالمنفي تعلُّق قدرة الخَلْق.

٢ ـ ومنها أن المراد إمكان الله باعتبار تعلُّق علمه أزلاً بإيجاد هذا العالَم على هذا النظام ، وتعلُّقُ القدرةِ التنجيزيُّ لا يكون إلا على طِبْق ما سبق به العلم ، وإلا لانْقلبَ العلم جهلاً ، فليس من الممكن إيجاد عالم غير هذا الموجود[٢] ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[٣] فباعتبار الجواز العقليِّ بقطع النظر عن تعلُّق العلم.

٣ ـ ومنها أنَّ المراد ليس في الإمكان جعلُ الحادث قديماً؛ لعدم تعلُّق القدرة بذلك؛ لأنَّ الشيء إمَّا قديم أو حادث ، فالحادث يستحيل خروجه عن وصف الحدوث إلى القدم ، ولو زِيد في إتقانه مهما زيد لا يخرج عن وصف الحدوث والافتقار ، وذكر شيخنا الأمير[٤] نقلاً عن ابن عربي[٥]

(١) سبقت ترجمته (١١٤).

(٢) القدرة تابعة للإرادة بالتعقُّل وبالزمن ، والإرادة تابعة للعلم بالتعقُّل لا بالزمن ، وعلى هذا لا يمكن أن يريد الله خلاف ما علم ، ولا أن يُوجد خلاف ما أراد ، فالذي أراده هو هذا العالَم؛ لذلك لا يمكن أن يكون أبدع منه؛ لأنَّه لم يُرد غيره. انظر تحفة المريد (٥٢). وص(٢٠٢) من هذا الكتاب.

(٣) سورة المعارج (٤١).

(٤) سبقت ترجمته (١٣٣ ـ ١٣٤). انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٤٦).

(٥) سبقت ترجمته (١١١).

والشعراني(١) ما يفيد ذلك.

قوله: (بلا تناهي(٢) ... إلخ)

أي من غير نهاية لما تعلَّقت به، فلا يخرج عنها فرد.

قوله: (ووحدة أوجب لها)

أي للقدرة، يعني أنَّه يجب شرعاً أن تعتقد أنَّ قدرة الله واحدة، وتتعلَّق بكلِّ ممكن إيجاداً وإعداماً، وعدمَ تناهي متعلَّقاتها.

والدَّليل على أنَّها واحدة أنَّه يلزم على تعدُّدها اجتماع مؤثِّرين على أثر واحد. وعلى أنَّها تتعلَّق بكلِّ ممكن أنَّه لو خرج ممكن عن تعلُّقها لزم منه العجز.

وعلى عدم تناهي متعلَّقاتها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣) والمراد بالشيء في الآية معناه اللُّغويُّ، وهو الممكن،

---

(١) عبد الوهَّاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمَّد بن الحنفية، كان من علماء المتصوِّفين، ولد بمصر سنة (٨٩٨هـ)، ونشأ بساقية أبي شعرة، وإليها نسبته، توفِّي في القاهرة سنة (٩٧٣هـ). له تصانيف منها: القواعد الكشفية في الصفات الإلهية، تنبيه المغترِّين في آداب الدِّين. انظر شذرات الذهب (٨/ ٣٧٢)، الكواكب السائرة (٣/ ١٧٦).

(٢) نضيف إلى ذلك أنَّ القدرة تتعلَّق بالممكنات المتناهية، كنعيم الدُّنيا، وعمر المخلوقات فيها. وبالممكنات غير المتناهية، كنعيم الجنَّة وأنفاس أهلها. انظر تحفة المريد (٥١).

(٣) سورة التوبة (٣٩).

٣٤ـ وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَها ومِثْلُ ذِيْ إرادَةٌ والعِلمُ لَكِنْ عَمَّ ذِيْ

....

وجزئيات الممكنات لا تتناهى[١] خيراً كان أو شرّاً. خلافاً للمعتزلة القائلين: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية[٢].

٢ ـ تعلُّقات الإرادة

قوله: (ومثل ذي إرادة)

اسم الإشارة عائد على القدرة، يعني أنَّ الإرادة مثل القدرة في الثلاثة المتقدِّمة، وهي تعلُّقها بتخصيص كلِّ ممكن، وعدم تناهي متعلَّقاتها، / وكونها واحدة، فالمثلية في هذه الثلاثة [لا][٣] في التعلُّق، فإنَّ تعلُّق القدرة الإبراز، وتعلُّق الإرادة التخصيص. ٢٣/ب

---

(١) كأنفاس البشر مثلاً في الدنيا والآخرة، والحركات والسكنات المتتالية.

(٢) أي: إنَّ المعتزلة ترى أنَّ العبد يخلق أفعال نفسه، وهذه الأفعال خارجة عن قدرة الله، وذلك حتَّى لا يجتمع مؤثِّران على أثر واحد. إلا أنَّنا لا نسلِّم لهم بذلك؛ إذ يقول أهل السنَّة: إنَّ أفعال العبد يخلقها الله سبحانه، وللعبد الكسب فحسب؛ لذلك أفعالنا اكتسابية، والخالق هو الله جلَّت قدرته. انظر صفحة (٢٣٠) و(٢٤٠) من هذا الكتاب.
قال سعد الدين التفتازاني:
واكتفى أهل السنة بأنا نعلم بالبرهان أن لا خالق سوى الله تعالى، ولا تأثير إلا للقدرة القديمة، ونعلم بالضرورة أن القدرة الحادثة للعبد تتعلق ببعض أفعاله كالصعود، دون البعض كالسقوط، فيسمى أثر تعلق القدرة الحادثة كسباً، وإن لم يعرف حقيقته اهـ. شرح المقاصد (٢/ ٩٣ وما بعدها).

(٣) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

فللقدرة تعلُّقان:

١ ـ **صُلوحيٌّ قديم**[١]: وهو صلاحيَّتها أزلاً لكلٍّ جهات الممكن[٢] الستِّ التي هي:

إيجاده وإعدامه، وكونه بهذه الصفة أو بصفة أخرى وهكذا.

٢ ـ **وتنجيزيٌّ حادث**[٣]: وهو تعلُّقها بإيجاد الممكن دون إعدامه[٤]، بهذه الصفة دون غيرها، في هذا المكان دون غيره، وهذا الزمان دون غيره، في هذه الجهة دون غيرها، في هذا المقدار دون غيره.

وأمَّا الإرادة فلها ثلاثة[٥] تعلُّقات:

١ ـ **صُلوحيٌّ قديم**: وهو صلاحيَّتها أزلاً لتخصيص الممكن بأحد الجهات المذكورة لا بعينه.

٢ ـ **وتنجيزيٌّ قديم**: وهو تخصيصها أزلاً بما سيحصل في المستقبل، فما عَلِمَ الله وجودَه خصَّصه بإرادته أزلاً، فيستحيل تخلُّفه، وهذا معنى قول الغزالي[٦]: (ليس في الإمكان أبدع مما كان).

---

(١) الصُّلوحي بضم الصاد نسبة للصُّلوح مصدر بوزن القُعود. انظر حاشية الأمير (٩٤)

والمراد بالصلوحيِّ: هو أنَّ القدرة صالحة للإيجاد والإعدام من الأزل.
إتحاف المريد (٩٤). وتحفة المريد (٤٠).

(٢) انظر أقسام الممكنات في صفحة (١٧٢) من هذا الكتاب.

(٣) التعلُّق التنجيري: هو التعلُّق الحادث المقارن لتعلُّق الإراد: بالحدوث الحالي إتحاف المريد (٩٤).

(٤) انظر صفحة (١٧٢) من هذا الكتاب، وما قاله المؤلِّف فيما يتعلَّق بالأعدام.

(٥) في (م) و(د) ثلاث، والصواب لغة: ثلاثة.

(٦) سبقت ترجمته في ص(١١٤).

٣٤ ـ وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَها ومِثلُ ذِيْ   إرادَةٌ والعِلـمُ لَكِـنْ عَـمَّ ذِيْ

. . . .

٣ ـ **وتنجيزيٌّ حادث**: وهو تعلُّقها بتخصيصه عند بروزه على قول[١].

إن قلت: لم يظهر لهذا التعلُّق حكمة؛ فإنَّه قد تَنَجَّز أزلاً، فيكون تحصيلاً للحاصل.

أجيب: بأنَّ حكمة هذا التعلُّق إظهاره للملائكة.

والحاصل: أنَّ تعلُّق القدرة التنجيزيَّ مترتِّب في التعقُّل والحصول على تعلُّق الإرادة التنجيزي[٢]، وتعلُّق الإرادة مترتِّب على تعلُّق العلم في التعقُّل أيضاً، لا في الوجود؛ لأنَّ الواقع أنَّهما قديمان[٣]، وهذا معنى قولهم: (يجب الإيمان بالقضاء والقدر).

فالقضاء: هو عين تعلُّق الإرادة والعلم التنجيزي.

والقدر: هو عين تعلُّق القدرة التنجيزي، وتعلُّق الإرادة التنجيزي

---

(١) لم يسلِّم الباجوري بهذا التعلُّق وقال: (وزاد بعضهم تعلُّقاً ثالثاً، وهو تعلُّقها بالممكن حين وجوده بالفعل، فيكون تعلُّقاً تنجيزياً حادثاً. والحقُّ أنَّ هذا ليس بتعلُّق، وإنَّما هو إظهار للتعلُّق) اهـ. تحفة المريد (٥٢).

(٢) والمراد: أنَّ تعلُّق القدرة التنجيزي الحادث مترتِّب على تعلُّق الإرادة التنجيزي القديم في الإدراك، وفي زمن الحصول (أي الوجود).

(٣) أي: تعلُّق الإرادة، وتعلُّق العلم؛ لأنَّ تعلُّق العلم تنجيزيٌّ قديم، وليس له تعلُّق تنجيزيٌّ حادث، ولا تعلُّق صلوحيٌّ. كما أنَّ تعلُّق الإرادة تعلُّق تنجيزيٌّ قديم، وليس لها تعلُّق تنجيزيٌّ حادث، لكنْ لها تعلُّق صلوحيٌّ قديم، بينما أثبت العلماء للقدرة سبعة تعلُّقات، واحد صلوحيٌّ قديم، وثلاثة تعلُّقات قبضيَّة، وثلاثة تعلُّقات تنجيزيَّة حادثة، فصَّلها الباجوري. انظر تحفة المريد ص(٤٠) وما بعدها. وص(٥٠) وما بعدها.

٣٤ ـ وَوَحْدَةً أَوْجِبْ لَهَا ومِثْلُ ذِيْ إرادَةٌ والعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِيْ

٣٥ ـ وعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً والمُمْتَنِعْ ومِثْلُ ذَا كَلامُهُ فلْنَتَّبِعْ

. . . .

الحادث على القول به ، وسيأتي بيان ذلك[1] .

٣ ـ تعلقات العلم

قوله : (والعلم)

أي : فهو مثل القدرة في تعلُّقه بالممكنات ، وعدم تناهي متعلَّقاته ، وأنَّه واحد ، ولكنَّه لا يختصُّ بالممكنات ، بل هو عامُّ التعلُّق ، يتعلَّق بالممكنات تعلُّق إحاطةٍ وانكشاف ، والواجباتِ كذاته وصفاته ، والمستحيلاتِ كالنقائص . فعِلمُ الله بالأشياء قبل وجودها أزليٌّ كعلمه بالواجبات والمستحيلات .

قوله : (عمَّ ذي)

أي : الممكنات التي أشار لها بقوله : (بممكن)[2] .

قوله : (وعمَّ أيضاً واجباً) أي : كذاته تعالى وصفاته .

قوله : (والممتنع)

أي : أفراد المستحيل ، فعلمه سبحانه وتعالى متعلِّق بالممكنات والواجبات والمستحيلات تعلُّقاً تنجيزياً قديماً ، ولا يتأتَّى فيه

---

(١) انظر ص(٢٥٤ ـ ٢٥٥) من هذا الكتاب .

(٢) أراد قول الناظم :

فَقُدْرَةٌ بِمُمْكِنٍ تَعلَّقَتْ بلاَ تَناهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ

٣٥ـ وعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً والمُمْتَنِعْ ومِثْلُ ذَا كَلامُهُ فلْنَتَّبِعْ

. . . .

الصلاحيَّة[1] والحدوث[2]؛ لاستلزامه الجهل، تعالى الله عنه.

٤ ـ تعلقات الكلام

قوله: (ومثل ذا كلامه)

اسم الإشارة عائد على العلم، أي: إنَّ كلام الله تعالى كعلمه في وحدته، وعدم تناهي متعلَّقاته، وكونه يتعلَّق بالواجبات/، والجائزات ٢٤/أ والمستحيلات، لكنَّ تعلُّق العلم تعلُّقُ إحاطة وانكشاف، وتعلُّق الكلام تعلُّق دلالة، فكلام الله[3] يدلُّ على كنه ذاته وجميع كمالاته[4]، وحقيقة الكائنات على ما ستوجد عليه[5] كعلمه، وبهذا تعلم صحَّة ما تقدَّم[6] من أنَّ الكتب السماوية دلَّت على بعض مدلول الكلام النفسي[7]، وإلا

---

(١) لأنَّ مَنْ وصفناه بأنَّه صالح للعلم فقد نفينا عنه العلم عند الوصف بالصلاحية.

(٢) لأنَّنا إذا قلنا بالتعلُّق التنجيزيِّ الحادث في العلم، فهذا يقتضي سبق الجهل، تعالى الله سبحانه عن ذلك. انظر تحفة المريد (٤٣).

(٣) أي: كلام الله النفسي لا القرآن فحسب؛ إذ القرآن بعض كلام الله سبحانه. انظر إتحاف المريد (٩٥).

(٤) هذا هو تعلُّقه بالواجبات.

(٥) هذا هو تعلُّقه بالجائزات. وأمَّا ما يتعلَّق بالمستحيلات فنفيه للنقائص كالشريك والصاحبة والولد.

(٦) انظر الصفحة (١٨٢) من هذا الكتاب.

(٧) يُستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة لقمان (٢٧).
وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ سورة الكهف (١٠٩).

لو كان القرآن مثلاً دالاً على جميع مدلول الكلام النفسي لساوى علمُ نبيِّنا علمَ الله ؛ لأنَّه أُعطي جميع علم القرآن ، وهذا كفر بإجماع .

وللكلام ثلاثة [١] تعلُّقات :

١ ـ **تنجيزيٌّ قديـم** : وهو تعلُّقه بذات الله وصفاته ، والمستحيلات ، وأخبار الكائنات قبل وجودها .

٢ ـ **وصُلوحيٌّ قديم** : وهو صلاحيَّته لخطاب من لم يوجد [٢] .

٣ ـ **وتنجيزيٌّ حادث** : وهو خطابه بالفعل لمن وُجِد [٣] .

قوله : (فَلْنَتَّبِع)

أي : فلنتَّبع القوم فيما التزموه ونعوِّل عليهم ؛ لأنَّهم هم الفرقة الناجية التي قال فيها رسول الله ﷺ : «اِفْتَرَقَ مَنْ قَبْلَكُم اثنتين وسَبعِينَ فِرقةً ، وستَفتَرِقُونَ ثلاثاً وسَبعينَ فِرقةً ، فرقةٌ ناجيةٌ ، والباقونَ في النَّار» [٤] .

---

(١) في (م) و(د) ثلاث . والصواب لغة : ثلاثة .

(٢) كقوله تعالى من الأزل : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ سورة البقرة (٤٣) ، فهذا خطاب مَنْ لم يوجد .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ سورة مريم (١٢) .

(٤) انظر تخريج الحديث في ص(٨٦) من هذا الكتاب .

٣٦ـ وكُلَّ مَوْجُودٍ أَنِطْ لِلسَمْعِ بِهْ   كَذا البَصَرْ إِدْرَاكُهُ إِنْ قِيْلَ بِهْ
. . . .

٥ ـ تعلقات السمع

قوله: (أنط للسمع)[١]

أي علِّق السمع به، أي: اعتقد تعلُّق السمع بالموجودات[٢] تعلُّق إحاطة وانكشاف.

٦ ـ تعلقات البصر

قوله: (كذا البصر)

أي: فهو كالسمع يتعلَّق بالموجوات.

تعلقات الإدراك

وقوله: (إدراكه)

معطوف على البصر بحذف العاطف.

---

(١) اللام في قوله: (للسمع) زائدة، والسمع مفعول لأنط، بمعنى علِّق ا هـ. تحفة المريد (٥٣).

(٢) وتعلُّق السمع بجميع الموجودات هو رأي السنوسيِّ ـ رحمه الله ـ، وكذا البصر، أما السَّعد التفتازاني فيرى أنَّ السمع يتعلَّق بالمسموعات فقط، وكذا البصر فيتعلَّق بالمبصرات فقط. انظر ص(١٨٦ ـ ١٨٧) من هذا الكتاب. وشرح العقائد النسفية (١٠٧).

٣٦ـ وكُلُّ مَوْجُودٍ أَنِطْ لِلسَمْعِ بِهْ   كَذا البَصَرْ إِدْرَاكُهُ إِنْ قِيْلَ بِهْ
٣٧ـ وغَيرُ عِلْمٍ هَذِهِ كما ثَبَتْ   ثُـمَّ الحَيـاةُ مـا بِشَـيْ تَعَلَّقَـتْ

. . . .

قوله: (إن قيل به)

أي: إنَّ الإدراك على القول بثبوته يتعلَّق بالموجودات، وقيل: إنه يتعلَّق بالملموسات والمذوقات والمشمومات كما سبق[١].

وللسمع وما معه ثلاثة[٢] تعلُّقات:

١ ـ **تنجيزيٌّ قديم**: وهو تعلُّقه بذاته وصفاته.

٢ ـ **وصُلوحيٌّ قديم**: وهو تعلُّقه بذواتنا وصفاتنا قبل وجودنا.

٣ ـ **وتنجيزيٌّ حادث**: وهو تعلُّقه بذواتنا وصفاتنا بعد وجودنا.

وتعلُّقاتها مختلفة، ولكلٍّ خاصيَّة لم تكن للأخرى، وحقيقة ذلك لا يعلمها إلا الله.

قوله: (وغير علم هذه)

اسم الإشارة مبتدأ عائد على الصفات الأربع، أعني: الكلام والسمع والبصر والإدراك، يعني أنَّها مغايرة للعلم في الحقيقة، وكذا بعضها مع بعض.

وقوله: (كما ثبت)

أي: بالأدلَّة السمعية، ولأنَّ المدلولَ لغةً لكل واحدة غيرُ المدلول للأخرى، فوَجب حمل ما ورد على ظاهره حتَّى يثبت خلافه، واتِّحاد

---

(١) انظر ص(١٨٩) من هذا الكتاب.

(٢) في (م) و(د) ثلاث، والصواب لغة ثلاثة.

٣٧ـ وغَيرُ عِلْمٍ هَذِهِ كما ثَبَتْ   ثُمَّ الحَياةُ ما بِشَيْ تَعَلَّقَتْ

. . . .

المتعلَّق لا يوجب اتِّحاد الحقيقة[١]. وسكت عن وَحدة هذه الصفات[٢] كالحياة؛ للعلم بها من وجوبها لأخواتها؛ إذ لا فرق.

وأمَّا وجوب التعلُّق فمستفاد من صيغة الأمر في قوله: (أنط) كما استفيد عدم تناهي متعلَّقاتها من أداة العموم التي هي (كلُّ).

قوله: (ثمَّ الحياة ما بشي تعلَّقت)

أي: لأنَّها صفة أزليَّة تُصَحِّحُ لمن قامت به أن يتصف بالصفات المعاني والمعنوية، فهي شرط في الجميع، ولا تقتضي أمراً زائداً[٣] غير حصول معناها لمن قامت به.

والدَّليل عليها: ثبوت تلك الصفات، فحيث ثبتت هذه الصفات دلَّ ذلك على ثبوتها.

فتحصَّل أنَّ/ صفات الباري ـ جلَّ وعلا ـ من جهة التعلُّق أربعة أقسام: ٢٤/ب

١ ـ قسم لا يتعلَّق بشيء: وهو الحياة، والصفة النفسيَّة، والصفات السلبية والمعنوية.

٢ ـ وقسم يتعلَّق بجميع أقسام الحكم العقليِّ: وهو العلم والكلام،

---

(١) فالعلم والكلام مثلاً اتَّحدا في كونهما يتعلَّقان بالواجب والجائز والمستحيل، وليس معنى هذا أنَّه يجب اتِّحاد حقيقتهما؛ إذ لكلٍّ مدلول خاصٌّ به.

(٢) أي: لم يتحدَّث عن وجوب وَحدة هذه الصفات (السمع والبصر والإدراك) كما تحدَّث عن ذلك في القدرة وغيرها في قوله:

وَوَحْدَةً أوجِبْ لهَا ومِثلُ ذِي   إرَادَةٌ والعِلمُ لَكِن عَمَّ ذِي

وذلك للعلم بها من وجوبها لأخواتها.

(٣) كما اقتضت القدرة مثلاً أمراً زائداً على الذات، وهو المقدور.

٣٧ـ وغَيرُ عِلْمٍ هَذِهِ كما ثَبَتْ ثُـمَّ الحَيـاةُ مـا بِشَـيْ تَعَلَّقَـتْ

. . . .

لكنَّ تعلُّقَ العلم تعلُّقُ إحاطة وانكشاف ، والكلام تعلُّق دلالة.

٣ ـ وقسم يتعلَّق بالممكنات: وهو القدرة والإرادة.

٤ ـ وقسم يتعلَّق بالموجودات: وهو السمع والبصر والإدراك على القول به.

فالنسبة بين تعلُّق العلم والكلام الترادف ، وكذا بين القدرة والإرادة، وأمَّا بين العلم والكلام[١] مع غيرهما فالعموم والخصوص المطلق.

وبين تعلُّق القدرة والإرادة ، والسمع والبصر ، عموم وخصوص وجهيّ[٢] ، يجتمعان في الموجود الممكن ، وتنفرد القدرة والإرادة بالممكن المعدوم ، وينفرد السمع والبصر بالواجب الموجود ، وهو ذات الله وصفاته[٣].

* * *

(١) قوله: (وأمَّا بين العلم والكلام) يريد به أنَّ تعلُّقات (العلم والكلام) أعمُّ من تعلُّقات (السمع والبصر) و(القدرة والإرادة) أي: إن كلَّ ما يتعلَّق به (السمع والبصر) و(القدرة والإرادة) يتعلَّق به (العلم والكلام) ، وليس كلُّ ما يتعلَّق به (العلم والكلام) يتعلَّق به (السمع والبصر) و(القدرة والإرادة). وهذا كقولنا مثلاً: (الإنسان والحيوان) فيه عموم وخصوص ، فالإنسان خاصٌّ ، والحيوان عامٌّ؛ إذ كلُّ إنسان حيوان ، وليس كلُّ حيوان إنساناً.

(٢) انظر العموم والخصوص الوجهيَّ وضابطه في ص(١٧٥) من هذا الكتاب.

(٣) انظر شرح أم البراهين للسنوسي (١١٦).

أسماء الله عظيمة قديمة توقيفية كصفاته

قوله: (وعندنا أسماؤه العظيمة)

لمَّا فرغ من ذكر الواجب لله ـ وهو الصفات العشرون وتعلُّقاتها ـ شرع في مبحثٍ يجب اعتقاده، وهو أنَّه يجب على الإنسان أن يعتقد أنَّ أسماء الله عظيمة قديمة.

والأسماء: جمع اسم، والمراد به ما دلَّ على ذاته تعالى كالله، أو ذات متَّصفة بصفة كالقادر والعالِم.

وَوَصْفُها بالعظيم كاشف(١)؛ لأنَّ أسماءه كلَّها عظيمة، لا يعلم قدرها غيره.

واختلف هل بينها تفاضل أم لا. فقيل: لا تفاضل، وقيل بالتفاضل، ولذلك يقولون: الاسم الأعظم، أي: الجامع لمعاني الأسماء والصفات، واختلفوا فيه، والحقُّ أنَّه لفظ الجلالة؛ لأنَّ حقائق المؤمنين ممزوجة به.

ومن تكرمة ابن آدم أن جعل أصابع يديه ورجليه رسم الجلالة، فالخنصر الألِف، والبنصر والوسطى اللامان، والدائرة المحيطة بين الإبهام والسبابة الهاء.

كما أن محمَّداً اسمَ نبينا الأعظم؛ لأنَّ تركيب الإنسان على ذلك الاسم، فالميم الأولى رأسه، وجناحاه حاؤه، والميم الوسطى سرَّته،

(١) أي: وصف كاشف، وليس وصفاً احترازياً.

وداله رجلاه. هكذا ذكره بعض أهل الإشارات[١].

وأسماؤه مبتدأ خبره محذوف دلَّ عليه قوله فيما يأتي: (قديمة).

وقوله: (قديمة) الآتي خبر عن قوله: (صفات ذاته)، وحذف منه (عظيمة) لدلالة ما هنا عليه، ففي كلامه احتباك، حذف من كُلٍّ نظير ما أثبته في الآخر.

ويحتمل أنَّ قوله: (قديمة) خبر عن قوله أسماؤه، وقوله: (كذا صفات ذاته) مبتدأ وخبر، معترض بين المبتدأ والخبر، والأصل: صفات ذاته كذا، أي: قديمة عظيمة.

٢٥/أ وقِدَمُ الأسماء/ باعتبار مدلولاتها، أو باعتبار دلالة الكلام النفسيِّ عليها، وأمَّا الألفاظ فحادثة قطعاً، وهذا مذهب أهل السنَّة.

وقالت المعتزلة: إنَّ أسماءه حادثة، سمَّاه بها خلقه. وهو باطل؛ لأنَّه يلزم عليه عُرُوُّه في الأزل عن أسماء، وافتقاره لمن يكمِّله.

قوله: (كذا صفات ذاته)

اعلم أنَّ صفات الله كلَّها عظيمة قديمة إلا صفات الأفعال[٢]؛ فإنَّها وإن كانت عظيمة إلا أنَّها ليست قديمة.

---

(١) لو استغنى المؤلِّف ـ رحمه الله ـ عن ذكر ما قاله بعض أهل الإشارات لكان أَوْلى؛ إذ للفظ الجلالة قدسيته، ولاسم النبيِّ ﷺ مكانته، وعدم الخوض في مثل هذا أسلم.

(٢) المراد بها تعلُّقُ القدرة التنجيزيُّ الحادث، وذلك عند الأشاعرة. أمّا عند الماتريدية فهي قديمة؛ لأنَّها عين صفة التكوين القديمة. انظر تحفة المريد (٥٥).

٣٩ـ واخْتِيرَ أَنَّ اسْمَاهُ تَوْقِيْفِيَّـهْ كَذَا الصِّفَاتُ فاحْفَظِ السَّمْعِيَّـهْ

قوله: (واختير أنَّ اسماه)

أي: اختار جمهور أهل السنَّة، والمراد بها ما قابل الصفات الذاتية[١]، فيشمَل الأسماء المشتقَّة، لا ما قابل الفعل والحرف[٢]، ولا ما قابل الكنية واللَّقب[٣].

قوله: (توقيفية)

أي: تعليميَّة، بمعنى أنَّه لا يجوز لنا أن نسمِّيه باسم غير وارد لنا إمَّا بكتاب أو سُنَّة صحيحة أو حسنة أو ضعيفة، إنْ قلنا: إنَّها من العَمَليَّات[٤]، وأمَّا إن قلنا: إنَّها من العِلميَّات والمعتقدات فلا يجوز الاستناد للضعيفة[٥]. إذا علمت ذلك فالأسماء التي وردت لنا عن الشرع يجوز إطلاقها عليه باتِّفاق، ولو أوهم ظاهرها كالصَّبور والشَّكور والحليم، ولكن تُؤوِّله على ما يأتي. واختلفوا فيما لم يرد به إذن[٦]، وكان موصوفاً بمعناه، ولم يكن موهماً نقصاً، فالراجح عند أهل السنَّة المنع، وأجازه المعتزلة والقاضي أبو بكر الباقلَّاني[٧]، وفصَّل

(١) كالقادر والعالِم والمحيط...

(٢) وهو الاسم عند النحويِّين القائلين: إنَّ الكلمة اسم وفعل وحرف.

(٣) كما ذكر النحويُّون من أنَّ العَلَم: إمَّا أن يكون اسماً أو كنية أو لقباً.

(٤) إذ يؤخذ في العمليَّات كالصلاة والصوم بالحديث الضعيف، إذا كان ذلك في فضائل الأعمال. انظر تحفة المريد (٥٦).

(٥) حتَّى ولا للحسنة ولا للصحيحة؛ لأنَّ المعتقدات لا تثبت إلا بالمتواتر.

(٦) كقولنا مثلاً: عارف. تريد به الله سبحانه، فالراجح عند أهل السنَّة المنع؛ لأنَّه لم يرد عن الشرع. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (٢٣).

(٧) سبقت ترجمته (١١١). وانظر كتابه التمهيد ص(٢٣٠).

الغزالي[١] فقال:

(تجوز الصفة: وهي ما دلَّ على معنى زائد على الذات، دون الاسم). واختار ابن العربي[٢] جواز إطلاق كلِّ اسم يقتضي التعظيم، فإن أوهم نقصاً فلا يجوز قطعاً.

أسماء النبي ﷺ توقيفية

وأما أسماء النبي ﷺ فتوقيفيّة باتِّفاق، ولا يجوز تسميته بما لم يرد، ولو كان متضمِّناً تعظيماً. والفرق أنَّ النبي بشَرٌ يتطرَّق له النَّقص؛ بخلافه سبحانه وتعالى، ولئلاَّ يُطْرُوه كما أطرت النصارى عيسى، قال البوصيري[٣] رضي الله عنه:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصارَى في نَبِيِّهِمِ وَاحْكُم بما شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ واحتكِمِ
فمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وأَنَّهُ خَيرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ[٤]

---

(١) سبقت ترجمته ص(١١٤).
(٢) سبقت ترجمته ص(١١١).
(٣) محمَّد بن سعيد بن حمَّاد الصُّنهاجي البُوصيري المصري، شاعر حسن الدِّيباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بُوصِير بمصر، أصله من المغرب، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وتوفِّي بالإسكندرية سنة (٦٩٦هـ). له من الشعر: البردة، والهَمْزِيَّة. انظر فوات الوفيات (٣/ ٣٦٢)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦).
(٤) الدِّيوان (١٩٣/ ١٩٤).

٣٩ـ واخْتِيرَ أَنَّ اسْمَاهُ تَوْقِيْفِيَّـهْ كَذَا الصِّفَاتُ فاحْفَظِ السَّمْعِيَّهْ
٤٠ـ وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْـهُ أَوْ فَـوِّضْ ورُمْ تَـنْـزِيْهـا
. . . .

تنبيه:

قال ابن فارس[1]: (أسماؤه ﷺ الواردة ألفان وعشرون)، ونقل عن شرح المنهاج للشيخ أبي الحسن أنَّها أربعة آلاف.

قوله: (كذا الصفات)

أي: صفاته تعالى فلا يجوز إطلاق صفة عليه تعالى لم ترد، ولذلك قال العلماء: (إنَّ الأسماء السِّريانية[2] لا يجوز الدُّعاء بها إلا إذا عَرف معناها، أو أخذها عن عارف).

قوله: (فاحفظ السمعية)

أي: ما ورد عن الشارع، وامْتَنِع عن إطلاق ما لم يرد.

الأقوال في النصوص الموهِمة للتشبيه

قوله: (وكلُّ نصٍّ... إلخ)

أي: لفظ ناصٍّ ورد في كتاب أو سُنَّة، وحاصل ما في هذا المقام أنَّـه لما قَدَّم أنَّه سبحانه وتعالى وجبت له المخالفة للحوادث عقلاً

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريَّا القزويني الرازي أبو الحسين، من أئمَّة اللغة والأدب، أصله من قزوين، ولد سنة (٣٢٩هـ)، وتوفِّي في الرَّيِّ سنة (٣٩٥هـ) من مؤلَّفاته: مقاييس اللغة، الصاحبي في فقه اللغة، تفسير أسماء النبي ﷺ. انظر بغية الوعاة (١/ ٣٥٢)، وفيات الأعيان (١/ ١١٨).

(٢) المراد بها أسماؤه تعالى التي وردت في الكتب السماويَّة غير العربية.

وسمعاً ، وورد في القرآن والسنَّة الصحيحة أو الحسنة ما يوهم إثبات الجهة والجسميَّة ، وكان مذهبُ أهل الحقِّ من السلف والخلف[1] تأويلَ الظاهر؛ لوجوب تنزيهه تعالى عنه ، أشار إلى ذلك مقدِّماً طريق
٢٥/ب الخَلَف[2] / لأرجحيَّته؛ لقول أهل الفنِّ: طريقة الخلف أعلمُ وأحكم؛ لما فيها من مزيد الإيضاح ، والردِّ على الخصوم. وطريقة السلف[3] ـ ومنهم الأئمَّة الأربعة ـ أسلمُ؛ للسلامة من تعيين معنى يكون غير مرادٍ له تعالى. والخلاف إنَّما هو في الأولويَّة ، وإلا فارتكاب كلٍّ كافٍ.

فقوله: (أوهم التشبيها)

أي: باعتبار ظاهر دلالته ، أي: أوقع في الوهم معنى غير لائق ، فممَّا يوهم:

ـ **الجهةَ** قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[4].

---

(١) السلف: هم من كانوا قبل الخمسمئة ، وقيل القرون الثلاثة: الصحابة ، والتابعون ، وأتباع التابعين.
والخلف: هم من كانوا بعد الخمسمئة ، وقيل من بعد القرون الثلاثة.
انظر تحفة المريد (٥٦).

(٢) وذلك في قوله: (أوِّله). وطريق الخَلَف هو التأويل التفصيلي ، وذلك بصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى لائق ، كتأويل الفوقيَّة: بالتعالي في العظمة دون المكان في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ كما سيوضِّح المؤلِّف ذلك في الأسطر القادمة.

(٣) وهي التأويل الإجمالي ، وذلك بصرف اللَّفظ عن ظاهره ، وردِّه إلى مراد الله بقولهم: (والله أعلم بمراده).
كما سيبيِّن الشارح ذلك في قول الناظم: (أَوْ فوِّض).

(٤) سورة النحل (٥٠).

٤٠ـ وكُلُّ نَصٍّ أَوْهم التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ ورُمْ تَنْزِيْها

. . . .

ـ **والجسميَّةَ** قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[(١)]، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ . . . ﴾[(٢)]، وحديث الصحيحين: «يَنْزِلُ ربُّنا كُلَّ لَيْلَةٍ إلى سَماءِ الدُّنيا»[(٣)].

ـ **والصورةَ** ما أخرجه أحمد والشيخان: أنَّ رجلاً ضرب عبده، فنهاه النبي ﷺ وقال: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ»[(٤)].

ـ **والجارحةَ** ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[(٥)]، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[(٦)]، «القَلْبُ بينَ أُصْبُعَينِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمنِ يُقَلِّبُهُ كَيفَ يَشَاءُ»[(٧)].

فقوله: (أوِّله)

أي: وجوباً[(٨)] بأن تحمله على خلاف ظاهره بصرفه إلى معنى بعينه

---

(١) سورة البقرة (٢١٠).

(٢) سورة الفجر (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥). ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٧). ومسلم (٢٦١٢) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٥) سورة الرحمن (٢٧).

(٦) سورة الفتح (١٠).

(٧) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بلفظ: «إنَّ قُلُوبَ بَني آدَمَ كُلَّها بَينَ أُصْبُعَينِ مِن أَصَابعِ الرَّحْمنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيثُ يَشَاءُ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِك».

(٨) هذا الوجوب في حمل الموهِم على خلاف ظاهره اتَّفق عليه السلف والخلف، **فمذهب السلف** ـ رضي الله عنهم ـ التأويل الإجمالي؛ إذ قالوا: (الله أعلم بمراد النصوص الموهمة)، ومعنى ذلك أنَّهم صرفوا اللفظ عن ظاهره، ولم يعيِّنوا بديلاً عنه، فكان التأويل الإجمالي مذهبهم. **ومذهب الخلف** التأويل التفصيليُّ المعتمِد على تعيين بديل عند صرف اللَّفظ عن ظاهره. كما بيَّن =

لائق، فتؤوِّل:

ـ **الفوقيةَ** بالتعالي في العظمة دون المكان.

ـ **والإتيانَ** بإتيان رسول عذابه في الغمام؛ لأنَّه مظنَّة نزول الرحمة، وهي نزول المطر، فإذا جاء منه العذاب كان أشدَّ؛ لأنَّ الشرَّ إذا جاء من حيث لا يُحتسب كان أصعب.

ـ **والمجيءَ** بإتيان رسول رحمته يوم القيامة.

ـ **والنزولَ** بنزول رحمته، أو هو ملَك ينادي، كما ورد في بعض طرق الحديث[(١)].

ـ **والصورةُ** الضمير فيها يرجع إلى الأخ المصرَّح به في الطريق الأخرى التي رواها مسلم بلفظ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُم أخاهُ فليجتَنِبِ الوَجْهَ؛ فإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صُورَتِهِ»[(٢)] أي: صورة الأخ المضروب، أو يراد بالصورة الصفة، ويكون المعنى: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب وجهه؛

= الشارح ذلك في هذه الفقرة. ومن هذا الإجماع على صرف اللفظ عن ظاهره نخرج بنتيجة هي: أنَّ التأويل في النصوص الموهِمة واجب. انظر إتحاف المريد (٩٩). وتحفة المريد (٥٧).

(١) أخرج النسائي في الكبرى (١٠٣١٦) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَمضِيَ شَطْرُ الليلِ الأَوَّلِ، ثُمَّ يأمُرُ مُنادِياً يُنادِي يَقُول: هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجابُ لَهُ؟ هَلْ مِن مُسْتَغفِرٍ يُغفَرُ لَهُ؟ هَل مِنْ سَائِلٍ يُعطَى؟».

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٧ـ٣٤٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٠٦). والمتَّقي الهندي في كنز العمال رقم (١١٤٢) و(١١٤٣) و(١١٤٤). وانظر تخريج حديث: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَم على صورته» في ص(٢١٧) من هذا الكتاب.

فإنَّ الله خلق آدم على صفته تعالى من حيث اشتمالُه على سمع وبصر وعلم وحياة ، وإن كانت صفاته تعالى أزليَّة قديمة ، وصفات الإنسان حادثة ، ويؤيِّد هذا الوجه ما ورد في بعض الطرق : «فإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلى صُورَةِ الرَّحْمنِ»[١] .

ـ **وبالوجه** في الآية الذات .

ـ **وباليد والأصابع** القدرة .

قوله : (أو فوِّض)

(أو) لتنويع الخلاف ، بيان لطريقة السلف ، والمراد أَوِّله إجمالاً .

وقوله : (ورُم تنزيهاً)

أي : اقصد واعتقد التنزيه عمَّا لا يليق به ، فالسلف ينزِّهونه سبحانه وتعالى عن المعنى المحال[٢] ، ويفوِّضون علم حقيقته على التعيين لله تعالى مع اعتقاد أنَّ هذه النصوص من عنده سبحانه . فظهر ممَّا قرَّرنا اتِّفاق السلف والخلف على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال ، وعلى الإيمان بأنَّه من عند الله جاء به رسول الله ﷺ / ، لكنَّهم اختلفوا في ٢٦/ تعيين معنى صحيح ، وعدم تعيينه بناء على أنَّ الوقف على قوله تعالى :

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢) برقم (١٣٥٨٠) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩١) . والآجريُّ في الشريعة (٣١٥) . وابن خزيمة في التوحيد (٣٨) ، وردَّ هذا اللفظ . وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/١٦٦): ليس بثابت عند أهل الحديث .

(٢) أي : المعنى المستحيل ، كأَنْ نفسِّر مثلاً اليد التي أسندها الله لنفسه في قوله تعالى : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ بالجزئيَّة أو الجارحة .

٤١ـ ونَـزِّهِ القُرْآنَ أَيْ كَلامَـهْ عَنِ الحُدُوثِ واحْـذَرِ انتقَـامَـهْ
. . . .

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ، أو على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[1].

القرآن كلام الله الأزليّ

قوله: (ونزِّه القرآن. . . إلخ)

اعلم أنَّ المقصود من ذكر هذه المسألة الردُّ على المعتزلة النافين لصفة الكلام حيث قالوا: (إنَّ الكلام من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل على الله)[2] فيُرَدُّ عليهم بما ذكره المصنِّف، فقوله: (ونزِّه) أيُّها السنيُّ، وقوله: (أي كلامه) تفسير للقرآن هنا، فالمراد بالقرآن هنا كلامه الأزليُّ القائم بذاته.

قوله: (عن الحدوث) أي: الخلق.

---

(١) وذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧).
فالوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يجعل ما بعده مستأنفاً، ويقتصر علم التأويل على الله سبحانه، وهذا مذهب السلف.
أمَّا الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيجعل الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، وهذا مذهب الخلف.
روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنَّه قال: (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله). انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٩).

(٢) فكلام الله عندهم مخلوق؛ لأن الله خلقه في بعض الأجرام كالشجرة التي كلمت موسى عليه السلام مثلاً. فالكلام عندهم صفة غيره لا صفته تعالى. انظر تحفة المريد (٥٨)، وحاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية (٧٧ـ٧٨).

٤١- ونَـزِّهِ القُرْآنَ أَيْ كَلاَمَهْ عَنِ الحُدُوثِ واحْذَرِ انتقَامَـهْ
٤٢-وكُلُّ نَصٍّ لِلْحُدُوثِ دَلَّا اِحْمِل عَلَى اللَّفْظِ الذِي قَد دَلَّا

. . . .

قوله: (واحذر انتقامه) أي: انتقام الله منك إن تبعت مَن قال بخلقه[١].

قوله: (وكلُّ نصٍّ للحدوث دلَّا)

أي: كلُّ لفظ دالٍّ على الحدوث كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[٤]. [٥]

قوله: (احمل على اللفظ الذي قد دلَّا)

أي: على بعضِ مدلول الكلام القديم القائم بذاته، يعني أنَّ ما ورد من الكتاب والسنَّة ممَّا يوهم الحدوث فإنَّه عند أهل السنَّة محمول على اللفظ الحادث[٦] الدالِّ على بعض مدلول الكلام القديم، وهو اللفظ المنزل على النبيِّ ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه، المتعَبَّد بتلاوته، نزل بالمعنى واللفظ جميعاً من عند الله على الصواب، خلافاً لمن قال: نزل بالمعنى على جبريل، والعبارة من جبريل.

---

(١) أي: بخلق الكلام مع نفي الكلام النفسي، والمراد بذلك المعتزلة.
(٢) سورة القدر (١).
(٣) سورة الحجر (٩).
(٤) سورة الكهف (١).
(٥) وكقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ سورة الأنبياء (٢ ـ ٣).
(٦) أي: الكلام الحسيُّ الذي ورد تعريفه في ص(١٨١ ـ ١٨٢) من هذا الكتاب.

٤٢ـ وكُـلُّ نَـصٍّ لِلْحُـدُوثِ دَلَّا اِحْمِل عَلَى اللَّفْظِ الذِي قَد دَلَّا

. . . .

ولمن قال: نزل بالمعنى جبريل على قلب النبي ﷺ ، والعبارة من النبيِّ ، فإنَّ كلًّا من القولين خلاف الصواب.

والحاصل أنَّ القرآن والكلام يطلقان بالاشتراك إطلاقاً حقيقيَّاً على اللفظ المنزَّل الذي نقرؤه ، وعلى الصفة القديمة القائمة بذاته ، وقيل: إطلاق القرآن على اللفظ حقيقة ، وعلى الصفة القديمة مجازاً ، والكلام بالعكس يطلق على الصفة القديمة حقيقة ، وعلى اللفظ المنزَّل مجازاً.

* * *

٤٣ـ ويَستحِيلُ ضِدُّ ذي الصِّفاتِ   في حَقِّهِ كَالكَوْنِ في الجِهَاتِ

. . . .

٢ ـ ما يستحيل على الله تعالى من أضداد الصفات الواجبة

قوله: (ويستحيل ضدُّ ذي الصفات)

هذا هو ثالث أقسام الحكم العقلي المتقدِّمة في قوله:

فكُلُّ مَن كُلِّفَ شَرْعاً وَجَبا   عَلَيهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا

للهِ والجَائِزَ والمُمْتَنِعَا   ...   .

فقدَّم في التقسيم الجائز[1]، وأخَّره في التفصيل[2]؛ لطول الكلام عليه[3].

و (أل) في الصفات للعهد الذكري، أي: الصفات المتقدم ذكرها بأسرها نفسيةً أو سلبيةً معانيَ كانت أو معنويةً.

فيستحيل عليه تعالى العدم والحدوث، وطروُّ العدم والمماثلة

---

(١) أي: قدَّمه على الممتنع في قوله:

للهِ والجَائِزَ والمُمْتَنِعَا   ومِثْلُ ذَا لِرُسْلِهِ فاسْتَمِعا

(٢) في قوله:

وجَائِزٌ فِي حَقِّه مَا أَمْكَنا   إيجاداً اعْدَاماً كرَزْقِهِ الغِنى

(٣) وعلَّل الأمير في حاشيته التقديم والتأخير بقوله: وقدَّم الواجبات لشرفها ثم المستحيلات؛ لأنها أضداد الواجبات، والضدُّ أقرب خطوراً بالبال إذا خطر ضدُّه، فلم يبق للجائز إلا التأخير. انظر الحاشية على إتحاف المريد (٥٧).

للحوادث[١] بأنواعها ، فليس بجرم ولا عَرَض ، ولا يوصف بالصِّغَر ولا بالكِبَر ، ولا يتقيَّد بمكان ولا زمان ، ولا يوصف بالدخول في شيء من العالم ، ولا بالخروج عنه ، ولا بالاتِّصال ، ولا بالانفصال ، ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغيب عنه شيء[٢] .

ويستحيل عليه تعالى الافتقار لذات يقوم بها[٣] أو مخصِّص ، والتركيب في ذاته[٤] أو صفاته ، أو يكون له مماثل[٥] فيهما أو أحدهما ، أو يكون له مماثل في فعل من الأفعال ، والعجز عن ممكن ما[٦] ، والكراهية والسهو والغفلة[٧] والجهل[٨] بسيطاً أو مركَّباً وما في

---

(١) العدم ضدُّ الوجود ، والحدوثُ ضدُّ القِدَم ، وطروُّ العدم ضِدُّ البقاء ، والمماثلة للحوادث ضدُّ المخالفة للحوادث.

(٢) في (م) لا يغيب عن شيء. وما أثبتناه من (د).

(٣) الافتقار لذات يقوم بها ضدُّ قيامه تعالى بنفسه؛ إذ سبحانه ذات غير مفتقرة إلى غيرها ، أي: ليس هو معنى قائماً بالذات ، بل هو ذات لا يعلمها إلا هو.

(٤) التركيب في ذاته ضدُّ الوحدانية. انظر ص(١٥٧) من هذا الكتاب .

(٥) قوله: (أو يكون له مماثل) إشارة إلى الكمِّ المتصل والكمِّ المنفصل.

(٦) العجز عن ممكن ما ضدُّ القدرة.

(٧) الكراهية والسهو والغفلة ضدُّ الإرادة.

(٨) الجهل ضدُّ العلم.

والجهل البسيط: هو عدم العلم بالشيء وعمَّا من شأنه العلم به ، وذلك بأن لا يدرك الشيء أصلاً ، لا على ما هو به ، ولا على خلاف ما هو به .

والجهل المركب: هو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع ، وإنما سمَّوه مركباً لاستلازمه لجهلين ، وهما الجهل بالشيء: أي عدم إدراكه ، والجهل بأنه جاهل. انظر حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين (١٤١).

٤٣ـ ويَستحِيلُ ضِدُّ ذي الصِّفاتِ   في حَقِّهِ كَالكَوْنِ في الجِهَاتِ

. . . .

معناه[١]، والموت والصَّمم والعمى والبكم[٢]، وكونه عاجزاً، إلى آخرها[٣].

قوله: (كالكون / في الجهات) ٢٦/ب

هذا من أمثلة المماثلة، أي: فيقاس عليه باقي أمثلة المستحيل، والمعنى أنَّه يستحيل على الله تعالى وصفه بإحدى الجهات الستِّ وهي:

الفوق والتحت، والأمام والخلف، واليمين والشمال.

فممَّا يجب تأويله لإيهام الجهة قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٤] لأنَّ الاستواء على الشيء الاستقرار عليه، وهو محال في حقِّه تعالى، فيؤوَّل بالملك والاستيلاء كما قال الشاعر:

---

(١) ومراده بما في معنى الجهل: الظنُّ والشكُّ والوهم والنسيان والنوم وكون العلم نظرياً ونحو ذلك. انظر شرح أم البراهين للسنوسي (١٤٢).

(٢) الموت ضدُّ الحياة، والصمم ضدُّ السمع، والعمى ضدُّ البصر، والبكم ضدُّ النطق.

(٣) أي: إلى آخر الصفات المعنوية.
قال السنوسي: يعني أنك إذا عرفتَ كون ضدِّ القدرة العامَّةِ العجزَ عن ممكن ما، لزم أن يكون ضدُّ الصفة المعنوية اللازمة للقدرة ـ وهي كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات ـ كونَه عاجزاً عن ممكن ما، وهكذا كلُّ صفة معنى، فإنَّ ضدَّها ضدُّ الصفة المعنوية اللازمة لها.
شرح أم البراهين ص(١٤٥).

(٤) سورة طه (٥).

. . . .

قَدِ استوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ   مِـن غَيـرِ سَيـفٍ ودَمٍ مُهْـراقِ

وفي آخر حكم ابن عطاء الله[(١)]: (يا مَنْ استوى برحمانيَّته على عرشه، فصار العرش غيباً في رحمانيَّته، كما صارت العوالم غيباً في عرشه)[(٢)].

فهو يشير إلى أنَّ معنى الآية: أنَّ العرش ـ وإن كان أكبرُ المخلوقات كلِّها مغيَّبةً فيه ـ هو صغير بالنِّسبة لرحمة الله، ومغيَّب فيها، كما غُيِّبت العوالم فيه، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(٣)].

وسأل الزمخشريُّ[(٤)] أبا حامد الغزالي[(٥)] عن هذه الآية[(٦)]، فأجابه بقوله:

إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفيَّة أو أينيَّة، فكيف يليق بعبوديَّتك

---

(١) أحمد بن محمَّد بن عبد الكريم تاج الدِّين، متصوِّف شاذلي من العلماء. له تصانيف منها: الحكم العطائية، ولطائف المنن. توفِّي في القاهرة سنة (٧٠٩هـ). انظر الدرر الكامنة (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، لواقح الأنوار (٢/ ٢٠).

(٢) وذلك في مناجاته وتمام ما ذكر (. . . مَحقْتَ الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار). انظر شرح الحكم العطائية للشرنوبي (٢١٢).

(٣) سورة الأعراف (١٥٦).

(٤) محمود بن عمر بن محمَّد الخوارزمي الزمخشريُّ جار الله، من أئمَّة العلم والآداب. كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به. ولد في زمخشر من قرى خوارزم سنة (٤٦٧ هـ)، جاور مكَّة زمناً، أشهر كتبه: الكشَّاف، أساس البلاغة، الفائق في غريب الحديث. توفِّي سنة (٥٣٨ هـ). انظر بغية الوعاة (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨)، الفوائد البهية (٢٠٩).

(٥) سبقت ترجمته ص(١١٤).

(٦) الآية هي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ سورة طه (٥).

أن تصف الربوبيّة بأين أو كيف ، وهو مقدَّس عن الأين والكيف؟! ثمَّ جعل يقول:

قُلْ لِمَنْ يَفْهمُ عَنِّي مَا أَقُولْ   قَصِّرِ القَولَ فذا شَرحٌ يَطُولْ
ثَـمَّ سِـرٌّ غـامِـضٌ مِـن دُونِـهِ   قَصُـرتْ واللهِ أَعْنَـاقُ الفُحُـولْ
أَنْـتَ لا تعـرِفُ إِيَّـاكَ وَلاَ   تَدرِ مَن أَنتَ ولا كَيفَ الوُصُولْ
لا ولا تَـدرِي صِفـاتٍ رُكِّبَـتْ   فِيكَ حَارت في خَفَاياها العُقُولْ
أَينَ منكَ الرُّوحُ في جَوهَرِها   هَل تَراها فَتَرى كَيفَ تَجُولْ
وكَذا الأَنفاسُ هَل تَحْصُرُها   لا ولا تَدري مَتَى عَنكَ تَزُولْ
أَيـنَ مِنـكَ العَقـلُ والفَهـمُ إِذَا   غَلَبَ النَّومُ فَقُل لي يا جَهُولْ
أنـتَ أَكْـلُ الخُبـزِ لا تَعْـرِفُـهُ   كَيفَ يَجري مِنكَ أمْ كَيفَ تَبُولْ
فـإِذا كَـانَـت طَـوايـاكَ التـي   بَينَ جَنْبَيكَ كَذا فِيها ضَلُولْ
كيفَ تَدْرِي مَن عَلى العَرشِ استوى   لا تَقُل كَيفَ استَوى كيفَ النُّزولْ
كيفَ يَحكِي الرَّبُّ أَمْ كيفَ يَرى   فلَعمـرِي لَيـسَ ذَا إِلا فُضُـولْ
فَهْـوَ لا أَيـنَ ولاَ كَيـفَ لَـهُ   وهْو رَبُّ الكَيفِ والكَيفُ يَحُولْ
وهْوَ فَوقَ الفَوقِ[1] لا فَوقَ لَهُ   وهْو في كُلِّ النَّواحِي لا يَزُولْ
جَـلَّ ذاتـاً وصِفـاتٍ وسَمَـا   وتعـالَـى قَـدرُهُ عمَّـا تَقُـولْ

* * *

(١) المراد بقوله: (وهو فوق الفوق) أي: هو سبحانه فوق أن يوصف بالفوق ، إذ هو ـ جلَّ وعلا ـ منزَّه عن الجهة.

٤٤ـ وَجَائِزٌ في حَقِّهِ مَا أَمْكَنا   إِيْجـادَاً اِعْـدَامـاً كَـرَزْقِـهِ الغِنَـى
. . . .

٣ ـ ما يجوز في حقِّ الله تعالى

قوله: (وجائز في حقِّه. . . إلخ)

لمَّا فرغ من الواجب والمستحيل، شرع في القسم الجائز مشيراً لقاعدة كليَّة بقوله: (ما أمكنا)، أي: جميعُ الممكنات، والمراد بها ما كان في تعلُّق القدرة والإرادة، خيراً كان أو شراً حلواً كان أو مرَّاً.

قوله: (إيجاداً إعداماً)

٢٧/أ تمييز لقوله: (جائز)، أي: من جهة الإيجاد والإعدام، / وهنا سؤال لطيف حاصله أنَّ قوله: (جائز) مبتدأ خبره: ما أمكنا، والممكن هو الجائز، كأنَّه قال: وجائز في حقِّه ما جاز، وفي هذا الكلام رِكَّة لا تخفى.

وحاصل الجواب: أنَّه قصد بهذا العموم الردَّ على المعتزلة، كأنَّه قال: وجائز في حقِّه تعالى كلُّ الممكنات خيرها وشرِّها، حلوها ومرِّها. فإنَّ المعتزلة يقولون: (ليس كلُّ ما أمكن فعله وصدوره جائزاً، بل الشرور والقبائح مستحيلة على الله تعالى، وعدم الخروج عن الصلاح والأصلح واجب)(١).

---

(١) أي: إنَّ المعتزلة ترى أنَّه إذا فرض أنَّ هناك فساداً وصلاحاً وجب على الله خلق الصلاح لا الفساد، وإذا فرض أنَّ هناك صلاحاً وأصلح وجب على الله خلق الأصلح لا الصلاح، ويرون أنَّ الفساد والصلاح من محض فعل العبد، ولا تعلُّق لإرادة الله في ذلك؛ إذْ ينكرون أصلاً صفات المعاني كلَّها، ويرون أنَّ الإرادة صفة سلب، وهي نفي الإكراه والسَّهو عنه سبحانه فيما يفعله. بينما=

٤٤ـ وجَائِزٌ في حَقِّهِ مَا أَمْكَنا   إِيْجادَاً إِعْدَاماً كَرَزْقِهِ الغِنَى

. . . .

فردَّ المصنِّفُ عليهم بهذه العبارة العامَّة، وسيأتي يفرِّع على هذه القاعدة قولُه:

فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلْ   ... ...

وقولُه:

وقَولهُم إِنَّ الصَلاحَ وَاجِبُ   عَلَيهِ[1]... ... إلخ

قوله: (كرَزقه الغنى)

بفتح الرَّاء مصدر مضاف لفاعله، أي: كرَزْقِ اللهِ عبده الغنى، وهذا مثال لقوله: (إيجاداً)، ومثال (الإعدام) عدم رَزق الله العبد الغنى، فالخير والشرُّ من الله، لكنَّ اللائق نسبة الخير لله، والشرِّ للنفس، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2] أي: بسبب كسبك، يفسِّره قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3]. وأمَّا قوله تعالى في الآية: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[4] فرجوع للحقيقة، وانظر إلى أدب الخضر عليه السلام حيث قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن

= يرى أهل السنَّة والجماعة أنَّه لا يجب على الله سبحانه وتعالى شيء، بل يجوز في حقِّه تعالى كلُّ ممكن. كما بيَّن المؤلِّف ذلك في قوله: (وجائز في حقِّه ما أمكنا...) انظر تحفة المريد (٦٨).

(١) انظر ص(٢٤٧) من هذا الكتاب.

(٢) سورة النساء (٧٩).

(٣) سورة الشورى (٣٠).

(٤) سورة النساء (٧٨).

يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[١] وقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[٢] وكذا قول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ﴾[٣] الآية، فنسب الهداية والإطعام والشفاء لله، والإمراض لنفسه تأدُّباً، وإلا فالكلُّ من الله.

الله خالق للعباد وأعمالهم

قوله: (فخالق لعبده وما عمل)

أي: فحيث كان الخير والشرُّ من الله، فهو الخالق لعبده، والمراد منه كلُّ مخلوق، والمعنى أنَّ الله خالق لعبيده وما عملوه من خير أو شرٍّ اختياراً أو اضطراراً[٤]، وليس للعبد إلا مجرَّد الميل حالة الاختيار، ولذا طُلب بالتوبة والإقلاع والندم، واستحقَّ التعزير والحدود، والثواب والعقاب، وهذا هو الكسب الآتي. خلافاً للمعتزلة القائلين: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية[٥].

ويَرِدُ عليهم: بأنَّه لا يخلو إمَّا أن يكون حصول هذا الفعل بقدرة الله

---

(١) سورة الكهف (٨٢).
(٢) سورة الكهف (٧٩).
(٣) سورة الشعراء (٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠) وتمامها: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.
(٤) والاضطرار نفسه: منه اضطرار مع اختيار كالأكل عند المخمصة، ومنه اضطرار بدون اختيار كالعطاس والارتعاش.
(٥) بينما يوافقون أهلَ السنَّة بأنَّ الله يخلق أفعال العبد الاضطرارية. انظر إتحاف المريد (١٠٣).

وقدرة العبد معاً.

فإن قالوا : نعم . قلنا لزم اجتماع مؤثِّرين على أثر واحد.

وإن قالوا بقدرة العبد فقط . قلنا : لزم وقوع شيء في الكون قَهراً عن الله ، ولزم أن لا يكون سبحانه وتعالى واحداً في الأفعال ، وهو كفر.

ويَرِدُ عليهم أيضاً بأنَّه لو كان الفعل له [(١)] لكان عالماً بحركات نفسه وسكناتها مدى الأيَّام ، فجهله بها دليل لعجزه [(٢)].

وأمَّا قولهم : إنَّه يلزم على كلام أهل السنَّة أنَّ تعذيب الله العصاة ظلم فباطل ؛ لأنَّ الظلم هو التصرُّف في ملك الغير.

وحكي أنَّ القاضي عبد الجبَّار بن أحمد المعتزلي [(٣)] ، قاضي قزوين ، دخل عند ابن عبَّاد [(٤)] وزير المغرب ، فرأى عنده الأستاذ

---

(١) أي: للعبد.

(٢) نعم إنَّ العبد يجهل أفعال نفسه الماضية والحاضرة والمستقبلة ، أمَّا المستقبلة فأمرها واضح ، وأمَّا الماضية والحاضرة فبيان ذلك: أنَّ العبد لا يدرك عند حركة يده مثلاً مقدار الطاقة التي صرفت ، ولا عدد العروق التي تحرَّكت ، وما كنُه الأوامر التي صدرت من المخِّ ، ولا كيفية صدورها . . . وهكذا.
أمَّا ربُّنا ، سبحانه وتعالى ، فيعلم ذلك كلَّه ، ودليل ذلك من الكتاب قوله سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ سورة تبارك (١٤).

(٣) قاضٍ أصوليٌّ كان شيخ المعتزلة في عصره. له تصانيف منها: تنزيه القرآن عن المطاعن ، المغني في أبواب التوحيد والعدل. توفِّي في الرَّيِّ سنة (٤١٥هـ). انظر طبقات الشافعية للسبكيِّ (٣/ ٩٧).

(٤) إسماعيل بن عباد أبو القاسم الطالقاني ، ولد سنة (٣٢٦هـ) وتوفِّي سنة (٣٨٥هـ)، وزير غلب عليه الأدب. لُقِّب بالصاحب لصحبته مؤيِّد الدولة في صباه ، فكان يدعوه بذلك. له تصانيف جليلة منها (المحيط) و(الكشف عن مساوىء شعر المتنبي). انظر الأعلام (١/ ٣١٦).

أبا إسحاق الأسْفَراييني إمام أهل السنَّة ، فقال عبد الجبَّار: سبحان مَن تنزَّه / عن الفحشاء[1] ، ففهم السُّنِّي مراده ، فقال: سبحان مَنْ لا يقع ٢٧/ب
في ملكه إلا ما يريده ، فقال المعتزلي: أيريد ربُّك أن يعصى؟ فقال له السنِّي: أيعصى ربُّنا قهراً عليه؟ فقال له المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالردى ، أحسن إليَّ أم أساء؟ فقال السنِّي: إن منعك ما هو لك فقد أساء ، وإنْ منعك ما هو له ، فالمالك يفعل في ملكه ما يشاء[2] . فانصرف الحاضرون وقالوا: ليس بعد هذا جواب ، واللهِ كأنَّه أُلْقِم حجراً[3].

تنبيـه:

هذا يسمَّى عند العارفين بوحدة الأفعال ، بمعنى أنَّ العارف لا يشهد فعلاً لسوى الله تعالى. وقد قال العارف[4] في ذلك :

وَلِي في خَيالِ الظِّلِّ أكبرُ عِبْرَةٍ لمنْ كَانَ في بَحرِ الحقيقَةِ رَاقي
شُخُوصٌ وأَشكَالٌ تَمُرُّ وتَنْقَضِي فتَفْنى جَمِيعاً والمُحَرِّكُ بَاقِي

وقال بعض العارفين في هذا المعنى أيضاً:

ومَا الخَلقُ في التِّمثالِ إلا كَثَلْجَةٍ لهَا صُورةٌ لكنْ تَبَدَّتْ عَنِ المَاءِ
فذُو الكَشْفِ لَمْ يَشْهَد سِوى المَاءِ وَحْدَهُ تَبَدَّى بِوَصْفِ الثَّلْجِ مِن غير إِخْفَاءِ

---

(١) مريداً بذلك رأي المعتزلة القائلين: إن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح. انظر تحفة المريد (٤٢).
(٢) في (م) كيف يشاء. وأثبتناها من (د).
(٣) ذُكرت هذه المناظرة في طبقات الشافعية للسبكي (٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢)، وفي شرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ١٠٧) ، وفي غيرهما.
(٤) القائل هو ابن الجوزي . انظر النجوم الزاهرة (٦/ ١٥٨) .

٤٥ ـ فَـالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلْ ... مُـوَفِّـقٌ لِمَـنْ أَرَادَ أَنْ يَصِـلْ

. . . .

وَمَن حَجَبَتْـهُ صُورَةُ الثَّلْجِ جَاهِلٌ ... تَغَطَّى عَلَيه الأَمْرُ مِن لَمْعِ أَضْوَاءِ

التوفيق والخذلان من الله تعالى

قوله: (موفِّق)

من التوفيق: وهو خلق قدرة الطاعة والداعية إليها[1] في العبد عند إمام الحرمين[2]، فالمراد بالقدرة عنده: سلامة الأسباب والآلات[3]،

---

(١) أي: الميل النفساني المصاحب للطاعة. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٠٣).

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمَّد الجُوَيني، أبو المعالي ركن الدِّين، أعلمُ المتأخِّرين من أصحاب الشافعي، ذكر السحيمي في كتابه المقتدي ص (٤٤) أنه لُقِّب بإمام الحرمين لانحصار الإفتاء في مكة والمدينة فيه. ولد في جُوَين من نواحي نيسابور سنة (٤١٩هـ)، ورحل إلى بغداد، فمكَّة حيث جاور أربع سنوات، وذهب إلى المدينة، توفِّي بنيسابور سنة (٤٧٨هـ). له مصنَّفات منها: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، ومغيث الخلق، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد الذي أورد فيه تعريف التوفيق في ص(٢٥٤).
انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٨٤) وما بعدها.

(٣) المراد من الأسباب الأشياء التي تكون حاملة على الفعل، والمراد من الآلات: الأشياء التي يحصل بها الإعانة على الفعل؛ فالماء الذي يتوضَّأ به من الأسباب العرفية للصلاة، والأعضاء التي تحاول بها الطاعة آلات لها. اهـ تحفة المريد (٦٢). =

بناء على أنَّ العَرَض يبقى زمانين[١]، فالكافر غير موفَّق لعدم الداعية، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[٢] أي: يجعل داعيته ورغبته ومحبَّته إليه.

وعند الأشعري[٣]: هو خلق قدرة الطاعة في العبد، والمراد بالقدرة: العَرَض[٤] المقارن للطاعة، بناء على أنَّ العرض لا يبقى زمانين.

أُورد عليه أنَّه قبل الطاعة مكلَّف، فيلزم عليه تكليف العاجز.

أجيب: بأنَّ التكليف متوقِّف على سلامة الأسباب والآلات، فتحصَّل أنَّ الخُلْف من جهة التكليف **لفظيٌّ**؛ لاتِّفاقهما على أنَّ التكليف متوقِّف على سلامة الأسباب والآلات، وأمَّا من جهة تسمية السلامة قدرة أَوْ لا **فحقيقيٌّ**؛ فعند إمام الحرمين يسمَّى قدرة، وعند الأشعري لا يسمَّى قدرة، بل القدرة عنده هي العَرَض المقارن للطاعة.

والحقُّ في هذه المسألة مع إمام الحرمين دون الأشعري.

قوله: (لمن أراد أن يصل)

أي لمن أراد وصوله لمحبَّته ورضاه.

= توضَّح السلامة في الأسباب والآلات بسلامة أعضاء الوضوء مثلاً مع توفُّر الماء.

(١) أي: إنَّ القدرة الموجودة الآن ستبقى إلى وقت الوضوء مثلاً؛ لذلك بقي العَرَض زمانين.

(٢) سورة الأنعام (١٢٥).

(٣) سبقت ترجمته ص(٧٨).

(٤) أي: الحركة المقارنة لإيجاد الفعل؛ لذلك لم يبق العرض زمانين كما قال إمام الحرمين.

٤٦ ـ وخَاذِلٌ لِمَن أَرَادَ بُعْدَه   ومُنْجِــزٌ لِمَــنْ أَرَادَ وَعْــدَهُ

. . . .

قوله: (وخاذل)

من الخِذلان: وهو ضدُّ التوفيق، ويأتي فيه الخلاف المتقدِّم بين الأشعريِّ وإمام الحرمين[1].

الوعد والوعيد والخلاف فيهما

قوله: (ومنجز لمن أراد وعده)[2]

أشار بذلك إلى أنَّ وعد الله بالجنَّة للمؤمنين الطائعين لا يتخلَّف قطعاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾[3] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ/ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[4]. فوعده سبحانه على حسب ما سبق في علمه أزلاً، فلو جاز تخلُّف الوعد لانقلب علم الله جهلاً، ولزم عليه الكذب في خبره تعالى، وكلاهما مستحيل. ٢٨/أ

وأمَّا وعيـده بالنَّار للكافرين فلا يتخلَّف أيضاً؛ لقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ . . .﴾[5] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾[6] إلى غير ذلك.

---

(١) أي: خلق قدرة المعصية والداعية إليها عند إمام الحرمين. انظر الإرشاد ص(٢٥٤ ـ ٢٥٥).
وخلق قدرة المعصية فحسب عند الأشعري.

(٢) مفعول أراد محذوف و(وعدَه): مفعول به لاسم الفاعل (منجز)، أي: منجز وعدَه لمن أراد.

(٣) سور الروم (٦).

(٤) سورة الرعد (٣١).

(٥) سورة ق (٢٩).

(٦) سورة فاطر (٣٦).

وأمَّا وعيده بالنار لعصاة المسلمين ، فاختُلفَ فيه بين الأشاعرة والماتريدية.

فقالت الأشاعرة: (هم تحت المشيئة ، إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم) قال المصنِّف فيما يأتي:

ومَنْ يَمُت وَلَم يَتُبْ مِن ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّه[1]

وقالت الماتريدية: (وعيده لا يتخلف كالوعد) ، وجعلوا الآيات الواردة بعمومه مخصوصة بالمؤمن المغفور له ، فيكون من باب العامِّ الذي أريد به الخصوص ، فالخلف لفظيٌّ.

فقول الأشاعرة يمكن تخلُّفه ، أي: فيمن يريد الله عدم عذابه ، وقول الماتريدية لا يمكن تخلُّفه أي: فيمن تحقَّق فيه الوعيد[2].

لكن قال شيخنا الأمير[3] : وقد يقال: على أنَّه معلَّق بالمشيئة يجوز العفو عن جميع العصاة ، وعلى أنَّه مخصوص لابدَّ للعامِّ من شيء

---

(١) انظر ص(٤٠٤) من هذا الكتاب.

(٢) يلخِّص رأي الأشاعرة والماتريدية في وعيد العصاة من المؤمنين بالنَّار على النحو التالي:
هو أنَّ الأشاعرة ترى أنَّ المغفرة جائزة لجميع المؤمنين من جميع ذنوبهم ، والماتريدية ترى أنَّه لا بدَّ من تنفيذ الوعيد بالعصاة ولو في كلِّ نوع من أنواع المعاصي بواحد على الأقلِّ.
أي: أنَّ طلب المغفرة لجميع المؤمنين من جميع الذنوب جائز عند الأشاعرة ، وغير جائز عند الماتريدية.
انظر تحفة المريد (٦٣).

(٣) سبقت ترجمته ص(١٣٣ ـ ١٣٤).

يتحقَّق فيه؛ لأنَّ التخصيص لا يستغرق ، ألا ترى قولهم : (إنَّ الاستثناء المستغرق باطل) ولو استغرق التخصيصُ لكان نسخاً وإزالة لا تخصيصاً.

فظهر أنَّ الخلاف حقيقي ، وأنَّ قولهم : (لابدَّ من إنفاذ الوعيد ولو في واحد) الآتي[1] في قوله:

وَوَاجِبٌ تَعذِيبُ بَعضٍ ارتَكَبْ   كبيـــــــرةً . . . .

إنَّما يظهر على كلام الماتريدية ، ويصحُّ على مقتضى الأشاعرة طلب الغفران لجميع المسلمين من غير ملاحظة التخصيص[2].

فتحصَّل أنَّ وعد الله للطائعين لا يتخلَّف جزماً؛ لتعلُّق علم الله به؛ وللدليل السمعي ، فلو جاز تخلُّفه لانقلب علم الله جهلاً ، وللزم الكذب في خبره تعالى ، وكذا وعيده للكفَّار. وأمَّا وعيده للعصاة فتحت المشيئة كما علمت.

إن قلت: إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[3] يقتضي أنَّه يتخلَّف جزماً.

أجيب: بأنَّه قيَّده في الآية الأخرى ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[4] فدلَّ ذلك على أنَّه تحت المشيئة كما هو الحقُّ.

---

(١) انظر ص(٤٠٥) من هذا الكتاب.

(٢) وتتمَّة مقولة الأمير: (. . .من غير ملاحظة التخصيص بما عدا من يتحقَّق فيه الوعيد) حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٠٤).

(٣) سورة الزمر (٥٣).

(٤) سورة النساء (٤٨ـ١١٦).

٤٧ـ فَوزُ السَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الأَزَلِ كَـذَا الشَّقِـيُّ ثُـمّ لَـم يَنْتَقِـلِ

السعادة والشقاوة
عند الأشاعرة والماتريدية

قوله: (فوز السعيد عنده)

أي: ممَّا يجب اعتقاده عند الأشاعرة أنَّ السعادة والشقاوة أزليَّان، فالطَّاعة والإسلام علامة السعادة، والعصيان والكفر علامة الشقاوة، فالخاتمة تدلُّ على السابقة؛ فإن خُتم له بالكفر دلَّ على أنَّه كان في الأزل من الأشقياء، وإن خُتم له بالإيمان دلَّ على أنَّه في الأزل كان من السعداء، وهذه العلامة يمكن تخلُّفها؛ لما في الحديث. «إنَّ أَحَدَكُم لَيَعملُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيَنَهُ وبينَها إلا ذِرَاعٌ، فيَسبِقُ عَليه الكِتَابُ، فَيعْمَلُ بعَملِ / أهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُها. وإنَّ أَحَدَكم لَيعمَلُ بِعملِ أهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكونُ بينَهُ وبَينَها إلا ذِرَاعٌ، فيَسْبِقُ عَليهِ الكِتَابُ، فيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة فيَدْخُلُها»(١).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٨) و(٣٣٣٢) و(٦٥٩٤) و(٧٤٥٤). ومسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٧٠٨). والترمذي رقم (٢١٣٧). وابن ماجه رقم (٧٦). وأحمد في المسند (١/ ٣٨٢ و٤١٤ و٤٣٠).
وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيعمَل عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ ـ فيما يَبْدُو للناسِ ـ وهو مِن أهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعمَل بعَملِ أهل النَّار ـ فيما يبدُو للناس ـ وهُوَ مِن أهْل الجَنَّة».
وبالنظر إلى هذه الرواية، وإلى قوله عليه الصلاة والسلام فيها: (فيما يبدو للناس) يذهب الإشكال الذي وقع فيه بعضهم في فهم الحديث؛ فقد يبدو =

٤٧ـ فَوزُ السَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الأَزَلِ   كَـذَا الشَّقِـيُّ ثُـمَّ لَـم يَنْتَقِـلِ

. . . .

وعند الماتريدية السعادة هي نفس الإسلام ، والشقاوة نفس الكفر ، فعليه إذا مات على الكفر فقد انقلبت سعادته بشقاوة ، وإذا أسلم الكافر عند الموت فقد انقلبت شقاوته بسعادة.

فقد رجع الخلف لفظياً ؛ لأنَّ العبرة بالخاتمة على كلا القولين ، وإنَّما الخلاف في التسمية فقط :

فالأشاعرة يقولون: الإسلام علامة على السعادة لا نفسُها ، والكفر علامة على الشقاوة لا نفسُها ، والسعادة والشقاوة لا يتغيَّران؛ لأنَّهما أزليَّتان.

والماتريدية يقولون: الإسلام والكفر هو السعادة والشقاوة ، وعليه فالسعادة والشقاوة يتغيَّران. ويترتَّب على قول الأشاعرة صحَّة قولك: أنا سعيد إن شاء الله ، وعدم صحَّته عند الماتريدية(١).

قوله: (ثمَّ لم ينتقل)

أي: لم يتحوَّل كلٌّ عمَّا تحتَّم له؛ لتعلُّق العلم بذلك ، فلو جاز تحوُّله لانقلب العلم جهلاً.

= الإنسان عاملاً بعمل أهل الجنَّة ، وقد أسرَّ سريرة سوء تؤدِّي إلى سوء الخاتمة ، ودخول النار. وقد يبدو عاملاً بعمل أهل النار ، وفي باطنه سريرة خير تؤدِّي إلى حسن الخاتمة ، ودخول الجنة. والله أعلم.

(١) انظر تفصيل هذا في إتحاف المريد وحاشية الأمير عليه ص (١٠٤ ـ ١٠٥). وتحفة المريد (٦٤).

٤٨ـ وعِنْدَنا لِلعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا   ولَـم يَكُـنْ مُـؤَثِّـراً فَلْتَعْـرِفَـا

أفعال العبد والأقوال فيها

قوله: (وعندنا للعبد كسب. . . إلخ)

المقصود من هذه المسألة بيان مذهب أهل السنَّة في أفعال العبيد، والردِّ على المعتزلة والجَبْرية[1] (بسكون الباء وفتحها).

ـ فإنَّ الجبرية يقولون: العبد مجبور ظاهراً وباطناً، فهو كالخيط المعلَّق في الهواء، وينكرون التكليف، وإرسال الرسل، ويقولون: تعذيب الله العبد على المعاصي ظلم.

ـ والمعتزلة يقولون: العبد مختار ظاهراً وباطناً، يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وإلا لو كان الفعل لله لكان تعذيبه على المعاصي ظلماً.

وكلاهما باطل.

وأهل السنَّة يقولون: العبد له **فعل اضطراري**: كسقوط من جبل، وكحركة المرتعش، وهذا الفعل لا تكليف فيه قطعاً؛ لأنَّه فعل الله اتِّفاقاً، ومن ذلك الإكراه[2].

---

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسِّطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثِّرة أصلاً اهـ. الملل والنحل (١/ ٨٥).

(٢) لابدَّ من وقوف عند كلمة الإكراه، نعم يرتفع الإثم بالإكراه، ولكنَّا لا نستطيع أن نقول: إنَّ المكرَه لم يفعل باختياره، بل إنَّه فعل ذلك بمحض اختياره حين اختار تنفيذ أوامر المكرِه؛ ليرفع عن نفسه القتل مثلاً.

٤٨ـ وعِنْدَنا لِلعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفَا ولَم يَكُنْ مُؤَثِّراً فَلْتَعْرِفَا

. . . .

وفعل اختياري: وهو فعل الله أيضاً لكن باعتبار الإيجاد، وينسب للعبد باعتبار الكسب[١]، وهو[٢] تعلُّق قدرة العبد وإرادته بالفعل[٣]، فمن عظيم قدرته تعالى إيجاد الفعل عند قدرة العبد لا بقدرته وإرادته، وذلك كقطع السكِّين مثلاً فإنَّ القطع عند مرور السكِّين لا بالسكِّين؛ فإنَّه يمكن تخلُّفه، فمقارنة قدرة العبد وإرادته لإيجاد الله هو المسمَّى بالكسب.

قوله: (ولم يكن مؤثِّراً)

أي: لم يكن للعبد تأثير في ذلك الفعل الاختياري[٤].

---

(١) حجَّتنا في ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ سورة الأنفال (١٧). وقد ظهر فعل الله باعتبار الإيجاد والنسبة للعبد باعتبار الكسب جليّاً واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ سورة الأنفال (١٧). أي: ما رميت إيجاداً حين رميت كسباً، ولكنَّ الله رمى إيجاداً. ولو أردنا أن نفسِّر هذه الآية على ضوء ما قاله الجبرية أو المعتزلة لما استقام المعنى. انظر مدارك التنزيل للنسفي (٢/ ٩٨).

(٢) قوله: (وهو) أي الكسب. انظر ص(٢٤٤) من هذا الكتاب؛ إذ وُضِّح الكسب هناك بأنَّه ميل العبد، وتوجُّهه للفعل فحسب.

(٣) في (د) زيادة هي: فإذا تعلَّقت قدرة العبد وإرادته بالفعل.

(٤) يشبَّه عدم تأثير العبد في الفعل الاختياري بوصل إنسان شريطين من الكهرباء، وحدوث شرارة عند التَّماس فإنَّ أحداً لا يستطيع أن يسند صنع الشرارة إلى واصل الشريطين.

٤٨ـ وعِنْدَنا لِلعَبْد كَسْبٌ كُلِّفَا　　ولَـم يَكُـنْ مُـؤَثِّـرَاً فَلْتَعْـرِفَـا
٤٩ـ فَلَيْسَ مَجْبُورَاً وَلاَ اخْتِيَارَا　　ولَيْـسَ كُـلاًّ يَفْعَـلُ اخْتِيَـارَا
. . . .

وقوله: (فلتعرفا)

٢٩/أ / الألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة؛ لوقوعها بعد فتح في حالة الوقف، قال ابن مالك[١]:

وأَبْـدِلَنْهـا بَعْـدَ فَتْـحٍ أَلِفـا　　وَقْفَاً كما تقُولُ في قِفَنْ قِفا [٢]

وهذه النُسخة هي التي أصلحها المصنِّف في المبيضة، وهو قد شرح على النُسخة المتداولة وهي:

وعِنـدَنَـا لِلعَبْـد كَسْـبٌ كُلِّفـا　　بِـهِ ولَـكِنْ لا[٣] يُـؤَثِّـرْ فَاعْرِفَا

قال: وما منعني أن أشرح عليها إلا غيبة الأصل عنِّي، وإنَّما أَصلحها؛ لأنَّ التصريح بالنفي فيه ردٌّ على المخالف من أوَّل الأمر، بخلاف الاستدراك؛ فإنَّه يساق لرفع ما يتوهَّم ثبوته أو نفيه، ولا يتوهَّم التأثير من التعبير بالكسب؛ لأنَّ اصطلاحهم أنَّ الكسب ليس فيه تأثير.

قوله: (فليس مجبوراً. . . إلخ)

هذا شروع في الردِّ صراحة على الجبرية والمعتزلة، وإلا فقد تقدَّم الردُّ التزاماً في العبارة الأولى، فإنَّ قوله: (وَعِندَنَا للعَبْدِ كَسْبٌ كُلِّفا) ردٌّ

---

(١) سبقت ترجمته في ص(١٠٧).
(٢) انظر الخلاصة (الألفية) لابن مالك، باب نوني التوكيد.
(٣) وفي نسخة:
. . .　. . .　. . .　بِـهِ وَلكِـن لَـمْ يُـؤَثِّـر فـاعْـرِفـا
وعلَّها هي المفضَّلة؛ لجزم (يؤثِّر) بلم حتَّى يستقيم الوزن.

. . . .

على الجبرية ، وقوله: (وَلَم يَكُنْ مُؤَثِّراً) ردٌّ على المعتزلة ، لكنَّ علماء هذا الفنِّ يُحِبُّون زيادة الإيضاح.

قوله: (ولا اختيارا)

النفي مسلَّط عليه ، وهو منفيٌّ بلا ، فنفي النفي إثبات ، أي: فهو غير مجبور بل له اختيار.

قوله: (وليس كـلَّاً يفعل اختياراً)

أي: والواجب اعتقاده أيضاً أنَّ العبد لا إيجاد له في الفعل الاختياري أصلاً ، وإنَّما [له][1] الكسب كما علمت ، وفي هذا ردٌّ على المعتزلة القائلين: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وبنَوا على ذلك أموراً فاسدة باطلة ، منهاأنَّهم قالوا: لو كانت هذه الأفعال مخلوقة لله ـ كما تقولون ـ لكان تعذيب الله له ظلماً.

قلنا: التعذيب بالنظر للجزء الاختياري وهو الكسب.

قالوا: ومَن خلق الكسب؟ نقول لهم: هو الله ، ولا يُسأَلُ عمَّا يفعل.

قالوا: لو كان الفعل لله لكان متَّصفاً بذلك الفعل ، وهو غير لائق ، مثلاً خَلَقَ الكفر في الإنسان فعليه يسمَّى الله كافراً ، ولم يقل به أحد.

---

(١) ساقطة من (م) وأثبتناها من (د).

قلنا لهم: إنَّ ذلك قائم بالمفعول لا بالفاعل، ألا ترى الأشخاص والألوان، فإنها فِعْلُه وليست قائمة به.

ويُرَدُّ عليهم بالعقل والنقل:

أمَّا النقل: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٢] إلى غير ذلك.

وأمَّا العقل: فلأنَّ العبد لو كان خالقاً لأفعال نفسه لكان عالماً بها تفصيلاً، واللاَّزم باطل، فكذا الملزوم[٣]، وأيضاً لو كان فاعلاً لكان شريكاً لله في أفعاله.

فتحصَّل أنَّ أفعالنا الاضطرارية مخلوقة لله اتِّفاقاً، وكذا أفعالنا الاختيارية، غير أنَّ العبيد لهم في الاختيارية ميل وتوجُّه، ويسمَّى كسباً، وعليه مدار التكليف.

* * *

(١) سورة البقرة (٢٨٤).

(٢) سورة الفرقان (٢).

(٣) أي: إنَّه ليس بخالق أفعال نفسه. ونستطيع أن نفهم هذا التلازم من قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ سورة تبارك (١٤)، إذ الخالق سبحانه عالم بجزئيات خلقه، بينما لا يعلم أحدنا أفعال نفسه ومدارها وأبعادها.

إثابة المطيع فضل وتعذيب العاصي عدل

قوله: (فإن يثبنا فبمحض الفضل)

أي: حيث علمت ممَّا تقدَّم أنَّ الأفعالَ كلَّها مخلوقة لله تعلم أنَّ الثواب بمحض فضل الله، أي: بخالص فضله وجوده وكرمه؛ لما في الحديث/: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُم الجَنَّةَ بعَمَلِهِ، قَالُوا: ولاَ أنتَ يا رسولَ ٢٩/ب
اللهِ؟ قالَ: ولاَ أَنا إلا أنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ»[1]. فالثواب بمحض فضل الله تعالى، لا في نظير عمل؛ لأنَّه هو الخالق للعمل ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]. وعلى فَرَض أنَّ العبد يخلق أفعال نفسه، فأين النفع، أو دفع الضَّرر الذي حصل له حتَّى يستحقَّ عليه الثواب؟!

قوله: (وإن يعذِّب فبمحض العدل)

أي: فتعذيبه بخالص عدله، وهو وضع الشيء في محله، وليس ظالماً؛ لأنَّه متصرِّف في ملكه، والظلم هو التصرُّف في ملك الغير.

تنبيـه:

عُلِم من وجوب انفراده تعالى بالخلق بطلان دعوى أنَّ شيئاً يؤثِّر بطبعه أو بقوَّة[3] فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) و(٦٤٦٣). ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) سورة الصافات (٩٦).

(٣) قال الدردير:

وَمَـن يَقُـلْ بـالطَّبـعِ أو بـالعلَّـةِ فـذَاكَ كُفْـرٌ عِنْـدَ أَهْـلِ المِلَّـةِ
وَمَـن يَقُـلْ بـالقـوَّةِ المـودَعَـةِ فــذَاكَ بِــدْعــيٌّ فــلا تَلْتَفِــتِ =

. . . .

فمن قال: الأسباب العادية تؤثِّر بذاتها[1] من غير جعلٍ من الله كَفَرَ بالإجماع، ومَن قال: بقوَّةٍ خلقها الله فيها، ولو نزعها منها لم تؤثِّر، ففي كفره قولان، والأصحُّ أنَّه مسلم مبتدع فاسق. ومن هذا عقيدة المعتزلة في فعل العبد.

ومن اعتقد أنَّ الأسباب تؤثِّر بإذن الله، لكن بينها وبين ما قارنها ملازمة عقلية، فلا يصحُّ فيها التخلُّف، فهذا الاعتقاد يَؤُول بصاحبه إلى الكفر؛ لأنَّه يستلزم إنكار المعجزات[2]، وما أخبر به الأنبياء من المغيَّبات كأحوال القبر والآخرة؛ إذ هو من باب خرق العوائد التي

= انظر حاشية الصاوي على شرح الدردير لخريدته ص(٦٠ ـ ٦١).

(١) كالنار بالإحراق، والسكِّين بالقطع.

(٢) وذلك بقول أصحاب هذا الرأي:

كيف لم تحرق النار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والتلازم العقليُّ يحتِّم ذلك؛ لأنَّ النار محرقة، ولا يمكن أن يتخلَّف هذا مطلقاً.

والحقُّ ـ والله أعلم ـ: أنَّ بين الأسباب والمسبَّبات تلازماً عادياً والتلازم العاديُّ يتخلَّف، فالنار عادة تحرق، وتلك المرَّة لم تحرق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فتخلَّفت عادتها، وبذلك الاعتقاد السليم يبقى الله سبحانه وتعالى هو المؤثِّر وحده، وإنَّما كان التلازم عادة فقط.

وعلَّ هذا التلازم هو الذي يريده المؤلِّف فيما سيذكره بعدُ مِنْ جَعْلِ الله سبحانه الأسبابَ أماراتٍ ودلائلَ على ما شاء من الحوادث، كإحراق النار وقطع السكِّين، وغير ذلك.

قال الزمخشري: كيف بردت النار وهي نار؟ قلت: نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت. والله على كل شيء قدير. انظر الكشاف (٣/ ١٢٦).

تتخلَّف فيها الأسباب العاديَّة عمَّا يقارنها.

ومَن اعتقد عدم تأثيرها فيما قارنها، لا بطبع ولا بقوَّة جُعلت فيها، وإنَّما جعلها مولانا أماراتٍ، ودلائلَ على ما شاء من الحوادث من غير ملازمة عقلية بينها وبين ما جُعلت دليلاً عليه، فهو المؤمن حقّاً، والسُّنِّي صدقاً، كما تفيد هذا عبارة السنوسيِّ في كتبه[١].

القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى زور

قوله: (وقولهم إنَّ الصَّلاح واجب... إلخ)

الضمير عائد على المعتزلة، وإن لم يتقدَّم لهم ذكر؛ لشهرة هذا المذهب عنهم، فقصد الردَّ عليهم.

والمراد بالصَّلاح: ما يقابل الفساد، كالإيمان في مقابلة الكفر، والصحَّة في مقابلة المرض.

والمراد بالأصلح: ما يقابل الصلاح، كالثواب بلا تكليف في مقابلة الثواب مع التكليف، وكونه في أعلى الجنان في مقابلة كونه في الجنَّة.

فيقولون: إنَّ هذا واجب على الله لعباده، وتركه بخل وسَفَهٌ، وهو

---

(١) انظر شرح أم البراهين للسنوسي مع حاشية الدسوقي عليه ص(١٦٦) وما بعدها.

٥١ـ وقَوْلُهُم إنَّ الصَّلاحَ وَاجِبُ عَلَيه زُوْرٌ مَا عَلَيه وَاجِبُ

٥٢ـ ألم يَرَوا إيلامَهُ الأطفَالا وشِبْهَهَا فحاذِرِ المِحالا

. . . .

مُحال عليه تعالى. فردَّ عليهم المصنِّف بقوله:

وقَوْلُهُم إنَّ الصَّلاحَ وَاجِبُ عَلَيهِ زُوْرٌ . . . . . .

أي: باطل؛ لأنَّه لو وجب عليه تعالى الصلاح لما خلق الكافر الفقير المعذَّب في الدُّنيا بالفقر، وفي الآخرة بالعذاب الأليم[1].

فقوله: (ما عليه واجب)

٣٠/أ تأكيد لقوله: (زور)؛ لأنَّه لو وجب / عليه شيء لم يكن فاعلاً مختاراً، وهو باطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[2] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[3].

قوله: (ألم يروا إيلامه الأطفالا)

تنبيه يترتَّب على فساد ما ذكروه، والمعنى: ألم يعتبروا برؤيتهم البَصَريَّة فيما يشاهدونه في الأطفال ونحوهم بما يحصل لهم من الأمراض والبلايا، فأيُّ مصلحة في ذلك؟! لأنَّه لا ذنوب عليهم حتى يقال: إنها كفارات.

---

(١) حكي أنَّ الحافظ ابن حجر مرَّ يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة، فهجم عليه يهوديٌّ يبيع الزيت الحارَّ، وأثوابه ملطَّخة بالزيت، وهو في غاية الرثاثة والبشاعة، فقبض على لجام بغلته وقال له: يا شيخ الإسلام تزعم أنَّ نبيَّكم قال: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنَّةُ الكافر»، فأيُّ سجن أنت فيه، وأيُّ جنَّة أنا فيها؟ فقال: أنا بالنسبة لما أعدَّه الله لي في الآخرة من النعيم كأنِّي الآن في سجن، وأنت بالنسبة لما أعدَّه الله لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة. فأسلم اليهوديُّ. تحفة المريد ص(٦٨).

(٢) سورة القصص (٦٨).

(٣) سورة آل عمران (٧٤).

٥٢ـ ألم يَرَوا إيلامَهُ الأطفَالا وشِبْهَهــا فحــاذرِ المِحــالا

. . . .

قوله: (وشبهها) أي: كالدوابِّ والمجانين؛ فإنَّ الجميع لا نفع لهم في نزول الأسقام بهم.

قوله: (فحاذر المِحالا) بكسر الميم قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[١] أي: العقاب، أي: احذر عقاب الله النازل بالقائلين بوجوب الصلاح أو الأصلح؛ لأنَّها ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار، أي: أصحابها.

أصول الكفر والبدعة سبعة

فائـدة:

قال السنوسي[٢] في المقدِّمات: وأصول الكفر والبِدْعة سبعة:

١ ـ **الإيجاب الذاتيُّ**: وهو إسناد الكائنات إلى الله على سبيل التعليل[٣] أو الطبع من غير اختيار.

٢ ـ **والتحسين العقليُّ**: وهو كون أفعال الله تعالى وأحكامه موقوفة عقلاً على الأغراض، وهي جلب المصالح، ودرء المفاسد[٤].

---

(١) سورة الرعد (١٣).

(٢) سبقت ترجمته ص(١٠٥ ـ ١٠٦). انظر العقيدة المباركة المسمَّاة بـ(المقدِّمة) للسنوسي (ق١٩/ أ ـ ب) مجموع.

(٣) أي: جَعْلُ الله علَّةً لهذه الكائنات، ولا اختيار له في ذلك، وهذا محض كفر، وتوضَّح العلَّة بالمثال التالي، فيقال:
الشمس علَّة للضياء، وليس لها إرادة في إعطاء هذا الضياء أو منعه؛ لأنَّها علَّة، والعلَّة لا تتخلَّف، لذلك يوجد الضياء بمجرَّد وجودها. أمَّا الله سبحانه فليس بعلَّة للكائنات؛ إذ خلقَها بعد أن شاء خَلْقها، ولم تكن قبل ذلك، وهو سبحانه وتعالى موجود من الأزل قبل خلقها. وعلى هذا فهو سبحانه ليس بعلَّة للكائنات؛ إذ كان ولم يكن شيءٌ.

(٤) ذكر الدسوقي رأي المعتزلة هذا بقوله: =

٣ ـ والتقليد الرديء: وهو متابعة الغير لأجل الحَميَّة والتعصُّب [١] من غير طلب للحقِّ.

٤ ـ والربط العاديُّ [٢]: وهو ثبوت التلازم بين أمر وأمر وجوداً وعدماً بواسطة التكرُّر.

٥ ـ والجهل المركَّب: وهو أن يجهل الحقَّ، ويجهل جهله به.

٦ ـ والتمسُّك في عقائد الإيمان بمجرد ظواهر الكتاب والسنَّة من غير عرضها على البراهين العقلية، والقواطع الشرعية [٣].

= فقالوا: إنه تعالى لا يفعل فعلاً ولا يحكم بحكم إلا لغرض باعث له على ذلك؛ لأنَّ الفعل الخالي عن الغرض يعده العقل عبثاً. انظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ص (٢١٨).

أقول: هذا قول مرفوض؛ لأنَّ الله، سبحانه وتعالى، غنيٌّ عن العالمين، وليست أفعاله موقوفة عقلاً كما ادعوا. ورحم الله الإمام السنوسيّ الذي بيَّنَ هذه المسألة فقال:

إذا عرفت استواء الأفعال بالنسبة إليه تعالى، وأنه مختار في جميعها لا يجب عليه منها شيء، لزم أن لا يكون له تعالى غرض في شيء منها، أي: لا علة لشيء من الأفعال مشتملة على حكمة تبعثه على إيجاد ذلك الفعل أو إعدامه، بل هو جلَّ وعلا مختار في كلا الأمرين. انظر عمدة أهل التوفيق والتسديد ص (٤٢٣).

(١) انظر تعريف الحميَّة والعصبيَّة في صفحة (٦٥) من هذا الكتاب.

(٢) كإحراق عود الثقاب ورقةً مثلاً؛ إذ كلَّما أُشعل عود وقُدِّم من ورقة أحرقها، فهذا هو الرَّبط العاديُّ، والحقُّ أنَّ المحرِق الحقيقيَّ هو الله وحده سبحانه وتعالى.

(٣) أي: الأخذ بالآيات المتشابهة على ظاهرها، ورفض تأويلها، وإنكار المجاز، وحمل الكلام على ظاهره. وأصحاب هذا الرأي يُسمُّون القائلين بالتأويل معطِّلين، ويجعلون المجاز من جملة الطواغيت.

٥٢ـألم يَـرَوا إيلامَـهُ الأطفَالا وشِبْهَهـا فحـاذِرِ المِحـالا

. . . .

٧ ـ **والجهل بالقواعد العقلية**: التي هي العلم بوجوب الواجبات، وجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات. **وباللِّسان العربيِّ**: الذي هو علم اللغة والإعراب والبيان.

فكلُّ واحد من هذه قد ينشأ عنه كفر مُجْمَعٌ عليه، وقد ينشأ عنه بدعة.

ـ فالإيجاب الذاتيُّ: هو أصل كفر الفلاسفة الذين جعلوا ذات الله علَّة للممكن.

ـ والتحسين العقليُّ: أصل كفر البراهمة[1] من الفلاسفة؛ حتى نَفَوا النبوّات[2]. وأصل ضلالة المعتزلة؛ حتى أوجبوا على الله مراعاة الصلاح.

ـ والتقليد الرَّديء: أصل كُفر عبدة الأوثان وغيرهم؛ حتى قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ ـ أي: مِلَّـة ـ ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾، أي: متَّبِعون، ولهذا قال البعض: لا يكفي التقليد في عقائد الإيمان[3]، وقال بعض المشايخ: (لا فرق بين مقلِّد ينقاد وبهيمة تنقاد).

---

(١) طائفة من الفلاسفة لا يجوِّزون على الله تعالى بعثة الرسل، ويحرّمون لحوم الحيوان، وهم طائفة من الهنود، مأخوذة من (برها) وهو الإله الموجود. انظر دائرة المعارف (٢/ ١٥٤)، ولسان العرب مادة (برهم).

(٢) لأنَّ البراهمة يقولون: لا فائدة من النبوّات؛ إذ ما يراه العقل حسناً فهو حسن. انظر الملل والنحل (٢/ ٢٥١).

(٣) والمعتمد أنَّ إيمان المقلِّد صحيح ـ إلا أنَّه يكون عاصياً بترك النظر إن كان فيه أهليَّة لـه ـ والحـال أنَّ اعتقـاده جازم بحيث لا يرجـع برجـوع مقـلَّده. انظر ص(١١٤) من هذا الكتاب.

. . . .

ـ والربط العاديُّ: أصل كفر الطبائعيِّين، وضلال من تبعهم من جهلة المؤمنين، فرأوا ارتباط الشبع بالأكل بحيث لا يتخلَّف.

ـ والجهل المركَّب: أصل ضلال كثير، كاعتقاد الفلاسفة تأثير الأفلاك[1].

ـ والتمسُّك بظاهر الكتاب والسنَّة: أصل ضلال الحَشْوِيَّة[2]، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملاً بظاهر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ / ٱسۡتَوَىٰ﴾[3] ٣٠/ب
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[4] ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[5].

وقول السنوسيِّ في شرح الصغرى[6]: (أصول الكفر ستَّة) أي: باعتبار جعل التمسُّك بظاهر القرآن والسنَّة، والجهل بالقواعد العقلية

---

(١) إذْ أطبقوا على أنَّ الكواكب السيارات السبعة مؤثرات في هذا العالم، أوَّلها في السماء السابعة وآخرها في السماء الدنيا... فالشمس تصبغ الألوان والقمر ينضج الطعوم وهكذا. انظر المقتدي بشرح الهدهدي ص(٢٧٤).

(٢) الحَشْوِيَّة بسكون الشين: نسبة للحشو؛ لأنهم يقولون: في القرآن كلام حشو لا معنى له.
وبفتح الشين: نسبة إلى الحشا وهو الجانب؛ لقول الحسن البصري حين تكلَّموا معه، ووجد كلامهم ساقطاً مخالفاً لما عليه الجماعة: ردُّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة، أي: جانبها. انظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ص(١١٥).

(٣) سورة طه (٥).

(٤) سورة الملك (١٦).

(٥) سورة ص (٧٥).

(٦) انظر شرح أم البراهين مع حاشية الدسوقي عليه ص(٢١٧).

واللسان العربي شيئاً واحداً؛ لأنَّ الأوَّل ناشىء عن الثاني. اهـ من السحيمي[١].

وهذه المسألة ـ أعني وجوب الصلاح والأصلح ـ كانت سبباً لافتراق أبي الحسن الأشعري[٢] من شيخه أبي هاشم الجُبَّائي[٣]؛ فإنَّ أبا الحسن سأله في مجلس درسه، وقال له: ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم كافراً كبيراً، والآخر مسلماً كبيراً، والآخر صغيراً، فما مقرُّهم؟ فقال: الكافر الكبير في النَّار، والمسلم الكبير في الجنَّة، والصغير في منزلة بين المنزلتين. فقال أبو الحسن: يقول الصَّغير: يا ربّ كان الأصلح في حقِّي أن لو متُّ مسلماً كبيراً، وكنتُ مع أخي في الجنَّة. فقال له: يقول الله له: علمتُ أنَّك لو كبرت لكنت كافراً، وكنتَ مع أخيك الكافر في النار. فقال له: حينئذٍ يقول الكافر ـ بل وجميع أهل النار ـ: يا ربنا كان الأصلح في حقِّنا أن لو أمتَّنا صغاراً ونُكْفَى شرَّ النار، فسكت، ثمَّ قال له: أَبِكَ جنون[٤]؟ فقال: لا ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة[٥]. ثمَّ جلس يقرِّر عقائد أهل السنَّة رضي الله عنه.

---

(١) انظر المقتدي بشرح الهدهدي ص(١٤٠).

(٢) سبقت ترجمته في ص(٨٧).

(٣) سبقت ترجمته في ص(٨١).

(٤) في (د): إنك حيوان.

(٥) وفي عمدة أهل التوفيق للسنوسي زيادة (ثم قال: تعالى أن توزن أحكام الجلال بميزان الاعتزال) ص(٤٢٠).

٥٣ـ وجائِزٌ عَليهِ خَلقُ الشَّرِّ والخيرِ كالإسلام وجَهْلِ الكُفرِ
٥٤ـ وَوَاجِبٌ إِيْمانُنا بالقَدَرِ وبالقَضا كَما أَتَى في الخَبَرِ

. . . .

خلق الشرِّ والخير والخلاف فيهما

قوله: (وجائز عليه خلق الشر)

أشار بذلك للردِّ على المعتزلة القائلين بأنَّ الشرور والقبائح واقعة بغير إرادة الله تعالى. فردَّ عليهم بقوله: (وجَائِزٌ عَلَيهِ خَلْقُ الشَّرِّ...إلخ)، فهو من ثمرات قوله:

فَخَالِقٌ لِعبْدِهِ ومَا عَمِلْ[1] ... ...

قوله: (كالإسلام) مثال للخير.

وقوله: (وجهل الكفر) مثال للشرِّ على سبيل اللفِّ والنشر المشوَّش، وأَدخلتِ الكافُ في الأوَّل[2] جميعَ أنواع الطاعات، وفي الثاني[3] جميعَ أنواع المعاصي.

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

قوله: (وواجب إيماننا بالقدر)

أي ممَّا يجب علينا الإيمان به الإيمان بالقضاء والقدر؛ لما في حديث الأربعين: «الإيمانُ أَن تُؤمِنَ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، وتُؤمِنَ

---

(١) انظر ص(٢٣٠) من هذا الكتاب.
(٢) أي: كالإسلام.
(٣) والكاف في الثاني مقدَّرة، أي: كجهل الكفر.

٥٤ـ وَوَاجِبٌ إِيْمانُنا بالقَدَرِ وبالقَضا كَما أَتَى في الخَبَرِ

. . . .

بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ»[١] حُلْوِهِ ومُرِّهِ[٢].

واختلفوا في تعريف القدر، فقالت الأشاعرة: هو إيجاد الله الأشياء على طبق ما سبق به علمه وإرادته. فعليه هو صفة فِعْلٍ، وهي حادثة[٣].

وقالت الماتريدية: هو تحديده تعالى أزلاً كلَّ مخلوق بحدِّه الذي يوجد به من حُسْنٍ وقبح وغير ذلك. فهو تعلُّق العلم والإرادة. وعليه فهو قديم.

وقد يقال: الخلاف لفظيٌّ؛ فمن نظر لمظهر الإيجاد قال: هو حادث. ومن نظر / لمتعلَّق العلم والإرادة التنجيزيِّ الأزليِّ قال: هو قديم. ٣١/أ

فنقول في تعريفه الجامع لهما: هو إيجاد الله للأشياء على طبق العلم والإرادة.

قوله: (وبالقضا)

هو لغة: الحكم، واصطلاحاً: عرَّفه الماتريدية: بأنَّه الفعل مع زيادة إحكام. فعليه هو حادث. وعرّفه الأشاعرة: بأنه إرادة الله المتعلِّقة بالأشياء أزلاً. وعليه فهو قديم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) عن أبي هريرة مرفوعاً. ومسلم (٨) عن عمر مرفوعاً في سياق حديث طويل.

(٢) قوله: (حلوه ومره) لم نجده فيما أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) وإذا كانت الصفة حادثة، فالقدر حادث أيضاً؛ لأنَّهم عرَّفوه كما رأينا بأنَّه إيجاد الله تعالى الأشياء، والإيجاد حادث. انظر تحفة المريد (٧٠).

وقال بعضهم: القضاء والقدر شيء واحد، وهو: إيجاد الله الأشياءَ على طبق تعلُّق العلم والقدرة. وفي الحقيقة الأشاعرة والماتريدية تعاكسا، فما قالت الأشاعرة إنَّه قضاء، قالت الماتريدية إنَّه قدر، وبالعكس.

وقد نظم الأُجهوريُّ[١] مذهب الأشاعرة بقوله:

إِرَادَةُ اللهِ مَعَ التَّعَلُّقِ فِي أَزَلٍ قَضَاؤُهُ فَحَقِّقِ
والقَدَرُ الإيجادُ للأشْيا عَلَى وَجْهٍ مُعَيَّنٍ أَرَادَهُ عَلا
وبعضُهم قَدْ قَال مَعنى الأوَّلِ[٢] العلمُ مع تَعَلُّقٍ في الأَزَلِ
والقَدَر الإيجادُ للأمُورِ على وِفاقِ عِلمِهِ المذكُورِ

ومن كمال الإيمان بهما الرِّضا عن الله في كلِّ حال؛ فإنَّ مَن رضي له الرِّضا[٣].

إن قلت: إنَّ من جملة القضاء والقدر الكفرَ والمعاصيَ، فكيف يرضى[٤] بذلك مع أنَّ الرِّضا بالكفر كفر؟!

أجيب: بأنَّ الرِّضا بالقضاء الذي هو الإيجاد على طبق العلم

---

(١) سبقت ترجمته في ص(١١٧).
(٢) وهو القضاء.
(٣) ضمَّن المؤلف عبارته هنا جزءاً من حديث نبويٍّ أخرجه الترمذيُّ في باب الزهد برقم (٢٣٩٨) نصُّه: «إنَّ عِظَم الجَزَاءِ مِنْ عِظَم البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قوماً ابتلاهم، فَمَنْ رَضِيَ فله الرِّضا، ومَنْ سَخِطَ فله السَّخَطُ».
(٤) أي: العبد.

٥٤ـ وَوَاجِبٌ إِيْمـانُنـا بـالقَـدَرِ   وبالقَضا كَما أَتَى في الخَبَرِ

. . . .

والإرادة ، لا بالمقضيِّ الذي هو نفس الكفر والمعاصي(١) ؛ لأنَّ المقضيَّ إن كان خيراً وجبت ملازمته ومحبَّته ، وإن كان شرّاً وجب الإقلاع عنه وبغضه ، والمقصود من ذلك بيان الردِّ على المعتزلة؛ لأنَّهم القدريَّة ، وهم قدريَّتان:

الأولى: تُنْكِرُ تعلُّق علم الله بالأشياء قبل وجودها ، وتقول: (إنَّما يعلمها حال وقوعها). وهذه الفرقة انقرضت قبل ظهور الإمام الشافعي.

وقدريَّةٌ ثانية تقول: (الله يعلم الأشياء قبل وجودها غير أنَّ أفعال العباد مقدورة لهم ، وواقعة منهم استقلالاً بسبب إقدار الله لهم بعدُ). وكلا العقيدتين باطل ، لكنَّ الأُولى كفر ، والثانية فسق(٢).

قوله: (كما أتى في الخبر) أي: الحديث المتقدِّم(٣).

---

(١) وأجيب أيضاً بما قاله السعد: من أنَّ الكفر والمعاصي مقضيٌّ ومقدَّر ، لا قضاء وقدر. والواجب الرِّضا به إنَّما هو القضاء والقدر ، لا المقضيُّ والمقدَّر ، وفيه أنَّه لا معنى للرِّضا بالقضاء والقدر إلا الرِّضا بالمقضيِّ والمقدَّر ، والذي حقَّقه الخيالي في حاشيته أنَّ الكفر والمعاصي لهما جهتان: جهة كونهما مقضيَّين ومقدَّرين لله ، وجهة كونهما مكتسبَين للعبد ، فيجب الرِّضا بهما من الجهة الأولى لا من الثانية.
انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد ص(١٠٧) ، وتحفة المريد ص(٧٠) ، وشرح العقائد النسفية ص(١٣٨) ، وحاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية (١/ ١٤٥).

(٢) انظر ص(١٤٦) من هذا الكتاب .

(٣) وهو حديث الأربعين المتقدِّم في ص(٢٥٤ ـ ٢٥٥) .

٥٥ ـ ومِنْـهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالأَبْصَـارِ   لَكِن بِلاَ كَيْـفٍ ولا انْحِصَـارِ

رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة

قوله: (ومنه) أي: ومن جملة الجائز في حقِّه.

قوله: (أن ينظر بالأبصار)

أي: رؤيته سبحانه وتعالى في الآخرة، فهي جائزة عقلاً واجبة شرعاً؛ لورود الآيات والأحاديث، وللإجماع على حصولها من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] فالحسنى هي الجنَّة، والزيادة هي رؤية الله، وعليه جمهور المفسِّرين، وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[3] وفي الحديث: «إِنَّكُم سَتَرَونَ رَبَّكُم يَومَ القِيامَةِ كَما تَرَونَ القَمَر لَيْلَةَ البَدْرِ»[4] هكذا مذهب أهل السنَّة، وخالفت جميعَ الفرق معتزلةً وغيرهم، وقالوا[5]:

٣١/ب (إن رؤية الله مستحيلة). / مستندِين:

أ ـ لشبه عقلية: أقواها أنَّ الرؤية تستلزم المقابلة، والمقابلة تستلزم الجهة، والجهة تستلزم التحيُّز، أي: الحلول في مكان، وهو يستلزم: أن يكون إمَّا جِرْماً أو عرضاً تابعاً لجرم، ولا يخلو أيضاً إمَّا أن

---

(١) سورة القيامة (٢٣).

(٢) سورة يونس (٢٦).

(٣) سورة المطففين (٢٣ ـ ٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤) عن جرير مرفوعاً. ومسلم (١٨٣) بنحوه عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٥) أي: قال المعتزلة الذين أنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى.

يُرى كلُّه ، فيكون محصوراً ، أو بعضه فيكون متحيِّزاً ، وذلك كلُّه محال .

وحاصل الردِّ عليهم أنَّ هذا التلازم عادي[١] لا عقلي ، والقيامة محلُّ خرق العادات . على أنَّه نقل أبو يزيد البسطامي[٢] أنَّ رؤية الله بجميع أجزاء الجسم ، كما أنَّ سماع كلامه ليس بخصوص الآذان بل بجميع أجزاء البدن ، وأشار العارف إلى ذلك بقوله :

فإِنْ حَدَّثُوا عَنْها فَكُلِّي مَسَامِعٌ   وكُلِّيَ إِنْ حَدَّثْتُهُم أَلْسُنٌ تَتْلُو

وأيضاً لا فرق بين إدراك عقولنا ورؤية أبصارنا ، فكما أنَّنا لا ندرك حقيقته في الدنيا بعقولنا ، فكذلك لا تدركه أبصارنا في الآخرة .

قال ابن العربي[٣] : (إنَّ رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة في الدنيا ؛ لأنَّه ليس راءٍ كمن سمعا) .

ب ـ ولشُبه سمعية : أقواها قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[٤] ، وهو وارد مورد المدح ، فيكون إدراكه بالبصر نقصاً ، وهو عليه محال .

وحاصل الجواب أنَّ معنى (لا تدركه الأبصار) لا تحيط به ، على أنه

---

(١) قولهم : (إنَّ الرؤية تستلزم المقابلة) التلازم فيها عاديٌّ ، والتلازم العاديُّ يتخلَّف ؛ بدليل إمكان الرؤية بالمنام بدون مقابلة ، ودليل رؤية عمر ـ رضي الله عنه ـ سارية عندما ناداه : (يا سارية الجبلَ الجبلَ) ، وبينهما المسافات الشاسعة ، فتلك أيضاً رؤية بدون مقابلة .

(٢) سبقت ترجمته في ص(١٢٣) .

(٣) سبقت ترجمته في ص(١١١) .

(٤) سورة الأنعام (١٠٣) .

٥٥ ـ ومِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالأَبْصَارِ لَكِن بِلا كَيْفٍ ولا انْحِصَارِ
٥٦ ـ لِلمُؤْمِنِينَ إذْ بِجَائِزٍ عُلِّقَتْ هَذَا ولِلْمُخْتَارِ دُنْيا ثَبَتَتْ

قال: (لا تدركه)، ولم يقل: (لا تراه)، فالأبصار لا تحيط به، كما أنَّ العقول لا تحيط به [1].

قوله: (لكن بلا كيف) هذا جواب عن الشُّبهة العقلية.

قوله: (ولا انحصار) جواب عن الشُّبهة السمعية.

قوله: (للمؤمنين)

متعلِّق (بيُنْظر) ضمَّنه معنى ينكشف، فعدَّاه باللام، أي: لا الكفَّار والمنافقين، ولا الحيوانات التي تدخل الجنَّة [2]، ففي الحديث ما معناه: يُنَادِي مُنَادٍ مِن قَبلِ اللهِ تعالى يَومَ القِيَامَةِ: كلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ مَعْبُودَها، فعُبَّادُ الشَّمْسِ يُلْقَون معها في النَّار... وهكذا كلُّ مَعبُودٍ مع عُبَّادِهِ، إلا من رَضِيَ اللهُ عَنهم كعِيسَى ومَريَم وعُزَير؛ فإنَّ مَن عَبَدَهم يُلقى مَعَ شَيطَانِهِ في

(١) ومن جملة الرُّدود عليهم قوله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عالم بجلال الله، وبما يجب، وبما يستحيل، وبما يجوز؛ إذ هو نبيٌّ مرسل، ولو لم تكن الرؤية جائزة لما طلبها عليه الصلاة والسلام. ولو قال قائل: ما تقول بجواب الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؟ فالجواب أنَّ هذا نفي للرؤية في الدنيا لا في الآخرة. انظر شرح الدردير على خريدته ص (٨٤). وانظر شرح الصاوي على قول الماتن(إذ بجائز عُلِّقت) ص(٢٦٢) من هذا الكتاب.

(٢) ورد في بعض كتب الحديث ما يفيد أن بعض الحيوانات تدخل الجنة، فقد أخرج ابن ماجه في سننه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الشاة من دوابِّ الجنة» (٢/ ٧٧٣) برقم (٢٣٠٧) وقال: وهو متفق على ضعفه. وفي مجمع الزوائد: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أحسنوا إلى الماعز، وأميطوا عنها الأذى؛ فإنها من دواب الجنة» (٤/ ١١٤) برقم (٦٢٥٤) قال رواه البزّار وأعلَّه بسعيد بن محمد.

النَّـار. إلى أن قـال في الحـديث: فتَبقـى هـذه الأمَّـة، وفيها مُنافِقُوهـا، فيقُولونَ: لا نبـرح حتَّـى نرى مَعبُودَنـا، فيتجلَّى لهم مَلَكٌ لو وُضِعت بحـارُ الأرضِ في نُقْـرَة[١] إبهامِهِ لوَسِعَها، فيقولُ لهم: أنا رَبُّـكم، امتحاناً لهم، فيقولـونَ: نعـوذُ بالله لَسْتَ ربَّنـا، فإنَّ ربنا لا يتحَيَّز، وأنتَ مُتحيِّـزٌ، ثـمَّ
٣٢/أ يتجلَّى لَهم مَلَك آخرُ لَو وُضِعَتْ بِحَارُ الأرضِ، / ومثلُها مَعَها في نُقْرَة إبْهامِهِ لَوَسِعَها، فيقُولُـونَ لَه مثلَ ما قَـالوا للأوَّل، ثـمَّ يتجـلَّى الله سبحانه وتعالى لَهم، فَيخِرُّ المؤمِنُـونَ سُجَّـداً، فيُريـدُ المنـافِقُونَ السُّجُودَ كالمؤمِنينَ فلا يَقـدِرُون؛ لأنَّـهُ يَصيرُ ظُهورُهم طَبقـاً، فيُنـادي المُنادي: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾[٢]، وهَذا مَعنى قولِه تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ . . . ﴾[٣] الآية، فكَشْفُ السَّاقِ عند الخَلَف مؤوَّل بكشف الحِجَابِ. أو كما قال[٤].

ولكنَّ هذا يقتضي أنَّ المنافقين رأوا ربَّهم مع المؤمنين، ولكن حجبوا بعد ذلك، فتكون تلك الحجبة حسرة عليهم، وهذا أحد القولين، والحقُّ أنَّهم لم يروا؛ لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾[٥] ولا يلزم

---

(١) النقير: النكتة في ظهر النّواة، ونقرتُ الخشبة نقراً حفرتها، والنُّقْرَة حفرة في الأرض غير كبيرة، ونقرة القفا: حفرة في آخر الدِّماغ اهـ. المصباح المنير (نقر). والمعنى هنا: في جزء يسير جدّاً من إبهامه. والله أعلم.

(٢) سورة يس (٥٩).

(٣) سورة القلم (٤٢). وتمامها ﴿ . . . وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ وللتوسع انظر ما قاله الخازن في تفسير هذه الآية في (٤/ ٢٩٨) وما بعدها، فقد أورد هذا الحديث وما يتعلّق برؤية الله سبحانه بإسهاب.

(٤) أخرج الحديث البخاري (٤٥٨١). ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد مرفوعاً.وليس فيه: (أنَّ الملك لو وضعت بحار الأرض في نقرة إبهامه لوسعها). فلتعتمد رواية الصحيحين؛ لأنَّ هذه الزيادة منكرة.

(٥) سورة المطففين (١٥).

من مزاحمتهم لهم رؤياه ، وإنَّما قولهم وفعلهم تقليد كما كانوا يفعلونه في الدُّنيا.

قوله : (إذ بجائز عقلت)

أي : إنَّما قلنا بجواز الرؤية ؛ لأنَّ الله علَّقها على أمر جائز عقلاً ، وهو استقرار الجبل حال هويه [١] ، والمعلَّق على الجائز جائز ، قال تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ [٢] فعلَّقها سبحانه وتعالى على استقرار الجبل حال هويه [٣] ، وهو جائز ، وأيضاً سألها موسى الكليم ، عليه السلام ، فلولا جوازها ما طلبها الكليم ، وإلا كان طلبها منه جهلاً ، وهو على الأنبياء محال.

وقد أجمع أهل السنَّة على أنَّ الرؤية تحصل في الآخرة ، وأنَّ الآيات والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على ظاهرها من غير تأويل [٤].

والدَّليل العقلي على جوازها باختصار أن تقول : الله موجود ، وكل

---

(١) لو قال : (استقرار الجبل حال تجلِّي الله سبحانه له أي : للجبل) لكان أفضل ؛ إذ تلك العبارة من عبارات المعتزلة ، ويُستغرب من وجودها في كلام الصاوي ، وعلَّها وردت بطريقة النقل أو غيره ؛ إذ رأي المعتزلة في هذا المقام أنَّ الرؤية مستحيلة ؛ لأنَّ الله علَّقها على المستحيل وهو استقرار الجبل حال هويه. وهذا باطل.
والحقُّ أنَّها عُلِّقت عل جائز ، وهو استقرار الجبل حال التجلِّي ، وما عُلِّق على جائز فهو جائز. كما صرَّح بذلك عبد السلام في إتحاف المريد ص (١١٠).

(٢) سورة الأعراف (١٤٣).

(٣) بل حال التجلِّي. انظر التعليق (١) من هذه الصفحة.

(٤) كقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ سورة القيامة (٢٢ ـ ٢٣).

موجود يصحُّ أن يُرى [١]. نعم إنَّ رؤية الله في الجنَّة على حسب أحوال العباد ، فالرؤية العامَّة تكون كلَّ يوم جمعة ، والنساء في ذلك كالرجال على المعتمد[٢] ، وقيل: لا يرونه ، وقيل: يرونه في الأعياد لا فرق بين نساء هذه الأمَّة وغيرها.

وبعض الخواصِّ يراه كلَّ يوم ، وبعضهم لا يزال مستمرّاً في الشهود ، حتَّى قال أبو يزيد [٣]: (إنَّ لله رجالاً لو حُجبوا عن الرؤية طرفة عين لاستغاثوا من الجنَّة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار). ومن ذلك المقام قول بعض العارفين:

لَيْسَ قَصْدِي مِنَ الجِنَانِ نَعِيماً   غَيـرَ أنِّـي أُرِيـدُهَـا لأَراكـا

رؤية النبي ﷺ ربّه ليلة الإسراء والمعراج والأقوال في ذلك

قولـه: (هـذا) متعلِّق بمحذوف ، أي: افهم هذا[٤].

---

(١) في (د) زيادة: فينتج الله يصحُّ أن يُرى.

(٢) انظر تحفة الجلساء برؤية الله للنساء ص (٥٨ ـ ٥٩).

(٣) سبقت ترجمته ص(١٢٣).

(٤) في (د): مفعول لفعل محذوف ، تقديره افهم هذا.

قوله: (وللمختار دنيا ثبتت)[(١)]

أي: لم تثبت في الدُّنيا إلا لنبيِّنا ﷺ كما رواه ابن عبَّاس وغيره[(٢)]، وقد نفتها السيِّدة عائشة[(٣)]، ولكنَّ ابن عباس مقدَّم عليها؛ لأنَّـه

---

(١) والحاصل أنَّ رؤية الله سبحانه تكون:
١ ـ في الجنَّة، وهي رؤية نعيم، ولا خلاف بين العلماء في ثبوتها.
٢ ـ وفي عرصات القيامة، وهي رؤية امتحان.
٣ ـ وفي الدُّنيا، ولم تثبت إلا لنبيِّنا ﷺ على خلاف في ذلك.

(٢) عن ابن عبَّاس أنَّ النبي ﷺ رأى ربَّه بعينه، هذا هو المشهور عنه. وعنه أنه قال: (أَتَعْجَبُونَ أَنَّ الخُلَّةَ تَكُونَ لإِبْراهِيمَ، والكَلامَ لمُوسَى، والرؤية لمحمَّدٍ ﷺ وعَلَيهم أَجْمعِينَ؟!).
وحكى عبد الرزَّاق أنَّ الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمَّد ربَّه. وحكى ابن إسحاق أنَّ مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمَّد ربَّه؟ فقال: نعم. وحكى النقَّاش عن أحمد بن حنبل أنَّه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه... حتى انقطع نفسه (يعني نفَسَ أحمد)، وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري، وجماعة من أصحابه أنَّ محمَّداً ﷺ رأى الله ببصره وعينَي رأسه، وقاله أنس وابن عبَّاس وعكرمة والربيع والحسن. وكان الحسن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأى محمَّد ربَّه. انظر تفسير القرطبي (٧/ ٥٦) و(١٧/ ٩٢) وما بعدها.
وأخرج مسلم في صحيحه (١٧٦) وغيره عن عبد الله بن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرَّتين.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (١٧٧) عن عائشة قالت: ثلاث مَن تكلَّم بواحدة منهنَّ فقد أعظم على الله الفِرية. قال مسروق: ما هنَّ؟ قالت: مَن زعم أنَّ محمَّداً ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفِرية. قال: وكنتُ متَّكئاً فجلستُ، فقلتُ: يا أمَّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؟ فقالت: أنا أوَّل هذه الأمَّة سأل عن ذلك =

مثبت ، وهو مقدَّم على النافي ، على أنَّها لم تُدرك زمنها[١] .

وأمَّا الكليم فلم يَرَ ، وإنَّما حصل له الكلام ، وهو أعظم عطاياه ، فسمِّي كليماً.

والنبيُّ ﷺ لم يحجب عن الرؤية والكلام ، ولم يُسمَّ كليماً؛ لأنَّه أُعطي أشرف من الكلام.

فمن ادَّعى رؤية الله يقظة بعينَي بصره فهو ضالٌّ مضلٌّ ، قيل: فاسق ، وقيل: مرتدٌّ.

إن قلت: إنَّ العارف ابن الفارض[٢] قال في بعض قصائده:

وأَبـاحَ طَـرفـيَ نَظْـرةً أَمَّلْتُهـا فَغَدَوتُ مَعرُوفاً وكُنْتُ / مُنَكَّرا[٣] ٣٢/ب

وقال أيضاً:

ومُنِّي على سَمْعي بلنْ إنْ مَنَعْتِ أَن أَرَاكِ فمِنْ قَبْلي لِغَيريَ لَذَّتِ[٤]

وقال أيضاً:

وإِذا سـألتُـكَ أن أراكَ حَقيقـةً فاسمَحْ ولاتَجْعَلْ جَوابيَ لَن تَرى[٥]

= رسول الله ﷺ فقال: «إنَّما هُو جِبرِيلُ لَم أَرَهُ عَلى صُورَتِهِ التي خُلِقَ عَليها غَيرَ هاتَينِ المَرَّتينِ. . .». الحديث.

(١) لأنَّ الرؤية كانت في الإسراء والمعراج ، والسيِّدة عائشة وقتئذ لم تكن عند رسول الله ﷺ؛ إذ بنى بها في المدينة بعد الهجرة ، والإسراء قبل الهجرة بثلاث سنين.

(٢) سبقت ترجمته (١٨٥) .

(٣) ديوان ابن الفارض (١٤٣)

(٤) ديوان ابن الفارض (٣٢) .

(٥) ديوان ابن الفارض (١٤٢) .

فذلك يوهم أنَّ مقصوده رؤية الله ، وأنَّه رأى بالفعل ، فكيف ذلك مع القول بكفر من ادَّعى ذلك؟!

قلت: أحسن ما يجاب به: أنَّ ذلك خطاب للحضرة النبويَّة.

فقوله: (ومُنِّي على سَمْعي. . .إلخ) أي: يا رسول الله إنْ لم تُرني ذاتك ، فأسمعني خطابك.

وقوله: (وإذا سَألتُكَ. . .إلخ) أي: يا رسول الله لا تعاملني في رؤيتك كما عومل به موسى ، بل عاملني في رؤيتك ، وأرني ذاتك كما أراك الله ذاته. ولذلك قال أيضاً:

أَبْـقِ لـي مُقْلَـةً لعلِّـيَ يَـومَـاً   قَبلَ مَوتِي أَرَى بِها مَنْ رَآكا[1]

ويجاب أيضاً بأنَّ الكلام في الحضرة الإلهيَّة ، والرؤية محمولة على الرؤية القلبيَّة التي قال فيها:

أَنِلْنا مَعَ الأَحْبابِ رُؤْيتَكَ التي   إِليهَـا قُلُـوبُ الأَوليـاءِ تُسـارِعُ[2]

فقوله: (وأباح طرفي) أي: قلبي ، وسمَّاه طرفاً تجوُّزاً؛ لأنَّ الكلام خارج مخرج الكناية؛ لأنَّه ليس صريحاً في الذات العلية.

وأمَّا رؤيته تعالى في المنام ، فلا نزاع في وقوعها ، فقد رأى الإمام أحمد بن حنبل[3] ربَّه في المنام تسعاً وتسعين مرَّة ، وقال: (لئن رأيتُه تمام المئة لأسألنَّه بأيِّ شيء يتقرَّب إليه المتقرِّبون ، فرآه تمام المئة

---

(١) ديوان ابن الفارض (١٦٣).
(٢) ديوان ابن الفارض (١٥٥).
(٣) انظر ترجمة الشارح للإمام أحمد ص(٣٣٧) من هذا الكتاب .

وسأله ، فقال له : بتلاوة كلامي يا أحمد ، فقال : بِفَهْم وبغير فهم؟ فقال : بفهم وبغير فهم).

وإذا رُئي في المنام ، فقد يُرى بالصفة التي ذكرت في التوحيد[(١)] ، وهي حقٌّ ، وقد يرى بصفة الحوادث ، فإن رئي بصفة الحوادث ، وأمر الرَّائي بما يخالف الشرع كأن قال له : أسقطت عنك التكليف ، فهو الشيطان لا غير ، فإن أطاعه ، وفعل بمقتضاه ، فهو ضالٌّ مضِلٌّ ، قد خسر الدُّنيا والآخرة ، وإن لم يحصل له ذلك ، فهو رسول من عند الله ، إذا علمت ذلك تعلم أنَّ الشيطان قد يتمثَّل بالمولى جلَّ جلاله . وأمَّا النبيُّ ﷺ ، فلا يتمثَّل به الشَّيطَانُ ، فمن رأى النبيَّ فقد رآه حقَّاً ؛ لما في الحديث : «مَن رآني في المنامِ فقد رآني حقَّاً ؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتَمثَّلُ بي»[(٢)] .

فإذا رأى شخص النبيَّ ، وقال له مثلاً : أسقطت عنك التكليف ، فالرؤيا حقٌّ ، والغلط من الرائي . والفرق أنَّ الله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[(٣)] ، فتمثُّل الشيطان به لا يضرُّ في العقيدة . وأمَّا النبيُّ ﷺ فهو بشر ، فلو تمثَّل به الشيطان لأفسد الدِّين .

قال العارفون : ومثل النبيِّ ﷺ الصدِّيقون من الأولياء[(٤)] ؛ لعموم قوله

---

(١) وهي : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ أي : بلا كيف ولا إدراك ؛ إذ الرؤية في الجنَّة بالذات ستكون بلا كيف ولا إدراك .
(٢) أخرجه البخاري (٦١٩٧) . ومسلم (٢٢٦٦) عن أبي هريرة مرفوعاً بألفاظ متقاربة .
(٣) سورة الشورى (١١) .
(٤) أي : لا يتمثَّل الشيطان بهم .

٥٦ـ لِلمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزْ عُلِّقَتْ هَـذَا ولِلْمُخْتَـارِ دُنْيـا ثَبَتَـتْ

. . . .

تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[1].

٣٣/أ / **تتمَّــة:**

في حديث المعراج[2] لمَّا رأى النبيُّ ربَّه ليلة الإسراء، وفرض عليه خمسين صلاة، وأتى على موسى فقال له: ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف، فراجعه تسع مرَّات، وكلَّ مرَّة يرى الله، فالحكمة الظاهرية التخفيف، والباطنية اقتباس[3] نور الرؤية من وجهه ﷺ، ففي كلِّ مرَّة يُزاد نوراً من النور الذي حصل له من الرؤية، وفي ذلك المعنى قال ابن وفا[4]:

والسِّرُّ في قَولِ مُوسى إِذْ يُراجِعُهُ لِيجْتَلِي النُّـورَ فيـهِ حيث يَشْهـدُهُ
يَبدو سَناهُ عَلى وجْهِ الرسُولِ فَيا للهِ حُسنُ جَمـالٍ كانَ يَشْهَدُهُ[5]

تتمَّــة أخرى:

من جملة من أنكر رؤية الله تعالى الزمخشريُّ[6] في الكشَّاف، وأنشد يهجو أهل السنَّة بقوله:

---

(١) سورة الحجر (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٧). ومسلم (١٦٢) وليس في رواية البخاري «تسع مرات»، ولكن فيه: «... حُطَّ عَنهُ في كلِّ مَرَّة عَشْراً»، وأمَّا رواية مسلم: «ففي كل مرَّة خمساً».

(٣) أي: اقتباس موسى عليه الصلاة والسلام النور من وجه نبيِّنا ﷺ.

(٤) سبقت ترجمته ص(١٤٦ ـ ١٤٧).

(٥) ورواية الشطر الثاني في (د): لله حُسْنُ رسولٍ إذ يردِّدُهُ. وهي الرواية التي اعتُمدت في حاشية الأمير على إتحاف المريد ص(١١١)، وتحفة المريد ص(٧٤).

(٦) سبقت ترجمته ص(٢٢٦). وانظر تفسير الكشَّاف (٤/ ٦٦٢).

٥٦ـ لِلمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزْ عُلِّقَتْ   هَـذَا ولِلْمُخْتَارِ دُنْيا ثَبَتَتْ
. . . .

قومٌ لقد جَعَلوا هَواهُمْ سُنَّةً   وجَماعةٌ حُمُرٌ لَعمرِي مُوكَفَهْ[1]
قَدْ شَبَّهوهُ بخَلْقِهِ وتخوَّفُوا   شَنَعَ الورى فتستَّروا بالبَلْكَفَهْ[2]

قال ابن المنيِّر[3]: حيث انتقل للهجو، فقد أذن[4] النبي ﷺ لحسَّان[5] فيه، ونقتدي به، ونقول:

وجَماعةٌ كفَروا برُؤيَةِ ربِّهِمْ   هَـذا لَوعدُ اللهِ ما لن يُخْلِفَهْ
وتَلقَّبوا النَّاجِين[6] كلاَّ إنَّهمْ   إنْ لَمْ يَكُونُوا في لَظى فعَلى شَفَهْ[7]

وقال أبو حيان[8]:

---

(١) الوِكاف والإكاف يكون للبعير والحمار والبغل، والجمع وُكُف، ووكَّفَ الدابَّة وضع عليها الوكاف. اهـ لسان العرب (وكَفَ).
(٢) البَلْكَفة: منحوتة من قول أهل السنة: (بلا كيف). انظر تحفة المريد (٧٢).
(٣) أحمد بن محمَّد بن منصور من علماء الإسكندرية، وأدبائها، وُلِّي قضاءها وخطابتها، له تصانيف منها: تفسير حديث الإسراء على طريقة المتكلمين، والانتصاف من الكشَّاف. ولد سنة (٦٢٠هـ)، وتوفِّي سنة (٦٨٣هـ). انظر شجرة النور الزكيَّة (١٨٨)، فوات الوفيات (١/ ٧٢).
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨٩)، وأخرج نحوه البخاري (٣٢١٣)، ومسلم (٢٤٨٦).
(٥) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، روى عن النبي ﷺ أحاديث. مات سنة أربعين للهجرة، وقيل: خمسين وهو ابن عشرين ومئة سنة أو نحوها. انظر الإصابة (٢/ ٩٤).
(٦) يشير إلى المعتزلة الذين قالوا عن أنفسهم بأنَّهم ناجون.
(٧) انظر الأبيات في الانتصاف من الكشَّاف للإمام أحمد بن المنير (٢/ ١٢٦).
(٨) محمَّد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي النَّفْزي أثير الدِّين، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد سنة (٦٥٤هـ) أقام بالقاهرة، وتوفِّي فيها سنة (٧٤٥هـ). من كتبه البحر المحيط، ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، وله شعر في ديوان. اهـ بغية الوعاة =

شبَّهتَ جهلاً صدرَ أُمَّةِ أحمدَ — وذَوي البصائِرِ بالحَميرِ المُوكَفَهْ
وجَبَ الخسارُ عليكَ فانظر مُنْصِفاً — في آيةِ الأعراف[1] فهي المُنصِفَهْ
أترى الكَلِيمَ أتى بجهلٍ ما أتى[2] — وأتى شُيوخُكَ ما أتَوا عن معرفهْ
إنَّ الوجوهَ إليهِ ناظرةٌ بذَا — جاءَ الكتابُ[3] فقُلْتُمُ: هذا سَفَهْ
نَطَقَ الكتابُ وأنتَ تَنْطِقُ بالهوى — فهوى الهوى بكَ في المهاوي المُتْلِفَهْ[4]

وقال الجاربردي[5]:

عَجَباً لِقومٍ ظالمينَ تَستَّروا — بالعَدلِ[6] ما فيهم لَعَمْري مَعْرِفَهْ

= (١/ ٢٨٠)، وانظر الدرر الكامنة (٥/ ٧٠ ـ ٧١)، نَكْتُ الهميان (٢٨٠)، غاية النهاية (٢/ ٢٨٥)، نفح الطيب (٣/ ٢٨٢).

ذكر أبو حيَّان هذه الأبيات في تفسيره البحر المحيط (٥/ ١٦٨) ونسبها إلى القاضي أبي بكر بن أحمد بن خليل السكوني.

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف (١٤٣).

(٢) وذلك عندما قال مخاطباً ربَّ العزَّة سبحانه: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

(٤) انظر الأبيات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٦٨).

(٥) أحمد بن الحسن بن يوسف فخر الدين، فقيه شافعيٌّ اشتهر، وتوفِّي في تبريز سنة (٧٤٦هـ)، له شرح منهاج البيضاوي، وحاشية على الكشَّاف. انظر طبقات الشافعية (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

(٦) إذ تقول المعتزلة عن نفسها: إنَّهم أهل العدل والتوحيد، أمَّا العدل فلأنَّهم يقولون: يجب إثابة الطائع وتعذيب العاصي. وأمَّا التوحيد فلأنَّهم ينكرون صفات الله سبحانه حتَّى لا تتعدَّد الشركاء، وهذا زعم باطل بُيِّن أمره في عدَّة مواضع من هذا الكتاب.

٥٦ـ لِلمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزْ عُلِّقَتْ   هَـذَا وِلِلْمُخْتَـارِ دُنْيـا ثَبَتَـتْ

. . . .

قد جَاءَهمْ مِنْ حيثُ لا يَدرُونَهُ   تَعطيلُ[١] ذاتِ اللهِ مع نفي الصِّفَهْ

وقال التَّاج السُّبكي[٢]:

لَجَماعَـةٌ جـارُوا وقـالـوا إنَّهـم   لِلعـدْلِ أهـلٌ مـالهـم مـن مَعْـرِفَـهْ
لم يَعرِفُوا الرحمنَ بل جَهِلوا ومِنْ   ذا أَعرضوا بالجهلِ عن لَمْحِ الصِّفهْ

وقال أبو الحسن البكريّ[٣]:

يا جامعاً بين الضلالة والسَّفَهْ   ومُشَبِّـاً فـي دِينـه بـالفَلْسَفَـهْ
ومُـذَمِّـاً فـي عـدْلِـهِ جَـورٌ بـلا   عُرْفٍ ويزعمُ وَصْفَهُ بالمَعْرِفهْ
فبِـزَعْمِـهِ لـم ينصـرِفْ عَـنْ غَيِّـهِ   بل ظلَّ في حُجَجٍ تلوحُ مُزَخْرَفَهْ
قد قلتَ: قولُ اللهِ حَقٌّ ثُمَّ لَمْ   تُـؤْمِـن بـرؤيـاهُ وذلـكَ مَتْلَفَـهْ
ومَنَعتَ من قِدَمِ الصفاتِ ضلالةً   فلظى لذاتِكَ كلَّ وقتٍ مُشْرِفَهْ[٤]
فلكَ الـذي قـد قلتَـهُ فـي رؤيـةٍ   وجُزيتَ بالعدلِ السيوفَ المرهَفَهْ

اهـ. من حاشية شيخنا الأمير[٥].

* * *

---

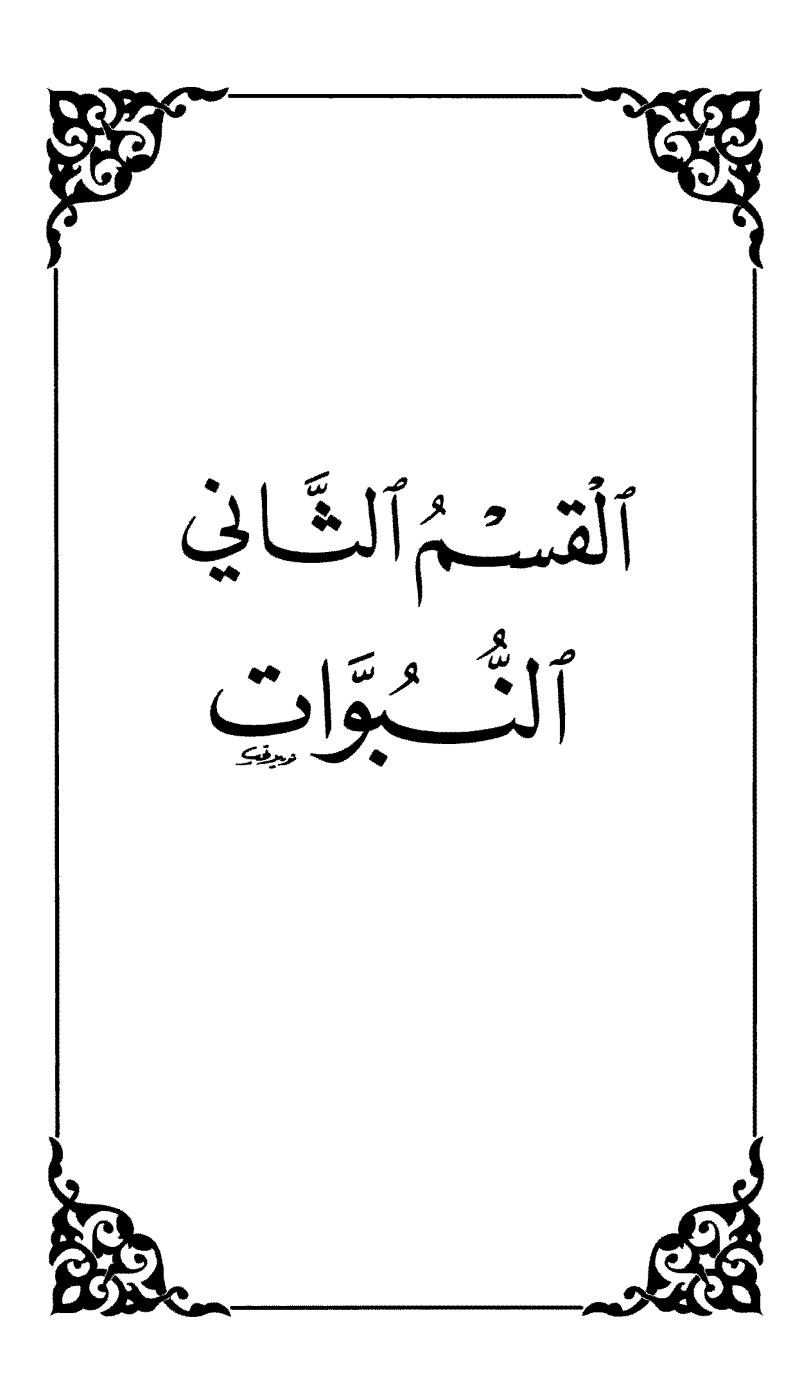
(١) وذلك بنفي الصفات، وهناك تلازم بين نفي الصفات، وتعطيل الذات الإلهيَّة.

(٢) سبقت ترجمته ص(١١٣).

(٣) محمَّد بن محمَّد بن عبد الرحمن البكريّ الصدِّيقي أبو الحسن، مفسِّر متصوِّف، مصريٌّ من علماء الشافعية، مولده سنة (٨٩٩ هـ) في القاهرة، كان يقيم عاماً في مصر وعاماً في مكَّة، من كتبه: شرح العباب، إرشاد الزائرين لحبيب ربِّ العالمين، توفِّي سنة (٩٥٢ هـ). انظر جامع كرامات الأولياء (١/ ١٨١)، شذرات الذهب (٨/ ٢٩٢) واسمه فيه (عليٌّ)، الأعلام (٧/ ٥٧).

(٤) وروي هذا الشطر في حاشية الأمير بلفظ: فلظى لذاتك في الورى مستشرفه.

(٥) سبقت ترجمته ص(١٣٣ـ ١٣٤). وانظر حاشية الإمير على إتحاف المريد (١٠٩ـ ١١٠).



القسم الثاني
النبوات

إرسال الرُّسل محض فضل من الله

قوله: (ومنه إرسال جميع الرسل)

لمَّا فرغ ممَّا يتعلَّق بحضرة الإله من الواجب والجائز والمستحيل في حقِّه تعالى، والردِّ على المخالفين في ذلك، وختم ذلك المبحث بالرؤية؛ لأنَّها المقصد الأعظم للعارفين، فمقصدهم بخدمتهم وطاعتهم ومحبَّتهم رؤية الله سبحانه وتعالى. قال بعض العارفين:

لَيسَ قَصْدِي مِنَ الجِنانِ نَعِيماً غَيرَ أَنِّي أُرِيدُها لأَراكا

شرع يتكلَّم على ما يتعلَّق بالأنبياء، وهو تفصيل لما أجمله أوَّلاً بقوله:

... ... وَمِثْلُ ذا لِرُسْلِهِ[١] ...إلخ

فقال: (ومنه) أي / : من الجائز في حقِّه تعالى عقلاً، خلافاً للفلاسفة القائلين بوجوب ذلك بالعلَّة والطبيعة؛ لأنَّه يلزم من وجود الله وجود العالم، ومن وجود العالم وجود من يصلحه[٢]، وهذا بناء منهم على أنَّ العالَم قديم، ولا ينشأ عن الله إلا المصالح، وهؤلاء كفَّار بتلك العقيدة[٣]. ٣٣/ب

---

(١) أي البيت الذي قاله فيه:

لله والجَائِزَ والمُمتَنِعا ومَثْلُ ذا لِرُسْلِهِ فاستَمِعا

انظر ص(١٠٥) من هذا الكتاب.

(٢) وهم الأنبياء، وبهذا توصَّل الفلاسفة إلى أنَّ إرسال الرسل واجب بالعلَّة والطبع، لا بالإرادة والقدرة. نعوذ بالله من ذلك الكفر وأهله.

(٣) قال الدردير في خريدته: =

وخلافاً للمعتزلة القائلين بوجوب ذلك؛ لأنَّه يجب على الله فعل الصلاح والأصلح لعبيده؛ لأنَّه لا مصلحة في ترك العالَم كالبهائم، وهؤلاء فُسَّاق[1].

قوله: (فلا وجوب)

تفريع على قوله: (ومنه. . .إلخ) أي: إذا علمت أنَّه جائز عقلاً تعلم أنَّه غير واجب عليه تعالى، يعني عقلاً، وأمَّا شرعاً فهو واجب؛[2] لتعلُّق علم الله به.

قوله: (بمحض الفضل) أي: بالفضل الخالص الذي لا يُشْعَر به[3] وجوبٌ ولا علَّةٌ.

= ومَـنْ يَقُـلْ بـالطَّبـعِ أو بـالعلَّـهْ فَـذَاكَ كُفْـرٌ عنـد أَهْـلِ المِلَّـهْ

انظر شرح الخريدة البَهيَّة ص(٦٠ ـ ٦١).

(١) قال الدردير في خريدته:

ومـن يَقُـلْ فِعْـلُ الصَّـلاحِ وَجَبَـا علـى الإلـهِ قَـدْ أَسـاءَ الأدَبَـا

انظر شرح الخريدة البهية ص(٨٣).

(٢) ليس المراد بالوجوب هنا أنَّه واجب على الله تعالى، بل هو واجب وقوعاً؛ لأنَّ الله أَراد ذلك، وتَعَلَّق علمه به، وما أراده الله وتعلَّق به علمه لا بدَّ من وقوعه.

(٣) في (د): لا يشوبه.

٥٨ـ لَكِنْ بِذَا إِيمَانُنَا قَدْ وَجَبا   فَدَعْ هَوَى قَوْمٍ بِهِم قَدْ لَعِبا

. . . .

وجوب الإيمان بجميع الرُّسل عليهم الصلاة والسلام

قوله: (لكن بذا إيماننا قد وجبا)

استدراك على ما تقدَّم ؛ لأنَّه ربما يتوهَّم من كونه من جملة الجائزات أنَّ الإيمان بوقوعه ليس واجباً ، فأفاد وجوبه بقوله: (قد وجبا) أي: وجب الإيمان بسائر الرسل إجمالاً في الإجمالي ، وهم من آدم إلى محمَّد ﷺ ، وتفصيلاً في التفصيلي[1] ، وهم خمسة وعشرون ، منهم ثمانية عشر في قوله تعالى في الأنعام: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾[2] ، والباقي محمَّد وآدم وشعيب وصالح وهود وإدريس وذو الكفل. واختلفوا في لقمان والعُزَير وذي القرنين.

---

(١) المراد بالتفصيلي: الإيمان والاعتراف بنبوَّة كلِّ من ذُكر من هؤلاء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وأمَّا الباقي فالإيمان بهم إجمالي ، بمعنى أنَّنا نؤمن بنبوَّة كلِّ مَن جاء من عند الله ، وإن كنَّا لا نعلم عددهم ولا أسماءهم.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة الأنعام (٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦).

فمن أنكر واحداً من الخمسة والعشرين بعد معرفته فقد كفر. والمدار في معرفته على التصديق برسالته، ولا يلزم حفظ عددهم، وإنَّما هو بحيث لو سُئل عن واحد منهم هل هو رسول أَوْ لا لقال: آمنت وصدَّقت برسالته.

وحيث وجب الإيمان برسل الله وجب الإيمان بما جاؤوا به. ومن جملة ما جاؤوا به الكتب والملائكة، فيجب الإيمان بالملائكة، أي: بأنَّهم عباد مكرمون، يسبِّحون الليل والنهار لا يفتُرون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فمن نقَّص واحداً منهم كفر، ومن التنقيص قول العامَّة في حقِّ أعوان الظلمة: إنَّهم كزبانية جهنَّم، وقولهم في حق رجل عابس: إنَّه كعزرائيل أو منكر ونكير.

ويجب الإيمان تفصيلاً بجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ورضوان ومالك، ورقيب وعتيد، ومنكر ونكير(١)، وخزنة النار، وحملة العرش، ويجب الإيمان بباقيهم إجمالاً، وسيأتي ذلك.

٣٤/أ **قوله: (فدع هوى قوم بهم قد لعبا) /**

أي: اترك هوى قوم قد لعب الهوى بهم، فمن ذلك: السُّمَنِيَّة(٢)،

---

(١) انظر ص(١٣٢) من هذا الكتاب؛ إذ تحدَّث المؤلِّف عن الخلاف في سؤال القبر، ولم يكفِّر مَنْ أنكر الإيمان بمنكر ونكير.

(٢) بضمِّ السين وفتح الميم. قوم من الهنود دهريُّون من عبدة الأوثان، يقولون بالتناسخ، وينكرون وقوع العلم بالأخبار. وقيل: هي نسبة إلى سُومَنات بلدة بالهند. اهـ لسان العرب (سمن)، المعجم الوسيط (١/ ٤٥٢).

فقد أحالوا إرسال الرسل، وقالوا: (إنَّ الله ليس بمحتاج، ولو أرسل رسلاً لكان محتاجاً إليهم، وهو محال، فإرسال الرسل محال؛ لأنَّ معرفة الله تكون بالعقل، وإرسال الرسل عبث تنزَّه الله عنه).

ومن ذلك: الفلاسفة، فقد قالوا: (إنَّ الرسل موجودون بالعلَّة والطبيعة). وهذان الفريقان كافران.

ومن ذلك: المعتزلة، فقد قالوا: (إنَّ من كمالات الله ومصالح عباده إرسال الرسل، فهو واجب عليه؛ لوجوب الصلاح والأصلح عليه)، وهذه الفرقة فاسقة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

فالهوى **بالقَصْر** معناه ميل النفس إلى محبوبها خيراً كان أو شرّاً، وأمَّا **بالمدِّ** فهو ما بين السماء والأرض، والمراد هنا الأوَّل.

ما يجب في حقِّ الرُّسل

قوله: (وواجب في حقِّهم)

الضمير عائد على الرسل بالنسبة للجميع، ومثلهم الأنبياء فيما عدا التبليغ، وهذه الصفات واجبة عقلاً ونقلاً، لكنَّ الأقوى هو الدَّليل

(١) سورة ص (٢٦).

النقلي ، ولذلك قال فيما يأتي : (كما رووا)[١] .

قوله : (الأمانة)

هي حفظ ظواهرهم وبواطنهم ، في حالة الصِّغَر والكِبَر ، قبل النبوَّة وبعدها ، عن التلبُّس بمنهيٍّ عنه ، ولو خلافَ الأَولى ، لكن قد يقع منهم المكروهُ وخلافُ الأَولى ، لا على وجههما بل على وجه التشريع[٢] ، كالبول من قيام ، والشرب كذلك ، وترك بعض الرغائب . وأمَّا المحرَّمات فلا تقع منهم إجماعاً . إن قلت : إنَّ إخوة يوسف قد فعلوا معه ما ظاهره الحرام؛ فعلى أنَّهم ليسوا بأنبياء فليس بمشكل ، وأمَّا على أنَّهم أنبياء ، فهو مشكل .

أجيب بأنَّهم وإن كانوا أنبياء إلا أنَّهم ليسوا برسل مشرِّعين ، فللنبيِّ أن يفعل بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر ، كما في خرق السفينة ، وقتل الغلام الواقع من الخضر[٣] عليه السلام ، فهو بحسب الظاهر حرام ، وبحسب الباطن مصلحة .

فإخوة يوسف أعلمهم الله بالإلهام أو الوحي أنَّ يوسف يملك مصر ، وتحصل له السيادة العظمى بها ، فتعيَّن عليهم أن يفعلوا أموراً وإن كان

---

(١) وذلك في قوله:

ومِثْــلُ ذا تَبليغُهــم لِمــا أَتَــوا ويَستَحِيــلُ ضِــدُّهــا كَمــا رَوَوا

انظر ص(٢٨٢) من هذا الكتاب .

(٢) أي : ليدلَّ على أنَّ هذا مباح ، وإن كان خلاف الأولى أو مكروهاً ، ويكون في فعل ذلك مشرِّعاً لا مريداً فعل المكروه أو خلاف الأولى .

(٣) في الخضر عليه السلام ثلاثة أقوال : قيل : وليٌّ ، وقيل : نبيٌّ ، وقيل : رسول . وخير الأمور أوساطها . انظر تحفة المريد (١٤) .

ظاهرها الحرام ، إلا أنَّها في الباطن والواقع واجبة عليهم؛ ليتوصَّلوا بذلك إلى وصوله لمصر ، ففعلهم هذا حرام ظاهراً مأمورون به باطناً ، ويقال فيهم كما قال الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾[1].

ويؤوَّل أيضاً ما يوهم خلاف الأمانة في حقِّهم كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[3] بأنَّ المراد ذنوب أمَّته ووزرهم. أو أنَّ المراد بالوزر أثقال الوحي؛ فإنَّه كان يثقل عليه نزول الوحي ، فكان لا ينام ، فأخبره الله بأنَّه وسَّع صدره،/ ووضع ٣٤/ب
عنه أثقال الوحي ، فكان بعد ذلك لا يثقل عليه الوحي. أو المراد الوزر على فرض وقوعه ، أي: إن وقع منك ذنب أو وزر فقد غفرناه ، ووضعناه عنك.

قوله: (وصدقهم)

أي: مطابقة خبرهم للواقع ، ولو في حال المزح؛ لما في الحديث: «أَمْزَحُ ولاَ أَقُولُ إلا حَقّاً»[4].

---

(١) سورة الكهف (٨٢).
(٢) سورة الفتح (٢).
(٣) سورة الانشراح (٢).
(٤) أخرجه الطبراني في (الأوسط) (مجمع البحرين رقم ٣٥٧٨) و(الكبير) (١٢) برقم (١٣٤٤٣) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.
وأخرجه الطبراني في (الصغير) ص(٣٢٩) وإسناده ضعيف من أجل المبارك بن فضالة؛ فإنَّه صدوق فيه ضعف ، ومدلّس ، وقد عنعن.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في (الصمت) (٣٩٧).
وله طرق أخرى.

٥٩ـ وَوَاجِبٌ في حَقِّهِمْ الامَانَهْ وَصِدْقُهـم وَضِفْ لَه الفَطَـانَهْ
٦٠ـ ومِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُم لِمَا أَتَوا ويَسْتَحِيْـلُ ضِـدُّهَـا كَمـا رَوَوا

. . . .

ويؤوَّل ما ظاهره الكذب في حقِّ الأنبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل مع الأصنام في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[1]؛ فإنَّه كلام خارج مخرج التقريع والتهديد والتبكيت؛ لأنَّه لم يكن عند الأصنام غيرُه، فما فائدة قولهم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾[2]؟

قوله: (وضف له الفطانة)

أي: ضُمَّ لما يجب لهم الفطانة، وهي: ذكاوة العقل، ومعرفة طرق الدَّعاوي الباطلة من الصحيحة.

قوله: (ومثل ذا) أي: الواجب المتقدِّم.

قوله: (تبليغهم لما أتوا) أي: جاؤوا به من الله.

والحاصل أنَّ ما جاؤوا به أقسام ثلاثة:

١ ـ قسم أُمروا بتبليغه، فلم يكتموا منه حرفاً.
٢ ـ وقسم أُمروا بكتمانه، فلم يبلِّغوا منه حرفاً.
٣ ـ وقسم خُيِّروا بين كتمانه وتبليغه، فبلَّغوا البعض وكتموا البعض.

ولو جاز على الأنبياء الكتمان لكتم نبيُّنا ﷺ قولَه تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ

(١) سورة الأنبياء (٦٣).
(٢) سورة الأنبياء (٥٩).

لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾[1] الآيات ، وقولَه تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[2] الآيات .

فلو كان خائناً بفعل منهيٍّ عنه لكان ذلك المنهيُّ عنه طاعة ، وهو محال؛ لأنَّ الله لا يأمر بالفحشاء . والحال أنَّه أمرنا بالاقتداء بهم. ولو كان كاذباً للزم الكذب في خبره تعالى؛ لتصديقه لهم بالمعجزات ، وتصديقُ الكاذب كذب ، والكذب على الله محال .

ويجب أيضاً أن يكون الرسول بشرياً ، لا من الجنِّ ولا من الملائكة، ذكراً لا أنثى ـ وأمَّا مريم فصدِّيقة على المعتمد ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾[3] فالمراد الإلهام لا وحي نبوَّة ، وكذا آسية فوليَّة على المعتمد ـ حرّاً لا عبداً ، وأمَّا على القول بنبوَّة لقمان[4]، والحال أنَّه عبد ، فالمراد أنَّه كان أسمر اللَّون يشبه العبيد .

واختلف في البلوغ ، فقيل بعدم اشتراطه ، ودليل ذلك آية عيسى

---

(١) سورة الأحزاب (٣٧) والآية بتمامها : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

(٢) سورة عبس (١) .

(٣) سورة القصص (٧) .

(٤) الأصحُّ أنَّه كان تلميذ الأنبياء لا نبيّاً. فقد قال أبو حيَّان الأندلسي في تفسير سورة لقمان: أدرك داودَ عليه السلام ، وأخذ منه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود ، فلمَّا بُعث داود قطع الفتوى . البحر المحيط (٨/ ٤١٢) .

٦٠ـ ومِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُم لِمَا أَتَوا ويَسْتَحِيْلُ ضِدُّهَا كَما رَوَوا
٦١ـ وَجَائِزٌ في حَقِّهِمْ كالأَكْلِ وكـالجِمَـاعِ للنِّسَـا فِـي الحِـلِّ

. . . .

ويحيى[١]، وقيل باشتراطه[٢]، ويؤوَّل ما ورد في حقِّ عيسى ويحيى بأنَّه إخبار بما سيحصل؛ لتحقُّق الوقوع كـ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[٣].

ما يستحيل في حقِّ الرسل

قوله: (ضدُّها) أي: ضدُّ هذه الصفات المتقدِّمة، كالخيانة والكذب والبلادة والكتمان.

ما يجوز في حقِّ الرُّسل

قوله: (كالأكل)

أي: من الأعراض البشرية التي لا تؤدِّي إلى نقص في مراتبهم العليَّة كالنوم ونحوه، ولكن أكلهم ونومهم لا عن / شهوة بل للتقوِّي. ٣٥/أ

---

(١) قال تعالى في حقِّ يحيى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ سورة مريم (١٢).
وقال تعالى في حقِّ عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ سورة مريم (٣٠).

(٢) المعتمد أنَّه لا تكون النبوَّة إلا عند بلوغ الأربعين. انظر هداية المريد للقاني (ق ٤/ب)، وتحفة المريد ص(٧ـ٨).

(٣) سورة النحل (١) والآية بتمامها: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمراد به مجيء يوم القيامة. انظر تفسير الخازن (٣/١٠٧).

٦١ـ وَجَائِزٌ في حَقِّهِمْ كالأَكْلِ   وكالجِمَاعِ للنِّسَا فِي الحِلِّ

. . . .

قوله: (وكالجماع للنسا)

أي: بالملك مطلقاً مسلمات أو كتابيَّات لا مجوسيَّات، أو بالنكاح في المسلمات الحرائر.

وقولنا: (التي لا تؤدِّي إلى نقص... إلخ) خرجت الأعراض المنفِّرة كالجنون والجذام والبرص والعمى والفقر وسوء الخلق وخِسَّة الأصل؛ فإنَّها محالة في حقِّهم، ولم يثبت أنَّ شُعيباً كان ضريراً. وما كان بيعقوب فهو حجاب على العين من تواصل الدُّموع؛ فلذلك لمَّا جاءه البشير ارتدَّ بصيراً لانقطاع دموع العين. وما كان بأيُّوب من البلاء ـ وإن كان عظيماً ـ فالحقُّ أنَّه كان بين الجلد والعظم، فلم يكن منفِّراً، وما اشتهر في القصَّة من الحكايات المنفِّرة فهي باطلة.

وأمَّا السهو[1] فممتنع عليهم في الأخبار البلاغيَّة مثل عذاب القبر ونعيمه، وغيرها[2] كقيام زيد مثلاً. فإن قلت: قد اعترف ﷺ بصوابيَّة فعل من يلقح النخل، وقد كان قال لهم: «إنَّكم لَو تَركْتُمُوهُ بلا تَلْقِيحٍ لَصَلَحَ»[3] ففعلوا فشاص[4].

---

(١) فرَّق العلماء بين السهو والنسيان، فمما قيل في ذلك:
أن السهو غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبَّه بأدنى تنبيه.
وأن النسيان غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد، أو هو زوال الصورة عن القوَّة المدركة مع بقائها في الحافظة اهـ. الكليات للكفوي (٣/ ٢٥).

(٢) أي: وغير الأخبار البلاغية كقام زيد، وقعد عمر، فيمتنع السَّهْو عليهم فيها أيضاً. انظر تحفة المريد (٧٧).

(٣) أخرج مسلم (٢٣٦٣) عن عائشة وأنس أنَّ النبي ﷺ مرَّ بقوم يلقحون فقال: «لَو لم تَفعَلُوا لَصَلَحَ». قال: فخرج شيصاً، فمرَّ بهم فقال: «ما لِنَخلِكُم»؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: «أنتم أَعْلَم بأَمْرِ دنياكم». وأخرجه مسلم أيضاً (٢٣٦١) عن طلحة بن عبيد الله.

(٤) أشاصت النخلة: لم تتلقَّح، والشِّيص بالكسر: تمر لا يشتدُّ نواه. اهـ القاموس المحيط (شيص).

أجيب: بأنَّ هذه القصَّة ليست من باب الخبر المعروض للصِّدق والكذب، وإنَّما هو من باب الرأي والاستشارة في أمر دنيويٍّ لا أمر دينيٍّ. فلذلك أمرهم بالرجوع لعادتهم[1].

وأمَّا في الأفعال البلاغيَّة وغيرها فيجوز، كالسَّهْو في الصلاة للتشريع.

وأمَّا النسيان فممتنع في البلاغيَّات قبل تبليغها، قولية كانت أو فعلية، وأمَّا بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر عليهم[2]؛ لحفظه بعد التبليغ، ووجوبِ ضبطه على المُبلَّغ ليعملَ به، ولا يمتنع عليهم[2] نسيان منسوخِ اللفظِ والمعنى مطلقاً لا قبل التبليغ ولا بعده.

تنبيه:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[3] الذي كان يخفيه هو تزويج اللهِ زينبَ له[4]؛ فإنَّ الله أخبره بذلك،

---

(١) أجيب بأنَّ هذا من قبيل الإنشاء؛ لأنَّ المعنى كان في رجاء ذلك، والإنشاء لا يتَّصف بصدق ولا كذب، وعدم وقوع المترجَّى لا يُعدُّ نقصاً. تحفة المريد (٧٦). وانظر حاشية الأمير على إتحاف المريد ص(١١٥).

(٢) في (م): عليه.

(٣) سورة الأحزاب (٣٧) والآية بتمامها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

(٤) نقل الباجوريُّ عن علي بن الحسين ـ رضي الله عنه ـ قال: إنَّ الله تعالى كان أعلم نبيَّه أنَّ زينب ستكون من أزواجك، فلمَّا شكاها إليه زيد قال له: أمسك =

فصار يكتمه رأفة بزيد[(١)] ، وبضعفاء المسلمين ، خوف افتتانهم بقولهم: إنَّه يتزوَّج حليلةَ ابنه.

وليس المراد بما يخفيه حبَّها[(٢)] ، خلافاً لمن زعم ذلك[(٣)]؛ فإنَّه إساءة أدب لا تخفى، كما تلقَّيناه عن أشياخنا المحقِّقين. وقد بسطنا الكلام على ذلك في شرحنا على الهَمْزية في مبحث التوسُّل بالأزواج.

كلمة (لا إله إلا الله محمَّد رسول الله) جامعة عقائد التوحيد

قوله: (وجامع معنى الذي تقرَّرا. . . إلخ)

لمَّا فَصَّل ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز. وما يجب للرسل وما

= عليك زوجك، واتَّقِ الله، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنَّه سيتزوَّجها، والله مبدي ذلك بطلاق زيد لها وتزويجها له ﷺ، ومعنى الخشية استحياؤه ﷺ من الناس أن يقولوا: تزوَّج زوجة ابنه، أي: مَن تبنَّاه، فعاتبه الله على هذا الاستحياء؛ لعلوِّ مقامه. اهـ تحفة المريد (٧٦ ـ ٧٧).

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) صحابيٌّ. اختُطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد، فوهبته إلى النبيِّ ﷺ حين تزوَّجها، فتبنَّاه النبيُّ قبل الإسلام وأعتقه. وهو من أقدم الصحابة إسلاماً. استشهد في غزوة مؤتة. انظر صفة الصفوة (١/٣٧٨)، الإصابة (٢/٥٩٨) و(١/٤٩).

(٢) ما قيل من أنَّه ﷺ تعلَّق قلبه بها، وأخفاه، فلا يلتفت إليه ـ وإن جلَّ ناقلوه ـ فإنَّ أدنى الأولياء لا يصدر عنه مثل هذا الأمر، فما بالك به ﷺ؟! وهذا هو الذي نعتقده، وندين الله به. كما نقله السنوسيُّ في كتبه. تحفة المريد (٧٧).

(٣) ممَّن زعم ذلك الزمخشريُّ، وصرَّح به في تفسيره. انظر الكشّاف (٣/٥٤٠ ـ ٥٤١).

٦٢ـ وجَامِعُ مَعْنَى الذِي تَقَرَّرَا   شَهَادَتا الإِسْلَامِ فَاطْرَحِ المِرَا

. . . .

يستحيل وما يجوز. شرع فيما يتضمَّن ذلك ، وهما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، وهما: **(لا إله إلا الله محمَّد رسول الله)**.

وقوله: (الذي تقرَّرا)

أي: الذي تقدَّم تفصيله: من الواجب والجائز والمستحيل في حقِّ الله ، وفي حقِّ رُسُله.

قوله: (شهادتا الإسلام)

هو مثنَّى حذفت ألفه لالتقاء الساكنين ، وهو فاعل بجامع سدَّ مسدَّ الخبر؛ لأنَّ (جامعٌ) مبتدأ معتمِد على موصوف محذوف ، تقديره: لفظ جامع ، أي: شهادتان / دالَّتان عليه ، أو من أعظم أجزائه ، أو سبب ٣٥/ب
فيه ، فالإضافة إمَّا من إضافة الدالِّ للمدلول ، أو الجزء للكل ، أو السبب للمسبَّب[١]. ووجه كونهما جامعين لمعنى ما تقدَّم:

أنَّ الجملة الأولى التي هي: **(لا إله إلا الله)** تفيد ثبوت الألوهيَّة لله ، أي: المعبوديَّة بحقٍّ. ووصف الألوهيّة يستلزم وجوبَ الوجودِ والقدمِ الذاتيِّ والبقاءِ والمخالفةِ للحوادث والقيامِ بالنفس ، فاستلزم ذلكَ استغناؤه عن كلِّ ما سواه ، وافتقارُ كلِّ ما سواه إليه؛ فمن حيث استغناؤه عن كلِّ ما سواه استلزم وجوبَ هذه الصفات الخمسة له ، ومن حيث افتقارُ كلِّ ما سواه إليه استلزم وجوبَ الوحدانيَّة له والقدرة

---

(١) من إضافة الدالِّ للمدلول ، إن قلنا: النطق شرط لإجراء الأحكام الدنيويَّة.
ومن إضافة الجزء للكلِّ ، إن قلنا: النطق شطر من الإيمان.
ومن إضافة السبب للمسبَّب ، إن قلنا: النطق شرط لصحة الإيمان.
انظر المزيد على إتحاف المريد للسحيمي ج١ (ق ٥٢١/ ب).

والإرادة والعلم والحياة ، وكونه قادراً مريداً عالماً حيّاً ، واستلزم ذلك استحالةَ أضدادِ ما ذكر عليه ، واستحالةَ الأغراض في الأفعال والأحكام ، والتأثيرَ لشيء في الكائنات سواه ، وجوازَ فعل الممكنات أو تركها.

وأمَّا السمع والبصر والكلام فمأخوذة من الجملة الثانية (١) ؛ لأنَّ دليلها سمعيٌّ لا مدخل للعقل فيه. فمعنى (لا إله إلا الله) المطابقي : لا معبود بحقٍّ إلا الله ، ومعناها الالتزامي (٢) : لا مستغنياً عن كلِّ ما سواه ومفتقراً إليه كلُّ ما عداه إلا الله ؛ فأوَّلها تخلية ، وآخرها تحلية (٣) ، وأوَّلها سمٌّ ، وآخرها ترياق (٤). والمنفيُّ هو المعبود بحقٍّ غيرُ الله في ذهن المؤمن وفي نفس الأمر ، لا في ذهن الكافر.

والجملة الثانية : أعني (محمَّد رسول الله) تفيد ثبوت الرسالة لسيِّدنا محمَّد ﷺ ، فاستلزم ذلك وجوبَ الصدق له فيما جاء به والأمانةِ والتبليغِ والفطانةِ ، واستحالةَ أضدادها ، وجوازَ الأعراض البشريَّة عليه ﷺ ، ومن جملة ما جاء به الأنبياء ، فلهم ماله في الواجب والمستحيل والجائز ، ومن

---

(١) لأنَّ قولنا : (محمَّد رسول الله) إثبات لرسالته ﷺ ، وإيمان بما أنزل عليه. وقد أخبرنا القرآن بأنَّ الله سميع بصير متكلِّم.

(٢) دلالة الالتزام قسم من أقسام الدلالة اللفظية الوضعية ، وهي : دلالة اللفظ على أمر خارج عنه لازم لمعناه ذهناً ، كدلالة الأربعة على الزوجية ، والجسم على أخذ قدر من الفراغ ، وهو التحيُّز ، والنار على الحرارة.
ومعنى الالتزامية : أن المعنى قد استلزم ذلك الأمر الخارج عنه. انظر المنطق المفيد القسم الثاني (١٥).

(٣) التخلية : هي استغناؤه عن كل ما سواه ؛ إذ خلَّيناه من الاحتياج.
والتحلية : احتياج الخلق إليه ؛ لافتقار كلٍّ ما سواه إليه.

(٤) أي : أوَّلها نفي الألوهية بقولنا : (لا إله) ، وآخرها ترياق ؛ لإثبات الألوهيَّة له سبحانه بقولنا : (إلا الله).

جملة ما جاء به الكتب السماويّة والملائكة ، وجميع السمعيّات التي ليس للعقل فيها مدخل .

فقد جمعت هذه الجملة الشريفة عقائد التوحيد؛ ولذلك جعلها الشارع ترجمةً على ما في القلب من الإيمان ، ولم يَقبل من أحد الإيمان إلا بها ، ويكفي في حصول الذِّكر بها والإسلامِ المعنى الإجمالي ، وهو : لا معبود بحقٍّ إلا الله .

فقول السَّنوسي[١] : (فعلى العاقل أن يُكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من المعاني)[٢] أي : على سبيل الإجمال؛ لأنَّه الذي يحصل لكلِّ شخص .

٣٦/أ ويترتَّب عليه ما قاله / السَّنوسي[٣] كما جرت عادة الله في المخلصين في ذكره . وللذِّكر شروط وآداب تطلب من كتب القوم .

ثم إنَّ لفظ الجلالة في قولنا : (إلا الله) يصحُّ نصبه ورفعه ، لكن المختار رفعه ؛ لقول ابن مالك :

... ... وبَعْـدَ نَفْـيٍ أو كَنَفْـيٍ انتُخِـبَ
إِتْبَـاعُ مَـا اتَّـصَـلَ[٤] ... ...

(١) سبقت ترجمته ص(١٠٥ ـ ١٠٦) .

(٢) وردت عبارة السَّنوسي في أمِّ البراهين على النحو التالي : (فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الإيمان) اهـ (٣٢) .

(٣) (. . . حتَّى تمتزج مع معناه بلحمه ودمه؛ فإنَّه يرى لها من الأسرار والعجائب ـ إن شاء الله تعالى ـ ما لا يدخل تحت حصر) اهـ . أمّ البراهين (السنوسية الصغرى) (٣٢) .

(٤) قال ابن مالك في الخلاصة (الألفية) :

ما اسْتَثْنَتِ الا مَعْ تَمامٍ يَنتَصِبْ وبعـدَ نَـفْـيٍ أو كَنَـفْـيٍ انتُـخِـبْ
إتْبَـاعُ ما اتَّـصَلَ وانْصِبْ ما انقَطَعْ وعَــنْ تَميــمٍ فِيــهِ إبْــدالٌ وَقَـعْ

٦٢ ـ وجَامعٌ مَعْنَى الذِي تَـقَـرَّرَا   شَهَادَتا الإسْلاَمَ فَاطْرَح المِرَا
٦٣ ـ ولَم تَـكُنْ نُـبُـوَّةٌ مُـكْتَسَبهْ   ولَو رَقَى فِي الخَيْرِ أَعْلَى عَـقَـبَهْ

....

و(لا إله إلا الله) من قبيل العامِّ المخصوص ، وهو ما كان عمومه مراداً في اللفظ لا في المعنى ، فالاستثناء على ذلك متَّصل من حيث دخول لفظ الجلالة في عموم اللفظ ، وهو مُخْرَج معنى [١]؛ فقوله : (إلا الله) كشف لما حاشاه [٢] في القلب عند النفي ، وهي من باب عموم السلب لا سلب العموم [٣] ، وإلا كان الاستثناء منقطعاً ، وهو خلاف التحقيق .

قوله : (فاطرح المرا)

أي : اترك الجدال في ذلك ، وهو مقابلة الحجَّة بالحجَّة ، أي : اترك من ينازع في كونها تجمع معاني عقائد التوحيد .

النبوّة اصطفاء لا اكتساب

قوله : (ولم تكن نبوَّة مكتسبة)

هـذا شروع في الـردِّ على الفلاسفـة القائلين بقـدم العـالم ، حيث

---

(١) أي : إن المؤمن لا ينفي الألوهية عن الله سبحانه عند قوله : (لا إله) .
(٢) أي : كشف لما استثناه في القلب عند قوله : (لا إله) .
(٣) عموم السلب يكون بتقديم أداة العموم كـ(كل وجميع) على أداة النفي ، ويكون النفي فيه لكل فرد . نحو : كلُّ ظالم لا يفلح أي : لا يفلح أحد من الظلمة .
وسلب العلموم يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو : لم يكن كلُّ ذلك . فيحتمل ثبوت البعض ، ويحتمل نفي كل فرد . انظر جواهر البلاغة (١٤٠) .
وقد جعل الصاوي كلمة (لا إله إلا الله) من عموم السلب على خلاف القاعدة؛ لتفيد التوحيد الخالص؛ إذ قاعدة سلب العموم أغلبيَّة لا مطَّردة . انظر تحفة المريد (٧٩) .

٦٣ ـ ولَـم تَـكُنْ نُـبُوَّةٌ مُكْتَسَبهْ   ولَو رَقَى فِي الخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَهْ

. . . .

قالوا: إنَّ النبوَّة مكتسبة بالرياضة والعبادة وأكل الحلال.

فيُردُّ عليهم بطرد إبليس، مع كونه كان أكثر الخلق عبادة. ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1].

قال العلماء: ومثلها الولاية، بمعنى العطايا الربانيَّة من العلم اللدنيِّ والخطوة ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك.

وأمَّا قول السَّنوسي[2]: (فيرى لها[3] من الأسرار والعجائب) فمحمول على مَن أخلص في الذكر، فلم يقصد شيئاً سوى الله، كما قال الجيلي[4]:

حبَبْتُكَ لا لي بل لأنَّك أَهلُهُ   ومَالِيَ في شَيءٍ سِواكَ مَطَامِعُ[5]

لأنَّ مَن قصد شيئاً كان عبداً له، فهو منتهاه في السير. فافهم.

---

(١) سورة الأنعام (١٢٤).

(٢) سبقت ترجمته (١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) أي: لكلمة (لا إله إلا الله). انظر أمِّ البراهين (السنوسية الصغرى) (٣٢).

(٤) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني من علماء المتصوِّفين، ولد سنة (٧٦٧هـ) له كتب كثيرة منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، شرح مشكلات الفتوحات المكيَّة، الكمالات الإلهيَّة في الصفات المحمَّديَّة. توفِّي سنة (٨٣٢هـ). انظر الأعلام (٤/ ٥٠) وكشف الظنون (١٨١).

(٥) هذا البيت من قصيدة طويلة سمَّاها الجيلي النادرات العينيَّة. مطلعها:

فـؤادٌ بـه شمـسُ المحبَّة طـالـعُ   وليس لنجـم العَـذْلِ فيـه مواقـعُ

شرحها الشيخ عبد الغني النابلسي بعنوان المعارف الغيبيَّة. انظر ص(٥١) من الشرح المذكور.

٦٣ ـ ولَـم تكُـنْ نُبُـوَّةٌ مُكْتَسَبـهْ   ولَو رَقَى فِي الخَيْرِ أَعْلَى عَقَبَهْ
٦٤ ـ بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ لِمَنْ   يَشَـاءُ جَـلَّ اللهُ وَاهِـبُ المِنَـنِ

. . . .

وأمَّا[1] بمعنى امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، فهي مكتسبة مكلَّف بها كلُّ إنسان وتسمَّى الولاية العامَّة[2].

قوله: (ولو رقى في الخير أعلى عقبة).

أي: ولو فعل الطاعات الشاقَّة التي تشبه رقيَّ العقبات.

قوله: (بل ذاك) أي: اصطفاء الله للأنبياء.

قوله: (فضل الله يؤتيه لمن يشاء)

أي: وبابها مفتوح إلى أن بُعث سيِّدنا محمَّد ﷺ، فبعثتُه ختَمت النبوَّة.

وبموت عيسى تختم الولاية لرفع القرآن حينئذٍ؛ لأنَّه ما دام المتذكِّرون للقرآن المعتبرون به، هو[3] باق. فعلامة انعدام الأولياء رفع القرآن. ونزول البلايا ليس دليلاً على عدم وجود الأولياء؛ فإنَّ البلايا كانت تنزل

---

(١) الكلام معطوف على قوله: (ومثلها الولاية بمعنى العطايا الربَّانية من العلم اللدنِّي والخطوة...) فتلك غير مكتسبة. أمَّا امتثال المأمورات واجتناب المنهيَّات فهي مكتسبة.

(٢) لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ سورة الأنفال (٣٤).
ولقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ سورة يونس: (٦٢) وما بعدها.

(٣) أي: القرآن، وفي (م) هي. وما أثبتناه من (د).

في زمن الأنبياء، وفي الحديث: أَنَهْلِكُ وفينا الصَّالِحُونَ؟! قال: «نَعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ»(١).

قوله: (جلَّ الله) أي: تنزَّه، وارتفع شأنه.

قوله: (واهب المنن) أي: العطايا المعهودة وهي النبوَّة.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦). ومسلم (٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش مرفوعاً.

مراتب الخَلْق

وأفضلهم نبيُّنا محمَّد ﷺ

قوله: (وأفضل الخلق على الإطلاق)

أي: جِنّاً وإنساً ومَلَكاً، دنيا وأخرى، في جميع الخصال، وهذا التفضيل بإجماع المسلمين، سنيِّين ومعتزلة إلا الزمخشري[1]؛ فإنَّه / ٣٦/ب
خرق الإجماع، وقال بتفضيل جبريل على محمَّد[2] ﷺ مستدلاً بما في سورة التكوير من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[3] الآية، حيث وصف جبريل بأنَّه رسول كريم إلى قوله: ﴿... ثَمَّ أَمِينٍ﴾، واقتصر في وصف محمَّد على قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾. فرُدَّ عليه بأنَّ القرآن في أعلى طباق البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فإنَّ كلام الكفَّار كان في الواسطة الذي كان يأخذ عنه النبي ﷺ حيث قالوا: إنَّما يعلِّمه بشر، وقالوا: إن به جِنَّةً، أي: أَخذ عن الجنِّ، فردَّ عليهم المولى بمدح الواسطة، وبراءة المصطفى ممَّا يقولون؛ فإنَّه كان معروفاً

---

(١) سبقت ترجمته (٢٢٦).

(٢) وصرَّح بذلك في تفسيره الكشاف فانظره هناك (٤/٧١٢) في تفسير سورة التكوير.

(٣) سورة التكوير (١٩). وتمامها: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢).

٦٥ـ وأَفْضَلُ الخَلْقِ على الإطْلاقِ نبيُّنَا فَمِلْ عَنِ الشِّقَاقِ
٦٦ـ والأَنْبيا يَلُوْنَه في الفَضْلِ وبَعْدَهمْ مَلائِكَهْ ذِي الفَضْلِ

. . . .

بينهم بالصادق الأمين ، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[1].

وتفضيله ﷺ دلَّ عليه أساطير الأوَّلين والآخِرين ، وأمَّا قوله ﷺ: «لا تُخَيِّرُونِي على موسى»[2] و«لا تُفَضِّلُوا بين الأنبياءِ»[3] فمعناه لا تخيِّروني تخييراً يقتضي نَقْصَ موسى عن مرتبته ، كأن تقولوا مثلاً: محمَّد نبيٌّ ورسول وحبيب وخليل دون موسى.

وأمَّا قوله ﷺ: «لا تُفَضِّلوني على يُونُسَ بنِ مَتَّى»[4] فقيل: معناه لا تعتقدوا أنِّي أقرب إلى الله في الحسِّ منه حيث ناجيت ربِّي فوق السموات السبع ، وهو قد ناجى ربَّه في بطن الحوت في قعر البحر ، بل نحن سواء لتنزُّه مولانا عن المكان والجهة. أو إنَّ ذلك تعليم للأدب في حقِّ الأنبياء.

قوله: (فمِل عن الشِّقاق) أي: اترك المنازعة والجدال.

قوله: (والأنبيا يلونه في الفضل)

أي: يتبعونه فيه ، فمرتبتهم فيه بعد مرتبته ، أي: فأفضل الخلق

---

(١) سورة المؤمنون (٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٨). ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة مرفوعاً.
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٧٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «لا تُفَضِّلُوا بينَ أَنبياءِ اللهِ». وأخرج البخاري نحوه (٢٤١٢).
(٤) أخرج البخاري (٣٤١٣). ومسلم (٢٣٧٧) عن ابن عبَّاس مرفوعاً: «لا يَنْبَغِي لِعبدٍ أَن يَقُولَ: أَنَا خَيرٌ من يُونُسَ بنِ مَتَّى».
وأمَّا اللفظ الذي أورده الصاوي فقد قال الإمام السيوطي في مناهل الصفا ص(٧٥): لم أقف عليه بهذا اللفظ.

٦٦ـ والأنبيا يَلُونَه في الفَضْلِ ‌ ‌ ‌ ‌ وبَعْدَهمْ مَلائِكَـهْ ذِي الفَضْـلِ

٦٧ـ هَذا وقَومٌ فَصَّلُوا إِذْ فَضَّلُوا ‌ ‌ ‌ ‌ وبَعْضُ كُلٍّ بَعْضَه قَدْ يَفْضُلُ

. . . .

نبيُّنا، ثمَّ بقيَّة أولي العزم[1]، ثمَّ بقيَّة الرسل، ثمَّ باقي الأنبياء غير الرسل.

قوله: (وبعدهم ملائكه ذي الفضل)

أي: فمرتبتهم تلي مرتبة الأنبياء، أي: فالملائكة أفضل من البشر غير الأنبياء من غير تفصيل.

قوله: (هـذا)

متعلِّق بمحذوف[2]، أي: افهم هذا الذي هو طريق الأشاعرة، وهي مرجوحة.

قوله: (وقوم فصَّلوا إذ فضَّلوا) هذه طريقة الماتريدية وهي الراجحة.

قوله: (وبعضُ كلٍّ) أي: من الملائكة والأنبياء.

قوله: (بعضه...)

أي: بعضُ الأنبياء أفضلُ من بعض، قال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] وتحقيق هذه الطريقة أن تقول: نبيُّنا أفضل

---

(١) وقد نظم بعضُهم أولي العزم على ترتيب مقاماتهم فقال:

محمَّدٌ إبراهيمُ موسى كليمُهُ ‌ ‌ ‌ ‌ فعيسى فنوحٌ هُمْ أولو العزم فاعلمِ

وقيل: جميع الرسل أولو العزم على الخلاف في (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿... أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أبيانيَّة أم تبعيضيَّة. والظاهر أنَّ الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله. انظر تحفة المريد ص(٨١) وحاشية الأمير على إتحاف المريد ص(١٢٠).

(٢) في (د) مفعول لمحذوف.

(٣) سورة البقرة (٢٥٣).

٣٧/أ الخلق على الإطلاق ، ثمَّ إبراهيم ثمَّ موسى ثمَّ عيسى ثمَّ نوح ، ثمَّ/ بقيَّة الرسل ، ثمَّ الأنبياء غير الرسل ، وهم متفاضلون فيما بينهم ، لكن لا يعلم تفضيلهم إلا الله ، ثمَّ جبريل ثم إسرافيل ثم ميكائيل ثم عزرائيل، ثمَّ عامَّة البشر [(١)]، ثمَّ عامَّة الملائكة.

تائيد الله الأنبياء بالمعجزات

قوله: (بالمعجزات)

جمع معجزة ، وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدِّي مع عدم المعارضة[(٢)] ، وقد اشتمل هذا التعريف على سبعة أمور:

الأوَّل: أن تكون فعلاً لله أو تركاً ، فالأوَّل كنبع الماء من بين الأصابع، والآخر كعدم الإحراق لإبراهيم.

الثاني: أن يكون خارقاً للعادة ، لا أنْ كان معتاداً.

الثالث: أن تكون على يد مدَّعي النبوَّة ، لا أَنْ كانت على يد غيره ، فلا تسمَّى معجزة ، بل إمَّا أن تسمَّى:

---

(١) عامَّة البشر هم أولياؤهم غير الأنبياء كأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وليس المراد بعامَّة البشر ما يشمل الفُسَّاق؛ فإنَّ الملائكة أفضل منهم على الصحيح. انظر إتحاف المريد وحاشية الأمير عليه ص(١٢١).

(٢) عارضه بمثل ما صنع أي: أتى إليه بمثل ما أتى. مختار الصحاح (عرض). وعارضتُه: فعلتُ مثل فعله. المصباح المنير (عرض). فالمراد بعدم المعارضة نفي المشابهة والمماثلة ، أي: لا يستطيع أحد أن يأتي بمشابه ما أتى به النبي ﷺ من المعجزات.

ـ **إرهاصاً**: وهو الخارق للعادة على يد النبي [١] قبل ادِّعائها.

ـ **أو كرامةً**: وهو الخارق للعاد على يد ظاهر الصلاح.

ـ **أو معونـةً**: هو ما كان على يد مستور الحال.

ـ **أو استدراجـاً**: وهو ما كان على يد فاسق على طبق مراده [٢].

ـ **أو إهانـةً**: وهو ما كان على غير مراده [٣].

الرابع: أن تكون مقارنة للدَّعوى حقيقة أو حكماً [٤].

---

(١) المراد بقوله: (على يد النبي) أيُّ علاقة بالنبي كاهتزاز إيوان كسرى عند ولادة سيدنا محمد ﷺ. انظر النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٠١). وتظليل الغمام له قبل نبوته. انظر سيرة ابن هشام (١/ ١٨١).

(٢) كما سيكون على يد المسيح الدَّجال في آخر الزمان؛ إذ يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض: أنبتي فتنبت، وللميت: قم يا عبدي فيقوم. انظر تحفة المريد (٨٣).

(٣) كما حدث مع مسيلمة الكذّاب حينما تفل بعين رجل؛ ليشفيها (محاكياً النبي ﷺ)، فعميت عين الرجل الصحيحة. انظر تحفة المريد (٨٣).

وقد نظم بعضهم أقسام الأمر الخارق للعادة فقال:

إذا مـا رأيـتَ الأمـرَ يَخـرِقُ عَـادَةً فَمُعْجِـزَةٌ إن مِـن نبـيٍّ لنـا صَـدَرْ
وإن بـانَ مِنـهُ قبـلَ وصـفِ نبـوَّةٍ فالارهاصَ سمِّهْ تَتبَع القومَ في الأثَرْ
وإن جاءَ يوماً من وَليٍّ فإنَّهُ الـ ـكرَامَةُ في التحقِيقِ عِند ذَوي النَّظَرْ
وإن كانَ من بعضِ العَوام صُدُورُهُ فكنّـوهُ حَقّـاً بـالمعُـونَـةِ واشتهـرْ
ومـن فـاسـقٍ إن كـانَ وَفْـقَ مُـرادِهِ يسمَّى بالاستِدرَاجِ فيما قد استقَرْ
وإلا فيُـدْعـى بـالإهـانَـةِ عِنـدَهُـمْ وقَد تَمَّت الأقسامُ عِند الذي اختبَرْ

انظر حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية (٩٠)، وتحفة المريد (٨٣).

(٤) وعبارة الباجوري: الرابع أن تكون مقرونة بدعوى النبوّة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخَّرت بزمن يسير. تحفة المريد (٨٣).

الخامس: أن تكون موافقة للدَّعوى ، فالمخالِفَة كفلق الجبل عند قول مدَّعي النبوَّة: آيتي فلق البحر ، لا تعدُّ معجزة.

السادس: أن لا تكون مكذِّبة ، إن كان ممَّا يعتبر تكذيبه ، كقوله: آيتي نطق الجماد. فنطق بأنَّه كذَّاب ، فلا تعدُّ معجزة. وأمَّا إن كان ممَّا لا يُعتبر تكذيبه كما إذا قال: آيتي إحياء هذا الميت مثلاً ، فأُحيي ، ونطق بأنَّه كذَّاب ، فإحياؤه كافٍ في المعجزة ، ولا يلتفت لتكذيبه؛ لاتِّهامه بعد ذلك بالأغراض الفاسدة.

السابع: أن تتعذَّر معارضته إلا من نبيٍّ مثله ، فالسحر ونحوه لا يعدُّ معجزة؛ لأنَّ من تعلَّم صنعته قدر على المعارضة.

وزاد بعضهم **ثامناً**: وهو أن لا يكون الخارقُ في زمن خرق العادات كقرب قيام الساعة ، ورُدَّ بأنَّه في ذلك الزمان لا يظهر نبي ، ولا تُقبل دعواه؛ لختمها بسيِّد العالمين.

قوله: (أُيِّدوا تكرما)

ردَّ بذلك على المعتزلة القائلين بوجوب تأييدهم بها؛ لأنَّه من الصلاح أو الأصلح ، وهو واجب على الله.

وجوب العصمة للأنبياء والملائكة

قوله: (وعصمة الباري لكلٍّ حَتِّما)

أي: اعتقد وجوب العصمة لكلٍّ واحد من الأنبياء والملائكة ، وهي الحفظ من كلِّ ما ينقص مقامهم من حركة أو سكون أو قول أو فعل.

والملائكة: أجسام نورانية قادرة على التشكُّلات بالصُّور غير[1]

(١) أثبتت في (م) و(د) الغير الخسيسة ، وأثبتناها بدون(أل) لإغراقها في الإبهام وإضافتها.

٦٩ـ وخُصَّ خيرُ الخَلْقِ أن قد تَمَّما   بــه الجميــعَ ربُّنــا وعَمَّمــا

الخسيسة ، ولا تحكم عليهم الصورة ، بخلاف الجنِّ [١] .

وقيل : إنَّ الملائكة مخلوقون من العناصر الأربع [٢] ، لكن غلب عليهم النور ، والجنُّ مخلوقون من العناصر الأربع [٣] ، لكن غلبت عليهم النار وظلمتها ، فهم حارُّون مظلمون ، وبنو آدم كذلك [٤] إلا أنَّه غلب عليهم الطين .

ختم سيِّدنا محمَّد ﷺ الأنبياء والرُّسل وعموم رسالته

قوله : (وخُصَّ خير الخلق)

يعني أنَّ نبيَّنا ﷺ خصَّه الله بخصائص لا تُحصى / ولا تعدُّ ؛ لأنَّه ٣٧/ب

(١) أي : إذا تشكَّل أمامنا ملك فوجَّهنا إليه ضربة أو إصابة ، فإنَّنا لا نستطيع إيذاءه أو قتله . على عكس الجنِّ ؛ فإنَّ إيذاءهم أو قتلهم ممكن عند تجسُّدهم .
قال السحيمي : والجنُّ قادرة على التشكُّل ، والملائكة تتشكَّل ، لكن إذا قتلت الصورة التي ظهر بها الجنِّي مات معها . . . اهـ . المزيد على إتحاف المريد (ج١ ق٥٤٦/ب) . وانظر تفصيل مسألة التشكُّل عامّة في كتاب : الحبائك في أخبار الملائك (٢٦٣) وما بعدها .

(٢) وهي : التراب والماء والهواء والنور .

(٣) وهي : التراب والماء والهواء والنار .

(٤) قال الحليمي : والأصل الذي خلق منه الإنسان هو التراب والماء والنار والهواء . انظر كتابه منهاج الدين (١/ ٣٠٨) .
وتحدَّث السحيمي عن خلق الحيوانات من العناصر الأربعة فقال : قال شيخنا الزيَّات : القول بخلق الحيوانات من العناصر الأربعة إنَّما هو قول الفلاسفة ، وأمَّا أهل الإسلام فقالوا : ليست مخلوقة منها .
وأورد خبر مسلم عن عائشة مرفوعاً : «خُلِقَت الملائكةُ من نور ، وخُلِقَ الجانُّ من نار ، أي : أبو الجن . . . وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لكم» . فبيَّن مادة خلق الثلاثة ، والأصل حملُ الأدلَّة على ظاهرها حتى يقوم دليل على خلافه . وأجيب بأنَّ هذا بيانٌ للغالب عليهم ؛ لئلَّا ينافي أدلة أخرى . انظر المقتدي بشرح الهدهدي ص (٢٨٠) .

٦٩ـ وخُصَّ خَيْرُ الخَلْقِ أَنْ قَد تمَّما　　بِــهِ الجَمِيــعَ رَبُّنَــا وَعَمَّمَــا
٧٠ـ بِعثتَه فشَرعُـه لا يُنْسَـخُ　　بِغَيـرِهِ حَتَّـى الـزَّمَـانُ يُنْسَـخُ

. . . .

كالشمس، والأنبياء كالنجوم. قال البوصيري[١]:

فإنَّهُ شَمْسُ فَضلٍ هُم كَواكِبُها　　يُظهِرْنَ أَنوارَها للنَّاسِ في الظُّلَمِ[٢]

قوله: (أن قد تمَّما به الجميع ربنًّا)

يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى ختم به جميع الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٣] أي: والمرسلين. ومن جملة مَا خُصَّ به فتحه الوجود[٤]، والشفاعة؛ فهو الفاتح الخاتم.

قوله: (وعمَّما بعثته)

أي: خصَّه بعموم رسالته لجميع الخلق حتَّى الملائكة والجمادات،

---

(١) سبقت ترجمته (٢١٤).

(٢) انظر الديوان (١٩٤).

(٣) سورة الأحزاب (٤٠).

(٤) المراد بفتحه الوجود أنَّه الأوَّل. وقد ذكر الإمام السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى، باب (خصوصية النبي ﷺ بكونه أوَّل النبيين في الخلق، وتقدُّم نبوَّته، وأخذ الميثاق عليه) أحاديث عدَّة في ذلك، منها:
ـ عن سهل بن صالح الهمداني قال: سألت أبا جعفر محمَّد بن علي: كيف صار محمَّد ﷺ يتقدَّم الأنبياء، وهو آخر مَنْ بُعث؟ قال: إنَّ الله تعالى لمَّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرِّيَّاتهم، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، كان محمَّد ﷺ أوَّل من قال بلى، ولذلك صار يتقدَّم الأنبياء، وهو آخر مَن بُعث.
ـ أخرج أحمد والبخاري في تاريخه، والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيّاً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.
ثم قال السيوطي ناقلاً: . . . قد جاء أنَّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: (كنت نبيّاً) إلى روحه الشريفة، أو إلى حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنَّما يعلمها خالقها. انظر الخصائص الكبرى (١/٣ ـ ٤ ـ ٥).

٧٠ـ بِعثَتَه فشَرعُه لا يُنْسَخُ بِغَيرِهِ حَتَّى الزَّمَانُ يُنسَخُ

. . . .

لكنَّ إرساله للجمادات والحيوانات التي لا تعقل إرسال تشريف.

وأمَّا للملائكة فقيل كذلك، وقيل إرساله تكليف بما يليق بهم.

وأمَّا للثقلين[1] فإرسال تكليف بإجماع، فمن نفى عموم بعثته فهو كافر، كمن نفى البعثة.

ولم يُرسَل للجنِّ نبيٌّ غيره، وأمَّا سليمان فحكمه فيهم حكم سلطنة.
وأمَّا قوله تعالى حكاية عن الجنِّ: ﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[2] الآية، فلا يلزم من ذكرهم لموسى كونه مرسلاً لهم؛ فإنَّ موسى لم يرسل لعموم الإنس فضلاً عن الجنِّ.

أحكام في النسخ

قوله: (فشرعه لا ينسخ بغيره)

هذا مفرَّع على قوله:

... ... أنْ قد تمَّما به الجميعَ ربُّنا وعمَّما

بعثته ... ...

أي: إذا علمت أنَّه خاتم النبيين، وبعثته عامَّة، تعلم أنَّ شرعه لا ينسخ بغيره.

والنسخ لغة: الإزالة والنقل، يقال: نسختِ الشمس الظلَّ: أزالته، ونسختُ الكتاب: نقلت ما فيه.

---

(١) في (م): وأمَّا الثقلين. والصواب ما أثبتناه. والله أعلم.

(٢) سورة الأحقاف (٣٠).

٧٠ـ بِعثَتَه فشَرعُه لا يُنْسَخُ   بِغَيرِهِ حَتَّى الزَّمَانُ يُنْسَخُ
٧١ـ ونَسْخُه لَشَرع غَيرِهِ وَقَعْ   حَتماً أَذَلَّ اللهُ مَن لَهُ مَنَعْ

. . . .

واصطلاحاً: رفع حكم شرعي بدليل شرعي.

قوله: (حتَّى الزمان ينسخ)

أي: إلى انقضاء الزمان؛ لما في الحديث: «لَن تزالَ هَذهِ الأُمَّةُ قائمةً على أمرِ اللهِ لا يضرُّهُم مَن خالَفهم حَتَّى يأتيَ أَمرُ اللهِ»[١].

إن قلت: إنَّ عيسى حين نزوله يحكم برفع الجزية عن الكفَّار مع أنَّ النبيَّ ضربها عليهم، فمقتضى ذلك أنَّ عيسى نسخ بعض الأحكام.

والجواب: أنَّ نبيَّنا أخبرنا أنَّ الجزية مغيَّاة بنزول عيسى، فمتى نزل عيسى رُفعت بحكم نبيِّنا قبل ذلك، وإخباره لنا.

قوله: (ونسخه لشرع غيره وقع حتماً)

أي: لا يقبل التأويل. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٢].

قوله: (أذلَّ الله مَن له منع).

أي: جعل الله الذلَّ والصَّغار لمن منع نسخ شرع نبيِّنا ﷺ لشرع غيره، وهم اليهود، محتجِّين بأنَّه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة

---

(١) هذا قطعة من حديث أخرجه البخاري رقم (٧١) بلفظ: «من يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين، وإنَّما أنا قاسِمٌ، واللهُ يُعطِي، ولَن تزالَ هذهِ الأُمَّةُ قائمةً على أَمرِ الله لا يَضُرُّهم من خالفهم حتَّى يأتي أَمرُ اللهِ».
وأخرجه مسلم بألفاظ متقاربة برقم (١٠٣٧) و(١٩٢٠) و(١٩٢٤).

(٢) سورة آل عمران: (٨٥).

٧٢ـ ونَسْخُ بَعضِ شَرْعِهِ بالبَعْضِ   أَجِزْ ومَـا في ذَا لَـهُ مِن غَضِّ

. . . .

كانت خافيـة عليـه، تعـالى الله عن ذلك. رُدَّ عليهم بأنَّه تعالى مسخهم قردة وخنازير، فكما جاز عليه / المسخ جاز عليه النسخ؛ إذ لا فرق ٣٨
بين تبديل صور وتبديل أحكام[1].

قال البوصيري في الردِّ:

جَوَّزوا النَّسخَ مِثلَ ما جَوَّزوا المَسْـ   ـخَ عَليهِـم لَـو أَنَّهُـم فُقَهـاءُ[2]

قوله: (ونسخ بعض شرعه بالبعض أجز. . . إلخ)

يعني أنَّ نسخ بعض شرع نبيِّنا [ببعض][3] جائز، وشمِل ذلك أربع صور:

١ ـ نسخ الكتاب بالكتاب:

كحكم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾[4] بحكم ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا

---

(١) هذه الإجابة إجابة تهكُّم وتحقير لهم، ولكن هناك إجابة علمية في الردِّ على اليهود القائلين بعدم النسخ هي: أنَّ سيِّدنا آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوِّج أحـد أبنائـه من بطن لإحـدى بناتـه من بطن آخر، وقد نُسخ ذلك في شريعة اليهود، فكما صَحَّ نسخ شرع آدم بشرع موسى عليه الصلاة والسلام، فكذلك نُسخ شرعهم بشرع نبيِّنا محمَّد ﷺ، وليس ذلك لمصلحة كانت خافية عليه سبحانه، إنَّما لمصلحة حدثت مع تطوُّر البشر، وهذا واقع تشريع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فسيِّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ سورة آل عمران (٥٠).

(٢) الديوان (١٦). انظر ترجمة البوصيري ص(٢١٤) من هذا الكتاب.

(٣) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٤) سورة البقرة (٢٤٠).

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[١] [٢].

٢ ـ ونسخ السنَّة بالسنَّة:

كقوله ﷺ: «كُنتُ نَهيتُكُم عن زِيَارَةِ القُبورِ فَزُورُوها»[٣].

٣ ـ والسنَّة بالكتاب:

كحكم استقبال بيت المقدس الثابت بالسنَّة[٤] باستقبال الكعبة الثابت بقوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٥].

٤ ـ والكتاب بالسنَّـة:

كقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ. . . ﴾[٦] بحديث: «لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[٧].

---

(١) سورة البقرة (٢٣٤).

(٢) كانت عدَّة المتوفَّى عنها زوجها سنة، ثمَّ انتقل إلى أربعة أشهر وعشرة أيام بنزول الآية الثانية، وهكذا نسخت الثانية الأولى في الحكم لا التلاوة. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ١٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٧)، و(١٩٧٧)، والنسائي (٨/ ٣١١)، وغيرهما عن بريدة مرفوعاً.

(٤) أخرج البخاري (٣٩٩). ومسلم (٥٢٥) عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ صلَّى نحوَ بيتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَر أو سَبْعَةَ عَشَر شَهْراً، وكان رسولُ اللهِ ﷺ يُحبُّ أن يوجَّه إلى الكعبة، فأنزلَ اللهُ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتوجَّه نحوَ الكعبةِ. . .».

(٥) سورة البقرة (١٤٤).

(٦) سورة البقرة (١٨٠).

(٧) أخرجه النسائي (٦/ ٢٤٧)، وأبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١)، وابن ماجه =

٧٢ـ ونَسْخُ بَعضِ شَرْعِهِ بالبَعْضِ   أَجِزْ ومَـا في ذَا لَـهُ مِن غَضِّ

وشمل أيضاً:

ما نسخت تلاوته وحكمه جميعاً: (كعشر رضعات محرِّمات) فنسخت: بـ (خمسٍ معلومات)[١].

وما نسخت تلاوته دون حكمه: (الشيخ والشيخة[٢] إذا زنيا فارجموهما البتَّـة نكالاً من الله).

وما نسخ حكمه وبقيت تلاوته: كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم . . .﴾[٣] الآية.

وكلُّ هذا النسخ ما دام رسول الله حيّاً، وأمّا بعد وفاته فلا نسخ؛ لأنَّ الله أنزل على رسوله قبل وفاته بسبعين يوماً قولَه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤]. وقد قيَّض

= (٢٧١٣) و(٢٧١٤)، وغيرهم. وهو حديث صحيح ثبت عن عدَّة من الصحابة. ولفظه: «إنَّ اللهَ قد أعطى كلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فلا وَصِيَّةَ لِوارِثٍ».

(١) الأولى نُسخت حكماً وتلاوة بالإجماع، أمَّا الثانية فنُسخت تلاوتها عند الجميع، وبقي حكمها عند الشافعي وغيره. انظر التفسير الكبير للفخر (٣/ ٢٣٠)، وتفسير آيات الأحكام للصابوني (١/ ١٠٣).
أمَّا عند الأحناف فنقطة واحدة إذا وصلت إلى جوف الرضيع في سنِّ الرضاع تُحرِّم عملاً بإطلاق قوله تعالى: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ من غير تفصيل بمقدار الرضاعة. انظر الاختيار لتعليل المختار (٣/ ١١٧)، واللباب في شرح الكتاب (٣/ ٣١).

(٢) قال المباركفوري: قال القاري: والأظهر تفسيرهما بالمحصن والمحصنة اهـ. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٤/ ٥٨٢).

(٣) سورة البقرة (٢٤٠).

(٤) سورة المائدة (٣).

٧٢ـ ونَسْخُ بَعضِ شَرْعِهِ بالبَعْضِ أَجِزْ ومَا في ذَا لَـهُ مِن غَضٍّ
٧٣ـ ومُعْجِزَاتُـهُ كَثِيـرةٌ غُـرَرْ مِنهـا كَـلامُ اللهِ مُعْجِـزُ البَشَـرْ

. . . .

الله لحفظه العلماء الراسخين ، فلا يُخشى الضلالُ وهم بين أظهرنا . قال البوصيري :

لا تَخَفْ بعدَكَ الضَّلالَ وفِينا وارِثُـو نُورِ هَدْيِكَ العُلَمَاءُ[1]

قوله : **(وما في ذا)** أي : جواز نسخ بعض أحكام شرع نبيِّنا ببعضه .

قوله : **(من غضٍّ)** أي : نقص .

من معجزات سيِّدنا محمَّد ﷺ

١ ـ القرآن الكريم

قوله : **(ومعجزاته كثيرة)**

أي : ممَّا يجب علينا اعتقاده أنَّ الله أعطى نبيَّه ﷺ معجزات ، أي : خوارق للعادات كثيرة لا نهاية لها ، قيل : أعطاه الله مئة ألف وسبعين ألفَ معجزة ، منها مئة ألف في القرآن ، والسبعون[2] في غيره ، والمراد الخوارق للعادات مطلقاً ، كانت قبل النبوَّة أو بعدها .

---

(١) هذا البيت من قصيدته الهمزيّة التي مطلعها:
كَيـفَ تَـرقـى رُقيَّـكَ الأنبيـاءُ يـا سَمـاءً مَـا طَـاوَلَتْهـا سَمَـاءُ
الدِّيوان (٢٨) وهو برواية:
لَـم نَخَـفْ بعـدَكَ الضَّـلالَ وفينـا وارِثُـو نُـورِ هَـدْيـكَ العُـلَمـاءُ

(٢) أي: والسبعونَ ألفاً.

٧٣ـ ومُعْجِزَاتُـهُ كَثِيـرةٌ غُـرَرْ   مِنها كَلامُ اللهِ مُعْجِزُ البَشَرْ

. . . .

قوله: (غرر)

أي: واضحات ظاهرات كالغُرَّة في الفرس، أو كالصبح لا تُضاهى ولا تُماثل. قال البُرَعيُّ[1]:

وَإِن ذَكَروا نَجِيَّ الطُّورِ فَاذْكُر   نَجِيَّ العَـرشِ مُفْتَقِـراً لِتَغنـى
فَـإِنَّ اللهَ كَلَّـمَ ذاكَ وَحْيـاً   وكَلَّـم ذَا مُشَـافَهَـةً وأَدْنَـى[2]

إلى آخر ما قال.

قوله: (منها كلام الله)

أي: وهو أعظمها؛ لبقائه بعد موته ﷺ، ولجمعه غالب معجزاته، وهو القرآن، والمراد به اللفظ المنزل على قلب النبيِّ ﷺ، المتعبَّد بتلاوته، / المقرون بدعوى التحدِّي[3]. ٣٨/ب

قوله: (معجز البشر)

أي: والجنِّ والملائكة، وإنَّما اقتصر على البشر؛ لأنَّهم هم الذين

---

(١) عبد الرحيم بن أحمد بن علي البُرعي اليماني، شاعر متصوِّف، له ديوان شعر أكثره في المدائح النبوية، نسبته إلى بُرَع (كعُمَر) جبل في تهامة. توفِّي سنة (٨٠٣هـ). الأعلام (٣/ ٣٤٣)، هدية العارفين (١/ ٥٥٩).

(٢) انظر ديوان البرعي في المدائح الربانيّة والنبويّة والصوفيّة (٢٠٣).

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة (٢٣ ـ ٢٤).

. . . .

تصدَّوا للمعارضة ، ووجه إعجازه أنَّ كلماته مئة ألف كلمة وأربعة وعشرون ألفَ كلمة ، وكلُّ كلمة لها مطلع وغاية ، وظهر وبطن ، فتكون علومه أربعمئة ألف وستَّةً وتسعين ألف عِلْم ، وكلُّ عِلْم يخالف الآخر ، وأنَّ ألفاظه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة التي لا يصل إليها أحد.

واختلفوا في أقلِّ ما يحصل به الإعجاز ، فقيل: أقلُّه سورة: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ، أو آية أو آيات ، وهو للقاضي عياض[١] ، وتبعه البوصيري في الهمزيَّة حيث قال:

أعْجَزَ الإنسَ آيةٌ مِنهُ والجِنْـ   ـنَ فهلَّا يأتي بها البُلَغَاءُ[٢]

وقيل أقله أقصر سورة منه ، أو ثلاث آيات[٣] ، ولكن اعتمد أشياخنا أن الآية الطويلة معجزة كالثلاثة.

---

(١) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل. عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته ، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيَّامهم. ولد سنة (٤٧٦هـ) ، وتوفِّي بمرَّاكش مسموماً سنة (٥٤٤هـ).
من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ. انظر طبقات الأولياء (٥٧٥)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٨٣).
وانظر قوله في أقلِّ ما يقع فيه الإعجاز: الشفا (١/ ٥٢٤).

(٢) ورد البيت في (م):
أعجـز الجـنَّ والإنـسَ آيـةٌ منـه   فهـلّا لا تـأتـي بهـا البلغـاءُ
وأثبتنا رواية الديوان لأنها الصحيحة. انظر الديوان (١٣).

(٣) قال عبد السلام في شرح الجوهرة:
وظاهر كلام الأستاذ أبي إسحاق أنَّ أقلَّة أقصرُ سورة منه ، أو ثلاث آيات منه ، واختاره جمهور أهل التحقيق. إتحاف المريد (١٢٤).

٧٤ـ واجْزِمْ بِمِعْراجِ النَّبِيْ كَما رَوَوا   وبَـرِّئَـنْ لِعَـائِشَـهْ مِمَّـا رَمَـوا

. . . .

٢ ـ الإسراء والمعراج

قوله: (واجزم بمعراج النبيِّ)

أي: واجزم اعتقادك بأنَّ من جملة معجزاته ﷺ أنَّه أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على ظهر البُراق، وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وصلَّى بالأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين، ثمَّ عُرِج به إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى إلى العرش، ورأى ربَّه وخاطبه، ورجع فوجد مكانه لم يبرد.

وغاية ما قيل في المدَّة أنَّها أربع ساعات، ولا غرابة في ذلك؛ فإنَّ الشمس في السماء الرابعة وبمجرَّد بروزها تراها في الأرض، وكذلك الهواء، والملائكة الصاعدون بالأعمال الصالحة، والشهبُ النازلة على الشياطين؛ فإنَّها ثوابت في العرش ولا تُخطِىءُ الشيطانَ فتصيبه في لمح البصر(١).

---

(١) وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ سورة النجم (١ ـ ٢). فهذه النجوم تهوي من السماء إلى الأرض وتستغرق الزمن اليسير، وتُشاهد بالأعين، فكيف يُستبعد عروج النبيِّ ﷺ إلى السماء وعودته في ساعات قليلة؟!
بل ها هي الطائرات الحديثة تنقل الإنسان عبر القارات من أقصى الأرض إلى أقصاها في ساعات معدودة، وها هي الأقمار الصناعية تعرج بمن فيها إلى الطباق العليا، وتدور حول الأرض مرات ومرات، كل ذلك مما توصل إليه المخلوق. فكيف فِعْلُ اللهِ خالِقِ كل شيء؟!

٧٤ـ واجْزِمْ بِمِعْراجِ النَّبِيْ كما رَوَوا وبَـرِّئَـنْ لِعَـائِشَـةْ مِمَّـا رَمَـوا

. . . .

فمن أنكر الإسراء كفر؛ لتكذيبه القرآن، ومن أنكر المعراج فُسِّق وبُدِّع[١].

وإنَّما نصَّ على المعراج فقط؛ لأنَّه صار حقيقة عرفيَّة فيما يشمل الإسراء، ولأنَّه لو ذكر الإسراء فقط لتوهِّم أنَّه يجب الإيمان به دون المعراج.

وقوله: (كما رووا) أي: في الأحاديث والسير المشهورة[٢].

براءة أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

قوله: (وبرِّئن لعائشه ممَّا رمَوا)

أي: ممَّا يجب اعتقاده براءة عائشة أمِّ المؤمنين الصدِّيقة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ ممَّا رماها به المنافقون من الإفك.

وحاصل ذلك[٣] أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فلمَّا أراد التوجُّه لغزوة بني المصطَلِق خرجت على عائشة، فتوجَّهت معه، وجُعِل لها هودج، فلمَّا كان آخر ليلة من رجوعهم إلى المدينة

---

(١) كُفِّر منكِر الإسراء؛ لأن الإسراء ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. وفُسِّقَ منكر المعراج، لأنه ثابت بالأحاديث المشهورة. انظر إتحاف المريد ص(١٢٤).

(٢) حديث الإسراء والمعراج أخرجه البخاري (٣٨٨٧). ومسلم (١٦٢).

(٣) حديث الإفك أخرجه البخاري (٢٦٦١) في باب: تعديل النساء بعضهنَّ بعضاً. وهو حديث طويل ذكر الصاوي خلاصته. وأخرجه مسلم (٢٧٧٠) في باب حديث الإفك.

تخلَّفت في طلب عِقد كان لأختها أسماء ، فحُمل الهودج ظنّاً أنها فيه؛ لأنَّها كانت خفيفة كما أخبرت ، فسار القوم ، ورجعت ، فلم تجدهم/ ، ٣٩/أ فمكثت مكانها فأخذها النوم ، فمرَّ بها صفوان بن المعطَّل[١] ، وكان يعرفها قبل آية الحجاب ، فبَرَّك ناقته وولَّاها ظهره ، وصار يذكر الله جَهْراً حتَّى استيقظتْ ، وحملها على الناقة ، ولحق بها النبيَّ ﷺ ضحوة ، فأشاع عبد الله بن أُبيِّ ابن سَلُول[٢] ـ لعنه الله ـ الإفكَ ، وفشا ذلك بين المنافقين وضعفاء المسلمين ، فلمَّا أُخبرت عائشة بذلك تمرَّضت ، واستأذنت رسول الله أن تتمرَّض ببيت أمِّها ، فأذن لها ، فلمَّا فشا ذلك الكلام شقَّ على النبيِّ ﷺ ، فجمع الصحابة وقال: «يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ، مَن يَعذُرُني مِن رَجُلٍ قَد بَلغَني أذاهُ في أهلِ بيتي؟ فواللهِ ما علمتُ على أهلي إلا خَيراً ، ولقد ذكروا رَجُلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً» ، فقال سعد ابن معاذ سيِّد الأوس: أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقال سعد بن عبادة سيِّد الخزرج: كذبت لا تقدر على قتله ، فهمَّ الأوس والخزرج بالاقتتال، فأمرهم النبيُّ بالترك والإعراض عن هذا الأمر ، فأنزل الله العشر آيات من أوَّل سورة النور ، أوَّلها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ ﴾[٣] ،

---

(١) صفوان بن المعطَّل السُّلمي الذكواني ، صحابي شهد الخندق والمشاهد كلَّها ، وحضر فتح دمشق ، استشهد بأرمينية سنة (١٩هـ) . روى عن النبيِّ ﷺ حديثين . الإصابة (٣/ ٤٤٠).

(٢) وسلول جدَّته لأبيه ، كان رأس المنافقين في الإسلام ، من أهل المدينة ، أظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية توفِّي سنة (٩هـ) . انظر جمهرة أنساب العرب (٣٥٥).

(٣) سورة النور (١١) وتمامها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ .

وآخرها قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١] ، فقرأها النبيُّ ﷺ عليها وعلى الصحابة ، ففرحوا ، وقال لها أبوها : يا بُنيَّتي قومـي اشكري لرسول الله ، فقالت : والله لا أشكر إلاَّ الله الذي بـرَّأنـي . لاستغراقها في وَحدة الوجود[٢] ، لا لشيء في نفسها من رسول الله ؛ فإنَّ مقامها يَجِلُّ عن ذلك .

فصار كلُّ من رماها بالزنى كافراً ؛ لتكذيبه القرآن . ومن جملة من تكلَّم في الإفك ، وتاب منه مِسْطَح[٣] ، وكان ينفق عليه أبو بكر احتساباً ، فلمَّا بلغه عنه الكلام في الإفك حلف لا ينفق عليه ، فأنزل الله حين تاب : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾[٤] الآية ، فأعاد النفقة عليه ثانياً .

خير القرون

قوله : (وصحبه خير القرون فاستمع)

أي : ممَّا يجب اعتقاده أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ خير الخلق بعد الأنبياء ورؤساء الملائكة[٥] .

---

(١) سورة النور (٢٦).

(٢) علَّ الإمام الصاوي يريد بقوله : (لاستغراقها في وحدة الوجود) استغراقها في وحدة الشهود ؛ إذ لم تشهد في تلك اللحظة التي نزلت فيها براءتُها من السماء فاعلاً إلا الله تعالى.

(٣) مسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، من قريش ، صحابي من الشجعان الأشراف ، كان اسمه عوفاً ، وأمَّا مسطح فلقبه ، وهو ممَّن شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها. ولد سنة (٢٢ق.هـ) وتوفي سنة (٣٤هـ). أُسْد الغابة (٤/ ٣٥٤ـ ٣٥٥) ، الإصابة (٦/ ٩٣).

(٤) سورة النور (٢٢) وتمامها ﴿ . . . وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

(٥) انظر ص (٢٩٧) من هذا الكتاب.

٧٥ـ وصَحْبُـهُ خَيرُ القُرونِ فاسْتَمِـعْ   فَتَـابِعِـيْ فَـتَـابِـعٌ لِمَـن تَبِـعْ

. . . .

والصحابي: كلُّ من اجتمع به بعد البعثة مؤمناً، ولو لم تطل صحبته، ولو كان غير مميِّز، فَشَمِلَ الصبيان الذين حنَّكهم النبيُّ ﷺ.

والدليل على فضلهم قوله ﷺ: «اللهَ اللهَ في أَصْحابي لا تَتَّخِذُوهُم غَرَضاً مِن بَعْدِي»[1]، «... فوَالذي نَفْسِي بيدِهِ لو أَنفَقَ أَحَدُكُم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغ مُدَّ أَحَدِهم ولا نَصِيفَهُ»[2]، وقوله أيضاً: «أَصحابي كالنُّجوم بأيِّهِمُ اقتَدَيتُم اهتَدَيتُم»[3]، وقوله أيضاً: «إِنَّ اللهَ اختارَ أَصحابي على العَالمينَ سِوى النبيِّين والمُرْسَلِينَ»[4]. ولا يخفى ترجيح رتبة مَنْ لازمه وقاتلَ تحت رايته على مَنْ لم يكن كذلك.

وقرن الصحابة: / مئة وعشرون سنة مبدؤها البعثة[5]. ٣٩/ب

قوله: (فتابعي)

يعني أنَّ رتبة التابعين تلي رتبة الصحابة.

---

(١) انظر تخريج الحديث في الصفحة (٧٧) من هذا الكتاب.

(٢) انظر تخريج الحديث في الصفحة (٧٧) من هذا الكتاب.

(٣) هذا الحديث واهٍ جداً لا يصح. أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٢٥٠ ـ ٢٥١). وابن عديٍّ في الكامل (٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧). وغيرهما بنحوه.
وحَكَم عليه بالوضع الحافظ الذهبي في الميزان (١/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧). وابن عبد البرِّ في الجامع (٢/ ٩٠)، من أجل حمزة بن أبي حمزة النصيبي، وهو كذَّاب وضَّاع.

(٤) أخرجه ابن حِبَّان في المجروحين (٢/ ٤١) قال الحافظ أبو زرعة الرازي: باطل كذب. وقال النَّسائي: موضوع. وقال الذهبي: ليس له أصل. انظر لسان الميزان لابن حجر (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣).

(٥) أي: إنَّ آخر من مات من الصحابة كان بعد البعثة بمئة وعشرين سنة.

والتابعيُّ: مَن اجتمع بالصحابي لُقْياً متعارفاً، ويشترط فيه الطول[1] والتمييز، بخلاف الصحابي فيهما؛ لعظم الأنوار المحمديَّة.

وقرن التابعين: سبعون سنة الذي انفردوا فيه عن الصحابة.

قوله: (فتابع لمن تَبِع)[2]: أي: رتبتهم تلي رتبة التابعين في الفضل.

وقرنهم: ثلاثون سنة.

والأصل في ذلك التفضيل قوله ﷺ: «خَيرُكُم قرني[3] ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ»[4].

ومَنْ بعد هذه القرون سواء في الفضل، والحقُّ أنَّ كلَّ قرن أفضل من الذي بعده لحديث: «مَا مِن يَومٍ إلاَّ والذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنه»[5].

---

(١) أي: طول اللِّقاء.
وعدم اشتراط طول اللقاء عليه عمل الأكثرين من أهل الحديث. انظر تدريب الراوي (٢/ ٢٠٦)، وفتح المغيث (٣/ ١٥٢).

(٢) تابع التابعي هو مَن رأى تابعيًّا.

(٣) القرن: الأمَّة تأتي بعد الأمَّة. وسُمِّيَ قرناً؛ لأنه يقرن أمَّة بأمَّة وعالَماً بعالَم، جُعل اسماً للوقت أو لأهله. قيل: مدَّته عشر سنين، وقيل عشرون سنة...، وقيل: القرن مئة سنة. انظر لسان العرب (قرن). وإتحاف المريد ص (١٢٥). قال الإمام النوويُّ في شرح هذا الحديث: واختلفوا في المراد بالقرن هنا، فقال المغيرة: قرنه أصحابه، والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث أبناء أبنائهم. وقال شهر: قرنه ما بقيت عين رأته، والثاني ما بقيت عين رأت من رآه، ثمَّ كذلك. والصحيح أنَّ قرنه ﷺ الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم. انظر شرح صحيح مسلم (١٥/ ٣١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وغيرهما عن عمران بن الحصين مرفوعاً.

(٥) أخرج البخاري (٧٠٦٨) عن الزبير بن عديٍّ قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا =

. . . .

مراتب الصحابة رضي الله عنهم

١ ـ الخلفاء الراشدون

قوله: (وخيرهم من ولِّي الخلافة)

أي: أفضل الصحابة من تولَّى الخلافة عنه ﷺ.

وقوله: (وأمرهم في الفضل كالخلافة)

أي: شأنهم بل والتوسُّل بهم كالخلافة، فأفضلهم أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ عليّ، وفي ذلك ردٌّ على الخَطَّابيَّة[1] القائلين بتقديم عمر على أبي بكر، وعلى الشيعة القائلين بتقديم عليٍّ على عثمان.

وينبغي حبُّهم والتوسُّل بهم على هذا الترتيب، ولا يفرِّق بين أحد منهم إلا محرومٌ. كمن يفرِّق بين الأئمَّة المجتهدين والأولياء.

= إليه ما يلقون من الحجَّاج، فقال: «اصْبِرُوا، فإنَّه لا يأتِي عَلَيكُم زَمَانٌ إلا وَالذِي بَعدَهُ أَشَرُّ منهُ حتَّى تلقوا رَبَّكم». سمعته من نبيِّكم ﷺ.

(١) فرقة من الرافضة ينسبون إلى أبي الخطّاب بن أبي زينب، وكان يأمر أصحابه أن يشهدوا على مَنْ خالفهم بالزُّور، وهم خمس فرق كلُّهم يزعمون أنَّ الأئمَّة أنبياء محدثون، ورسل الله وحُجَجُه على خلقه. انظر مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين للأشعري ص(١٠)، والملل والنحل (١/ ١٧٩)، ولسان العرب (خطب).

٢ ـ تمام العشرة المبشَّرين بالجنَّة

قوله: (يليهم قوم كرام ببررة) أي: شرفاء النفوس محسنون.

قوله: (عدَّتهم ستٌّ تمام العشرة)

أي: فالستَّة تمام العشرة الذين بُشِّروا بالجنَّة، يلون عليًّا في الفضل، وهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام ابن عمَّة رسول الله ﷺ، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامرُ بن الجرَّاح، ولا يعلم تفاوتهم في الفضل إلا الله.

وقولنا: (الذين بُشِّروا بالجنَّة) أي: الذين جُمعوا في حديث واحد، واشتهروا به، وإلا فأكثر الأصحاب مبشَّرون من رسول الله ﷺ بالجنَّة[١].

وفي الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن عوف: «أَبو بَكرٍ في الجنَّة، وعُمُر في الجنَّة، وعثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحةُ في الجنَّة، والزبيرُ في الجنَّة، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوفٍ في الجنَّةِ،

---

(١) أي: بآيات وأحاديث. كقوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ سورة الفتح (١٨). فقد بلغوا ما يقارب ألفاً وخمسمئة صحابي، رضي الله عنهم. انظر ص(٣٢٦ ـ ٣٢٧) من هذا الكتاب.

وسَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ في الجَنَّة ، وسعيدُ بن زيدٍ في الجنَّة ، وأبو عبيدةَ ابنُ الجرَّاح في الجَنَّةِ»[١] .

٣ ـ أهل بدر

قوله: (فأهل بدر)

أي: إنَّ أهل غزوة بدر رتبتهم تلي رتبة الستَّة من العشرة؛ لأنَّهم أوَّل من جاهد في سبيل الله ، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٢] ، ولا فرق بين / مَن استشهد فيها ـ وهم أربعة عشر ٤٠/أ رجلاً ، ستَّة من المهاجرين[٣] ، وثمانية من الأنصار[٤] ـ أَوْ لا .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٣). والترمذي (٣٧٤٧) و(٣٧٤٨). وابن حِبَّان (٧٠٠٢) عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً بإسناد صحيح.

(٢) سورة الواقعة (١٠ ـ ١١).

(٣) وهم: عبيدة بن الحارث بن المطَّلب ، وعمير بن أبي وقَّاص أخو سعد بن أبي وقَّاص ، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ، وعاقل بن البُكَير الليثي ، ومِهجَع مولى عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء. انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٦٤).

(٤) وهم: **من الخزرج**: يزيد بن الحارث الذي يقال له: ابن فُسْحم ، وعمير بن الحُمام ، ورافع بن المعلَّى ، وحارثة بن سراقة ، وعوف بن عفراء ، ومعوَّذ بن عفراء.
ومن الأوس: سعد بن خيثمة بن عمرو ، ومبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر. انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

وبدرٌ: اسم للوادي، وهو الآن قرية بين مكَّة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة.

وكانوا ثلاثمئة وسبعة عشر، وفي رواية: وتسعة عشر، وفي رواية: وخمسة عشر، وفي رواية: وثلاثة عشر، ويؤيِّد هذه الرواية أنَّه ﷺ أمر بعدِّهم، فأُخبر بأنَّهم ثلاثمئة وثلاثة عشر، ففرح بذلك، وقال: «عِدَّةُ أَصْحابِ طَالُوتَ»[(١)].

وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيراً، يعتقبونها، فكان المصطفى وعليٌّ وزيد بن حارثة يعتقبون بعيراً[(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوّة (٣/ ٣٧)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٧٤ ـ ١٧٦) عن أبي أيُّوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «هل لَكُم أَن نخرجَ، فَنلقى هذِهِ العِيرَ، لَعلَّ اللهَ يُغنِمُنَا؟ قلنا: نعم. فخرجنا، فلمّا سرنا يوماً أو يومين أمرنا رسول الله ﷺ أن نتعادَّ، فإذا نحن ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، فأَخْبَرْنا النبيَّ ﷺ بعدَّتنا، فسُرَّ بذلك، وحمِد الله، وقال: عِدَّةُ أصحابِ طالوت».
وفي إسناده ابن لهيعة، والراوي عنه ليس من العبادلة، فهو ضعيف.
وأخرج البخاري (٣٩٥٥ إلى ٣٩٥٩) عن البراء بن عازب قال: كنّا نتحدَّث أنَّ أصحاب بدر ثلاثمئة وبضعة عشر، بعدَّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه إلا مؤمن. انظر فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٩١).

(٢) وقع عند ابن إسحاق بلا سند كما في البداية والنهاية (٣/ ٣١٨ ـ ٣١٩): «... كان رسول الله ﷺ وعليٌّ ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعتقبون بعيراً».
وهاتان الروايتان مردودتان بما أخرجه ابن حِبَّان في صحيحه (٤٧٣٣). وأحمد في المسند (١/ ٤١١). والنَّسائي في الكبرى (٨٨٠٧). والحاكم (٣/ ٢٠) عن =

وكان المشركون ألفاً ، ومعهم مئة فرس وسبعمئة بعير ، وسبق المشركون إلى ماء بدر ، فأحرزوه ، فلم يصل إليه المسلمون ، فعطشوا وأصبح غالبهم جنباً ، ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: (تزعمون أنَّكم على الحقِّ ، وفيكم نبيُّ الله ، وأنَّكم أولياء الله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم عطاش ، وتصلُّون محدثين مجنبين ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطشُ رقابكم ، ويُذهبَ قواكم ، فيتحكَّمون فيكم كيف شاؤوا).

فأرسل الله عليهم مطراً ، وسال منه الوادي ، فشربوا واغتسلوا ، وتوضَّؤوا ، وشربت دوابُّهم ، وملؤوا الأسقية ، ولبَّد المطر الأرض حتَّى ثبتت عليها الأقدام ، ثمَّ برزوا إلى بعضهم ، ورسول الله يدعو بالنصر ، وأخذ كفاً من الحصى فرمى به في وجوه الأعداء ، وقال: «شَاهِتِ الوُجُوهُ»[1] أي: قبحت. فلم يبق مشركٌ إلا دخل في عينه ومنخريه وفمه ، فانهزموا ، وأُسر منهم سبعون ، وقتل من أشرافهم سبعون ، كأُميَّة بن خلف وأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وكان مع المسلمين تسعون[2] من الجنِّ ، وثلاثة آلاف من الملائكة ، ثمَّ

= عبد الله بن مسعود قال: كنَّا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير. قال: وكان علي وأبو لبابة زميلَي رسول الله ﷺ. قال: وكان إذا كانت عقبته قلنا: اركب حتَّى نمشي ، فيقول ﷺ: «مَا أَنتُما بأقْوى مِنِّي ، وما أنا بأغْنَى عَنِ الأَجْرِ منكُما».

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/ ٨٠ ـ ٨١) عن جماعة من ثقات التابعين مرسلاً ، ضمن حديث عن غزوة بدر. وأخرجه مسلم (١٧٧٧) في حديث طويل عن غزوة حنين جاء فيه: «... ثُمَّ قَبَضَ ﷺ قَبضةً من تراب من الأرض ، ثُمَّ استقبلَ بِهِ وُجُوهَهُم ، فقال: شَاهَتِ الوُجُوهُ...».

(٢) في (د) سبعون.

لمَّا صبروا واتَّقوا صاروا خمسة آلاف ، ورؤساؤهم جبريل وميكائيل ، وكانوا على خيل بُلْق ، وعليهم ثياب بيض ، وعلى رؤوسهم عمائم بيض وسود وصفر ، قد أَرْخَوا أطرافها بين أكتافهم ، وقال لهم الله : ﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ أي : الرؤوس ﴿ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[١] أي : كلَّ مفصل ، فلم تقع ضربة في يوم بدر إلا في رأس أو مفصل ، وصار قتلهم يعرف بآثار السواد في الأعناق والبنان مثل حرق النار[٢] ، وكان إبليس مع المشركين في جند من الشياطين في صورة سراقة بن مالك[٣]، ومعه راية ﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾[٤] أي : منقذ ومعين لكم ، فلمَّا أقبل جبريل والملائكة ، وكانت يده في يد رجل كافر ، فنكص على عقبيه ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ . . . ﴾ .

٤٠/ب وسئل السُّبكي[٥] عن الحكمة / في قتال الملائكة مع المصطفى ،

---

(١) سورة الأنفال (١٢) .

(٢) انظر الروض الأُنُف (٣/ ٨١) ، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (١/ ٣٨٣) .

(٣) سراقة بن مالك بن جُعْشُم المدلجي أبو سفيان ، صحابي له شعر ، له في كتب الحديث تسعة عشر حديثاً ، كان في الجاهلية قائفاً ، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر ، وقصَّته في إدراك النبي ﷺ لمَّا هاجر إلى المدينة معروفة . أسلم بعد غزوة الطائف سنة (٨هـ) ، توفِّي سنة (٢٤هـ) . انظر الأعلام (٣/ ١٢٦) والإصابة (٣/ ٤١ ـ ٤٢) .

(٤) سورة الأنفال (٤٨) . والآية بتمامها : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(٥) سبقت ترجمته في ص(١١٣) .

مع أنَّ جبريل قادر على دفع كلِّ الكفار بريشة من جناحه ، فأجاب : بأنَّ ذلك ليُنسبَ الفعلُ للمصطفى وأصحابه ، وتكون الملائكة عدداً على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب التي أجراها الله بين عباده.

قال ابن عبَّاس : (ولم تقاتل الملائكة إلاَّ يوم بدر) أي : ولكن يحضرون في كلِّ قتال كفَّار إلى يوم القيامة؛ لتكثير سواد المسلمين وإجابة الدُّعاء وبلوغ الآمال.

وما أَشْعَرَ به ظاهر المتن : من أنَّ العشرة المبشَّرين بالجنَّة أفضل من الملائكة الذين حضروا بدراً محمول على غير رؤسائهم؛ لأنَّ الرؤساء باتِّفاق الطرق أفضل من عوامِّ البشر ، نعم الملائكة الذين شهدوا بدراً أفضل ممَّن لم يشهدها منهم ، وقياسه يقال في مؤمني الجنِّ.

قوله : (العظيم الشان) وصف لبدر من حيث الغزوة.

٤ ـ أهل أحد

قوله : (فأهل أحد)

جبل معروف بالمدينة[(١)] على أقلَّ من فرسخ منها. رتبتهم تلي رتبة بقيَّة أهل بدر الذين لم يحضروا أُحُداً ، أمَّا من حضر بدراً ثمَّ أحداً فلا

(١) كان رسول الله ﷺ يحبه، فقد أخرج البخاري ومسلم أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أحد فقال : «إنَّ أُحُداً جَبَلٌ يحبُّنا ونُحِبُّهُ». جامع الأصول (٩/ ٣٣٧).

يقال: إنَّ مرتبته تلي أهل بدر، بل زاد شرفاً. والمراد مَنْ شهدها من المسلمين سواء استشهدوا بها كالسبعين ـ أربعة وستون من الأنصار وستة من المهاجرين ـ أَمْ لا.

وكان أهلها ألفاً، منهم ثلاثمئة من المنافقين[(١)] رئيسهم عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول[(٢)].

وجاء أبو سفيان بالمشركين حتَّى نزل قِبَلَ أُحُد مقابل المدينة، وكانوا ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمئة لابسون الدروع، ومئتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، وخَمْسَ عَشْرَةَ امرأة. واصطفَّ المسلمون بأصل أُحُد، والمشركون بالسبخة، وجعل المصطفى على الرُّماة بالنبل ـ وهم خمسون ـ عبدَ الله بنَ جبير أميراً، وقال: «احْمُوا ظهورَنا واثْبُتُوا مَكَانَكُم»[(٣)].

فلمَّا التحم الحرب شرع المسلمون في أخذ الغنائم، فقال الرُّماة: غَلَب أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال أميرهم: نسيتم قول رسول الله؟ فقالوا: والله لنأتينَّ الناس، ونصيب من الغنيمة، وحملوا قول المصطفى على أنَّ المراد ما دام الحرب قائماً، فلمَّا أتوهم رجع الكفَّار عليهم، والتبس العسكران، فلم يتميَّزوا، فوقع قتل المسلمين بعضهم من بعض، وأتاهم إبليس في صورة صحابيٍّ، وقال: (احترزوا من

---

(١) وهؤلاء رجعوا مع رئيسهم، ولم يشهد أَحَدٌ منهم هذه الغزوة. انظر السير والمغازي لابن إسحاق (٣٢٤).

(٢) سبقت ترجمته في ص(٣١٣).

(٣) أخرجه البخاري بنحوه (٤٠٤٣) عن البراء مرفوعاً.

إخوانكم ، وإنَّ محمَّداً قُتِل) ، فقُتِلَ منهم سبعون ، ومن الكفَّار نيّف[1] وعشرون ، وعليه مشى كثير من المفسِّرين ، وقيل : سبعون أيضاً ، منهم أُبيُّ بن خَلَف قتله / المصطفى بيده[2] ، ولم يَقْتُل بيده غيرَه. وثبت المصطفى بالإجماع. ٤١/أ

وفي كلام بعض أهل السِّيَر أنَّه كان لطلحة[3] اليدُ البيضاء يومها ، وقى النبيَّ ﷺ ـ لمَّا ضُرِبَ بالسيف وشُجَّ وجهه الشريف ـ بيده ، فشَلَّت واستمرَّت شَلَّاء ، وكان الصِّدِّيق إذا حَدَّث عن يوم أُحُد بكى ، وقال : ذلك كلُّه لطلحة ، وذلك أنَّه ﷺ كان لابساً درعين ، فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك ، فبرك له طلحة ، فصعد على ظهره ، واستوى عليها ، وقد أصيب حينئذٍ ببضع وسبعين ما بين طعنة بالرُّمح وضربة بالسيف ورمية بالسَّهم ، وانقطعت أصابعه ، ورسول الله ﷺ

---

(١) كلُّ ما زاد على العقد فهو نيِّف ، وإنَّما قيل له نَيِّف؛ لأنَّه زائد على العدد الذي حواه العقد. النيِّف من واحد إلى ثلاث ، والبِضْع من أربع إلى تسع اهـ. لسان العرب (نوف).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٣٢٧). والبيهقي في دلائل النبوة (٣/٢٠٦) فما بعد. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي من وجه آخر في دلائل النبوّة (٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي أبو محمَّد ، صحابي شجاع من الأجواد ، وهو أحد العشرة المبشَّرين ، وأحد الستَّة أصحاب الشُّورى ، قُتل يوم الجمل ، ودفن بالبصرة سنة (٣٦هـ). غاية النهاية (١/٣٤٢) ، الإصابة (٣/٥٢٩).

يقـول: «أوجـب طلحـة»(١) الجنَّـةَ . وقُتِـلَ عمُّـه الحمـزة يـومهـا ـ قتلـه وحشيٌّ (٢)ـ بعد أن قتل ثلاثين من أبطال الكفَّار ، وحزن عليه رسول الله ﷺ حزناً عظيماً.

٥ ـ أهل بيعة الرِّضوان

قوله: (فبيعة(٣) الرِّضوان)

أي: فأهل بيعة الرِّضوان تلي رتبتهم رتبة أهل أُحُد. سُمِّيت بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) الآية ، وكانوا ألفاً

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٥) ، والترمذي (٣٧٣٨) وقال: حديث حسن صحيح غريب. ولم يَرِد لفظ الجنَّة فيما اطَّلعنا عليه من روايات الحديث ، فلعلَّه أراد توضيح المراد فحسب. فقد قال شرَّاح الحديث: «أوجب طلحة» أي: أثبت لنفسه الجنَّة بما صنع في يوم أُحُد من البلاء الحسن والدفاع المجيد عن رسول الله ﷺ. انظر مختصر شرح بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربَّاني للساعاتي. (٢٢/ ٢٧٢).

(٢) وحشي بن حرب الحبشي يكنى أبا سلمة ، كان من أبطال الموالي في الجاهلية، وهو قاتل حمزة عم النبي ﷺ ، قتله يوم أحد ، ثم وفد على النبي ﷺ مع وفد أهل الطائف بعد أخذها ، وأسلم ، فقال له النبي ﷺ: «غيِّبْ عني وجهك يا وحشيُّ ، لا أراك». وشهد اليرموك ، وشارك في قتل مسيلمة ، وزعم أنه رماه بحربته التي قتل بها حمزة ، وكان يقول: قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس . وسكن حمص ، فمات بها في خلافة عثمان. انظر الإصابة (٣/ ٥٩٤).

(٣) كذا وردت في (م) و(د) ، وفي بعض أصول متن الجوهرة وردت بحذف الفاء ، والوزن يقتضي ذلك ، فلم نثبتها في المتن.

(٤) سورة الفتح (١٨) والآية بتمامها: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾.

وأربعمئة ، وقيل : خمسمئة ، وخرج بهم النبيُّ ﷺ عام ستٍّ من الهجرة؛ لزيارة البيت الحرام والاعتمار به ، فصدَّه المشركون ، فأرسل إليهم عثمان يخبرهم أَنَّما قَدِم معتمراً لا مقاتلاً ، فقالوا : لا يدخل مكَّة هذا العام. وشاع أَنَّهم قتلوا عثمان ، فقال عليه الصلاة والسلام عند ذلك : «لا نَبْرَحُ حَتَّى نُناجِزَ الحَربَ»[1] ، ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت ، فبايعوه على ذلك ، ولم يتخلَّفْ عنها إلا الجَدُّ بن قيس[2] ، وكان منافقاً اختفى تحت بطن ناقته ، ويقال : إنَّه تاب ، وحَسُن إسلامه.

ثمَّ ثبتت حياة عثمان ، فصالحوا النبيَّ ﷺ عشر سنين بشروطٍ :

- أن يرجع عنهم في هذا العام ، ويأتي للعمرة في العام القابل.
- وأن يردَّ مَن جاء منهم مسلماً.
- وأنَّ من جاءهم ممَّن تبعه لم يُرَدَّ.

وكتب لهم بذلك كتاباً ، فكره المؤمنون هذه الشروط ، وقالوا : يا رسول الله ، أتكتب أنَّا نردُّ ولا يَرُدُّون؟! قال : «نَعَم ، إنَّ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إليهم فأَبْعَدَه اللهُ ، ومَن جَاءَ مِنهُم إلَينا فَسَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجاً ومَخْرَجاً»[3] ، فتحلَّلوا بنحر هداياهم ، ورجعوا إلى المدينة.

---

(١) أخرج البيهقيُّ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أنَّ رسول الله ﷺ بُلِّغ أنَّ عثمان قد قُتِلَ ، فقال رسول الله ﷺ : «لَئِن كَانُوا قَتَلُوهُ لأُنَاجِزَنَّهُم...». دلائل النبوَّة (٤/ ١٣٥).
وعبد الله بن أبي بكر بن حزم تابعيٌّ ثقة ، فالحديث مرسل ، وهو حُجَّة فيما ينقل ، كما قال ابن عبد البرِّ . انظر تهذيب التهذيب (٥/ ١٦٥).

(٢) الجَدُّ بن قيس بن صخر بن خنساء الأنصاري أبو عبد الله ، مات في خلافة عثمان . انظر الإصابة (١/ ٤٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٤) عن أنس مرفوعاً.

٧٩ـ والسَّابقُونَ فَضْلُهُم نَصّاً عُرِفْ هَذا وفِي تَعْيينِهم قَدِ اخْتُلِفْ

. . . .

مَنْ هم السابقون الأولون؟

قوله: (والسابقون)

مبتدأ أوَّل، و(فَضْلُهم) مبتدأ ثانٍ، و(عُرِف) خبر الثاني، وهو وخبره خبر عن الأوَّل، و(نصَّاً) منصوب على التمييز (لعُرِف) قُدِّم عليه لتصرُّفه[1]، أي: عرف من نصِّ القرآن لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ/ وَٱلْأَنصَارِ﴾[2] الآية. ٤١/ب

قوله: (هذا) أي: افهم هذا المقتضِي للفضل.

قوله:(وفي تعيينهم قد اختلف)

أي: اختلف العلماء فيه، فقال الشَّعْبيُّ[3]: هم أهل بيعة الرضوان،

---

(١) أي: لأنَّ الفعل متصرِّف، والقاعدة في النحو تقول: يتقدَّم التمييز على عامله المتصرِّف نزراً. كما قال ابن مالك في الخلاصة:

وعَامِلَ التَّمييزِ قَدِّمْ مُطْلَقا والفِعلُ ذو التَّصْرِيفِ نَزْرَاً سُبقا

انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢/ ٦٥٣).

(٢) سورة التوبة (١٠٠).

(٣) أبو عمرو عامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم. قال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

يقال: إنَّه أدرك خمسمئة من أصحاب رسول الله ﷺ. كانت ولادته لستِّ سنين خلت من خلافة عثمان رضي الله عنه. وقيل: سنة عشرين للهجرة، وتوفِّي بالكوفة سنة أربعمئة. انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٢ وما بعدها)، حلية الأولياء (٤/ ٣١٠).

وقال جماعة: هم أهل بدر. والراجح أنَّهم الذين صلَّوا إلى القبلتين، وقيل: هم كلُّ من آمن به، وجاهد معه قبل فتح مكَّة لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[1] الآية. وهذا هو الأقرب.

تأويل خلاف الصحابة واجبٌ لعدالتهم

قوله: (وأوِّل التشاجر الذي ورد)

أي: [اصرف][2] التخاصم عن ظاهره وجوباً الذي ورد عنهم بالسند المتَّصل، متواتراً كان أَوْ لا، مشهوراً كان أَوْ لا؛ حيث كان سنده صحيحاً. وإلا فهو مردود لذاته لا يحتاج إلى تأويل.

والمراد: أَنَّه يصرفه إلى محمل حسن حيث كان ممكناً، فإن لم يمكن تأويله وقفنا؛ لاعتقادنا حفظهم ممَّا يوجب الفسق؛ لأنَّهم مجتهدون.

وقد قال العلماء: (المصيب بأجرين، والمخطىء بأجر)، وقد شهد الله ورسوله لهم بالعدالة[3].

---

(١) سورة الحديد (١٠).

(٢) ساقطة من (م) وأثبتناها من (د).

(٣) كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنفال (٦٤).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ سورة الفتح (١٨).

=

قوله: (إن خُضت فيه)

أي: إن قُدِّر ذلك؛ لأنَّ التفتيش عمَّا جرى بينهم ليس من العقائد الدينية، ولا ممَّا يُنتفع به في الدِّين، بل ربَّما ضرَّ في اليقين، فلا يباح الخوض فيه إلا للتعليم، أو للردِّ على المتعصِّبين، وأمَّا العوامُّ فلا يجوز لهم الخوض فيه؛ لفرط جهلهم، وعدم معرفتهم للتأويل.

قوله: (واجتنب داء الحسد)

أي: وجب عليك حال خوضك فيما شجر بينهم لأمرٍ ممَّا تقدَّم أن تجتنب الحسد حال خوضك؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهَ اللهَ في أَصْحَابِي، لاَ تَتَّخِذُوهُم غَرَضاً بَعدِي، مَن آذاهُم فَقَد آذَانِي، ومَن آذَانِي فَقَد آذَى اللهَ، ومَن آذَى اللهَ يُوشِكُ أَن يَأخُذَهُ»[1]، وفي رواية: «لا تَسُبُّوا أصحَابي، ومَن سَبَّ أصحابي، فَعَليه لَعنةُ اللهِ والملائِكَةِ والناسِ

= وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ سورة التوبة (١٠٠).

وكقول رسول الله ﷺ: «اللهَ اللهَ في أصحابي...» المذكور لاحقاً.

وقوله ﷺ: «لا تَسبُّوا أَصْحابي، فلو أنَّ أَحَدَكم أَنفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بلغ مُدَّ أَحَدِهم ولا نَصِيفَه» المتقدم ذكره في ص(٧٧) من هذا الكتاب، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري.

(١) تقدَّم تخريج هذا الحديث في ص(٧٧) من هذا الكتاب.

أجمعينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ منه صَرْفاً[١] ولا عَدْلاً»[٢]، وفي رواية: «اللهَ اللهَ في أصحابي، فمَن أَبغَضَهم فببُغضِي أبغَضَهم، ومن أَحبَّهم فبحُبِّي أحبَّهم، اللهمَّ أَحِبَّ مَن أَحَبَّهم، وأَبغِضْ مَن أبغَضَهم»[٣]، وفي رواية: «إنَّ اللهَ اختارَني، واختارَ لي أصحابي وأصهاري، وسَيَأتي قَومٌ يَسُبُّونَهم، ويَنْقُصُونَهم، فلا تُجالِسُوهم، ولا تُشارِبُوهم، ولا تُؤاكِلُوهم، ولا تُناكِحُوهم»[٤].

---

(١) الصرف والعدل فيهما أقوال كثيرة منها: الصرف التطوُّع، والعدل الفرض. وقيل: الصرف التوبة، والعدل الفدية. انظر النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٤)، ولسان العرب (صرف).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٢) عن عويم بن ساعدة مرفوعاً بلفظ: «إنَّ الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سَبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل».
صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبيُّ. وله طرق أخرى لا يُحتجُّ بها.
وقد تقدَّم الحديث الذي أخرجه البخاري في قوله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». انظر ص(٧٧) من هذا الكتاب.

(٣) تقدَّم تخريجه في ص(٧٧) من هذا الكتاب، وليس في الحديث: (اللهمَّ أحبَّ مَن أحبَّهم، وأبغض مَن أبغضهم). والذي ثبت: ما أخرجه مسلم (٧٥) عن البراء مرفوعاً: «من أحبَّهم أحبَّه اللهُ، ومَن أبغَضَهم أبغَضَهُ اللهُ». وهو في الأنصار.

(٤) أخرجه ابن حبَّان في المجروحين (١/ ١٨٧) وقال: هذا خبر لا أصل له اهـ. وأقرّ ابنَ حبَّان العلاَّمةُ ابنُ عراق في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٤).

٨١ـ ومَـالِكٌ وَسَـائِرُ الأَئِمَّـهْ كَـذَا أَبو القاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّـهْ

. . . .

فضل هداة أمّة سيدنا محمد ﷺ

أ ـ أئمة الفقه الأربعة

قوله: (ومالك)

هو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر[١] بن الحارث بن غَيمان (بمعجمة فمثنّاة تحتيّة) ابن خُثَيل (بخاء معجمة مضمومة، فمثلّثة مفتوحة، فمثنّاة تحتيّة) الأصبحيُّ (بفتح / الباء) نسبة إلى ذي أصبح ٤٢/أ
بطن من حِمْيَر، وهو من العرب، عهده في قريش في بني تيم الله، فهو مولى عهد، لا مولى عتاقة[٢] عند الجمهور، فهو من بيوت الملوك؛ لأنَّ القاعدة عند العرب إذا جاؤوا في النسب بـ (ذي) يكون من ذلك.

حملت به أمُّه ثلاث سنين، وقيل أكثر، وطول الحمل علامة على وفور عقل المولود، ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الأشْهر بذي المروة، موضع من مساجد تبوك على ثمانية بُرُد من المدينة، ولا ينافيه قول عياض[٣]: (إنَّه مدنيُّ الدار والمولد والمنشأ)؛ لأنَّ ذي المروة من أعمال المدينة، وقيل: ولد سنة تسعين، ومات سنة تسع

---

(١) في طبقات ابن سعد: (. . . ابن عمرو بن الحارث بن غَيمان. . .) (٥/ ٦٣).

(٢) الولاء نوعان: ولاء موالاة (عهد) وسببه العقد، وولاء عتاقة وسببه العتق. ويتمُّ ولاء الموالاة عند السادة الأحناف بأن يقول أحدهم للآخر: أنت مولاي، ترثني إذا متُّ، وتعقل عنِّي إذا جنيت. فيقول الآخر: قبلت. ولهذا الولاء شروط ذكرها الفقهاء. انظر اللباب في شرح الكتاب (٣/ ١٣٦ وما بعدها).

(٣) سبقت ترجمته في ص(٣١٠).

وسبعين ومئة ، ودُفن بالبقيع ، وقبره به مشهور. وكان أنس أبوه فقيهاً. وجدُّه مالك كان من كبار التابعين ، أحد الأربعة الذين حملوا عثمان إلى قبره ليلاً ، وغسَّلوه ، ودفنوه. وجدُّه أبو عامر صحابي حضر مع المصطفى مغازيه كلَّها إلا بدراً. ومالك من أتباع التابعين على الصحيح، وقيل: من التابعين؛ لإدراكه عائشة[1] بنت سعد بن أبي وقَّاص ، وهي صحابيَّة ، والصحيح أنَّها تابعيَّة.

وأخذ العلم عن تسعمئة شيخ ، منهم ثلاثمئة من التابعين ، وعليه حُمِل قوله ﷺ: «لا تنقضي الساعةُ حتى تُضْرَبَ أكبادُ الإبلِ من كلِّ ناحيةٍ إلى عالِم المدينةِ يطلبون علمَهُ» ، وفي رواية: «يوشك أن تُضْرَبَ أكبادُ الإبلِ يطلبونَ العلمَ ، فلا يجدون أحداً أَعْلَمَ مِنْ عالِم المدينة»[2].

فكانوا يزدحمون على بابه لطلب العلم ، وأفتى الناسَ وعلَّمهم نحو سبعين سنة بالمدينة ، ومكث خمساً وعشرين سنة لا يشهد الجماعة ، فقيل له: ما يمنعك من الخروج؟ فقال: (إنَّ من الأعذار أعذاراً لا تذكر)، وجلس للتدريس ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان يقول: (لا ينبغي

---

(١) بعد الرجوع إلى الإصابة في تمييز الصحابة تبيَّن في ترجمة عائشة بنت سعد بن أبي وقَّاص أن سعداً كان له بنت اسمها عائشة في عهد النبيِّ ﷺ ، ووُلدت له أخرى بعد النبيِّ ﷺ بدهرٍ ، وسمَّاها عائشة أيضاً ، وميَّزوا بين الاثنتين بعائشة الكبرى وعائشة الصغرى. والتي أدركها الإمام مالك هي الصغرى ، فبذلك كان تابع التابعيِّ. انظر الإصابة (٨/ ٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩) ، والترمذيّ (٧/ ٣٢٤) ، والنَّسائي في الكبرى (٤٢٩١) ، وابن حِبَّان في صحيحه (٣٧٣٦) ، والحاكم (١/ ٩٠ ـ ٩١). وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً. وصحَّحه الحاكم. ووافقه الذهبيُّ.

للعالم أن يتكـلم بالعلم عنـد من لا يطيقه[1] ؛ فإنَّه ذلٌّ وإهانة للعلم) ، وكان إذا أراد أن يجلس للعلم توضَّأ ، وصلَّى ركعتين ، وسرَّح لحيته ، وتطيَّب ، وجلس على وقار وهيبة ، ومنع الناس من رفع أصواتهم ، وبخَّر المجلس بعود.

وقال عبد الله بن المبارك[2] : (كنت عند الإمام مالك بن أنس ، وهو يحدِّث بحديث رسول الله ﷺ ، فلدغته عقرب ستَّ عشرة مرَّة ، وهو يصفرُّ ويتلوَّى ، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ ، فسألتُه عن ذلك ، فقال : إنَّما صبرت إجلالاً لحديثه ﷺ).

وكان مهاباً جدَّاً ، إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يقال له : من أين؟

وكان يرى المصطفى كلَّ ليلة في النوم ، وكان يرخي الطيلسان على رأسه حتَّى لا يَرى ، ولا يُرى ، وكان لا يدخل الخلاء إلا كلَّ ثلاثة أيام مرة ، ويقول : (والله لقد استحييت من الله في كثرة تردُّدي للخلاء).

٤٢/ب وقال أشهب بن عبد العزيز[3] : (رأيت أبا حنيفة بين يدي / مالك

---

(١) في (م): لا يطيعه. وما أثبتناه من (د).

(٢) أبو عبد الرحمن التيمي الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، جمع الحديث والفقه والعربية وأيَّام الناس ، ولد سنة (١١٨هـ) ، وتوفِّي في (هيت): على الفرات سنة (١٨١هـ) منصرفاً من غزو الروم. له كتاب في الجهاد ، وهو أوَّل من صنَّف فيه.
انظر لواقح الأنوار (١/ ٥٩) ، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥).

(٣) أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي أبو عمرو ، فقيه الديار المصرية في عصره ، كان صاحب الإمام مالك ، قيل : اسمه مسكين ، وأشهب لقب له ، ولد سنة (١٤٥هـ) ، وتوفِّي بمصر سنة (٢٠٤هـ). وفيات الأعيان (١/ ٢٣٨).

كالصبيِّ بين يدي أمِّه).

وسئل أبو حنيفة عن مالك، فقال: (ما رأيت أعلم بسنَّة رسول الله منه).

وقال الليث بن سعد [1]: (لقيت مالكاً بالمدينة، فقلت له: ما لَكَ تمسح العرق عن جبينك؟ فقال: عرقت مع أبي حنيفة، إنَّه لفقيه يا مصريُّ. ثمَّ لقيت أبا حنيفة، فقلت له: ما أحسن قول مالك فيك! فقال له: والله ما رأيتُ أسرع بجواب صادق وزهد تامٍّ من مالك بن أنس).

قوله: (وسائر الأئمة) أي: باقيهم، جمع إمام [2].

وهو لغة: المقتَدَى به، ذكراً كان أو أنثى، أو غيرهما كالقرآن واللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [3] فالمراد به اللوح المحفوظ، ثمَّ أُطلق على مَن بلغ رتبة أهل الفضل، والمراد منهم هنا أكابر المجتهدين كالأئمَّة الثلاثة وأضرابهم.

فأحد الثلاثة: أبو عبد الله محمَّد بن إدريس بن العبَّاس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلب بن عبد مناف جدِّ النبيِّ ﷺ، وهو ابن عمِّ المصطفى، نسبته لشافع؛ لأنَّه أكرم أجداده، ولأنَّه صحابيٌّ ابن صحابي.

---

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة سنة (٩٤هـ)، ووفاته في القاهرة سنة(١٧٥هـ). كان من الكرماء الأجواد. انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧).

(٢) قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ سورة الإسراء (٧١).

(٣) سورة يس (١٢).

٨١ ـ ومَالِكٌ وَسَائِرُ الأَئِمَّهْ كَذَا أَبُو القَاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّهْ

. . . .

ولد الشافعيُّ بغزَّة يوم وفاة أبي حنيفة [١] ، ونشأ يتيماً في حجر أمِّه مع قلَّة عيش وضيق ، ثمَّ حُمل إلى مكَّة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطَّأ وهو ابن عشر ، وأذِن له شيخه مسلم بن خالد [٢] بالإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة ، وعليه حُمِل حديث: «عَالِمُ قُرَيشٍ يَملأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْماً» [٣] ؛ لأنَّ الكثرة والانتشار في جميع الأقطار لم تحصلا في عالمٍ [٤] قرشي مثله. قال الأئمَّة منهم أحمد: (هذا العالِم هو الشافعي).

---

(١) قال ابن حجر ناقلاً عن الحاكم: لا أعلم خلافاً أن الشافعي ولد سنة خمسين ومئة وهو العام الذي مات فيه أبو حنيفة ، ففيه إشارة إلى أنه يخلفه في فنِّه. وقد قيل: إنه ولد في اليوم الذي مات فيه ، وزيَّفوه ، وليس بواهٍ؛ فقد أخرجه أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري في مناقب الشافعي بسند جيِّد إلى الربيع بن سليمان ، قال: «ولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة» لكن هذا اللفظ يقبل التأويل؛ فإنَّهم يطلقون اليوم ، ويريدون مطلق الزمان. انظر توالي التأسيس (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي المعروف بالزنجي ، تابعي من كبار الفقهاء. كان إمام أهل مكَّة ، أصله من الشام ، وبه تفقَّه الإمام الشافعي قبل أن يلقى مالكاً ، توفِّي سنة (١٧٩هـ). انظر طبقات الفقهاء (٧١) ، واللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٧٧).

(٣) أخرجه الطيالسي (٢/ ١٩٩) ، والشاشي (٧٢٨) في مسنديهما ، وغيرهما. وفيه النضر بن محمد متروك ، وأبو الجارود الأعمى كذَّاب. وانظر الفوائد المجموعة(٤٢٠) ، وكشف الخفا (٢/ ٦٨). وأخرج الترمذي (٣٩٠٤) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ أذقْتَ أوَّلَ قريشٍ نكالاً ، فأَذِقْ آخرَهُمْ نَوَالاً». وأخرج الإمام أحمد نحوه (١/ ٢٤٢).

(٤) في (م): لم تحصل عالم قرشي مثله. وما أثبتناه من (د).

والثاني: أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد المَرْوَزِي الشيباني، يجتمع مع النبيِّ ﷺ في نزار بن معدِّ بن عدنان البغدادي، قدمت بـه أمُّـه من مروز، وهي حاملـة به، فولدته ببغداد. وهو تلميذ الشافعي.

قال الشافعي: (خرجتُ من بغداد وما خلَّفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من الإمام أحمد بن حنبل). وكان يحيي الليل كلَّه من وقت كونه غلاماً، وله في كلِّ يوم وليلة ختم.

والثالث: أبو حنيفة[1] ـ كنِّي ببنته، وقيل: بدَواته ـ النُّعمان بن ثابت بن طاووس بن هرمز ملك بني شيبان، فهو من العرب، وقيل: من الفرس. ذكر جماعة أنَّه أدرك نحو عشرين صحابياً، وسمع الحديث من تسعة منهم، وهم: أنس بن مالك، وعمرو بن عريس، وعبد الله بن أنس، وعبـد الله بن الحارث، / وجابر بن عبد الله بن أبي أوفى، وواثلـة ٤٣/أ
ابن الأسقع، ومعقل بن يسار، وأبو الطُّفيل عامر، وعائشة بنت عُجْرة.

---

(١) ممَّا حُمِلَ على الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، وأبو نعيم عنه، والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة، والطبراني عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ أنَّ النبي ﷺ قال: «لَو كَـانَ العِـلمُ عنـدَ الثُّريَّـا لتناوَلَـه رِجـالٌ من أَبنـاءِ فـارِسٍ». ولفـظ الشيرازي وأبـي نعيم: «لَو كان العِلمُ مُعَـلَّقاً عندَ الثُّريَّـا...». ولفظ الطبراني عن قيس: «... لا تَنالُـه العَرَبُ لَنـالَهُ رِجَـالٌ من أَبناءِ فـارِسٍ». ولفظ مسلم: «لو كانَ الإيمانُ عِندَ الثُّريَّا لتناوَلَه رِجالٌ من أَبناءِ فَارِسٍ». قال الحافظ المحقِّق جلال الدين السيوطي: (هذا أصل صحيح يُعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله) اهـ. انظر مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة لابن حجر الهيتمي (١٦).

٨١ـ ومَالِكٌ وَسَائِرُ الأَئِمَّهْ كَذَا أَبو القاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّهْ

. . . .

وفضل هؤلاء الأئمَّة أشهر من الشمس في رابعة النهار.

ونظم بعضهم تاريخ ولادة الأربعة ووفاتهم ومدَّة عمرهم بقوله:

٨٠ ١٥٠ ٧٠	٩٠ ١٧٩ ٨٩
تاريخ نُعْمانَ يَكُنْ سَيْفٌ سَطَا	ومالكٌ في قَطْعِ جَوْفٍ ضُبِطا
١٥٠ ٢٠٤ ٥٤	١٦٤ ٢٤١ ٧٧
والشافِعي صين بِبِرٍّ نِدٍّ	وأحمدٌ بِسَبْقِ أَمْرٍ جَعْدِ
فاحْسُبْ على الترتيبِ نَظْمَ الشِّعْرِ	ميلادَهُمْ فموتَهُمْ كالعُمْرِ

فولادة أبي حنيفة سنة ثمانين، وجُمَّلُه[1] (يَكُنْ). ووفاته سنة مئة وخمسين، وجُمَّله (سَيْفٌ). وعمره سبعون، وجُمَّله (سَطَا).

وولادة مالك سنة تسعين، وجُمَّله (في). ووفاته سنة مئة وتسع وسبعين، وجُمَّلُه (قَطْع). وعمره تسع وثمانون، وجُمَّلُه (جَوْف).

وولادة الشافعي سنة مئة وخمسين، يوم وفاة أبي حنيفة، وجُمَّله (صِين). ووفاته سنة مئتين وأربع، وجُمَّله (ببر). وعمره أربع وخمسون، وجُمَّله (ندّ).

---

(١) أي حسابُه بالجُمَّل. ونظام هذه الطريقة وَفق الأحرف الأبجدية التي يجمعها قولهم: (أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّي كَلَمُنْ سَعْفَصْ قُرِشَت ثَخَذ ضَظَغ)، فالعشرة الأوائل تحمل رقْماً تسلسليّاً من الواحد إلى العشرة، ثمَّ الذي يلي العاشر ـ وهو الكاف ـ يحمل رقم عشرين، وهكذا إلى تسعين، فيحمل القاف رقم مئة، والذي يليه رقم مئتين، وهكذا إلى آخر حرف، وهو الغين، فيحمل رقم الألف.

وقد ذكر الرافعيُّ أصل اصطلاح الدلالة بهذه الأحرف على الأعداد، ومراحل تطورها. انظر تاريخ آداب العرب (٣/ ٣٧٧).

٨١ـ ومَـالِكٌ وَسَـائِرُ الأَئِمَّـهْ   كَـذَا أَبو القاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّـهْ

. . . .

وولادة أحمد سنة أربع وستين ومئة ، وجُمَّله (بسبق). ووفاته سنة إحدى وأربعين ومئتين ، وجُمَّلهُ (أمر). وعمره سبع وسبعون ، وجُمَّله (جعد).

ب ـ إماما التوحيد

ومنهم أبو الحسن الأشعري[1] ، وأبو منصور الماتريدي[2].

جـ ـ إمام الطائفة الصوفية

قوله: (كذا أبو القاسم)

هذه كنيته ، واسمه الجُنيد بن محمَّد سيِّد الطائفة الصوفية وإمامهم، نشأ وولد بالعراق ، وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور[3] ، صحب خاله

---

(١) سبقت ترجمته في ص(٨٧) .

(٢) سبقت ترجمته في ص(٨٧) .

(٣) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ، الفقيه ، صاحب الإمام الشافعي ، كان أحد أئمَّة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، صنَّف الكتب وفرَّع على السُّنن ، مات ببغداد شيخاً سنة (٢٤٠هـ). انظر تاريخ بغداد (٦/ ٦٥).

٨١ـ ومَـالِكٌ وَسَـائِرُ الأئِمَّـهْ كَـذَا أبو القاسِمْ هُدَاةُ الأُمَّـهْ

. . . .

السَّـرِيَّ السَّـقطي[١]، والحـارث المحـاسبـي[٢]، ومحمَّـد بـن علـي القصَّاب[٣]. مات سنة سبع وتسعين ومئتين[٤]، فهو من أهل القرن الثالث.

من كلامه: ما أخذنا التصوُّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات.

ومن كلامه أيضاً: الطرق كلُّها مسدودة على الخلق إلا مَنِ اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن كلامه أيضاً: لو أقبل صادق على الله ألفَ ألفِ سنةٍ، ثمَّ أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر ممَّا ناله.

---

(١) سَرِيُّ بن المغلّس السقطي أبو الحسن، من كبار المتصوِّفة، بغدادي المولد والوفاة، وهو أول من تكلَّم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وهو خال الجنيد وأستاذه، توفِّي سنة (٢٥٣هـ). انظر حلية الأولياء (١٠/ ١١٦ ـ ١٢٧)، وصفة الصفوة (٢/ ٣٧١).

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، من أكابر الصوفية، كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مُبكياً. له تصانيف في الزهد والردِّ على المعتزلة وغيرهم. ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة (٢٤٣هـ). من كتبه: آداب النفوس، شرح المعرفة، البعث والنشور. انظر حلية الأولياء (١٠/ ٧٣)، طبقات الشافعية (٢/ ٣٧).

(٣) محمَّد بن علي القصَّاب أبو جعفر الصوفي البغدادي كان أستاذ الجُنيد، وهو من أصحاب سُمنون، مات سنة (٢٧٥هـ). انظر طبقات الأولياء (١٣٦)، تاريخ بغداد (٣/ ٦٢).

(٤) كذا في (د)، وفي طبقات الأولياء لابن الملقن ص(١٢٦). وفي (م) تسع وتسعين ومئتين.

ومن كلامه أيضاً: إن بدت ذَرَّةٌ من عين الكرم والجود ألحقت المسيء بالمحسن، وبقيت أعمالهم فضلاً لهم.

ومن كلامه أيضاً: من الأعمال ما لا تطَّلع عليه الحفظة، وهو ذكر الله بالقلب، وما انطوت عليه الضمائر من الهيبة والتعظيم لله، واعتماد الخوف، وإجلال أوامره ونواهيه[١].

ومن كلامه أيضاً: احفظوا ساعاتكم؛ فإنَّها زائلة غير راجعة، وصِلُوا أورادكم تجدوا نفعها في دار الإقامة، ولا يشغلكم عن الله قليل الدنيا؛ فإنَّ قليلها يشغل عن كثير الآخرة.

وكان من أوراده أربعمئة ركعة / كلَّ يوم، وكان صائم الدهر ٤٣/ب لا يفطر إلا إذا دخل عليه إخوان، فيأكل معهم وهو ساكت، ويقول: (ليست المساعدة مع الإخوان بأقلَّ من فضل الصوم).

ودخل عليه إبليس في صورة نقيب فقال: أريد أن أخدمك بلا أجرة، فقال له: افعل، فأقام يخدمه عشر سنين، فلم يجد قلبه غافلاً عن ربِّه لحظة واحدة، فطلب الانصراف، وقال له: أنا إبليس. فقال له: عرفتُك من أوَّل ما دخلتَ، وإنَّما استخدمتك عقوبة لك؛ فإنَّه لا ثواب لأعمالك في الآخرة، فقال: ما رأيت [مثل][٢] قوَّتك يا جُنيد، فقال: اذهب يا ملعون أتريد أن تُدْخِل عليَّ الإعجاب بنفسي؟ ثمَّ خرج خاسئاً.

وفضله كالشمس في رابعة النهار. ألحقَنا الله بنسبه وحسبه.

---

(١) حتَّى الاعتقاد (الإيمان والكفر) لا تطَّلع عليه الملائكة، ولكن يجعل الله لهم علامة على ذلك. انظر تحفة المريد (٩٧).

(٢) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

٨١ـ ومَـالِكٌ وَسَـائِرُ الأَئِمَّـةْ   كَـذَا أَبو القاسِمْ **هُدَاةُ الأُمَّـةْ**
٨٢ـ **فَواجِبٌ تَقْلِيدُ حَبرٍ مِنْهُمُ**   كَذَا حَكَى القَومُ بِلَفْظٍ يُفْهَمُ

. . . .

قوله: (هداة الأمَّة)

أي: فيجب علينا أن نعتقد أنَّ مالكاً، ومَنْ ذُكِر معه أهل الهداية للأمَّة المحمديَّة التي هي خير الأمم، فهم خيارهم بعد الصحابة.

وجوب تقليد أحد الأئمَّة الفقهاء الأربعة

قوله: (فواجب تقليد حَبْر منهم)

أي: فيجب عند الجمهور على كلِّ من لم يكن فيه أهليَّة الاجتهاد المطلق الأخذ بمذهب عالِم من هؤلاء الأربعة، ولا يجوز تقليد غيرهم بعد عقد الإجماع عليهم[1]؛ لأنَّ مذاهب الغير لم تدوَّن، ولم تضبط، بخلاف هؤلاء؛ فإنَّهم أحاطوا علماً بأقوال جميع الصحابة أو غالبها، وعُرفت قواعد مذاهبهم، ودوِّنت مذاهبهم، وخدمها تابعوهم وحرَّروها، وصارت متواترة؛ ليخرج في الأحكام الفرعية من عهدة التكليف بهذا التقليد؛ لأنَّ المذاهب لا تموت بموت أصحابها، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] وقوله ﷺ: «مَن قَلَّدَ عالِماً لَقِيَ اللهَ سالِماً»[3]، ولا بدَّ لكلِّ من يقلِّد مذهباً أن يعتقد أنَّه أرجح

---

(١) لكن جوَّز بعضُهم تقليد غيرهم في غير الإفتاء، كما قال:
وجـائـزٌ تقليـدُ غيـرِ الأربعـهْ   في غيرِ إفتاءٍ وفي هـذا سَعـهْ
انظر تحفة المريد (٩٥).

(٢) سورة النحل (٤٣).

(٣) لا أصل له. وإنَّما هو من كلام بعض أهل العلم، كما تجده في الأسرار =

من غيره أو مساوٍ له؛[١] فإن اعتقد مرجوحيَّته لا يصحُّ له تقليده.

قوله: (كذا حكى القوم بلفظٍ يُفهم)

مراده بالقوم أهل أصول الفقه، ومعنى قوله: (يفهم) أي: واضح الدلالة. وأَمَّا التقليد في العقائد فقد علمته في صدر المنظومة[٢]، وأَخْذُنا بمذهب الأشعريِّ والماتريديِّ ليس تقليداً لهم؛ لوقوفنا على أدلَّتهم[٣]، والواقف على الدليل ليس مقلِّداً، وإنَّما المقصود موافقتهم في الاصطلاحات وفي وجه الاستدلال. وكذلك الأخذ بطريق الجُنيد ليس فيه تقليد لا في الفروع ولا في الأصول، وإنَّما هو اتِّباع في كيفيَّة العمل على طبق السنَّة أصلاً وفرعاً. فافهم.

= المرفوعة للملاَّ علي القاري ص(٣٨٨).

(١) هذا شرط من شروط التقليد التي جمعها أحدهم بقوله:

عـدمُ التَّتبُّـع رُخْصَـةً وتـركُّـبٌ   لحقيقـةٍ مـا إنْ يقـولُ بهـا أَحَـدْ
وكـذاكَ رجحـانَ المقلَّـدِ يَعْتَقِـدْ   ولحـاجـةٍ تقليـدُهُ تـمَّ العـدَدْ

انظر تحفة المريد (٩٥).

وبيان هذه الشروط: ١ـ عدم تتبع الرخص، ٢ـ عدم التلفيق، ٣ـ اعتقاد رجحان المذهب الذي يقلِّده، ٤ـ الحاجة للتقليد؛ وذلك لمن فقد شروط الاجتهاد.

(٢) انظر ص(١٠٨) وما بعدها من هذا الكتاب.

(٣) أي: أصبحنا عارفين بأدلَّتهم. والمعرفة هي: الجزم المطابق للواقع عن دليل. انظر ص(١٠٣) من هذا الكتاب.

ثبوت الكرامات لأولياء الله تعالى

قوله: (وأثبتن للأوليا الكرامه)

٤٤/أ قصد المصنِّف بهذه المسألة الردَّ على المعتزلة القائلين / بعدم ثبوتها لهم، فردَّ عليهم بذلك. أي: ممَّا يجب اعتقاده ثبوت الكرامات للأولياء، أي: فهي واقعة شرعاً جائزة عقلاً.

والأولياء: جمع وليٍّ، وهو المواظب على الطاعات، التارك للمنهيَّات، المعرِض عن اللذَّات والشهوات، فلا يفعل شهوة من حيث هي شهوة، بل أفعاله دائرة بين واجب ومندوب، مثلاً يأكل بقصد التقوِّي على الطاعات، وينكح بقصد عفَّة الزوجة والنسل، وبالجملة فأفعاله ليست بشهوات.

وسمِّي وليَّاً؛ لأنَّه تولَّى خدمة الله، أو لأنَّ الله تولَّى أمره، فلم يَكِلْه لغيره طرفة عين، فمن شرطه أن يكون عنده حسنُ توكُّلٍ على خالقه. قال بعض العارفين:

يا قلبُ إن كُنْتَ قلبي لا تملْ للغير

وفي الحديث: «لو توكَّلْتُم على الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كما يرزُقُ الطَّيرَ، تَغدُو خِماصَاً وتَرُوح بِطاناً»(١).

قوله: (الكرامه)

هي أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوَّة، ولا هو مقدِّمة

---

(١) أخرجه ابن حِبَّان (٧٣٠). وأحمد (١/ ٣٠). والترمذي (٢٣٤٤). والحاكم (٤/ ٣١٨). وصحَّحه الترمذي.

٨٣ـ وأَثْبِتَنْ لِلأَوْلِيَا كَرَامَهْ ومَن نَفَاهَا فانْبِذَنْ كَلامَهْ

لها ، يظهر على يد شخص ظاهر الصلاح ، ملتزم لمتابعة نبيِّه .

فخرج بـ (الخارق للعادة) السِّحْر ونحوه ، وبقوله : (غير مقرون بدعوى النبـوَّة) المعجزة ، وبقولـه : (ولا هو مقدِّمـة لهـا) الإرهـاص ، وبقوله : (ظاهر الصلاح) المعونة والاستدراج والإهانة .

وقولنا فيما تقدَّم : (أي : فهي واقعة شرعاً جائزة عقلاً) دليلُ ذلك :

ما ورد في القرآن من قصَّة مريم ، وولادتها عيسى من غير زوج ، مع كفالة زكريَّا لها وحفظها[١] . وقصَّة آصَف ـ بالمدِّ وفتح الصاد ـ ومجيئه بالعرش قبل أن يرتدَّ طرف سليمان عليه الصلاة والسلام إليه ، حيث كان يعرف الاسم الأعظم ، ودعا الله به .

وما وقع من كرامات الصحابة[٢] والتابعين إلى وقتنا هذا .

قوله : (ومن نفاها)

أي : كأبي عبد الله الحَليمي[٣] من أهل السنَّة ، والمعتزلةِ حيث

---

(١) وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ سورة آل عمران (٣٧) وما بعدها .

(٢) كقصَّة عمر ـ رضي الله عنه ـ مع سارية . انظر جامع كرامات الأولياء (١/ ١٥٧) . وكقصَّة العلاء بن الحَضرمي ـ رضي الله عنه ـ في المشي على الماء ، والاستسقاء لصحبه . انظر صفة الصفوة (١/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥) ، وكقصَّة سفينة مولى رسول الله ﷺ مع السبع . انظر صفة الصفوة (١/ ٦٧١) . وغير هذا من الكرامات .

(٣) الحسين بن الحسن بن محمَّد بن حليم ـ فالحليمي نسبة إلى جدِّه هذا ـ البخاري الجرجاني أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، قاضٍ ، كان رئيس أهل الحديث فيما وراء النهر . ولد بجرجان سنة (٣٣٨هـ) ، وتوفِّي في بُخارى (٤٠٣هـ) . له =

٨٣ـ وأَثْبِتَـنْ لِـلأَوْلِيَـا الكَـرَامَـهْ   ومَـن نَفَـاهَـا فـانْبِـذَنْ كَـلاَمَـهْ

. . . .

قالوا: (لو وجدت الكرامات لالتبست بمعجزات الأنبياء، فيلتبس النبيُّ بغيره، ولو وجدت واستمرَّت لكثرت وخرجت عن كونها خارقة للعادة).

والجواب عن ذلك: لا نسلِّم التباس الوليِّ بالنبيِّ للفرق بينهما، وهو دعوى النبوَّة وعدمها.

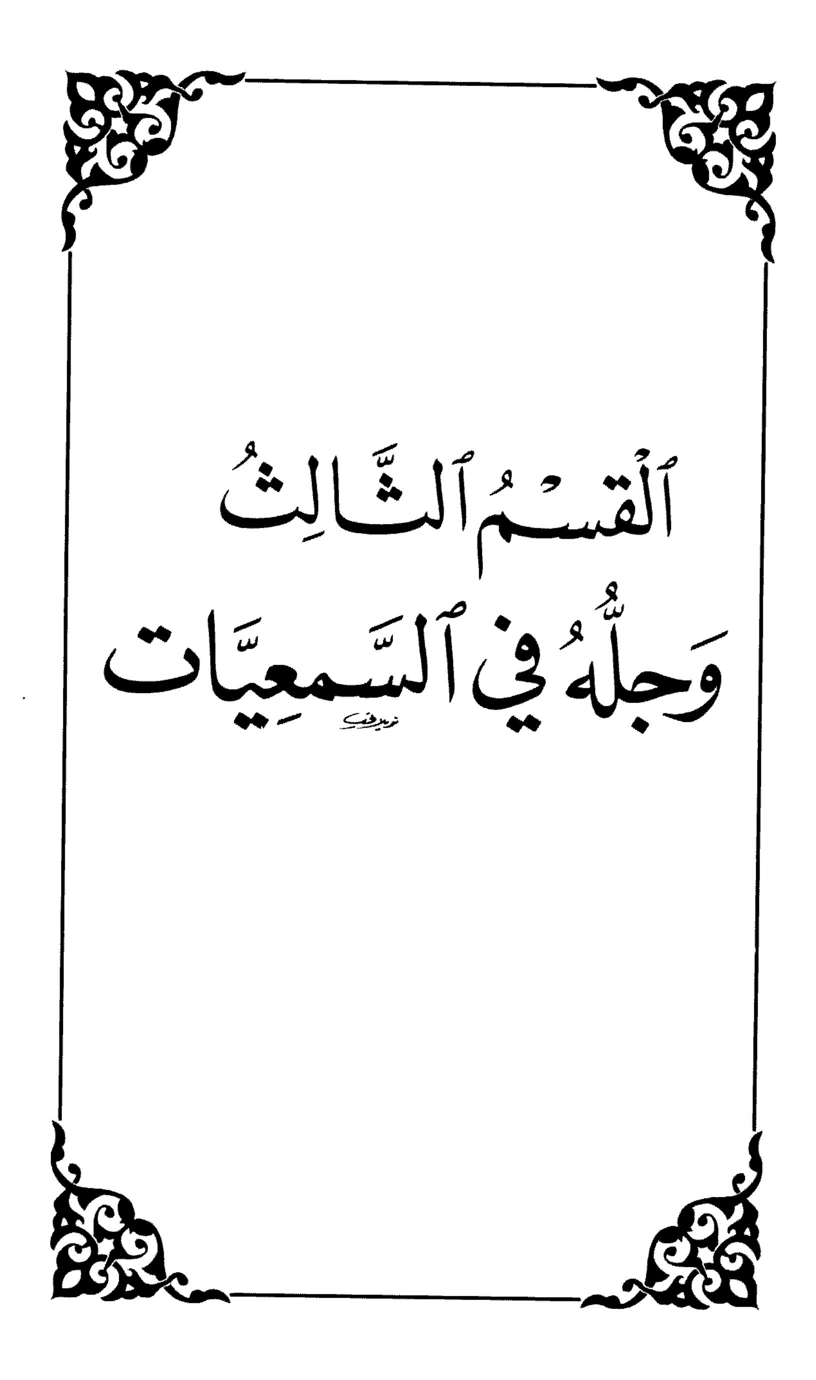
ولا نسلِّم أنَّ كثرتها تصيِّرها غير خارقة، بل تفيد استمرار الخارق، وهو أمر واقع لاشكَّ فيه.

وسئل بعضهم: لأيِّ شيء كَثْرَةُ الكرامات في الزمان المتأخِّر دون الزمن المتقدِّم؟ فأجاب: بأنَّ ذلك لضعف إيمان المتأخِّرين، فاحتيج لتوليفهم بالكرامات؛ ليعتقدوا في الصالحين، وأمَّا في الزمن المتقدِّم فاعتقادهم تابع لميزان الشرع.

قوله: (فانبذن كلامه) أي: اطرحه، ولا تلتفت له.

* * *

= منهاج الدِّين في نحو ثلاث مجلدات. انظر الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنَّة المشرَّفة لمحمد الكتَّاني (٤٤).



ٱلْقِسْمُ ٱلثَّالِثُ
وَجلُّهُ فِي ٱلسَّمعِيَّات

٨٥ـ بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُوْنَ وُكِّلُوا وكَـاتِبُـوْنَ خِيْـرَةٌ لَـن يُهْمِلُـوا

. . . .

﴿ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1] ، وفي الحديث: «دَعْوةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وإِنْ كانَ كافِراً»[2].

ولسرعة الإجابة بعين المطلوب شروط منها: أكل الحلال ، والثقة بالله.

وله آداب منها: الوضوء ، واستقبال القبلة ، ورفع الأيدي ، وتخليله بالصلاة على النبيِّ ﷺ ، وختمه بها.

مهمّة الحفَظة والكتَبة من الملائكة

قوله: (بكلِّ عبد)

أي: من بني آدم ذكراً كان أو أنثى ، حرَّاً أو رقيقاً ، مؤمناً أو كافراً، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[3] وهذا من جملة التكريم.

---

(١) سورة البقرة (١٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٦٧) عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «دَعوَةُ المظلومِ مُستجابَةٌ ، وإن كَانَ فاجِراً ففُجُورُه على نَفسِه» ، وإسناده ضعيف من أجلِ نجيح بن عبد الرحمن أبي معشر.
وروي بلفظ: «إيَّاكُم ودَعْوةَ المظلُومِ ، وإِن كانَ كافِراً؛ فإنَّه ليسَ لها حِجابٌ دونَ اللهِ».
أخرجه ابن معين في التاريخ (٤/٤٥٨). والقضاعي في مسند الشهاب (٩٦٠). وإسناده ضعيف. وله شاهد عند أحمد (٣/١٥٣) ، فالحديث صحيح بالشواهد.

(٣) سورة الإسراء (٧٠).

٨٤ ـ وعِنْدَنَا أَنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ   كَمَا مِنَ القُرْآنِ وَعْداً يُسْمَعُ

. . . .

الدُّعاء نافع

(شروطه وآدابه)

قوله: (وعندنا أنَّ الدُّعاء ينفع)

أي: ممَّا يجب اعتقاده أنَّ / الدُّعاء عند أهل السنَّة نافع ممَّا نزل ٤٤/ب
وممَّا لم ينزل، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [(١)]،
وينفع ولو من الكافر[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[(٣)]
أي: دعاؤه بالجنَّة والمغفرة ورضا الله.

قوله: (كما من القرآن وعداً يسمع)

أي: فإنَّ الله وعد به في القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٤)] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

---

(١) سورة الفرقان (٧٧).

(٢) فقد دعا كفَّار مكَّة حين أرادوا أن ينفروا في غزوة بدر، وهم متعلِّقون بأستار الكعبة، فقالوا: (اللهمَّ إنْ كان محمَّدٌ على حقٍّ فانصره، وإن كنَّا على الحقِّ فانصرنا). انظر مدارك التنزيل (٢/ ٩٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ سورة الأنفال (١٩).
وانظر تفسير روح المعاني (٩/ ١٨٧).

(٣) سورة الرعد (١٤).

(٤) سورة غافر (٦٠).

٨٥ـ بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُوْنَ وُكِّلُوا   وكَـاتِبُـوْنَ خِيْـرَةٌ لَـن يُهْمِلُـوا

فيقول لهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: يا ربَّنا تركناهم وهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون»[١].

ولا يفارقون الشخص أبداً إلى الممات، فإذا مات فقد فرغ حفظهم له. وهم: واحد على يمينه، وآخر على شماله، وآخر أمامه، وآخر خلفه، واثنان على عينيه، وواحد على شفته، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبيِّ ﷺ، وواحد آخذ بناصيته، فإن تواضع رفعه، وإن تكبَّر خفضه[٢].

إن قلت: إنَّا نجد تخلُّف حفظهم له بأن تُفقأ عينُه مثلاً.

يُجاب بأنَّ هذا أمر مبرم، فلا بدَّ من إنفاذه، وهكذا كلُّ مبرم.

والكتبة: ملكان رقيب وعتيد، ومحلُّهما كما في الحديث ناجذاه[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة مرفوعاً. وليس عندهما تعيين عدد الملائكة.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري: وأخرج الطبري من طريق كنانة العدوي أن عثمان سأل النبي ﷺ عن عدد الملائكة الموكَّلة بالأدميّ، فقال: «لكلِّ آدميٍّ عشرة بالليل وعشرة بالنهار، واحد عن يمينه وآخر عن شماله، واثنان من بين يديه ومن خلفه، واثنان على جنبيه، وآخر قابض على ناصيته، فإن تواضع رفعه وإن تكبَّر وضعه، واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه إلا الصلاة على محمد ﷺ، والعاشر يحرسه من الحيَّة أن تدخل فاه». فتح الباري (٨/ ٤٧٤). وانظر تفسير الطبري (٨/ ١١٥).

(٣) قوله: (ومحلهما ناجذاه. . . ، وقلمهما لسانه، ومدادهما ريقه) ليس من كلام النبي ﷺ، قال الألوسي في التفسير (٢٦/ ١٧٩): لا يصحُّ. وقد أخرجه ابن أبي الدُّنيا في الصمت (٨١ ـ ٨٢) عن سيِّدنا عليّ قال: (لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداده). وأخرجه أيضاً عن الحسن برقم (٥٧٩).
وباقي الحديث الذي ذكره الصاوي أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٨٧) عن =

٨٥ـ بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُوْنَ وُكِّلُوا   وكَـاتِبُـوْنَ خِيْـرَةٌ لَـن يُهْمِلُـوا

. . . .

قوله: (حافظون وكِّلوا)

أي: وكَّلهم الله بحفظ ذواتهم من العاهات والآفات؛ لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[١] أي: من ضرر خلقه الجنِّ والإنس والحيَّات، وقيل: (مِن) بمعنى الباء، أي: بأمر الله[٢] من المكروهات، فإذا جاء القدر تخلَّوا عنه. قال كعب الأحبار[٣]: (لولا أنَّ الله تعالى وكَّل بكم حفظة يَذُبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم لتخطَّفتكم الجنُّ).

قوله: (وكاتبون)

جمع كاتب، واختُلف في العطف، فقيل للتفسير، وعليه فالحفظة همُ الكتبة، وجُمِع باعتبار الأفراد. وقيل: للتغاير، وعليه فالحفظة غير الكتبة وهو المعتمد؛ لأنَّه ورد «أنَّ الحفظة عشرة بالليل وعشرة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح والعصر، فيسألهم الله ـ وهو أعلم بهم ـ

---

(١) سورة الرعد (١١) وتمامها ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

(٢) قال ابن عباس: (هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خَلَّوا عنه). انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ٣٦٤).

(٣) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحق، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، أخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، توفِّي في حمص سنة (٣٢هـ) عن مئة وأربع سنين. انظر حلية الأولياء (٥/ ٣٦٤) وما بعدها.

٨٥ـ بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُوْنَ وُكِّلُوا   وكَـاتِبُـوْنَ خِيْـرَةٌ لَـن يُهْمِلُـوا

. . . .

ـ وهما مؤخَّرا / أضراسه اليمين واليسار ـ وقلمهما لسانه ، ومدادهما ٤٥/ ريقه[١] ، وجعل الله كاتب الحسنات أميراً على كاتب السيئات ، فإن فعل حسنة كتبت حالاً ، وإن فعل سيِّئة يقول كاتب السيِّئات : أأكتب؟ فيقول له كاتب الحسنات : اصبر لعلَّه يستغفر أو يتوب ، فإن تاب كتبت حسنة ، فإن لم يتب بعد ستٍّ ساعات فلكيَّة قال له كاتب الحسنات : أُكتب أراحنا الله منه .

وتُعرَض صحائف الأعمال صباحاً ومساء على رسول الله ، فإن رأى خيراً حَمِدَ الله وشكر لصاحبه ، وإن رأى غير ذلك استغفر لفاعله[٢] .

= أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «صاحِبُ اليمينِ أميرٌ على صاحِبِ الشِّمالِ ، فإذَا عَمِلَ العَبدُ حسنةً أثبتَها . وإذا عمِلَ سيِّئةً قالَ لهُ صاحبُ اليمينِ : أُمكُثْ سِتَّ ساعاتٍ ، فإذا استغفَرَ لم يُثبِتْ وإلا أَثْبتَ عليه السيِّئة» . وإسناده ضعيف . وسياق الصاوي : «وجَعَلَ اللهُ كاتب . . .» أخرجه بنحوه ابن جرير في التفسير (٨/ ١٣ ـ ١١٥) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٢٢) غريب جدّاً اهـ . وقول الصاوي (فلكيَّة) إدراج .

(١) وقد أورد الباجوري في هذا البحث أقوالاً كثيرة ، لكنَّه أخيراً أرجع الأمر إلى الله سبحانه ، فقال : والأسلم في أمثال ذلك الوقف . انظر تحفة المريد (٩٨) .

(٢) أخرج البزّار في مسنده (٥/ ٣٠٨) رقم (١٩٢٥) عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «حياتي خَيرٌ لكم تُحدِثُونَ ونُحدِثُ لكم ، ووفاتي خيرٌ لكم ، تُعرض عليَّ أعمالكم فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدتُ اللهَ عليه ، وما رأيت من شرّ استغفرتُ اللهَ لكم» .

٨٥ـ بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُوْنَ وُكِّلُوا   وكَـاتِبُـوْنَ خِيْـرَةٌ لَـن يُهْمِلُـوا
٨٦ـ مِنْ أَمْرِهِ شَيئاً فَعَـلْ ولَو ذَهِلْ   حتَّى الأَنِيْنَ في المَرَضْ كَما نُقِلْ

قوله: (لن يهملوا من أمره شيئاً فعل)

أي: لا يتركون من شأنه شيئاً إلا كتبوه قولاً أو فعلاً أو عزماً، فالمراد بالفعل ما يعمُّ القول وغيره، ولا يفارقون العبد إلا في أحد مواضع ثلاث: عند الخلاء والجماع والغسل؛ لوجود كشف العورة عند ذلك. ويعرفون السيِّئة بنتن رائحتها، والحسنة بطيب رائحتها.

قوله: (ولو ذَهِل)

أي: حال صدور ذلك الأمر منه. وحكمة الكتابة أنَّ العبد إذا علم بها استحى[1] وترك المعصية.

قوله: (كما نُقِل)

أي: عن الأئمَّة الذين نقلوه، وقالوا به، ومن أعظمهم الإمام مالك. قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2] فإذا مات الإنسان جلس كاتباه على قبره، فإن كان محسناً استغفرا له، وإلا لعناه حتَّى تقوم القيامة.

---

(١) الحياء: التوبة والحشمة، وقد حيي منه حياء، واستحيا، واستحى، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين. لسان العرب (حيا).
(٢) سورة ق (١٨).

قوله: (فحاسب النفس)

أي: على ما وقع منها؛ لتريح الملائكة من التعب، فلا تتكلَّم إلا بخير، ولا تفعل إلا خيراً؛ فإنَّ من حاسب نفسه بنفسه وُقِيَ حساب الآخرة، وفي الحديث: «حَاسِبُوا أَنفُسَكُم قبلَ أن تُحاسَبُوا»[٢].

قوله: (وقلِّل الاملا)

أي: قصِّر أملك. **والأَمَل**: ما تحبُّه النفس، فلا تتعلَّقْ بالفاني فتُحرمَ من الباقي، وتأمّل قوله عليه الصلاة والسلام: «فهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إليهِ»[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «كُن في الدُّنيا كَأَنَّكَ غَريبٌ أَو عابِرُ سَبيل، وعُدَّ نفسَكَ من أهل القبور»[٤].

---

(١) وفي رواية: وقِلَّ الأملا.

(٢) لا أصل له من كلام النبي ﷺ، وإنَّما هو من كلام سيِّدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ في خطبة له: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية.
أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٠٦). وابن أبي شيبة في المصنَّف (١٦٣٠٦). وأحمد في الزهد (٦٣١). وغيرهم من كلام عمر. ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري (١). ومسلم (١٩٠٧) عن عمر بن الخطَّاب مرفوعاً ضمن سياق حديث: «إنَّما الأعمال بالنيَّات».

(٤) روى البخاري الشطر الأول منه: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غَريبٌ أَوْ عابرُ سبيلٍ» برقم (٤٦١٦). وزاد البخاري: (وكان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك).
ورواه بالسياق الذي ذكره الصاوي: أحمد في المسند (٢/ ٢٤ ـ ٤١). والترمذي رقم (٢٣٣٣). وابن ماجه رقم (٤١١٤).

٨٧ـ فَحَاسِبِ النَّفْسَ وقَلِّلْ الامَلاَ **فرُبَّ مَن جَدَّ لأَمْرٍ وَصَلاَ**
٨٨ـ **ووَاجِبٌ إيمَانُنا بِالمَوتِ** ويَقْبِضُ الرُّوحَ رَسُولُ المَوْتِ

. . . .

وقالَ بعضهم:

تَسَلَّ عن الدُّنيا وكُن مُتَجَنِّبا زَخَارِيفَها واعتدَّ للسَّير والسَّفَرْ
ولا تَلتَمِسْ مِنها سِوى سَتْرِ عَوْرَةٍ وَقُوتِ كَفَافٍ وَارضَ مِنها بما حضَرْ
وإيَّاك يوماً يستميلُك مَالُها فكم من غَنِيٍّ بعد مَالٍ قَدِ افتَقَرْ
ومَا هِيَ إلا دارُ يُسْرٍ وعُسْرَةٍ وفَرْحٍ وأَحْزانٍ وفي صَفْوِها الكَدَرْ
إذا جمعَتْ شَمْلاً سَعَت في فِراقِهِ فَكَم خَرَّبَتْ قَصْراً وَكَم عَمَّرتْ حُفَرْ

قوله: (فَرُبَّ من جدَّ لأمر وصلا)

أي: فمن اجتهد في شيء فقد وصل إليه، فاجعل اجتهادك في
٤٥/ب طاعة ربِّك؛ لتصل بذلك إلى أعلى / علِّيِّين، ولا تجعل الدُّنيا أكبر
همِّك ولا مبلغ علمك.

وجوب الإيمان بالموت

قوله: (بالموت)

أي: إنَّ التصديق بالموت واجب، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2] وهو عَرَض[3] يضادُّ الحياة، وليس

---

(١) سورة الزمر (٣٠).
(٢) سورة آل عمران (١٨٥).
(٣) العَرَض مقابل الجوهر، وهو الصفة. والمقصود بالعَرَض هنا شيء وجودي من=

بعدم محض [١] ، وإنَّما هو انتقال من دار إلى دار ، فكلُّ من مات فقد انتقل من عالم الدُّنيا إلى البرزخ ، فإنَّ من مات على الإيمان تمنَّى عدم العود إلى الدنيا؛ لأنَّ عالم البرزخ في اتِّساعه بالنسبة للدنيا كالدنيا بالنسبة لبطن الأم ، وأمَّا إن مات على الكفر ـ والعياذ بالله ـ تمنَّى العود إلى الدنيا؛ لما يرى من ضيق برزخه وعذابه ، فالدنيا سفينة موصلة للبرزخ ، والبرزخ موصل لدار القرار.

قوله: (ويقبض الرُّوح) أي: يخرجها ، ويأخذها بإذن الله.

قوله: (رسول الموت)

هو عزرائيل عليه السلام ، ومعناه عبد الجبَّار ، مَلَك عظيم هائل المنظر مفزع جدّاً ، رأسه في السماء العليا ، ورجلاه في تخوم الأرض السُّفلى ، ووجهه مقابل للوح المحفوظ ، والخلق بين عينيه ، وله أعوان [٢] بعدد من

= باب: عَرَض الموت للإنسان فمات ، وليس بشيءٍ عدميٍّ ، وهو عدم الحياة فقط. أي: ليس صفة سلبية ، وإنَّما هو صفة ثبوتية ، كقولنا مثلاً: ذهب لون البياض ، فأتى لون السواد.

(١) يُـقرِّرُ بقوله: (وليس بعدم محض) أنَّ الموت شيء وجودي ، وفي ذلك نفي قول المعتزلة الذين يرون أنَّ الموت عَدَم مَحْض. وقد تعرَّض المفسِّرون إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ . . . ﴾ سورة تبارك (٢). انظر مثلاً تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/٤٨) ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٩٧).

(٢) أورد السحيمي أخباراً عن أعوان ملك الموت ، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام ٦١] قال ابن عباس: أي أعوانه ، رواه ابن أبي حاتم وابن أبي شيبة. وأخرج ابن أبي الدنيا عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ [القيامة: ٢٧] قال: أعوان ملك الموت ، يقول بعضهم لبعض: مَن يرتقي بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه؟
وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ =

يموت ، يجذبون الرُّوح حتَّى تصل إلى الحلقوم ، فيأخذها هو بيده.

واعلم أنَّ الله قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ . . . ﴾ (٣)

فكيفيَّة الجمع بينها أن تقول :

ـ آية الرسل محمولة على المعالجة .

ـ وآية ملَك الموتِ محمولة على المباشرة بالفعل .

ـ وآية قبض الله محمولة على الفعل الحقيقي .

وملك الموت يقبض جميع الأرواح حتَّى روحه هو (٤) ، فيتمنَّى أنَّه لم يقبض روح بعوضة ؛ لما يلقى من الحرارة .

إن قلت : إنَّ شهداء المحبَّة والغريق وبعض أفراد ورد أنَّ الله يقبض أرواحهم بيده .

= [النازعات : ٥] قال : ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم ، فمنهم من يعرج بالروح ، ومنهم من يؤمِّن على الدعاء ، ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلَّى عليه ، ويدفن في حفرته اهـ.
المزيد على إتحاف المريد (ج٢ ق١٦١/ أ).

(١) سورة الأنعام (٦١).

(٢) سورة الزمر (٤٢).

(٣) سورة السجدة (١١).

(٤) قال السحيمي : وآخر من يموت عزرائيل. وهل يقبض روح نفسه ، أم يقبضها الله؟ احتمالان. أظهرهما أن الله تعالى هو الذي يقبضها ، فيقول : وعزَّتك لو علمت من سكرات الموت ما أعلم ما قبضتُ نفسَ مؤمنٍ. المزيد على إتحاف المريد (ج٢ ق ١٦١/ ب).

قلت: لا ينافي حضورَ ملك الموت وأعوانه؛ لأنَّه يُحْجَبُ عنهم بشهود الله عند خروج روحه، فلا يشهد ملكاً يقبضها، فلذا يسهل عليه خروجها.

المقتول ميِّت بأجله

قوله: (وميِّت بعمره مَن يقتل)

أي: إنَّه ممَّا يجب اعتقاده أنَّ الأجل واحد لا يتعدَّد، حتَّى إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون [1]، وإنَّ كلَّ إنسان يموت عند حضور أجله من غير مدخليَّة للقاتل فيه؛ فإنَّه لو لم يُقتلْ لجاز أن يموت في ذلك الوقت، وإنَّما القتل سبب لموته. قال بعضهم:

ومَنْ لَمْ يَمُتْ بالسَّيفِ ماتَ بغيرِهِ تَنوَّعَتِ الأسبابُ والموتُ واحِدُ

وفي هذا ردٌّ على المعتزلة القائلين: إنَّ القاتل قطع على المقتول أجله، فلو تحفَّظ منه / لعاش إلى تمام أجله. ٤٦/أ

ويَرِد عليهم بأنَّه يلزم عليه أنَّ الله مُكْرَه، وأنَّه يقع في ملكه ما لا يريده ـ تعالى الله عن ذلك ـ وهذا منهم بناء على أنَّ العبد يخلق أفعال نفسه، وتقدَّم بطلانه [2].

قوله: (وغير هذا باطل لا يقبل)

أي: غير ما تقدَّم غير مطابق للواقع، فلا يقبل عند العقلاء المتمسِّكين بالحقِّ.

---

(١) يريد آية الأعراف (٣٤)، والنحل (٦١): ﴿... فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

(٢) انظر ص(٢٣٠ ـ ٢٣١) من هذا الكتاب.

٩٠ـ وفي فَنَا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتُلِفْ واسْتَظْهَرَ السُّبكِيْ بَقَاهَا الَّذْ عُرِفْ

. . . .

الخلاف في فَناء الرُّوح

قوله: (وفي فنا النفس لدى النفخ اختُلف)

حاصله أنَّ العلماء اختلفوا في موت الروح عند النفخة الأولى، فقيل بموتها؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١]. وقيل: بعدمه. فقبل النفخة الثانية لا يبقى أحد[٢] حيًّا إلا الملائكة الأربعة الرؤساء، وموسى؛ لأنَّه صَعِق في الدنيا فجُوزِيَ[٣] بها.

قوله: (واستظهر السُّبكي)

هو الإمام أبو الحسن تقيُّ الدين عليُّ بن عبد الكافي[٤].

---

(١) سورة الرحمن (٢٦).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة الزمر (٦٨ ـ ٦٩).

(٣) وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأعراف (١٤٣).

(٤) تقيُّ الدين علي بن عبد الكافي بن عليِّ بن تمام السُّبكي الأنصاري الخزرجي أبو الحسن، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحُفَّاظ المفسِّرين، وهو والد التاج السبكي، ولد في سُبك بمصر سنة (٦٨٣هـ)، وتوفي فيها سنة (٧٥٦هـ). من كتبه: الابتهاج في شرح المنهاج. انظر الدرر الكامنة (٣/ ١٧٧)، هدية العارفين (١/ ٧٢٠).

٩٠ـ وفي فَنَا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتُلِفْ   واسْتَظْهَرَ السُّبْكِيْ بَقَاهَا الَّذْ عُرِفْ
٩١ـ عَجْبُ الذَّنَبْ كالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحا   المُــزَنِــيُّ لِلْبِلَـى وَوَضَّحــا

. . . .

قوله: (بقاها الذ[١] عُرف)

أي: الذي عُهد سابقاً؛ فإنَّ العلماء اتَّفقوا على أنَّ الأرواح باقية بعد الموت؛ لسؤالها في القبر والجواب، والنعيم والعذاب، والأصل الاستمرار حتَّى يصرف عنه[٢]، وهذا هو المعتمد.

الخلاف في فَناء عَجْب الذَّنب

قوله: (عَجْب الذنب كالروح)

أي: فقد اختُلف فيه، فقيل: يبلى، وقيل: لا، وهو الصحيح؛ لحديث الصحيحين: «لَيسَ مِنَ الإنسانِ شَيءٌ إلا يَبلَى إلَّا عَظْماً واحِداً، وهو عَجْب الذنَبِ، مِنـهُ خَلْق الخَلْقِ يومَ القيامةِ»[٣]. وعند مسلم

---

(١) في (الذي) أربع لغات: (الذي) بياء ساكنة، و(الذيّ) بياء مشددة، و(الذِ) بكسر الذال مِنْ غير ياء، و(الذْ) بسكون الذال مِنْ غير ياء. أسرار العربية لابن الأنباري (٣٧٩).

(٢) جاء في إتحاف المريد: والأصل في كل باقٍ استمراره حتى يظهرَ ما يَصْرفُ عنه. اهـ (١٣٨).
وعلى هذا: فالروح في الأصل باقية، ولا نقول بفنائها إلا بدليل على ذلك، ولما لم يوجد فهي على أصلها من البقاء.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة مرفوعاً.

بلفظ: «كُلُّ ابنِ آدمَ يأكُلُهُ التُّرابُ إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، منهُ خُلِق، ومنه يُرَكَّب»، وهو عظم كالخَرْدَلة في العصعص آخر سلسلة الظهر، مختصٌّ بالإنسان كغرز الذنب للدابَّة.

قوله: (لكن صححا المزني)

هو الإمام إسماعيل بن يحيى[1]، صاحب الإمام الشافعي.

قوله: (للبلى ووضَّحا)

أي: بيّن ما تمسَّك به[2]، ولكن علمتَ أنَّ الصحيح هو الأوَّل.

---

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني من أهل مصر، كان زاهداً عالماً مجتهداً قويَّ الحجة، وهو إمام الشافِعِيَّة. من كتبه: الجامع الكبير، الجامع الصغير، الترغيب في العلم. نسبته إلى (مُزينة) من مُضَر، وُلِد سنة (١٧٥هـ)، وتوفي سنة (٢٦٤هـ).
انظر وفيات الأعيان (١/ ٢١٧).

(٢) أي: من فناء عجب الذنب؛ تمسكاً بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؛ لأنَّ فناء الكل يستلزم فناء الجزءِ. ووضّح صحةَ ما ذهب إليه بما حاصله:
أنه يجوز أن يُفنيَ اللهُ الإنسان بالتراب، فإذا لم يبق إلا عجبُ الذنب أفناه الله تعالى بلا تراب، كما يُميت ملكَ الموت بلا ملكِ موتٍ.
انظر إتحاف المريد (١٣٩).

٩٢ـ وكُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا   عُمُوْمَهُ فاطْلُبْ لِما قَدْ لَخَّصُوا

. . . .

قوله: (وكلُّ شيء هالك قد خصَّصوا عمومه)

لمَّا تقدَّم أنَّ الروح باقية، وعَجْب الذنب كذلك، وأجساد الأنبياء والشهداء والعرش والجنة والنار والحور كذلك[١]، وَرَد علينا قولُه تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[٢]، فأجاب المصنِّف[٣] عن هذه الآية بأنَّها من العامِّ الذي أريد به الخصوص، أي: فهو مخصوص بما قد وَرَد الشرع ببقائه[٤]، فصارت الكليَّة غير عامَّة لذلك. وأجيب أيضاً بأنَّ المراد قابل للهلاك، وأمَّا هلاكه بالفعل أَوْ لا فشيء آخر، كما قال العارفون:

من لا وُجُودَ لِذاتِهِ مِن ذَاتِهِ   فوجُودُه لَولاهُ عَينُ مُحالِ

قوله: (فاطلب لما قد لخَّصوا) أي: من هذا الجواب.

* * *

---

(١) وقد نظم الجلال السيوطي ثمانية منها بقوله:

ثَمانيةٌ حُكْمُ البقاءِ يعمُّها   مِن الخلق والباقون في حيِّزِ العَدَمْ

هي العرشُ والكرسيُّ نارٌ وجنَّةٌ   وعَجْبٌ وأرواحٌ كذا اللوحُ والقَلَمْ

انظر تحفة المريد (١٠٢).

(٢) سورة القصص (٨٨).

(٣) وقد وضَّح ذلك في كتابه عمدة المريد ج٣ (ق١٤٩/ أ ـ ب).

(٤) في (م) ببقائها. وما أثبتناه من (د).

٩٣ـ ولا تَخُضْ في الرُّوحِ إذ مَا وَرَدا   نَصٌّ عنِ الشَّارِعِ لَكِنْ وُجِدَا

. . . .

الروح وحكم الخوض فيها

قوله: (ولا تخض في الروح. . . إلخ)

اعلم أنَّه اختُلف في الروح، فقال قوم: إنَّها سِرٌّ من أسرار الله تعالى
٤٦/ب لم يُطلع الله عليها / أحداً، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[(١)]، ولكن لم يَخْرُج النبيُّ من الدنيا حتَّى أطلعه الله عليها[(٢)] وعلى غيرها من سائر المغيَّبات التي يليق علمها بالحوادث، وأَمَره الله ببثِّ البعض، وكتم البعض، وخيَّره في البعض. وهذا أكبر دليل على عجز الإنسان، حيث لم يعرف أقرب الأشياء إليه، وهي روحه التي بين جنبيه، وهذا القول هو الحقُّ، أي: فيُكرَه الخوض في الروح.

قوله: (إذ ما وردا نصٌّ عن الشارع)

علَّة للنهيِّ المتقدِّم، أي: فيُكره الخوض؛ لعدم ورود نصٍّ من الشارع ببيان حقيقتها. قال الجنيد[(٣)]: الروح شيء استأثره الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنَّه موجود اهـ. فلا علم لنا بحقيقتها ولا بمقرِّها من الجسد.

---

(١) سورة الإسراء (٨٥).

(٢) وروي خلاف ذلك عن عبد الله بن بُريدة قال: (لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح) أخرجه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٥/ ٣٣٢). والنصوص صريحة في عدم العلم بالروح. والله أعلم.

(٣) انظر ترجمة الشارح للجنيد ص(٣٣٩).

٩٣ـ ولا تَخُضْ في الرُّوحِ إذ مَا وَرَدا   نصٌّ عنِ الشَّارِعِ **لَكِنْ وُجِدَا**
٩٤ـ **لِمَالِكٍ هِيْ صُوْرَةٌ كالجَسَدِ**   فحَسْبُكَ النَصُّ بِهَذا السَّنَدِ

. . . .

قوله: (لكن وجدا لمالك هي صورة كالجسد)

المراد لأصحاب مالك، ونقله النووي[١] عن إمام الحرمين[٢] من السادة الشافعية حيث قال: (إنَّها جسم لطيف شفاف حيٌّ لذاته[٣] مشتبك بالأجساد الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها).

واحتجُّوا لهذا بوصفها بالهبوط والعروج والتردُّد في البرزخ.

وأُورِد على هذا القول: أنَّـه إذا قُطع عضو حيوان لزم قطع نظيره من الروح، فيلزم عليه عدم بقائها، مع أنَّ القول ببقائها هو المعتمد.

أجيب بأنَّ لَطافتها مقتضية لسرعة انجذابها من ذلك العضو المقطوع قبل انفصاله، أو سرعة الالتحام بعد القطع كالأجساد الهوائية وسائر المائعات.

---

(١) سبقت ترجمته في ص(١٣٤ ـ ١٣٥).
(٢) سبقت ترجمته في ص(٢٣٣). وانظر تعريفه للروح في كتابه الإرشاد ص(٣٧٧) فإنَّه لم يذكر فيه (حيٌّ لذاته).
(٣) قوله: (حيٌّ لذاته) مشكلة؛ لأنَّه ليس شيء حيٌّ لذاته إلا الله سبحانه، وقد قال الأمير في حاشيته على إتحاف المريد: (حي لذاته) أي: لا لروح أخرى، وإلا لزم التسلسل اهـ. ص(١٣٩).
وقد أورد الباجوري هذا التعريف على النحو التالي: (إنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون سارية في جميع البدن) ولم يذكر أنها جسم حي لذاته. انظر تحفة المريد (٤٥) و(١٠٣).

وقال العزُّ بن عبد السلام (١):

(إنَّ في كلِّ جسد روحين إحداهما: روح اليقظة التي أجرى الله العادة بأنَّها إذا كانت في الجسد كان الإنسان متيقِّظاً، فإذا خرجت منه نام الإنسان، ورأت تلك الروح المنامات. والأخرى: روح الحياة التي أجرى الله العادة بأنَّها إذا كانت في الجسد كان حيّاً، فإذا فارقته مات، فإذا رجعت إليه حيي، ولا يعلم مقرَّهما إلا مَنْ أطلعه الله على ذلك، فهما كجنينين (٢) في بطن امرأة).

والحقُّ أنَّها روح واحدة مقرُّها ـ على طريقة من خاض فيها (٣) ـ القلب أو البطن أو قرب ذلك، وشعاعها مقوِّم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية
٤٧/أ من زجاج، فأصلها في وسطه، ونورُها / سارٍ في جميع أجزائه. هذا في الحياة، وأمَّا بعد الموت، فأرواح الأنبياء في الجنَّة، وأرواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنَّة (٤)، وأرواح المطيعين غير الشهداء بأفنية

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملَّقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد في دمشق سنة (٥٧٧ هـ)، وزار بغداد، وتوفِّي بالقاهرة سنة (٦٦٠ هـ). من كتبه: ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام، الفوائد. انظر طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٢٠٩) وما بعدها.

(٢) في (م) كجنين في بطن أمك. وما أثبتناه من (د).

(٣) قوله: (على طريق مَن خاض...) إشارة إلى أنَّ الأصل أنْ لا نخوض بالحديث عن الروح؛ إذ قال الناظم في البيت السابق:

ولاَ تَخُضْ في الرُّوحِ إذ مَا وَرَدا نصٌّ عنِ الشَّارعِ.......

(٤) قوله: (وأرواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنة) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم وغيره بألفاظ متقاربة. قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: قوله ﷺ: «في جوف طير خضر» وفي غير مسلم «بطير خضر» وفي حديث آخر «بحواصل طير» وفي الموطأ «إنما نسمة المؤمن طير» وفي حديث آخر عن قتادة=

٩٤ـ لِمـالِكٍ هِيْ صُـوْرَةٌ كالجَسَـدِ   فَحَسْبُكَ النَّـصُّ بِهَـذا السَّنَدِ

. . . .

القبور في البرزخ [١] ، وحَدُّه من أفنية القبور إلى باب الجنَّة ، وأرواح الكفَّار ببئر برَهُوت [٢] بحضرموت [٣] .

قوله : (فحسبك النَّـصُّ بهـذا السنـد)

أي : يكفيك في هذه المسألة ماورد عن أصحاب مالك ، فمراده بالسند : المسند إليهم ، وليس المراد بالسند معناه الأصلي ، وهو طريق الحديث .

* * *

= «في صورة طير أبيض» . قال القاضي : قال بعض المتكلمين على هذا : الأشبه صحَّة قول من قال : (طير أو صورة طير) وهو أكثر ما جاءت به الرواية ، ولا سيما مع قوله : «تأوي إلى قناديل تحت العرش» .
قال القاضي : واستبعد بعضهم هذا ، ولم ينكره آخرون ، وليس فيه ما ينكر ، ولا فرق بين الأمرين ، بل رواية طير ، أو في جوف طير أصحُّ معنى وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم ، وكلُّه من المجوَّزات . فإذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل أو أجواف طير أو حيث يشاء كان ذلك ووقع ، ولم يبعد ، ولا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام . انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/ ٣٢) . وانظر الحديث وتخريجه في (٤٠٨) من هذا الكتاب .

(١) البرزخ هو الحاجز بين الدنيا والآخرة ، وزمانه من الموت إلى القيامة ، ومكانه من القبر إلى عليين . انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد(١٤٠) .

(٢) بَـرَهُوت : بضمِّ الهاء ، وسكون الواو : وادٍ باليمن يوضع فيه أرواح الكفَّار ، وقيل : برهوت بئر بحضرموت ، وقيل : هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر . انظر معجم البلدان (١/ ٤٠٥) .

(٣) حَضْرَمَوت بالفتح ، ثم السكون ، وفتح الراء والميم ، اسمان مركَّبان ، ناحية واسعة في شرقي عَدَن بقرب البحر ، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، وبها قبر هـود ، عليه الصلاة والسلام ، وبقربهـا بئر بَـرَهُوت . انظر معجم البلدان (٢/ ٢٧٠) .

٩٥ـ والعَقلُ كالرُّوحِ ولَكِن قَرَّرُوا فِيه خِلافَاً فانْظُرَنْ ما فَسَّرُوا

. . . .

العقل والخلاف في تعريفه

قوله: (والعقل[١] كالروح)

هو لغة: المنع؛ لأنَّه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل.

واصطلاحاً: اختُلِفَ فيه كالروح؛ فلذا شبَّهَه بها، فقول المصنِّف: (كالروح) أي: من حيث الخوض فيها والوقف عن ذلك.

قوله: (لكن قرَّروا فيه خلافاً)

استدراك على ما يُتَوهَّم من تمام التشبيه، وأنَّ الخلاف الذي في الروح هو عين الخلاف الذي في العقل. قال شيخ الإسلام[٢]: هو غريزة يُتَهيَّأ بها لدرك العلوم النظرية، وكأنَّه نور يُقذَف في القلب[٣].

---

(١) العقل على خمسة أنواع:
الأول غريزيٌّ: وهو غريزة يُتَهيَّأُ بها لدرك العلوم النظرية.
الثاني كسبيٌّ: وهو ما يكتسبه الإنسان من معاشرة العقلاء.
الثالث عطائيٌّ: وهو ما يعطيه الله للمؤمنين، ليهتدوا به إلى الإيمان.
الرابع عقل الزُّهاد: وهو الذي يكون به الزهد.
الخامس شرفيٌّ: وهو عقل نبيِّنا ﷺ؛ لأنَّه أشرف العقول.
انظر تحفة المريد (١٠٣).

(٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، أبو يحيى شيخ الإسلام، قاضٍ مفسِّر من حفَّاظ الحديث، ولد في مصر سنة (٨٢٣هـ)، وتعلَّم في القاهرة، نشأ فقيراً معدماً. من مصنَّفاته: فتح الرحمن، شرح ألفية العراقي، توفِّي سنة (٩٢٦هـ). الأعلام (٣/ ٤٦)، لواقح الأنوار (٢/ ١٢٢).

(٣) انظر الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص(٦٧).

أي: فمحلُّه القلب، ونوره في الدِّماغ كما ذهب إليه الإمامان مالك والشافعي ـ رضي الله عنهما ـ وجمهور المتكلِّمين. وقال بعضهم: هو بعض العلوم الضرورية(١). وقال بعضهم: هو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات. وقال بعضهم: لا يعلم حقيقته إلا الله. وقال بعضهم: الروح والنفس والعقل متَّحدة بالذات مختلفة بالاعتبار، فمن حيث قوام البدن بها تسمَّى روحاً، ومن حيث ميلها للشهوات والحظوظ تسمَّى نفساً، ومن حيث إدراكها العلوم والمعارف والنظر في عواقب الأمور تسمَّى عقلاً؛ ولذلك اشتملت الملائكة على الروح والعقل فقط، والبهائم على الروح والنفس، والآدمي على الثلاثة، فمن غلب عقله على نفسه التحق بالملائكة، ومن غلبت نفسه على عقله التحق بالبهائم.

وجوب اعتقاد سؤال القبر ونعيمه وعذابه

قوله: (سؤالنا)(٢)

أي: ممَّا يجب اعتقاده سؤال مُنْكَر ونَكِير لنا، فهو مختصٌّ بهذه

---

(١) كإدراك عقولنا بالضرورة أنَّ الجزء مثلاً أقلُّ من الكلِّ.

(٢) سؤال القبر وعذابه مختلف فيه؛ لذلك لم يكن من العقيدة التي يكفَّر جاحدها؛ إذ لا يُكفَّر إلا مَن أنكر ما عُلم من الدِّين بالضرورة، وعَلِمه العامَّة والخاصَّة على حدٍّ سواء كالصلاة والصوم وتحريم الخمر مثلاً. انظر ص(١٣٢) من هذا الكتاب.

الأمَّة ، أي: أمَّة الدعوة[١] المؤمنين والمنافقين والكافرين ، ومحلُّه بعد تمام الدفن وانصراف الناس ، فيعيد الله الروح إلى الميْتِ والحواس ، فيترفقان بالمؤمن ، وينهران الكافر والمنافق ، ويُسأل كلُّ إنسان بلغته[٢]. ويُجمع مَن تفرَّقت أجزاؤه ، أو أكلته السباع.

٤٧/ب وأحوال المسؤولين مختلفة ، فمنهم من يسأله / الملكان جميعاً ، ومنهم من يسأله أحدهما ، وإذا مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة سُئلوا جميعاً في ذلك الوقت ، ولا مانع من ذلك.

وقال السيوطي[٣]: يحتمل تعدُّد الملائكة المعدَّة لذلك

---

(١) نقل ابن حجر العسقلاني عن [الكلاباذي في معاني الأخبار]: أنَّ أمَّة سيِّدنا محمد ﷺ على ثلاثة أقسام أحدها أخصُّ من الآخر: أمَّة الاتباع ، ثمَّ أمَّة الإجابة ، ثمَّ أمَّة الدعوة ؛ فالأولى أهل العمل الصالح ، والثانية مطلق المسلمين، والثالثة من عداهم ممن بُعث إليهم. انظر فتح الباري (١١/ ٤١٩).
وسؤال منكر ونكير إيانا معاشر أمة الدعوة المؤمنين والمنافقين والكافرين. خلافاً لابن عبد البر حيث قال في تمهيده: الكافر لا يُسأل ، وإنما يُسأل المؤمن والمنافق؛ لانتسابه للإسلام في الظاهر اهـ. والجمهور على خلافه. انظر إتحاف المريد وحاشية الأمير عليها ص(١٤١).

(٢) يقول الباجوري: ويسألان كلَّ أحد بلسانه على الصحيح خلافاً لمن قال بالسرياني ، ولذلك قال بعضهم:

ومِنْ عَجِيبِ ما تَرَى العَينانِ   أنَّ سُؤالَ القَبرِ بالسِّرْيانِي
أفتَى بهذا شيخُنا البُلقِيني   ولَم أرَهُ لِغَيرِهِ بِعَينِي

تحفة المريد (١٠٤).

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمَّد السيوطي جلال الدين ، إمام حافظ مؤرِّخ أديب ، له نحو ستمئة مصنَّف ، نشأ في القاهرة يتيماً ، ولمَّا بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، فألَّف أكثر كتبه ، منها: الإتقان في علوم القرآن ، الأشباه=

كالحفظة ونحوهم.

والسؤال مخصوص بمن كان مكلَّفاً ولو جِنّاً لا ملَكاً ، ويستثنى من المكلَّفين الأنبياءُ والصدِّيقون والمرابطون والشهداء ، وملازمُ قراءة تبارك الملك كلَّ ليلة أو سورة السجدة ، ومريض البطن ، ومَن مات ليلة الجمعة أو يومها ، والمطعون ، ومَن قرأ الإخلاص في مرضه الذي مات فيه ، ونحو ذلك ممَّا ورد في السُّنَّة استثناؤه.

قوله: (ثم عذاب القبر)

أي: ممَّا يجب الإيمان به التصديق بعذاب القبر ، **والمراد بالقبر البرزخ** ، وإنَّما أضيف إلى القبر؛ لأنَّه الغالب ، وإلا فكلُّ ميْت أراد الله تعذيبه عُذِّب ، قُبِر أو لم يُقبر ، ولو أكلته الدوابُّ ، أو حُرِّق ، وذُرِّي في الهواء.

ومحلُّـه: الروح والبدن على المعتمد[١] ، ويكون للكفَّار والمنافقين والعصاة من هذه الأمَّة أو غيرها ، ويدوم على الكفَّار والمنافقين وبعض العصاة ، وينقطع عمَّن خفَّت ذنوبهم ، ومَن لم يُسأل فيه لا يُعذَّب فيه. ومِن جملة عذابِه ضغطته ، وهي التقاء حافتيه ، ومن جملته أيضاً ما في الحـديث : «يُسَـلِّط اللهُ على الكَافِرِ في قبرِهِ تِسعةً وتِسعِينَ تِنِّيناً تَنهَشُهُ

= والنظائر ، الحاوي للفتاوي توفِّي سنة (٩١١ هـ). انظر شذرات الذهب (٨/ ٥١) ، الضوء اللامع (٤/ ٦٥).

(١) أي: ومحلُّ العذاب الروح والجسد ، ولو انفصلت الروح عن الجسد؛ لأنَّه يبقى بينهما علاقة كعودة الروح إلى الجسد عند السؤال عوداً متوسِّطاً بين الموت والحياة كتوسُّط النوم بينهما ، كما تُرَدُّ إلى الميْت من الحواسِّ والعقل والعلم ما يتوقَّف عليه فَهْمُ الخطاب. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد ص (١٤٢) وتحفة المريد ص(١٠٤).

وتَلْدَغُهُ حتَّى تقوم الساعة ، ولو أنَّ تنِّيناً مِنها نَفَخَ على الأَرضِ ما أَنْبَتَت خضْراءَ»[١] ، ومنها تَشَكُّل عمله بصورة قرد أو خنزير يضاجعه في قبره، وفَتْح طاقة فيه من جهنَّم. ويَسمع صياحَه من العذاب ما عدا الثقلين.

قوله: (نعيمه)

أي: وصول النعيم للمؤمنين في القبور ، ولا يختصُّ بهذه الأمَّة ولا بالمكلَّفين ، ومِن جملة نعيمه: توسيعه ، وفتح طاقة فيه من الجنَّة ، وجَعْله روضة من رياضها ، وتصوير عمله بصورة حسنة تؤانسه.

وقوله: (واجب) خبر قوله: (سؤالنا) ، وما عُطف عليه.

وجوب اعتقاد النشر والحشر

قوله: (كبعث الحشر)

تشبيه في الوجوب ، أي: مما يجب اعتقاده أنَّ الله يبعث العباد ، ويحييهم بجميع أجزائهم ، ويسوقهم إلى المحشر لفصل القضاء ، ومَن نُفِخت فيه الروح بُعث ولو نزل ميْتاً.

والبعث والنشر بمعنى واحد: عبارة عن الإخراج من القبور بعد جمع الأجزاء ، وإعادة الأرواح إليها. وأوَّل من تنشقُّ الأرضُ عنه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨). وابن أبي شيبة (١٦٠٣٤). والدارمي (٢٨١٥) عن أبي سعيد مرفوعاً. وصحَّحه ابن حبان (٣١٢١). وحسَّنه الترمذي (٢٤٦٠).

المصطفى ﷺ[١]، ثم صاحباه، ثمَّ أهل البقيع، ثمَّ أهل مكة، ثمَّ أهل الشام، ثمَّ من بقي.

وأنواع / الحشر أربعة: ٤٨/أ

اثنان في الدنيا:

أحدهما: إجلاؤه عليه الصلاة والسلام اليهودَ من المدينة إلى الشام[٢].

ثانيهما: سَوْقُ النار التي تَخْرُج من قعر عَدَن الناسَ قرب قيام الساعة إلى المحشر.

واثنان في الآخرة:

أحدهما: جَمْعُهم إلى الموقف بعد إحيائهم.

والثاني: صَرْفُهم من الموقف إلى الجنَّة أو النار.

---

(١) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، وما مِن نبي يومئذٍ، آدمُ فمن سواه، إلا تحتَ لوائي، وأنا أوَّلُ من تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخرَ». سنن الترمذي (٨/ ٢٩٧) برقم (٣١٤٧).

(٢) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ...﴾ سورة الحشر (٢). وهم بنو النضير وقينقاع. أجلاهم فخرجوا إلى أذرعات.
وحديث الإجلاء إلى الشام أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٢) عن عروة مرسلاً، وهو المحفوظ. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١٧٦) عن ابن شهاب مرسلاً.
وقد صحَّ أنَّه ﷺ أجلى اليهود من المدينة. أخرجه البخاري (٤٠٢٨).

٩٧ـ وقُلْ يُعَادُ الجِسْمُ بالتَّحْقِيقِ عن عَدَمٍ وقِيلَ عَنْ تَفْرِيقِ
٩٨ـ مَحْضَيْنِ لَكِنْ ذَا الخِلافُ خُصَّا بالأنبيا ومَنْ عَلَيهِم نُصَّا

. . . .

وجوب اعتقاد إعادة الأجسام بأعيانها عند النشر

قوله: (وقل يعاد الجسم بالتحقيق)

أي: مما يجب اعتقاده أن الجسم يعاد بعينه.

قوله: (عن عدم)

أي: محض، فيصير الجسم معدوماً بالكلية كما كان قبل وجوده. قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

قوله: (وقيل عن تفريق محضين)

أي: فلا يبقى جوهر مع جوهر أصلاً، والأول هو الحق.

قوله: (لكن ذا الخلاف خُصّا) أي: أبطل عمومَه.

قوله: (بالأنبيا) أي: فإنَّ الأرض لا تأكل أجسامهم.

وقوله: (ومن عليهم نصا)

أي: كالشهداء والمؤذِّنين احتساباً، وحامل القرآن العامل به، ومن لم يعمل خطيئة، والعلماء العاملين، والروح وعَجْب الذنب، والجنة والنار، والعرش والكرسي، واللوح والقلم.

---

(١) سورة الأعراف (٢٩).

إعادة الأعراض والأزمان والخلاف في ذلك

قوله: (وفي إعادة العرض قولان)

أي: إن في جواز إعادة الأعراض القائمة بالأجسام قولين:

أحدهما: أنها تعاد بأشخاصها[1] التي كانت في الدنيا قائمة بالجسم حال الحياة، فحين خروجه من القبر تمرُّ عليه أعراضه التي مرت عليه في الدنيا من أول عمره إلى آخره، ثم يساق للمحشر كاملاً، فمرور هذه الأوقات والأزمان عليه في لمح البصر، وربُّك على كل شيء قدير.

ثانيهما: أنها لا تعاد بل هو ممتنع[2].

قوله: (ورجِّحت إعادة الأعيان) أي: أشخاص الأعراض.

---

(١) أي: أشخاص الأعراض بذاتها التي كانت في الدنيا كالحركة مثلاً وغيرها من أفعال المخلوقات، فإنها تعود بذاتها لا بمثلها. وقد قال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ سورة الكهف (٤٩) وقال أيضاً: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ سورة آل عمران (٣٠).
وهو مذهب الأكثرين، وإليه مال الإمام الأشعري. وعلَّلوا ذلك بأن نسبة الأعراض إلى قدرته تعالى كنسبة الأعيان إليها، وقد قام الدليل على إعادة الأعيان فكذا إعادة الأعراض. انظر إتحاف المريد ص(١٤٥) وفتح المجيد بكفاية المريد (ق١٤٨/ب).

(٢) وعلى هذا توجد الأجسام بأعراض أُخَر؛ لأنها لا تنفك عقلاً عن أعراض. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد ص(١٤٥).

١٠٠ـ وفي الزَّمَنْ قَوْلانِ والحِسَابُ حقٌّ ومَا فِي حَقٍّ ارْتِيَابُ

. . . .

قوله: (وفي الزمن قولان)

قيل: يعاد؛ لأنه من جملة الأعراض، وهو المعتمد، فيعاد جميع أزمنة الأجسام التي مرَّت عليها في الدنيا تبعاً للذوات المعادة[1].

وقيل: يمتنع إعادتها؛ لأنه يمتنع اجتماع الماضي مع الحال والاستقبال.

وأجاب صاحب القول الأول بأن الإعادة على التدريج حسب ما كانت عليه في الدنيا.

الحساب حقٌّ

قوله: (والحساب)

هو لغة: العَدد.

واصطلاحاً: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم.

وأحوال العباد مختلفة فيه، فمنهم مَن تحاسبه الملائكة، ومنهم من يحاسبه الله بنفسه، فقد ورد: أن الله يضع كنفه[2] على عبده، فيقول الله

---

(١) تعاد الذوات والأجسام بأزمنتها وأوقاتها كما تعاد بأكوانها الأربعة: ـ الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق ـ وهيئاتها؛ لورود ظاهر القرآن به في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ لأنَّ المراد الغيريَّة بحسب الزمان، وإلا فالجلود هي الأولى بأعيانها؛ إذ هي التي عصت، فيعاد تأليفها إذا تفرَّقت، وأعيانها إذا عُدمت. وقد رُدَّت الشمس بعد غروبها بدعائه ﷺ. انظر إتحاف المريد ص(١٤٥)، وفتح المجيد بكفاية المريد (ق١٤٩/ أ).

(٢) كَنَفَه: حاطه وصانه، وبابه نصر. مختار الصحاح (كنف). وفي النهاية لابن الأثير «... يَضَع عليه كَنَفه» أي يستره. وقيل: يرحمه ويلطُف به. (٤/ ٢٠٥).

له: يا عبدي أنت فعلتَ كذا في يوم كذا، فيقول: نعم يا رب. فيقول: سترتها عنك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[١].

فمحاسبة الله للعبد الغالبُ فيها العفوُ، / ومحاسبة الملائكة الغالبُ عليها المناقشةُ، وفي الحديث: «مَن نوقش الحساب هلك»[٢].

والحساب بعد شفاعة[٣] النبي ﷺ في فصل القضاء، فبعد حصول الشفاعة يحصل الحساب، ويحاسبون، وتوزن أعمالهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا، ولا يشغله حساب أحد عن أحد، حتى إن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده.

وهو مختلِف، فمنه اليسير والعسير، ويكون للمؤمن والكافر إنساً وجناً، إلا مَن ورد الحديث باستثنائهم كالسبعين ألفاً[٤] ومَن أُلحق بهم[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥). ومسلم (٢٧٦٨) عن ابن عمر مرفوعاً بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٣٩). ومسلم (٢٨٧٦) عن عائشة مرفوعاً.

(٣) المراد بالشفاعة هنا الشفاعة العظمى، وهي التي تكون قبل الحساب ولجميع الخلق، وهي التي يتخلص بها الخلق من هول الموقف إلى الحساب، وهي التي يذهب الخلق وقتها إلى الأنبياء فلا يجدون ملاذاً إلا عند رسول الله ﷺ. انظر ص(٤٠١) من هذا الكتاب.

(٤) أخرجه مسلم (٢١٨) عن عمران قال: قال النبي ﷺ: «يَدْخُلُ الجنَّةَ مِنْ أُمَّتي سَبْعونَ ألفاً بغير حساب. قالوا: ومَنْ هم يارسولَ اللهِ؟ قال: هم الذين لا يَكْتَوُون ولا يَسْتَرْقُون وعلى ربهم يَتَوَكَّلُون...». وأخرجه البخاري (٥٧٠٥) ضمن سياق حديث طويل.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧). وابن ماجه (٤٢٨٦) عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَني ربِّي أَن يُدْخِلَ من أُمتي سبعينَ أَلفاً لا حسابَ عليهم ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعونَ ألفاً وثلاثُ حَثَياتٍ من حَثَياتِهِ». وحسّنه الترمذي. =

١٠٠ـ وفي الزَّمَنْ قَوْلانِ والحِسَابُ حقٌّ ومَا فِي حَقٍّ ارْتِيَابُ
١٠١ـ فالسَّيِّئاتُ عِندَهُ بالمِثْلِ والحَسَناتُ ضُوعِفَتْ بالفَضْلِ

. . . .

قوله: (حق)

أي: ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فمن أنكره كفر، ففي القرآن: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1] وفي السنة: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[2]، وأجمع المسلمون عليه.

قوله: (وما في حق ارتياب) أي: شكٌّ.

الحسنات مضاعفة والسيئات بمثلها

قوله: (فالسيِّئات)

هي ما يُذَمُّ فاعلها شرعاً، والمراد التي عملها العبد حقيقة أو حكماً بأن طرحت عليه لظلمه للغير.

قوله: (عنده بالمثل)

أي: سواءٌ بسواءٍ. قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[3] وهذا إن

= وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٠) و(٢٦٨). والطبراني (٧٦٦٥) و(٧٦٧٢). وهو حديث صحيح.

(١) سورة البقرة (٢٠٢).

(٢) لا أصل له في المرفوع. وإنما هو من كلام سيدنا عمر بن الخطاب. وقد تقدم ص(٣٥٥).

(٣) سورة الشورى (٤٠).

عومل بالعدل ، فإن عومل بالفضل عفا الله عنه ، فلا يؤاخذه بها ، ما لم تكن كُفراً ، وإلا خُلِّد في النار. إن قلت: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[١] يقتضي مساواةَ القتل الكفر في الخلود في النار. أُجِيبَ: بأنَّ المراد بالخلود في الآية طولُ المُكْثِ. وسُمِّيت سيئةً؛ لأنَّ فاعلها يُسَاءُ بها عند المقابلة.

قوله: (والحسنات)

جمع حسنة ، وهي ما يحمد فاعلها ، سمِّيت بذلك لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها.

والمراد الحسنات المقبولة التي عملها حقيقة أو حكماً[٢] ، لا المأخوذة في نظير ظلم الغير له ، فإنَّها لا تضاعف.

قوله: (ضوعفت بالفضل)

أي: ضاعفها الله لهذه الأمَّة إلى عَشر أمثالها أو أكثر ، من غير انتهاء إلى حدٍّ تقف عنده ، بفضله تعالى وكرمه ، لا وجوباً عليه[٣]. قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[٤].

---

(١) سورة النساء (٩٣).

(٢) المراد بالحسنات الحكميَّة هنا ما عمله عنه غيره كما إذا تصدَّق غيره عنه مثلاً بصدقة. انظر تحفة المريد (١٠٨). ومن الحسنة الحكمية ما إذا تسبب بفعل خير؛ إذ الساعي للخير كفاعله. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٤٦).

(٣) ودليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ سورة البقرة (٢٦١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة الزمر (١٠).

(٤) سورة الأنعام (١٦٠).

مكفِّرات الذنوب

قوله: (وباجتناب للكبائر)

أي: الذنوب العظيمة، والمراد باجتنابها عدم فعلها، أو التوبةُ منها بعد فعلها.

قوله: (تغفر صغائر)

سواء كانت مقدِّمةً للكبائر كالقبلة واللمس، أَوْ لا كشتمٍ بما لا يوجب حَدّاً. وصغيرةٌ خسَّة كتطفيف حبَّة.

واختُلف هل المغفرة قطعية أو ظنية. والحقُّ الثاني؛ لقوله تعالى:
٤٩/أ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ / بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١]، ثمَّ المغفرة مقيَّدة بمن أَدَّى الفرائض؛ لحديث: «مَا مِن عَبدٍ يُؤَدِّي الصَّلَواتِ الخَمْسَ، ويصوم رَمَضانَ، ويَجتَنِبُ الكَبائِرَ السَّبْعَ، إلا فُتِحَتْ له ثمانيةُ أبوابِ الجنَّة يومَ القيامةِ حتَّى إنَّها لَتُصفَقُ[٢]» الحديث[٣]، وفي رواية: «الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورَمَضانُ إلى رَمَضانَ، مُكَفِّراتٌ لما بَينهنَّ إذا اجتُنِبَتِ الكبائِرُ»[٤] هذا هو الصحيح. وأمَّا الكبائر

---

(١) سورة النساء (٤٨).

(٢) أي: يضرب بعضها بعضاً من خلوّها. تحفة المريد (١٠٩).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٧٤٨). والحاكم (١/ ٢٠٠). والبيهقي في سننه (١٠/ ١٨٧) عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة مرفوعاً. وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٩ ـ ٤٠٠ ـ ٤١٤).

فلا يُكفِّرها إلا التوبة أو عفو الله ، [أو الحجُّ المبرور، وهو أن يموت الإنسان بفور حجِّه ، أو يوفِّقه الله إلى فعل الخير إلى أن يموت][(١)].

قوله: (وجا الوضو يكفّر)

أشار بذلك إلى أنَّه لا ينحصر تكفير الصغائر في اجتناب الكبائر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[(٢)]، وفي الحديث: «لا يَتَوضَّأُ رَجُلٌ مُسلِمٌ، فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، فيُصلِّي صلاةً إلا غُفِر لَهُ ما بَيْنَهُ وبينَ الصَّلاة التي تَلِيها»[(٣)]، ومثل الوضوء الصلوات الخمس، ورمضان، والحج المبرور.

والتكفير إنَّما هو للذنوب المتعلِّقة بحقوق الله. وأمَّا المتعلِّقة بالعباد فلا بدَّ من مسامحتهم له، أو إرضاء الله لخصومه.

* * *

(١) ساقطة من (م) وأثبتناها من (د).

(٢) سورة هود (١١٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٠). ومسلم (٢٢٧) عن عثمان مرفوعاً.

١٠٣ـ واليومُ الاخِرْ ثُمَّ هَوْلُ المَوْقِفِ   حقٌّ فَخَفِّفْ يا رَحِيمُ واسْعِفِ

. . . .

اليوم الآخر وهول الموقف

قوله: (واليوم الآخر)

أي: ممَّا يجب اعتقاده ـ وإنكاره كفر ـ اليومُ الآخر، ويسمَّى يوم الدِّين ويوم الجزاء ويوم القيامة، وله نحو ثلاثمئة اسم، وسمِّي بذلك؛ لأنَّه آخر الأيَّام، فلا ليل بعده، بل إمَّا نور محض على مَن آمن، أو ظلام محض على مَن طغى وكفر.

وأوَّله من قيام الناس من القبور، ولا نهاية لآخره، وقيل: آخره استقرار أهل الدارين فيهما.

قوله: (ثمَّ هول الموقف)

هذا من جملة ما يحصل في اليوم الآخر، أي: ممَّا يجب اعتقاده هول الموقف، أي: المصائب والشدائد التي تكون فيه، كطول الوقوف، ودنوِّ الشمس من الرؤوس حتَّى يكون بينها وبين رؤوس الخلائق قدر الميل أي: المِرْوَد[1]، فيُلجِمُ العَرَقُ الناسَ حتَّى يبلغ آذانهم، أو أزيد، ويذهب في الأرض سبعين ذراعاً، ولا ينال الأنبياءَ، ولا الأولياء ولا سائر الصلحاء ممَّا ذُكِر شيءٌ؛ لقوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾[2]، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[3].

---

(١) المِرْوَد: الميل الذي يُكتَحَل به. تاج العروس (راد).

(٢) سورة فصلت (٣٠).

(٣) سورة الأنبياء (١٠٣).

وخوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإجلال ؛ لظهور تجلِّي الجلال في ذلك اليوم ، وإن كانوا آمنين من ذلك .

قوله : (حق)

أي : ثابت . خبر اليوم وما بعده ، فيجب الإيمان [به][١] ؛ لوروده كتاباً وسُنَّة وإجماعاً . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾[٢] ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾[٣] .

قوله : (فخفِّف يا رحيم واسعف)

أي : نسألك يا رحيم أن / تخفِّف أهواله وشدائده ، وتعيننا عليه . ٤٩/ب
وأشار بذلك إلى أنَّه مختلِف باختلاف الناس ، فيُشدَّد على الكفَّار ، ويطول حتَّى يكون خمسين ألفَ سنة ، ويخفَّف على الصالحين حتَّى يكون كركعتي الفجر الخفيفتين كما ورد .

* * *

(١) ساقطة من (م) . وأثبتناها من (د) .
(٢) سورة الإنسان (١٠) .
(٣) سورة المزمِّل (١٧) .

وجوب اعتقاد أخذ العباد صحائفَ أعمالهم

قوله: (وواجب أخذ العباد الصحفا)

أي: ممَّا يجب اعتقاده ـ ومن أنكره أو شكَّ فيه فقد كفر؛ لوروده كتاباً وسنَّة وإجماعاً ـ تناولُ العباد الصحفا، أي: الكتب التي كتبت الملائكة فيها ما فعلوه في الدنيا، وكلُّ العباد يأخذون صحائفهم إلا الأنبياء والسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب، ومُقَدَّمُهم ورئيسهم أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وفي الحديث: «فاستزدت ربِّي، فقال لي: هكذا وهكذا»[1] كناية عن كونه أعطاه من غير عدد. فهؤلاء لا يأخذون صحفاً، بل هم عتقاء الرحمن.

ولم يذكر المصنِّف دافع الصحف؛ لما ورد أنَّ الريح تطيِّرها من خزانة تحت العرش[2]، فلا تُخطىء صحيفةٌ عنقَ صاحبها، وأنَّ كلَّ أَحَد

---

(١) أخرج أحمد (١/ ١٩٧) عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ رَبِّي أَعْطاني سَبعينَ ألفاً من أمَّتي يَدْخُلونَ الجنَّة بغير حسابٍ، فقال عمر: يا رسول الله فهلاَّ استزدتَه، قال: قد استزدتُه فأعطاني مع كلِّ رجلٍ سبعين ألفاً، قال عمرُ: فهلا استزدتَه، قال: قد استزدتُه فأعطاني هكذا». قال الإمام أحمد: وفَرَّج ـ أي: شيخه عبد الله بن بكر ـ بين يديه اهـ. وإسناده ضعيف، وله شاهد عند أحمد (١/ ٦). وأبي يعلى (١١٢). وإسناده ضعيف. وللحديث شواهد وطرق يقوى بها. انظر فتح الباري (١١/ ٤١٠). وأصل الحديث في البخاري (٦٥٤٣). ومسلم (٢١٩).

(٢) أخرج العقيلي (٤/ ٤٦٦) من طريق يغنم بن سالم بن قنبر عن أنس بن مالك =

يدعى فيعطى كتابَه[1]، ويُجمع بأنَّ الملائكة تأخذها من الأعناق، وتضعها إمَّا في اليمين للمؤمنين، ولو عصاة، وإمَّا في الشمال من وراء الظهر للكفار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[2]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[3]

قوله: (كما من القرآن نصّاً عرفا)

أي: كما عرف منصوصاً من القرآن قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4] إلى أن قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[5]. وأوّل ما يقرأ المؤمن من صحيفته حسناته، فيبيضُّ وجهه، والكافر ضدُّ ذلك، ويقرأ كلُّ أحدٍ كتابه، ولو كان أمِّيّاً، فمنهم من يكتفي بقراءة نفسه، ومنهم من يدعو الناس

= مرفوعاً: «الكُتُبُ كُلُّها يوم القيامَةِ تحتَ العَرشِ، فإذا كانَ الموقفُ بَعَثَ اللهُ ريحاً، فتَطِيرُ بالأيمانِ والشمائلِ، أَوّلُ خَطٍّ فيها: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ قال العقيلي: وعند يغنم عن أنس نسخة أكثرها مناكير اهـ. أي: موضوعات؛ فإنَّ يغنم بن سالم مشهور بالوضع. قال ابن حِبَّان في المجروحين (٣/ ١٤٥): يضع الحديث على أنس بن مالك، روى عنه نسخة موضوعة.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، وأخرجه بنحوه أيضاً (٤٦٨٥). ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) سورة الحاقّة (١٩ ـ ٢٠).

(٣) سورة الحاقّة (٢٥ ـ ٢٦).

(٤) سورة الانشقاق (٧ ـ ٨).

(٥) سورة الانشقاق (١٠ ـ ١١ ـ ١٢).

لقراءته، وذلك كالرؤساء المقتدى بهم في الخير. والجنُّ كالإنس في ذلك.

وجوب الإيمان بالوزن والميزان

قوله: (ومثل هذا الوزن والميزان)

أي: يجب الإيمان بأنَّ العباد توزن أعمالهم خيراً كانت أو شرّاً، وبالميزان أي: الآلة الحسيَّة التي يوزن بها. قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[1]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾[3] ولا يكون في حقِّ كلِّ أحد؛ لما ورد: «يا مُحَمَّدُ أَدْخل الجنَّةَ من أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه من الباب الأيمن»[4] فهو فرع الحساب، فكلُّ / من ٥٠/أ حُوسب وزنت أعماله، ومن جملة من توزن أعماله الكفَّار، فتوزن سيِّئات الكفَّار غير الكفر؛ ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب

(١) سورة الأعراف (٨).
(٢) سورة الأنبياء (٤٧).
(٣) سورة الأعراف (٨ ـ ٩).
(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة مرفوعاً في حديث طويل.

الكفر[١]، وحسناتهم التي لا تتوقَّف على نيَّة[٢] كالعتق وصلة الرَّحم والوقف، فيخفَّف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر، فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر، بدليل أنَّ أبا لهب جُوزي بالتخفيف بسبب عتقه[٣] لجاريته التي بشَّرته بولادته ﷺ؛ لأنَّ عذاب الكفر لا يخفَّف عنهم ولا ينقطع، وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[٤] أي نافعاً بحيث ينجو من الخلود في النار، وقيل: حسناته التي فعلها يُجازى عليها في الدنيا كسعة الرزق وعافية البدن، ولا يُجازى عليها في الآخرة أصلاً.

قوله: (فتوزن الكتب)

هـذا بنـاء علـى أنَّ الحسنـاتِ متميِّزة فـي كتـاب، والسيئات بآخر، ويشهد له حديث البطاقة، فإنَّه قد ورد ما معناه: «أَنَّ عَبداً كُتِبَ عَليهِ تسعةٌ وتسعُون سِجلاًّ من المعاصِي، كلُّ سِجِلٍّ طولُهُ مَدُّ البَصَرِ، فتُوضَعُ في كِفَّـةِ السيِّئاتِ، فيقولُ اللهُ لـه: يا عَبْـدي هَل فَعلتَ حَسَنـةً؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقـولُ سبحانه وتعالى: بل بقِي لَكَ عندنا أمانةٌ، فيأمرُ بإخراجِ البطاقةِ ـ وهي ورَقةٌ صغيرةٌ قَدْرُ الأَنْمَلَةِ مكتوبٌ فيها: لا إلهَ إلا اللهُ محَمَّـدٌ رسُـولُ اللهِ ـ فتُوضَـع فـي كِفَّـةِ الحسناتِ فتطيشُ سِجِلاَّتُ

---

(١) وقول القائل: (ليس بعد الكفر ذنب) يُراد به ليس ذنب بعد الكفر أعظم من الكفر، وإلا فالكافر المسيء ليس كالكافر المحسن.

(٢) لأنَّ العبادات منها ما يتوقَّف الثواب فيها على النيَّة كالصيام، ومنها ما لا يتوقَّف كالمذكورات.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٠١).

(٤) سورة الكهف (١٠٥).

المعاصي، ولا يَثْقُلُ معَ اسمِ اللهِ شَيءٌ، فيقولُ: امضُوا بعبدِي إلى الجنَّة بفضلِي ومَغْفِرَتي[(١)]»[(٢)].

قوله: (أو الأعيان)

أي: الأعمال، فتصوَّر الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثمَّ توضع في الكِفَّة المُعَدَّة للحسنات، [وتصوَّر الأعمال السيئةُ بصورة قبيحة ظلمانية، ثم توضع في الكِفَّة المعدَّة للسيئات][(٣)].

ولا يقال: إنَّ فيه قَلْب حقائق؛ لأنَّه مثال. وعلى تسليم أنَّ فيه قلبَ حقائق يقال: الممتنع قَلْبُ أقسام الحكم العقلي، لا تصيير المعنى جِرماً؛ لأنَّ قدرة الله صالحة لذلك؛ فإنَّه من جملة الممكنات.

وهل الوزن بصنج أَوْ لا؟ واستُظهر الأوَّل تحْقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات، فإن رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجَحَ، فيُنَعَّم بقدره، أو يُعَذَّب بقدره، فإن لم يكن له إلا حسنات فقط، أو سيِّئات فقط، وضعت الصنج في الكِفَّة الأخرى[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢١٣). والترمذي (٢٦٣٩) وحسَّنه. والحاكم (١/٥٢٩) وصحَّحه. ووافقه الذَّهَبي. وصحَّحه ابن حِبَّان (٢٢٥). وليس في الحديث: أنَّ البطاقة ورقة صغيرة قدر الأنملة. ونسب بعضهم هذا الحديث إلى البخاري وهو خطأ.

(٢) هذا ليس لكل عبد قال: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) بل لعبد أراد الله به خيراً. انظر تحفة المريد ص(١١٢).
وقد أَوَّل العلماء هذا الحديث تأويلات كثيرة منها: أن هذا بحق من كان كافراً، ثم آمن ونطق بالشهادة في آخر حياته ثم مات.

(٣) ساقطة من (م). وأثبتناها من (د).

(٤) والمعتمد أنَّنا نؤمن بالوزن إيماناً قطعياً، أمَّا كيفية الوزن فالله أعلم بحقيقته؛ إذ =

الصراط وأقسام المرور عليه

قوله: (كـذا الصراط)

أي: فيجب الإيمان به، وهو **لغة**: الطريق الواضح. **واصطلاحاً**: جسر ممدود على متن جهنَّم يَرِده / الأوَّلون والآخِرون ذاهبين إلى الجنَّة، أرقُّ ٥٠/ب
من الشعرة، وأحدُّ من السيف، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [(١)] فالمراد بالورود المرور. والسقوط شيء آخر. وطوله ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود، وألف هبوط، وألف استواء [(٢)]، وفي حافَّتيه كلاليب معلَّقة مأمورة بأخذ من أُمِرَت به، وهي كشوك السَّعْدان، كما ورد ذلك [(٣)].

قوله: (فالعباد مختلف مرورهم)

أي: متفاوتون في سرعة النجاة وعدمها.

قوله: (فسالم) أي: ناجٍ من النار.

وقولـه: (ومنتـلف)

أي: واقع في جهنَّم، إمَّا على الدوام والتأبيد كالكفَّار، أو إلى مدَّة كعصاة المؤمنين.

= هناك موازين كثيرة كميزان الذهب، وميزان الحطب، وميزان الحرارة، كلٌّ منها يعطي الحقيقة بدقَّة مع ما بينها من فوارق، وكذلك في الآخرة هناك ميزان يعطي حقيقة الأعمال، والله أعلم بكيفيَّته.

(١) سورة مريم (٧١).

(٢) ذكر السحيمي طول الصراط بهذا الوصف من قول مجاهد والضحَّاك. انظر المزيد (ج٢ ق ٣١٤/أ).

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦). ومسلم (١٨٢ ـ ١٨٣).
والسَّعْدان: نبت ذو شوك، وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً اهـ. لسان العرب (سعد). وفي النهاية لابن الأثير: هو من جيِّد مراعي الإبل تَسْمَنُ عليه. (٢/ ٣٦٧).

والناس في مرورهم عليه أقسام ثمانية :

منهم من يجوز عليه كطرف العين . ومنهم كالبرق الخاطف . ومنهم كالريح العاصف . ومنهم كالطير . ومنهم كالجواد السابق . ومنهم من يجري . ومنهم من يمشي . ومنهم من يحبو [١] .

فكلٌّ من أعرض عن الشهوات ، وصان قلبه عن الخطرات كان أسرع مروراً عليه . ونور كلِّ إنسان على الصراط لا يتعدَّاه ، فيتَّسع باتِّساع النور ، ويضيق بضيقه .

العرش والكرسي والقلم والكاتبون واللوح ووجوب الإيمان بها

قوله : (والعرش)

هو جسم عظيم نورانيٌّ سقف الجنة محيط [٢] بجميع الأجسام ، وهو أوَّل مخلوقات الله بعد النُّور المحمَّدي .

---

(١) أخرج أبو يعلى الموصلي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنَّه قال: «يمرُّ الناس على جسر جهنَّم ، وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً ، وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللهمَّ سَلِّم سَلِّم. فمن الناس مَن يمرُّ مثل البرق ، ومنهم من يمرُّ مثل الريح ، ومنهم من يمرُّ مثل الفرس ، ومنهم من يسعى سعياً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يحبو حبواً ، ومنهم من يزحف زحفاً. . . ». انظر مسند أبي يعلى (٢/ ١١٠) برقم (١٢٥٣).

(٢) هذا على القول بكرويَّتـه ، والتحقيق أنَّـه ليس كرويّاً ، بل هو في مشهور السنَّة: قُبَّة عظيمة فوق العالم ذات أعمدة أربعة ، تحمله الملائكة ، في الدنيا أربعة ، وفي الآخرة ثمانية؛ لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٥٠) ، وتحفة المريد (١١٣).

قوله: (والكرسيُّ)

وهو جسم عظيم نورانيٌّ ملتصِق بالعرش، فهو غير العرش خلافاً للحسن البصري [(١)].

قوله: (ثمَّ القلم)

هو جسم عظيم نورانيٌّ خلقه الله، وأمره أن يكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وطوله خمسمئة عام، وعرضه كذلك [(٢)].

قوله: (والكاتبون)

أي: الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد، أو الذين يكتبون من اللوح المحفوظ ما في صحف الملائكة الموكَّلين بالتصرُّف في العالَم.

قوله: (اللوح)

هو جسم عظيم نورانيٌّ، طوله خمسمئة عام، وعرضه كذلك. كَتَب فيه القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة [(٣)].

قوله: (كلُّ حِكَم)

جمع حكمة، وهي صواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في محلِّه.

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمَّة في زمنه، وُلد بالمدينة، وسكن البصرة، كان غاية في الفصاحة، تتصبَّب الحكمة من فيه، توفِّي بالبصرة سنة (١١٠هـ). انظر وفيات الأعيان (٢/ ٦٩)، حلية الأولياء (٢/ ١٣١).

(٢) أورد أبو الشيخ في كتابه العظمة حديثاً ذكر فيه: أنَّ أوّل شيء خلقه الله القلم، وأنَّه من نور، وهو مسيرة خمسمئة عام. ولكن محقق الكتاب المباركفوري ذكر أنَّه لم يثبت فيما صحَّ عن النبي ﷺ، وإنما جاء من كلام ابن عباس. انظر كتاب العظمة (٢/ ٥٨٩) وما بعدها.

(٣) لم يَرِد في الأخبار الصحيحة ما يثبت هذه التفاصيل، ولعلَّ ما ذُكر عن العرش والكرسي واللوح والقلم في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة يغني عمَّا أورده=

١٠٨ ـ لا لاحْتِياجٍ وبِهـا الإيمـان يجِـبْ عَلَيكَ أَيُّـها الإنْسَانُ

١٠٩ ـ والنَّارُ حَقٌّ أُوْجِدَتْ كَالجَنَّهْ فـلاَ تَمِـلْ لِجَـاحِـدٍ ذِي جِنَّـهْ

أي: لم يخلق هذه الأشياء عبثاً. بل لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى.

قوله: (لا لاحتياج)

أي لم يخلق العرش للاتِّقاء، ولا الكرسي للجلوس، ولا الكاتبين للضبط، ولا اللَّوح والقلم لاستحصال ما غاب عن علمه. تعالى الله عن ذلك كلِّه.

قوله: (وبها الإيمان يجب عليك أيها الإنسان)

أي: هي كغيرها في وجوب التصديق بوجودها شرعاً.

الجنَّة والنَّار موجودتان وهما دارا الخلود

قوله: (والنـار حقٌّ)

٥١/أ / أي: ثابتة. والمراد بالنار دار العذاب بجميع طباقها السبع. أرضها من رصاص، وسقفها من نحاس، وحيطانها من كبريت، وَقودها الناس والحجارة.

أعلاها جهنَّم: وهي لعصاة المؤمنين، وتصير خراباً بخروجهم منها.

وتحتها لظى: وهي لليهود، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[1] الآية.

= المؤلِّف في هذا الباب.

(١) سورة المعارج (١٥ ـ ١٦).

ثمَّ **الحُطَمة**: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [١]، وهي للنصارى.

ثمَّ **السعير**: قال تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [٢]، وهي للصابئين: فرقة من اليهود ازدادوا ضلالاً بعبادتهم العجل.

ثمَّ **سَقَر**: وهي للمجوس عُبَّادِ النار، قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٣] الآية.

ثمَّ **الجحيم**: وهي لعبدة الأصنام، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [٤].

ثمَّ **الهاوية**: وهي للمنافقين، وكلِّ من اشتدَّ كفره كفرعون وهامان وقارون.

وقد نظمها شيخنا الشيخ الأمير [٥] بقوله:

جَهَنَّـمُ للعَـاصـي لظَـى ليهُـودِهـا وحُطْمَةُ دَارٌ للنَّصارى أُولي الصَّمَمْ[٦]
سَعيـرٌ عـذابُ الصـابئيـنَ ودَارُهـم مجوسٌ لها سَقْرٌ جَحِيمٌ لِذي صَنَمْ
وهَـاوِيَـةٌ دارُ النِّفَـاقِ ـ وُقِيْتَهَـا ـ وأَسأَلُ رَبَّ العَرشِ أَمناً مِنَ النِّقَمْ

هكذا ذكر الأشياخ تبعاً لبعض الأحاديث في النار [٧]، ولكنَّ آيات

---

(١) سورة الهُمَزة (٥ ـ ٦).
(٢) سور الملك (١١).
(٣) سورة المدَّثِّر (٢٦).
(٤) سورة الحاقَّة (٣٠ ـ ٣١).
(٥) سبقت ترجمته (١٣٣ ـ ١٣٤).
(٦) في حاشية الأمير: أولي الغمم. وانظر الأبيات في ص (١٥١) من حاشيته على إتحاف المريد.
(٧) أفاد الإمام القرطبي في كتابه التذكرة أنه وقعت أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها=

القرآن شاهدة بأنَّ كلَّ اسم من تلك الأسماء يطلق على ما يعمُّ الجميع؛ لأنَّه يذكر صفات الكفَّار بأيِّ وجه، ويعبِّر عن وعيدهم بأيِّ اسم من هذه الأسماء. فتدبَّر.

وذكر ابن العربي [(١)] أنَّ نار الدنيا من جهنَّم طُفئت في البحر مرَّتين، ولولا ذلك لم يُـنتفع بها. وبعد أخذ نار الدنيا منها أُوقد عليها ألف سنة حتَّى ابيضَّت، ثمَّ ألف سنة حتَّى احمرَّت ثمَّ ألف سنة حتَّى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة [(٢)].

قوله: (أوجدت) أي: الآن. خلافاً للمعتزلة [(٣)].

قوله: (كالجنَّـهْ)

هي لغة: البستان. والمراد منها دار الثواب، وأبوابها الكبار ثمانية: باب الشهادتين، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحجِّ، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصِّلة، وباب

= على ترتيب لم يَرد فيه أثر صحيح، وإنما هو من كلام العلماء، ومثله لا يكون رأياً، وإنما يدرك توقيفاً. انظر تذكرة القرطبي (٢/ ٥١٢) وما بعدها.

(١) سبقت ترجمته (١١١).

(٢) أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أُوقد على النار ألف سنة حتى احمرَّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيَّضت، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسوَّدت، فهي سوداء مظلمة». أبواب صفة جهنم برقم (٢٥٩٤).

(٣) القائلين: إنَّ النار والجنَّة لم توجدا بعدُ؛ لأنَّه لا يوجد مَن يدخلهما الآن وإنما توجدان يوم الجزاء، والدخول إليهمابعد الحساب. انظر إتحاف المريد (١٥١).
وأمَّا أهل السنَّة والجماعة فيقولون بوجودهما من الآن مستدلِّين بقوله تعالى في حقِّ النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، وفي حقِّ الجنَّـة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ...﴾.

الجهاد في سبيل اللهِ. ومِن داخلها عشرة أبواب صغار.

وهي سبع جِنان متجاورة أوسطها وأفضلها **الفردوس**، وسقف الجميع عرش الرحمن، وضَعْف نور الشمس بالنسبة لنور العرش في الجِنان كضَعْف نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا، ويجعل الله فينا قوَّةَ بصر لتمام التنعُّم بذلك، كقوَّة باقي الحواسِّ. ويليها جنَّة المأوى، وجنَّة الخلد، وجنَّـة النعيم، وجنَّة عَدْن، ودار السلام، ودار الجلال. وقيل: أربع[1]، وقيل: [2] واحدة، وإنَّما التعدُّد في الاسم لشرفها، ولتحقُّق معاني تلك الأسماء فيها. ترابها المسك والزعفران، وفي كلِّ قصر منها فرع من شجرة طوبى، وأصلها في بيت النبي ﷺ تطرح ما تشتهيه الأنفس، فإذا أراد الإنسان الأكل قال: سبحانك اللهمَّ، وضعت بين يديه مائدة طولها مِيل وعرضها مِيل، فيها جميع ما يُشتهى، فإذا فرغ قال: الحمد لله رب العالمين، فترفع. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ [3] الآية.

وبالجملة ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) ورجَّح هذا القول جماعةٌ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ جنةُ النعيم، وجنةُ المأوى، ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ جنة عَدْن، وجنةُ الفردوس. وذلك كما ذكره بعض المفسرين في تفسير سورة الرحمن آية (٤٦) و(٦٢). وهو ما ذهب إليه الجمهور. انظر إتحاف المريد (١٥١)، وتحفة المريد (١١٤).

(٢) سقطت صفحات من المخطوط من بعد قوله: (وقيل أربع، وقيل) إلى قوله: (حجتنا أي: المقبولة الصحيحة) في ص(٤٤٢) من هذا الكتاب. وأثبتنا ما سقط من (د).

(٣) سورة يونس (١٠) والآية بتمامها: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

١٠٩ ـ والنَّارُ حَقٌّ أُوْجِدَتْ كَالجَنَّهْ فَـلاَ تَمِـلْ لِجَـاحِـدٍ ذِي جِنَّـهْ

١١٠ ـ دَارَا خُلُودٍ للسَّعِيدِ والشَّقِي مَعَـذَّبٌ مُنَعَّـمٌ مَهمـا بَقِـيْ

اللهمَّ أجرنا من النار ، وأدخلنا الجنَّة بفضلك وكرمك ، إنَّك لا تخلف الميعاد.

قوله : (فلا تمل لجاحد ذي جنه)

أي : لا تُصغ لمُنكِر متَّصف بالجنون. والمُنكِر قسمان :

١ ـ قسم أنكر وجودهما بالمرَّة ، وهم الفلاسفة [(١)].

٢ ـ وقسم أنكر وجودهما الآن ، وهو أبو هاشم [(٢)] ، وعبد الجبار [(٣)] المعتزليَّان.

وممَّا يُرَدُّ عليهم به آدم عليه السلام ، وغير ذلك من الآيات الصريحة.

ومحلُّ الجنَّة فوق السموات السبع ، ولم يصحَّ في محلِّ النار خبر.

قوله : (دارا خـلود)

أي : إقامة وتأبيد. وفي ذلك ردٌّ على الجَهميَّة [(٤)] القائلين بفنائهما ،

---

(١) وهذا الكلام كفر؛ لإنكار الجنة والنار حالاً ومآلاً. انظر إتحاف المريد (١٥١).

(٢) سبقت ترجمته ص(٨١) .

(٣) سبقت ترجمته ص(٢٣١) .

(٤) الجهميَّة أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها ، وزعم أنَّ الجنَّة والنار تبيدان وتفنيان ، وكُفِّر بذلك. ظهرت بدعته بترمذ ، وظلَّ أتباعه حتى القرن الحادي عشر ، ثم اعتنقوا مذهب الأشاعرة فيما بعد. انظر الفَرق بين الفِرَق (١٩٩ ـ ٢٠٠) والملل والنحل (١/ ٨٦) ودائرة المعارف الإسلامية (٧/ ١٩٥).

وفناء أهلهما ، وهم كفَّار . وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ . . . ﴾ (١) الآيات ، فالمراد بالسموات والأرض سقف النار وأرضها ، وسقف الجنَّة وأرضها ، لا سماء الدنيا وأرضها؛ لتبدُّلهما قبل الدخول. وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ (٢) أي : بدخولهم النار أوَّلاً. ثمَّ يخرجون منها ، أي : فخلودهم إمَّا من غير سابقة عذاب ، أو مع سابقة العذاب .

قوله : **(معذَّب)** أي : بأنواع العذاب فلا خصوصية للنار ، بل يعذَّبون بالزمهرير والحيَّات والعقارب وغير ذلك .

قوله : **(منعَّم)** أي : بأنواع النعيم ، وأعلاه رؤية وجه الله الكريم .

* * *

(١) سورة هود. وتمام الآية مع ما بعدها : ﴿ . . . فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٢) سورة هود (١٠٧) .

وجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ

قوله: (إيماننا بحوض خير الرسل حتمٌ)

أي: يجب علينا الإيمان بحوض نبيِّنا ﷺ، مَن أنكره فُسِّق وبُدِّع، وهو كبير متَّسع، طوله شهر، وعرضه كذلك، وزواياه سواء.

قوله: (كما قد جاءنا في النقل)

ففي الحديث: «حَوضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وزَوَاياهُ سَواءٌ [١]، ماؤُهُ أَبيضُ مِنَ اللَّبَنِ، ورِيحُهُ أَطْيبُ مِن المِسْكِ، وكِيزَانُهُ [٢] أكثرُ من نجومِ السماءِ، مَن شَرِبَ مِنه فلا يَظمَأُ أبداً» [٣].

وقد ورد فيما أوحى الله إلى عيسى في صفة نبيِّنا ﷺ: له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس، فيه آنية مثل عدد نجوم السماء، وله لون كلِّ شراب الجنَّة، وطعم كلِّ ثمار الجنة.

واختُلف هل هو قبل الصِّراط أو بعده. وقيل: له حوضان.

وفي الحقيقة الواجب علينا اعتقاد ثبوته، وجَهل تقدُّمه على الصراط أو تأخره لا يضرُّ في الاعتقاد.

---

(١) قوله: (وزواياه سواء) أي: طوله كعرضه. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٦١).

(٢) الكيزان: جمع كوز، من الأواني معروف. لسان العرب (كوز).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩). ومسلم (٢٢٩٢).

قوله: (ينال شرباً منه أقوام وفـوا بعهدهم)

أي: يشرب منه من آمن وصدَّق باليوم الآخر، واتَّبع سنَّة رسول الله ﷺ، ومات على ذلك، ولم يغيِّر ولم يبدِّل، ولم يتَّخِذ عقيدة غير ما عليه النبيّ وأصحابه.

قوله: (وقل يـذاد من طغوا)

أي: يُطرد عنه مَن غيَّر، وبدَّل في عقيدته، فالكافر بعقيدته لا يشرب منه، والمبتدِع يشرب منه بعد الردِّ. وورد: «إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ حَوضاً تَرِدُهُ أُمَّتُهُ» [١]، ولم يصحَّ أنَّ حوض صالح ضَرْعُ ناقته [٢]. وورد أنَّ الأمين عليه عليُّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه [٣].

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمرة مرفوعاً: «إنَّ لِكُلِّ نبيٍّ حَوضاً، وإنَّهم يَتَباهَونَ أَيُّهم أَكثَرُ وَارِدَةً، وإنِّي لأرجو أن أكُونَ أكْثَرَهُم وَارِدَةً».
قال الترمذي: هذا حديث غريب اهـ. ثمَّ رجَّح أنَّه عن الحسن البصري مرسلاً اهـ. وأخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن مرسلاً كما في النهاية لابن كثير (١/ ٣٧١). ونُقل عن يحيى القطان والمِزِّيّ تصحيح هذا الحديث.

(٢) يشير الإمام الصاوي بهذه العبارة إلى حديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات عن عبد الكريم بن كيسان عن سويد بن عميرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي أشرب منه يوم القيامة ومن اتَّبعني من الأنبياء، ويبعث الله ناقة ثمود لصالح، فيحلبها فيشربها والذين آمنوا معه حتى يوافوا بها الموقف معه...» ثم قال: هذا حديث موضوع لا أصل له. انظر الموضوعات (٣/ ٢٤٤).

(٣) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء من طريق محمد بن عبد الرحمن القشيري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطيّة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «أُعطيتُ في عَليٍّ خَمساً، أمَّا إحداها، فيواري عَورَتي، والثانيةُ: يَقضي ديني، والثالثةُ: أنَّه مُتَّكئي في طُول الموقف، والرابعةُ: فإنَّه عَوني على حَوضي، =

وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبيان أنواع الشفاعة

قوله: (وواجب شفاعة المشفَّع)

هذا شروع في ذكر نوع آخر من السمعيَّات الواجب اعتقاده، أي: ممَّا يجب اعتقاده أنَّ النبيَّ ﷺ شافع مُشفَّع.

فقوله: (محمد)

بالجرِّ بدل من المشفَّع، **والشفاعة لغة**: الوسيلة والطلب. **وشرعاً**: سؤال الخير للغير.

قوله: (مقـدَّماً)

حال من محمَّد. أي: ممَّا يجب اعتقاده أنَّ النبيَّ مع كونه شافعاً، ومقبول الشفاعة مقدَّم على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرَّبين، وله شفاعات:

= والخامسةُ: فإنِّي لا أخافُ عَليهِ أن يَرجِعَ كافِـراً بعد إيمانٍ، ولا زانياً بعد إحصانٍ» (١٠/ ٢١١ ـ ٢١٢) كما أخرجه غيره بلفظ آخر.

قال ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٦١): محمد بن عبد الرحمن القشيري منكر الحديث.

وقال ابن حجر في لسان الميزان (٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥١): قال الدار قطني: متروك الحديث.

وقال الذهبي في المغني (٢/ ٦٠٦): كذاب مشهور.

والثابت في الصحيحين أن النبي ﷺ هو الذي يذود عن حوضه.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «وَالذي نفسي بيده، لأذُودَنَّ رجالاً عن حَوضي، كَمَا تُذادُ الغريبَةُ من الإبل عَنِ الحَوضِ».

انظر صحيح البخاري (تحقيق د. البغا) (٢/ ٨٣٤) برقم (٢٢٣٨).

أعظمها الشفاعة في فصل القضاء (١): وهي مختصَّة به قطعاً؛ لأَنَّ الناس في ذلك الوقت يذهبون إلى الرسل من آدم إلى عيسى فرداً فرداً يسألونهم الشفاعة في الانصراف من ذلك الموقف ، فكلٌّ يبدي حُجَّة إلى أن يذهبوا إليه ﷺ يسألونه الشفاعة ، فيقول: «أَنا لَها أَنا لَها» (٢) فَيسْجُدُ تَحتَ العَرشِ ، فيقولُ اللهُ له: ارفَع رأسَك ، واشفَعْ تُشَفَّعْ ، فيرفَعُ رَأسَهُ ، وهذا هو المقامُ المحمودُ؛ لأنَّه من حينها يكثر حمد الناس له ، فيُنصب له لواء له ثلاث زوايا ، زاوية بالمشرق ، وأخرى بالمغرب ، وأخرى بالوسط ، والأنبياء ومَن دونهم تحت ذلك اللواء .

وثـاني الشفاعات: في إدخال قوم الجنَّة بغير حساب ، وهي مختصَّة به أيضاً .

ثالثها: فيمن استحقَّ دخول النار أن لا يدخلها ، وليست مختصَّة به ﷺ .

رابعهـا: في إخراج الموحِّدين من النار ، وليست مختصَّة به أيضاً ، وقيل: إنْ لم يكن معه إلا مثقالُ ذرَّة من الإيمان اختصَّت به وإلا فلا .

خـامسها: في زيادة الدرجات في الجنَّة لأهلها .

سـادسها: في جماعة من صلحاء أمَّته ؛ ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات .

سـابعها: فيمن خُلِّد في النار من الكفَّار أن يخفَّف عنهم العذاب في

---

(١) هذه لا ينكرها المعتزلة؛ لأنَّها شفاعةٌ عامَّةٌ للناس أجمعين . وهي للتخلُّص من هول الموقف ، وهذا هو المقام المحمود الذي قال فيه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ وهو الذي يحمده عليه الأوَّلون والآخِرون . انظر تحفة المريد (١١٧) .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣) بلفظ: «أنا لها» مرَّة واحدة . وأخرجه البخاري (٤٧١٢) في حديث الشفاعة بدونها .

أوقات مخصوصة ، كما في حقِّ أبي طالب على القول بموته على الكفر (١) ، وأبي لهب .

ثامنها : في أطفال المشركين أن لا يعذَّبوا .

وبالجملة فالمختصُّ به قطعاً الشفاعة العظمى ، وأمَّا ما عداها ففيه خلاف .

قوله : (لا تمنع)

أي : لا تعتقد امتناع شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم ، وفيه ردٌّ على المعتزلة القائلين بامتناع شفاعته لأهل الكبائر . قال ﷺ : «ادَّخرتُ عند ربِّي شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتي» (٢) .

---

(١) قيل : إن أبا طالب أسلم . والتحقيق أنه لم يصحّ إسلامه ، ورواية العباس نُطْقَ أبي طالب بالشهادتين ـ لمَّا طلب رسول الله ﷺ ذلك عند احتضاره ـ إسنادها واهٍ . انظر الإصابة (٧/ ٢٣٥) وما بعدها .
وقد صّرح كثير من العلماء بعدم إسلامه ، منهم الحافظ ابن كثير ، قال : (كان يصدُّ الناس عن أذيَّة رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ، ونفس ومال ، ولكن مع هذا لم يقدِّر الله له الإيمان ؛ لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجَّة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب ، وترحّمنا عليه) . انظر البداية والنهاية (٣/ ١٢٦) .

(٢) رواه ابن عساكر كما في تهذيبه لبدران (٤/ ٢٨٢) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : «ادَّخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» .
ورواه أبو نعيم في تاريخ أَصبَهان بلفظ : «ادَّخرتُ الشفاعة لأهل الكبائر» .
وهو عند أبي داود رقم (٤٧٣٩) . والترمذي (٢٤٣٥) بلفظ : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . وله شاهد عند الطبراني في الكبير ، كما في إتحاف السادة المتقين (١٠/ ٤٨٨) من حديث ابن عباس : «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ نبيٌّ قبلي . . . وقيل لي : سَلْ تُعْطَهْ ، فادَّخرت دعوتي شفاعةً لأمتي ، فهي نائلةٌ ـ إن شاء الله تعالى ـ لمن مات لا يُشرك بالله شيئاً» .

١١٤ـ وغَيرُهُ مِن مُرْتَضى الأَخْيارِ   يَشْفَعْ كمَا قَدْ جَاءَ في الأَخْبَارِ
١١٥ـ إِذْ جَائِزٌ غُفْرانُ غَيرِ الكُفرِ   فَـلَا نُكَفِّـر مُـؤمِنَـاً بـالـوِزْرِ

. . . .

قوله: (وغيره من مرتضى الأخيار يشفع)

كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء والأطفال.

والمولى يشفع أيضاً فيمن قال: (لا إله إلا الله)، ولم يعمل خيراً قطُّ.

قوله: (كما قد جاء في الأخبار)

الدالَّة على ذلك ممَّا أجمع عليه أهل السنَّـة.

بيان في غفران الذنوب

قوله: (إذ[1] جائز غفران غير الكفر)

أي: من الذنوب التي بلا توبة ولا شفاعة، فبالشفاعة أَولى، والدليل

---

(١) (إذ) هنا تفيد التعليل، وهي تابعة لما قبلها أي: للشفاعة، أي: إنَّ الشفاعة جائزة؛ لأنَّ الغفران جائز، فالغفران محو الذنب من غير تدخُّل آخر، والشفاعة محو الذنب بواسطة آخر.
والشفاعة وإن كانت واجبة شرعاً، إلا أن لها دليلاً عقلياً، أشار إليه بقوله: (إذ جائز) الواقع علة لقوله: (لا تمنع) في البيت قبل السابق. يعني لا تمنع الشفاعة شرعاً؛ لما ورد من إثباتها، ولا عقلاً؛ لأنه يجوز عقلاً وسمعاً على الله غفران الذنوب تفضلاً وإحساناً. انظر إتحاف المريد (١٥٣).

١١٥ـ إذْ جَائِزٌ غُفْرانُ غَيرِ الكُفرِ فَلاَ نُكَفِّر مُؤمِنَاً بالوِزْرِ
١١٦ـ ومَن يَمُتْ ولَم يَتُبْ مِن ذَنْبِهِ فَأمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِربِّهِ

على غفران غير الكفر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[١] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٢] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣] .

والحكمة في غفران المعاصي دون الكفر أنَّ المعاصي لا يخلو فاعلها من خوف عقاب ، ورجاء رحمة وعفو ، بخلاف الكفر؛ فإنَّ فاعله لا يعتقد بطلان ما هو عليه ، ولا يعتقد نقص نفسه ، بل يحسبون أنَّهم على شيء ، ألا إنَّهم هم الكاذبون.

قوله: (فلا نكفِّر مؤمناً بالوزر)

هذا مفرَّع على ما تقدَّم ، وفيه ردٌّ على الخوارج القائلين بتكفير من ارتكب الذنوب ، وعلى المعتزلة القائلين بأنَّ له منزلةً بين المنزلتين.

قوله: (ومن يمت ولم يتب من ذنبه)

أي: الكبائر غير المكفِّرة ، وهو غير مستحلٍّ[٤] لها.

قوله: (فأمره مفوَّض لربِّه)

أي: فهو تحت المشيئة لا يقطع له بالعفو ولا بالعقاب ، وإنَّما لم يقطع له بالعفو؛ لئلاَّ تكون الذنوب في حكم المباحة ، ولا بالعقاب؛

---

(١) سورة الشورى (٢٥).
(٢) سورة الزمر (٥٣).
(٣) سورة النساء (٤٨).
(٤) لأنَّ ارتكاب الكبائر ، إنْ كان بطريق الاستحلال والاستخفاف كان كفراً؛ لكونه علامة التكذيب. انظر شرح العقائد النسفية (١٧٣).

لأنَّه سبق أنَّه يجوز عليه غفران ما عدا الكفر. هذا مذهب أهل الحقِّ متمسِّكين بالأدلَّة الدالَّة على أنَّ المؤمنين يدخلون الجنَّة. قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1]، وقال ﷺ: «مَن قالَ لاَ إلهَ إلا الله دَخَل الجنَّة»[2]، وليس ذلك قبل دخول النار، فتعيَّن أن يكون بعدها؛ لأنَّ من دخل الجنَّة لا يخرج منها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3].

قوله: (وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة)

أي: نفوذ الوعيد في بعضٍ من كلِّ طائفة من طوائف أهل الكبائر[4] غير المكفَّرة الذين ماتوا من غير توبة، والبعض يَصدُق، ولو بواحد من كلِّ طائفة، وما بقي يحصل العفو عنه.

وإنَّما وجب اعتقاد ذلك؛ لوجود الأخبار القرآنية والسنَّة بكيفية عذاب أهل الكبائر في النار، فيستحيل تخلُّفها.

قوله: (ثمَّ الخلود مجتنب)

أي: مَن أراد الله تعذيبه من عصاة المؤمنين فخلوده مجتنب، أي: لا نقول به.

ثمَّ اعلم أنَّ المكلَّفين:

إمَّا كافر، وهو مخلَّد في النار إجماعاً.

---

(١) سورة الزلزلة (٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٢)، ومسلم (٩٤).
(٣) سورة الحجر (٤٨).
(٤) انظر ص(٢٣٥ ـ ٢٣٦) من هذا الكتاب.

وإمَّا مؤمن لم يذنب قطُّ كالأنبياء ، فهو في الجنَّة إجماعاً قطعاً.

وإمَّا مؤمن مذنب تاب من ذنوبه ، فهو في الجنَّة قطعاً أو ظنَّاً[١] .

وإمَّا مؤمن مذنب لم يتب ، والذنب من الكبائر ، فَمُخلَّد في الجنَّة ، إمَّا ابتداء إن حصل العفو أو الشفاعة ، أو بعد التعذيب بالنار بقدر الذنب .

الشُّهداء ومراتبهم

قوله : (وصف شهيد الحرب)

وهو المؤمن المقتول في حرب الكفَّار لإعلاء كلمة الله تعالى بسبب من أسباب القتال[٢] ، ومثله كلُّ من قُتل على الحقِّ ، كقتال البُغاة وقُطَّاع الطريق ، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) لأنَّ في قبول التوبة خلافاً. فأبو الحسن الأشعري يقول: قبولها قطعي ، وإمام الحرمين وأبو بكر الباقلاني يقولان : قبولها ظنيٌّ. انظر ص(٤١٩ ـ ٤٢٠) من هذا الكتاب .

(٢) هذا مذهب السادة المالكيَّة والشافعيَّة. انظر بلغة السالك لأقرب المسالك (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) ، والمقدمة الحضرميَّة باب الجنائز .
أما عند السادة الأحناف فالشهيد أوسع وهو : من قتله أهل الحرب أو أهل البغي أو قطَّاع الطريق أو اللصوص في منزله ليلاً ولو بمثقَّل ، أو وجد في المعركة وبه أثرٌ ، أو قتله مسلم ظلماً عمداً بمحدَّد. انظر نور الإيضاح باب أحكام الشهيد .

وقولنا: (لإعلاء كلمة الله) مخرج لمَن قاتل لا لإعلاء كلمة الله ، بل للغنيمة ، أو لإظهار الشجاعة؛ فإنَّ له حكم **شهداء الدنيا** من عدم غسلهم والصلاةِ عليهم[١] ، لا ثوابهم الكامل. **وأمَّا شهيد الآخرة** كالمطعون والمبطون ونحوهما ، فإنَّه وإن كان كالأوَّل في الثواب إلا أنَّه دونه في الحياة والرزق وأحكام الدنيا[٢].

وسُمِّي شهيداً؛ لأنَّ روحه شهدت[٣] دار السلام ، أي: دخلتها. أو لأنَّ الله وملائكته يشهدون[٤] له بالجنَّة.

قوله: (بالحياة)

أي: الكاملة ، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٥] فحياتهم حقيقية غير مكيَّفة ، ولا معقولة

---

(١) لا يغسل الشهيد ولا يصلى عليه عند السادة المالكية والشافعية . انظر بلغة السالك لأقرب المسالك (١/ ٣٥٤) ، والمقدمة الحضرميَّة باب الجنائز.
أما عند السادة الأحناف فيُصلى عليه ، ولا يُغسَّل. انظر نور الإيضاح باب أحكام الشهيد.

(٢) فإن شهيد الآخرة دون شهيد الحرب في الحياة والرزق في البرزخ ، ودونه في أحكام الدنيا؛ فإنَّه يغسَّل ويصلَّى عليه.
فظهر أن الشهداء ثلاثة: شهيد دنيا وآخرة (وهو شهيد الحرب) ، وشهيد دنيا فقط ، وشهيد آخرة فقط. انظر إتحاف المريد (١٥٥).

(٣) شهيد بوزن فَعِيل ، بمعنى فاعل ، أي: شَاهِد لدار السلام بروحه.

(٤) شهيد بوزن فَعِيل ، بمعنى مفعول ، أي: مشهود له بالجنة من الله وملائكته.
انظر إتحاف المريد وحاشية الأمير عليها ص(١٥٥).

(٥) سورة آل عمران (١٦٩).

للبشر ، يجب الإيمان بها والكفُّ عن الخوض في كيفيتها ، ويُقرِّبُ ذلك ما يقع للأولياء من كون أرواحهم تسرح في الملك حيث شاءت مع حياة جسمه وجلوسه بيننا.

قوله: (ورَزقه)

بفتح الراء ، من إضافة المصدر لمفعوله ، أي: رَزْقُ الله إيَّاه.

قوله: (من مُشْتَهى الجنات)

أي: فيتنعَّم بالأكل والشرب واللبس ، وما ورد من أنَّ «أرواحهم في حواصل طيور خضر»[١] فمعناه أنَّ تلك الطيور كالهوادج الشفَّافة الواسعة ، أو أنَّها كالطير في سرعة قطع المسافة البعيدة[٢].

* * *

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم في باب أرواح الشهداء بلفظ «. . . أرواحهم في جَوْف طَيْرٍ خُضْرٍ لها قناديلُ معلَّقَةٌ بالعرشِ تَسْرَحُ مِن الجنَّةِ حيثُ شاءتْ. . .».
وأخرجه الترمذي برقم (١٦٤١). والنَّسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين. وابن ماجه برقم (٤٢٧١).

(٢) لا أنَّ أرواحهم لها أجنحة ، أو أنها تَعْمُر أجساماً أُخَر فتديرها؛ لئلا يلزم التناسخ اهـ. إتحاف المريد (١٥٥).

الرِّزق ما به انتُفِع

قوله: (والرزق عند القوم ما به انتفع)

يعني أنَّ الرزق عند أهل السنَّة ما انتُفع[1] به بالفعل، فلا يأكل أحدٌ رزقَ غيره، ولا يأكل غيرُه رزقَه، وشمِل كلامُه الإنسانَ والدوابَّ وغيرهما.

قوله: (وقيل لا بل ما ملك)

أي: انتفع به أَوْ لا. وهذا القول للمعتزلة.

قوله: (وما اتُّبع)

أي: لم يعوَّل عليه؛ لأنَّه فاسد طرداً وعكساً:

أما الأوَّل: فلأنَّ المولى سبحانه وتعالى يسمَّى مالكاً، فيقتضي أنَّه

---

(١) بمعنى أنَّ الإنسان إذا خلَّف مالاً لورثته، فهو رِزقهم لا رزقه؛ لأنَّه لم ينتفع بذلك المال. أخرج البخاري في الرقاق باب (ما قدَّم من ماله فهو له) رقم (٦٠٧٧) عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «أَيُّكُم مالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إليه من مَالِه؟ قالوا: يا رسولَ الله ما مِنَّا أَحَدٌ إلا مالُهُ أحبُّ إليه، قال: فإِنَّ مَالَه ما قَدَّم، ومالُ وارِثِهِ ما أَخَّر».
قوله: (ما قدَّم) أي: صرفه في حياته في مصارف الخير. وقوله: (ما أخَّر) أي: ما ادَّخره حتَّى مات، وتركه لوارثه.
قال أحدُهم:

لِمَ لا أُحبُّ الضيفَ أو أرتاحُ مِنْ طربٍ إليهْ
والضيفُ يأكُلُ رِزْقَهُ عندي ويشكُرُني عليهْ

يقال له: مرزوق. وذلك لا يصحُّ.

وأما الثاني: فلأنَّه يلزم عليه أنَّ العبيد والدوابَّ يأكلون رزق أصحابهم.

قوله: (فيرزق الله الحلال)

هذا مفرَّع على مذهب أهل السنة، أي: إذا علمت أنَّ الرزق ما انتُفع به يجب علينا اعتقاد أنَّ الله يرزق الحلال، وهو ما كان منصوصاً على إباحته.

قوله: (فاعلما) الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة.

قوله: (ويرزق المكروه) وهو ما نهى عنه نهياً غير مؤكَّد.

وقوله: (والمحرَّما)

هو ما نُصَّ على حرمته لذاته أو لعارض[1]. وفي ذلك ردٌّ على المعتزلة القائلين: إنَّ الحرام لا يكون رزقاً.

* * *

---

(١) أَمَّا المحرَّم لذاته فكالخمر والخنزير، وأمَّا لعارض فكالمسروق من الطعام مثلاً، فهو في أصله حلال إلا أنَّه صار محرَّماً بعارض السرقة.

الاكتساب والتوكُّل

قوله: (في الاكتساب والتوكل اختلف)

أشار بذلك إلى مسألة من مسائل التصوُّف الآتي بعضه[1] في قوله:

وكن كما كان خيار الخلق ... ...

وإنَّما قدَّمها هنا؛ لتعلُّقها بمبحث الرِّزق.

فحاصله أنَّه وقع خلاف في الاكتساب ـ وهو السعي في أسباب الرِّزق كالسفر للأرباح ـ هل هو أفضل أو التوكُّل بمعنى التجرُّد عن الأسباب، فإنَّ الأوَّل مأمور بالتوكُّل أيضاً. والمراد بالمتجرِّد مَن قَطَع النظر عن الأسباب، وترك السعي فيها. فرجَّح قومٌ الأوَّل؛ لما فيه من كفِّ النفس عن التطلُّع إلى ما في أيدي الناس، والتذلُّلِ والخضوع لهم مع حيازة منصب التوسعة على عباد الله، وصلة الأرحام، ومواساة الفقراء. ورجَّح قوم الثاني؛ لما فيه من ترك كلِّ ما يشغل عن الله، وسلامتِه من فتنة المال، والاتصاف بالرغبة إلى الله تعالى، والوثوق بما عنده.

---

(١) انظر ص(٤٣٤) وما بعدها من هذا الكتاب.

قوله: (والراجح التفصيل)[١]

أي: فالمختار أنَّهما يختلفان باختلاف أحوال الناس، فمَن كان لا يتطلَّع لما في أيدي الناس، ولم تتعلَّق به نفقة لازمة، أو تعلَّقت ورضي المنفَق عليه بحاله، وكان لا يتسخَّط إذا قلَّت الدنيا من يده، فالتجرُّد في حقِّه أفضل؛ لما فيه من ترك شهوات النفس ولذَّاتها، والصبر على شدَّتها. ومَن كان في تجرُّده على خلاف ذلك بأن كان متسخِّطاً ولا صبر عنده، فالاكتساب في حقِّه أفضل. وبالجملة فالعبرة بما أقام الله العبد فيه.

قال ابن عطاء الله السكندري[٢]: (إرادتُكَ التجريدَ مع إقامةِ اللهِ لكَ في الأسبابِ من الشهوة الخفيّةِ، وإرادتُكَ الأسبابَ مع إقامةِ اللهِ لكَ في التجريدِ انحطاطٌ عن الرتبةِ العليّةِ)[٣].

---

(١) هذا التفصيل لا يتمشَّى إلا على أحد طريقي العلماء: وهو أَنَّ الاكتساب ينافي التوكُّل. وأما على الطريق الثاني الراجح عند الجمهور (وهو أن الاكتساب لا ينافي التوكُّل) فلا؛ لأنَّهم عرَّفوا التوكُّل بأنَّه الثقة بالله تعالى، والإيقان بأنَّ قضاءه نافذ، واتباعُ سنَّة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه سيما المطعم والمشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
انظر إتحاف المريد (١٥٦).

(٢) سبقت ترجمته ص(٢٢٦).

(٣) انظر شرح الحكم العطائية للشرنوبي ص(١٦)، حكمة رقم (٢).

قوله: (حسبما عُرِف)[١]

أي: من كتب الصوفية كالإحياء للغزالي[٢]، والرسالة للقشيري[٣].

* * *

(١) من أَنَّ للتوكل معنيين:
أحدهما: ترك تعاطي الأسباب بالاختيار.
ثانيهما: اعتماد القلب على الله تعالى فيما يجلبه من خير، أو يدفعه من ضر.
وفي ذلك قال الجنيد: ليس التوكل بالكسب، ولا ترك الكسب. التوكل بسكون القلب إلى موعود الربِّ. انظر عمدة المريد ج٤ (ق٥٥/ب) وما بعدها.

(٢) سبقت ترجمته ص(١١٤).

(٣) عبد الكريم بن هَوازن بن عبد الملك النيسابوري الأستاذ أبو القاسم الملقَّب زين الإسلام، الإمام، ولد سنة ست وسبعين وثلاثمئة، أخذ الفقه عن أبي بكر الطُوسي، وعلْمَ الكلام عن الأستاذ أبي بكر بن فُورَك؛ وأخذ التَّصوُّف عن أستاذه أبي عليّ الدقَّاق، كان فقيهاً أصولياً محدِّثاً مفسِّراً نحوياً لغوياً. من تصانيفه: التفسير الكبير، والرسالة، وآداب الصوفية، وكتاب المناجاة، توفِّي سنة خمس وستين وأربعمئة للهجرة. انظر طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٥٢ وما بعدها).

الشيء هو الموجود

قوله: (وعندنا الشيء هو الموجود)

هذا شروع في ذكر مسائل ينفع علمها ولا يضرُّ جهلها. فعند أهل الحقِّ من الأشاعرة أنَّ الشيء اسم للموجود، فكلُّ شيء موجود، وكلُّ موجود شيء[١].

قوله: (وثابت في الخارج الموجود)

يعني أنَّ الثابت في الخارج بحيث يصحُّ أن يُرى هو الموجود، ولا واسطة[٢] بينهما، خلافاً لمن أثبت الأحوال، فقال: هي ثابتة في

---

(١) خلافاً للمعتزلة: فالمعدوم عندهم شيء؛ لأنَّ الأشياء قبل وجودها ثابتة في نفسها؛ إلا أنها مستترة كاستتار الثوب في الصندوق. ولذلك يقولون: إن الحقائق ليست بجعل جاعل، لم تتعلق القدرة إلا بظهورها؛ لاستتارها قبل ذلك.
وأما أهل السنة فيقولون: إنها بجعل جاعل، تعلَّقت القدرة بوجودها؛ لعدم ثبوتها قبل ذلك.
وهذا كله إنما هو في الشيء اصطلاحاً. وأما لغة: فالشيء هو الأمر مطلقاً موجوداً أو معدوماً اهـ. تحفة المريد (١٢١). وانظر ص(١٤٣ ـ ١٤٤) من هذا الكتاب.
ولخَّص شيخ الإسلام زكريا الأنصاري هذه المسألة بقوله: الشيء عند أهل السنَّة الموجود، وعند المعتزلة ماله تحقُّق ذهناً أو خارجاً. انظر الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (٦٦).

(٢) المراد بالواسطة في علم المنطق الاحتمال الثالث، فقولنا مثلاً: زيد إمَّا قائم، =

نفسها ، لا موجودة فيصحُّ أن تُرى ، ولا معدومة[١]، بل هي واسطة بينهما.

الوجود عين الموجود والجوهر الفرد حادث

قوله: (وجود شيء عينه)[٢]

يعني أنَّ وجود كلِّ شيء من الموجودات عين ذاته ، وليس زائداً على حقيقتها ، فالمعدوم لا حقيقة له في الخارج ، وليس ثابتاً.

قوله: (والجوهر الفرد)

عبارة عن الجزء الذي لا يتجزَّأ ، أي: لا يقبل الانقسام أصلاً ، لا طولاً ولا عرضاً ، ولا عمقاً ولا كسراً ، ولا قطعاً ولا وهماً ولا فَرَضاً.

= وإمَّا في حالة القرفُصاء ، يحتمل حالة ثالثة وهو أن يكون قاعداً. فإذاً ليس المراد بالواسطة التوسُّط ، إنَّما مطلق الحالة الثالثة. وهنا المراد أنَّ الشيء إمَّا موجود ، أو معدوم ، ولا حالة ثالثة له. خلافاً لمن أثبت الأحوال.

(١) في (د) ولا معلومة. وأثبتنا ما يقتضيه المعنى ؛ إذ السياق في الحديث عن الواسطة بين الموجود والمعدوم.

(٢) قال الملَّوي في حاشيته على شرح السنوسية (ق ٧/أ): وجود كل شيء عينه: بمعنى أنَّه ليس في الخارج صفة وجوديَّة هي الوجود ، بل الوجود أمر اعتباريّ عبارة عن التحقُّق.

١٢٣ـ وُجُودُ شَيءٍ عَيْنُهُ والجَوْهَرُ الفَـرْدُ حَادِثٌ عِندَنا لا يُنْـكَرُ
١٢٤ـ ثُمّ الذُّنُوبُ عِندَنَا قِسْمَانِ صَغِيــرةٌ كَبِيــرَةٌ فــالثَّــانِــي

قوله: (حادث)

أي: مسبوق بعدم؛ لملازمته للأعراض الحادثة، وملازم الحادث حادث. فحدوث الجوهر بالملازمة للأعراض، وحدوث الأعراض بمشاهدة تغيُّرها وانتقالها من حالة لأخرى، ويلزم من حدوثه حدوث العالم لتركُّبه منها، والمركَّب من الحادث حادث، وتقدَّم ذلك[1].

إذا علمت ذلك فهذه المسألة أصل كبير ينبغي معرفتها والاعتناء بها؛ لأنَّه إذا لم يثبت حدوث الجوهر الفرد فلربَّما تُوصِّل بذلك إلى القول بقدم العالم.

قوله: (عندنا لا ينكر)

أي: ثبوته[2] وتقرُّره في الوجود، فالأجسام كلُّها مركَّبة منه.

الذنوب والتوبة منها

قوله: (ثمَّ الذنوب عندنا قسمان)

أي: عند أهل السنَّة، وردَّ بذلك على المرجئة[3] القائلين: إنَّ

---

(١) انظر ص(١٢٨ ـ ١٢٩) من هذا الكتاب.
(٢) يريد ثبوت الجوهر الفرد الحادث؛ لأنَّ الله تعالى قادر على تفريق الأجسام بحيث لا يبقى جزء على جزء. وغرض الماتن بذلك الردُّ على الفلاسفة المنكرين للجوهر الفرد. انظر تحفة المريد (١٢١).
(٣) الإرجاء على معنيين، أحدهما: بمعنى التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء، وأمَّا =

١٢٤ـ ثُمّ الذُّنُوبُ عِندَنَـا قِسْمَانِ   صَغِيـرةٌ كَبِيـرَةٌ فـالثَّـانِـي

. . . .

الذنوب كلّها صغائر، ولا يضرُّ مع الإيمان ذنب. وعلى الخوارج حيث قالوا: إنَّ كلَّ ذنب كبيرة، ومرتكبها كافر.

قوله: (**صغيرة كبيرة**) حذف العاطف للضرورة.

واعلم أنَّ الكبائر لا تحصر بعدد، وإنَّما لها أمارات:

- منها إيجاب الحد[١] نصَّاً.

- ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنّار[٢] ونحوها.

- ومنها وصف فاعلها بالفسق نصَّاً.

- ومنها اللعن كلَعَنَ الله السارق[٣].

وأكبرها الكفر بالله، ثمَّ القتل العمد.

وما خرج عن حدِّ الكبيرة وضابطها فهو صغيرة، ولا تحصر أفرادها،

= إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأوّل فصحيح؛ لأنّهم كانوا يؤخِّرون العمل عن النيّة والعقد، وأمّا بالمعنى الثاني فظاهر؛ لأنَّهم يقولون: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة. انظر الملل والنحل (١/ ١٣٩).

(١) كالقطع في السرقة؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ سورة المائدة (٣٨). والجَلْدِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ سورة النور (٢).

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ سورة النساء (٩٣).

(٣) وهو حديث: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البيضَةَ فتُقْطَعُ يَدُهُ، ويَسرِقُ الحَبْلَ فتُقْطَعُ يَدُهُ». رواه البخاري في كتاب الحدود برقم (٦٤٠١) عن أبي هريرة. ورواه مسلم. والنَّسائي. وابن ماجه.

١٢٤ـ ثُمّ الذُّنُوبُ عِندَنَا قِسْمَانِ صغِيرةٌ كَبِيرَةٌ فالثَّانِي
١٢٥ـ مِنهُ المتابُ وَاجِبٌ في الحالِ ولا انتِقَاضَ إنْ يَعُدْ للحَالِ

. . . .

وربَّما تقلب الصغيرة كبيرةً بأمور منها: الإصرار، والتهاون، والفرح، والافتخار بها.

قوله: (فالثاني منه المتاب واجب في الحال)

أي: في حال التلبُّس بالمعصية، والمراد بالمتاب التوبة الشرعية **وأركانها ثلاثة:**

ـ الإقلاع عن المعصية.

ـ والندم على فعلها.

ـ والعزم على أن لا يعود إلى مثلها.

وتصحُّ التوبة، ولو من بعض المعاصي، وهذه الأركان للمعاصي التي تكون بين العبد وبين ربِّه.

أمَّا المتعلِّقة بحقِّ الآدميين فيزاد فيها ردُّ المظالم إلى أهلها، أو مسامحتهم له، ولو إجمالاً عند الإمام مالك، فبراءةُ المجهول صحيحة عنده. فإن لم يقدر على ردِّ المظالم بأن كان مُسْتَغْرَقاً لذمم، فالمطلوب منه الإخلاص وكثرة التضرُّع، لعلَّ الله يُرضي عنه خصماءه يوم القيامة.

ولا خلاف في وجوبها عيناً[١]، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] وقوله ﷺ: «إذا تابَ العَبْدُ أنسى

---

(١) أي في وجوب التوبة على كل مؤمن من كل كبيرة بعينها، ولو كان ذلك بتوبة إجمالية، كقوله: تبت إلى الله من جميع المعاصي.

(٢) سورة النور (٣١).

١٢٥ـ مِنهُ المتابُ وَاجِبٌ في الحالِ ... ولا انتِقَاضَ إنْ يَعُدْ للحَالِ
١٢٦ـ لَكِنْ يُجَدِّدْ تَوْبَةً لما اقْتَرَفْ ... وفي القَبُولِ رَأْيُهُم قَدِ اخْتَلَفْ

. . . .

اللهُ الحفَظَةَ ذنوبَهُ ، وأنسى ذلك جوارحَه ومعالمه من الأرض حتى يلقى اللهَ وليس عليه شاهدٌ بذنبٍ»[١] .

قوله : (ولا انتقاض إن يعد للحال)

أي : لاتنتقض توبة التائب الشرعية إن رجع للحالة الأولى التي كان عليها من التلبُّس بالذنوب ثانياً ، وإنما عوده ونقضه معصية أخرى .

قوله : (لكن يجدِّد توبة لما اقترف)

أي : للذنب الذي ارتكبه ثانياً . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[٢] وهم الذين كلَّما أذنبوا تابوا . وفي الحديث : «التَّائِبُ مِنَ الذَّنبِ كَمَن لا ذَنبَ لَهُ»[٣] .

قوله : (وفي القبول رأيهم قد اختلف)

أي : في قبول التوبة خلاف ، فقال الأشعريُّ[٤] بقبولها قطعاً . وقال

---

(١) أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٧٥١) . وضعَّفه المنذري في الترغيب (٤/ ٩٤) فصدره بـ (رُوِي) .
(٢) سورة البقرة (٢٢٢) .
(٣) حسَّنه الحافظ ابن حجر لشواهده كما في المقاصد (١٥٢) للسخاوي . والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) . وإسناده منقطع كما قال المنذري في الترغيب (٢/ ٩٧) . والسخاوي (١٥٢) . وأخرجه البيهقي في الشُّعَب (٧١٧٨) . قال السخاوي : سنده ضعيف .
(٤) سبقت ترجمته ص(٨٧) .

إمام الحرمين[١] والقاضي[٢] ظنّاً.

وكلُّ هذا في غير الكافر، وأمَّا هو فتوبته مقبولة قطعاً؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٣].

والفرق بين الكافر والعاصي: أنَّ الكافر مطرود عن رحمة الله بالكُليَّة، والعاصي ليس بمطرود، بل غاية ما في العاصي تطهيره بالعذاب، ثمَّ يدخل الجنَّة. وأمَّا الكافر فيُحتاج إلى تألُّفه بقبول توبته؛ فإنَّه إن لم تقبل توبته لا يشَمُّ ريح الجنَّة، بخلاف العاصي، مع أنَّ رحمة الله غلبت غضبه.

ومن جملة مكفِّرات الكبائر: الحجُّ المبرور؛ لما في الحديث: «الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة»[٤]، والجهاد في سبيل الله؛ فإنَّه ورد: «إنَّ الغزوَ في سبيل الله في البرِّ يكفِّرها إلا التَّبِعات[٥]، وفي البحر يكفِّرها حتَّى التبعات»[٦].

(١) سبقت ترجمته (٢٣٣). وانظر كتابه الإرشاد (٤٠٣).
(٢) هو أبو بكر الباقلاني وسبقت ترجمته (١١١). وانظر كتابه التمهيد (٣٧٤).
(٣) سورة الأنفال (٣٨).
(٤) أخرجه البخاري (١٧٧٣). ومسلم (١٣٤٩).
(٥) جمع تبعة: وهي ما يتبع المالَ من نوائب الحقوق... وما اتَّبع به أحدٌ صاحبه من ظُلامةٍ ونحوها. انظر لسان العرب (تبع).
(٦) هذا الحديث لا أصل له هكذا. وهو عند ابن ماجه (٢٧٧٨)، والطبراني في الكبير (٧٧١٦) بنحوه. قال العراقي: عفير بن معدان أحد رواته ضعيف جداً اهـ. فيض القدير (٤/ ١٦٧).
وأخرج نحوه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٥١) وفيه يزيد الرقاشي متروك، فالحديث واهٍ جدّاً ومنكر مخالف لما رواه مسلم (١٨٨٦) عن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُغْفَرَ للشَّهيدِ كُلُّ ذنبٍ إلا الدَّينَ».

١٢٧ـوحِفْظُ دِينٍ ثُمّ نفْسٍ مَالْ نَسَبْ   ومِثْلُها عَقْلٌ وَعِرْضٌ قَدْ وَجَبْ

. . . .

وجوب حفظ الكلِّيَّات الخمس

قوله: (وحفظ دين. . . إلخ)

هذه المسألة تسمَّى عند القوم بالكليَّات[١] الخمس، وفي الحقيقة هي ستٌّ. وصدَّر بالدِّين؛ لأنَّه أعظم الواجبات. ولمَّا كان أعظمها كان أوَّلَ الواجبات المعرفةُ[٢]، فلا خير فيمن لا دين له، والمراد بحفظه صيانته عن الكفر وانتهاك الحرمات؛ ولذا شُرِع قتال الكفار الحربيين وغيرهم.

قوله: (ثمَّ نفس)

أي: عاقلة[٣]. فيجب حفظها، ولا يباح قتلها، ولا قطع أعضائها بغير حقٍّ، ولا منع الطعام والشراب الذي به قَوامها[٤]، وكذا اللباس الذي تتَّقي به الحرَّ والبرد؛ ولذا شُرِع القصاص في النفس والأطراف.

---

(١) سُمِّيت بالكُلِّيات؛ لأنَّ حفظها يتفرع عليه أحكام كثيرة اهـ. حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٥٩).
فمن هذه الأحكام مثلاً: حدُّ السرقة؛ فقد شُرِع لحفظ المال.

(٢) في ذلك إشارة إلى قول الماتن:
واجْـزِم بـأَنَّ أَوَّلاً مِمَّـا يَجِـبْ   مَعْـرِفَـةٌ وفِيـهِ خُلـفٌ مُنتَصِـبْ
انظر ص(١١٧) من هذا الكتاب.

(٣) أي شأنها العقل وهي: الإنسان ولو صغيراً أو مجنوناً، خرج البهائم فيتصرف فيها بالوجه الشرعي كالذبح. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٥٩). وتحفة المريد (١٢٣).

(٤) ولذا يأثم مَن مَنَع الطعام أو الشراب عن نفسٍ حتَّى ماتت، وإن كان لا يقام عليه حدٌّ إلا أنَّه عند الله كالقاتل.

١٢٩ـ وِمثلُ هذا مَن نَفى لمُجْمَعِ   أو استباحَ كـالزِّنـى فلتَسْمَـعِ
١٣٠ ـ ووَاجِبٌ نَصْبُ إمَامٍ عَدْلِ   بالشَّرْعِ فاعْلَمْ لاَ بِحُكْمِ العَقْلِ

قوله: (ومثل هذا من نفى لمجمع)

ظاهره وإن لم يكن معلوماً من الدِّين بالضرورة؛ كفرض السدس لبنت الابن مع البنت تكملة الثلثين، فإنَّه ثبت بإجماع الصحابة، وليس كذلك، بل المعتمد أنَّ منكره ليس بكافر، وإنَّما يكفر إذا نفى مجمعاً عليه معلوماً من الدِّين بالضرورة.

قوله: (أو استباح كالزِّنى)

هذا داخل في قوله: (ومن لمعلوم ضرورة جحد)، وإنَّما قصد بذلك التنصيص على أعيان المسائل.

وجوب نصب الإمام العادل ووجوب طاعته

قوله: (وواجب نصب إمام عدل)

هذا البحث من الفقهيَّات، وإنَّما ذكره تبعاً للقوم، أي: يجب على الأمَّة وجوباً كفائياً إقامة خليفة عدل لا يميل به الهوى، فيجورَ في الحكم، والمراد به عدل الشهادة، وهو مَن استكمل شروطاً ستَّة: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والذكورة، وعدم الفسق بجارحة أو اعتقاد.

= وقد يرفع الإثم عن المقتول حدّاً أو لا يرفع؛ لأنَّه إذا قُتل وهو مصمِّم على العودة إلى مثل معصيته فهو مصرٌّ، والحدُّ لا يطهِّره من رجسه إنَّما الذي يطهِّره التوبة الصادقة، فإن اجتمع مع الحدِّ تلك التوبة فقد رفع الإثم عنه وإلا فلا. انظر ردّ المحتار (١/ ٥٩٧ ـ ٦١٠) (٣/ ١٤٠ ـ ١٤٦).

١٢٧ـ وحِفظُ دِينٍ ثُمّ نَفْسٍ مَالْ نَسَبْ ومِثْلُها عَقْلٌ وَعِرْضٌ قَدْ وَجَبْ
١٢٨ـ وَمَنْ لِمَعْلومٍ ضَرُوْرَةً جَحَدْ من دِيننا يُقتَلُ كُفراً لَيسَ حَدْ

. . . .

وإنَّما جعلوها خمسة[1]؛ لأنَّ بين العِرض والنسب تلازماً؛ لأنَّ مَن ضيَّع النسب فقد ضيَّع العِرض.

قوله: (قد وجب)

أي: حفظ الجميع. وآكدُ الجميع حفظُ الدِّين، فتجب المحافظة على الدِّين ولو ببذل النفس والمال والنسب والعقل والعرض.

حكم من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة

قوله: (ومن لمعلوم ضرورة جحد من ديننا. . . إلخ)

يعني أنَّ كلَّ من جحد حكماً عُلم من الدين بالضرورة؛ بمعنى أنَّه اشترك في معرفته الخاصُّ والعامُّ فهو كافر، كجَحْد وجوب الصلاة أو شيء من أركانها المجمع عليها كالسجود، وحرمة الزِّنى والخمر ونحوهما.

قوله: (يقتل كفراً) أي: بعد استتابته ثلاثة أيَّام.

قوله: (ليس حدّ)

أي: ليس قتله حدّاً وكفَّارة لجرمه كما في سائر الحدود[2].

---

(١) إذ مَن عَدَّها خمساً جعل العِرض والنسب شيئاً واحداً، ومن عَدَّها ستَّاً جعل العِرض إحدى الكليات، وكذلك النسب. انظر حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٥٩).

(٢) المقتول حدَّاً يموت مؤمناً، فيغسَّل، ويكفَّن، ويصلَّى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين.
أمَّا المقتول لكفره ـ والعياذ بالله ـ فلا يُفعل ذلك به إنَّما يلقى كجيفة قذرة تطمر بالتراب.
=

١٣٠ ـ ووَاجِبٌ نَصْبُ إِمَامٍ عَدْلِ   بالشَّرْعِ فاعْلَمْ لاَ بِحُكْمِ العَقْلِ

وليس كلُّ من يصلح للإمامة يصير إماماً، بل لا بدَّ من النصِّ على إمامته إمَّا من الله تعالى(١)، أو رسوله ﷺ(٢)، أو من الإمام السابق(٣)، أو إجماع الأمَّة(٤). وهذه شروط في حالة الابتداء والاختيار، ولذلك يعزل إن أزيل وصفه(٥)، أو تغلَّب علينا في الابتداء، وهو معدوم الأوصاف.

وقوله: (بالشرع)

متعلِّق بواجب، أي: فوجوب نصبه حكمٌ شرعي، فهو أهمُّ الواجبات، ولذا اشتغل الصحابة بذلك عن دفن رسول الله ﷺ، فتأخَّر دفنه يومين؛ لأنَّه ورد أنَّه توفِّي يوم الإثنين، ودفن ليلة الأربعاء(٦).

---

(١) كقوله سبحانه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية (٢٦) من سورة ص. انظر هداية المريد لإبراهيم اللقاني (ق٣١٢/ب). وانظر تحفة المريد (١٢٤).

(٢) كقوله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٥) في الأنبياء باب المناقب. ومسلم برقم (١٨١٨) في الإمارة باب: الناس تبع لقريش. وكقوله ﷺ: «الأئمَّة من قريش...» أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٢٩) و(٤/ ٤٢١).
وانظر الجامع الصغير (١/ ٤٢٢) برقم (٣١٠٨).

(٣) كاستخلاف أبي بكر الصديق عمرَ بن الخطاب، رضي الله عنهما.

(٤) كخلافة سيدنا أبي بكر، وسيدنا عثمان، رضي الله عنهما.

(٥) المراد بقوله: (إن أزيل وصفه) طروُّ كفره. انظر ص(٤٢٨) من هذا الكتاب.

(٦) أخرجه أحمد (٦/ ١١٠) عن عائشة قالت: (توفِّي النبي ﷺ يوم الإثنين، ودفن ليلة الأربعاء). وأخرج مالك في الموطَّأ (١/ ٢٣١) بلاغاً أن رسول الله ﷺ توفِّي يوم الإثنين، ودفن يوم الثلاثاء. وأخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (١/ ١٥٣) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.
وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٧٣) من أوجه كلُّها مراسيل.
والجمع بين الروايتين أنه ﷺ دفن يوم الثلاثاء مساءً ليلة الأربعاء بدليل ما رواه ابن سعد (٢/ ٢٧٣) عن عكرمة مرسلاً قال: توفِّي رسول الله ﷺ يوم الإثنين =

١٣٠ ـ ووَاجِبٌ نَصْبُ إِمَامٍ عَدْلِ ... بالشَّرْعِ فاعْلَمْ لاَ بِحُكْمِ العَقْلِ

١٣١ ـ فَلَيسَ رُكناً يُعتَقَدْ في الدِّينِ ... فَـلاَ تَـزِغْ عَـن أَمْـرِهِ المُبيـنِ

. . . .

ولا يجوز تعدُّد الخليفة ـ ومَن خرج وجب قتاله ـ إلا إذا اتَّسعت الأقطار وبعدت جدّاً ، فيجوز التعدُّد[1].

قوله: (فاعلم لا بحكم العقل)

ردٌّ بذلك على المعتزلة القائلين بأنَّ وجوب نصبه بالعقل لا بالشرع.

قوله: (فليس ركناً يعتقد في الدِّين)

أي: من القواعد المجمع عليها المنقولة بالتواتر كأركان الإسلام، بل حكمه حكم سائر الشرعيات[2].

= فجلس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دُفن من الليل اهـ.

واتفقوا على أنَّه ﷺ توفِّي يوم الإثنين. انظر فتح الباري (٨/ ١٣٩). وانظر الشمائل للترمذي في وفاته ﷺ.

(١) علَّل إبراهيم اللقاني ـ رحمه الله ـ في شرح جوهرته عدم تعدد الخلفاء، فقال: لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى النفاق والمخالفة والشقاق وحدوث الفتن. . . فأمَّا إذا بَعُد المدى وتخلَّل بين الإمامين شسوع النوى فالاحتمال في ذلك محال.

ونَقَلَ عن الأستاذ أبي إسحاق أنَّه يُجَوِّز ذلك في إقليمين متباعدين غاية التباعد كالأندلس وخراسان؛ لئلاَّ يتعطَّل حقوقُ الناس وأحكامهم. انظر هداية المريد (ق٣١٣/ أ ـ ب).

(٢) قال الباجوري: فليس نصب الإمام ركناً يعتقد في قواعد الدين المجمع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة وصوم رمضان والحج؛ لأنه ليس معلوماً من الدِّين بالضرورة، فلا يكفر منكره اهـ. تحفة المريد (١٢٥).

وقال إبراهيم اللقاني في شرح جوهرته: تقدَّم أن مباحث الإمامة العظمى حقُّها أن تذكر في الفقهيات، فلمّا ذكرها في علم العقائد خشي أن يتوهَّم المبتدىء =

١٣١ـ فَليسَ رُكناً يُعتَقَدْ في الدِّينِ ... فَـلاَ تَـزِغْ عَـن أمْـرِهِ المُبيـن
١٣٢ـ إلا بكُـفرٍ فانبِـذَنَّ عَهْدَهُ ... فـالله يَكفِينـا أذاهُ وَحْـدَهُ

. . . .

قوله: (فلا تَزِغ عن أمره المبين)

أي: لا تمل عن امتثال أمره، أي: ونهيه؛ لوجوب طاعته على سائر الرعايا ظاهراً وباطناً؛ لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، ولقوله ﷺ: «مَن أَطَاعَ أَمِيري فَقَدْ أطاعني، وَمَن عَصَى أَمِيرِي فَقَد عَصَانِي»[2].

قوله: (إلا بكفر)

أي: إلا إذا وقع منه الكفر وأمر به، فلا تجوز طاعته.

قوله: (فانبذنَّ عهده) أي: اطرح بيعته.

قوله: (فالله يكفينا أذاه) أي: الجائر أو الكافر.

وقوله: (وَحده) حال من لفظ الجلالة.

= المخاطب بهذه المقدِّمة بالذات أن نصب الإمام من جملة المعتقدات، فلذا نفى أن يكون أحد القواعد المجمع عليها المنقولة بالتواتر كالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحجّ بقوله: فليس ركناً يعتقد في الدين، وكلُّ ما ليس كذلك فحكمه حكم سائر الشرعيات يجب اعتقاد ما صحَّ منها، ولا يكفر منكره إلا إذا وجد شرطه [وهو كونه معلوماً من الدين بالضرورة]. هداية المريد (ق٣١٥/ أ). وانظر إتحاف المريد (١٦٠ ـ ١٦١).

(١) سورة النساء (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧). ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة نحوه.

١٣٣ـبغَيرِ هَذا لا يُباحُ صَرْفُهُ ولَيسَ يُعزَلْ إِن أُزِيلَ وَصْفُهُ
١٣٤ـوأْمُرْ بعُرْفٍ واجتَنِبْ نَميمَهْ وغِيبَـــةً وخَصْلَـــةً ذَميمَـــهْ

. . . .

قوله: (بغير هذا لا يباح صرفه)

أي: بغير الكفر، من جميع المعاصي إذا فعلها غير مستحلٍّ لها لا يجوز عزله.

قوله: (وليس يعزل إن أزيل وصفه)

أي: إذا وُلِّي مستكملاً للشروط، ثمَّ زال وصف العدالة منه؛ بأن طرأ عليه الفسق فلا يعزل، وأمَّا طروُّ الكفر فيعزل به.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطهما

قوله: (وأمر بعرف)

أي: وانهَ عن منكر وجوباً كفائياً، وإنَّما ترك النهي؛ لأنَّ بينهما تلازماً، وأيضاً الأمر أشرف.

والعرف: هو المعروف، وهو اسم لكلِّ ما عرف من طاعة الله عزَّ وجلَّ، والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس، وكلُّ ما نَدَب إليه الشرع.

والمنكر: ضدُّه.

ودليله من الكتاب والسنَّة والإجماع: قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ . . .﴾[1] وفي الحديث[2] : «مَن رَأَى مِنكُم مُنكَراً فليغيِّرْهُ بيدِه ، فإنْ لَم يَسْتَطِعْ فبِلِسَانِهِ ، فإِنْ لَم يَستَطِعْ فبِقَلْبِهِ ، وذَلكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ»[3] .

ويشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عالماً بما يأمر به ، أو ينهى عنه ، وأن لا يؤدِّي إلى مفسدة أعظم ، وأن يغلب على الظنِّ الإفادة[4] ، فإن فُقِد الأوَّلان حَرُمَ ، وإن فُقِد الأخير سقط الوجوب[5] .

---

(١) سورة آل عمران (١١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد مرفوعاً. ورواه أبو داود رقم (١١٤٠). والترمذي رقم (٢١٧٢). والنَّسائي (٨/ ١١١). وابن ماجه رقم (٤٠١٣) بألفاظ متقاربة.

(٣) ومراتب الإنكار ثلاثٌ: أقواها أن يغيِّر بيده ، وهو واجب عيناً فوراً مع القدرة ، فإن لم يقدر على ذلك انتقل للتغيير بالقول ، وليكن أولاً بالرفق واللين ، فإن عجز انتقل إلى الإنكار بالقلب ، وهو أضعفها.
ولا يُشكِلُ على هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ سورة المائدة (١٠٥) لأن معناها إذا فعلتم ما كلِّفتم به لا يضرُّكم تقصير غيركم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ سورة الأنعام (١٦٤). انظر إتحاف المريد (١٦١).

(٤) وذلك تحت قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ سورة الأعلى (٩).

(٥) جاءت شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عبد السلام اللقاني موضَّحة بقوله:
أن يكون الآمر عالماً بما يأمر به وينهى عنه ، فلا يحلُّ للجاهل بالحكم النهيُ عما يراه ، ولا الأمرُ به. وأن يأمن أن يؤدِّي إنكاره إلى منكر أكبر منه؛ كأن ينهى عن شرب الخمر ، فيؤول نهيه عنه إلى قتل النفس أو نحوه. وأن يغلب =

التخلِّي عن الرذائل والتحلِّي بالفضائل

قوله: (واجتنب نميمة)

هي نقل الكلام على وجه الإفساد(١)، وهي محرَّمة إجماعاً؛ لما في الحديث: «لاَ يَدخُلُ الجَنَّة نَمَّامٌ»(٢) ـ أي: مع السابقين ـ ما لم تَدْعُ الحاجة إليها، وإلا جازت كما إذا أخبرك شخص أنَّ إنساناً يريد الفتك بمالك أو بك أو بأهلك فليس بحرام.

قوله: (وغيبة)

هي ذكر الإنسان بما فيه ممَّا يكره سواء كان بالكلام أو الإشارة،

= على ظنه أنَّ إنكاره المنكر يزيله، وأنَّ أمره بالمعروف مؤثِّر في تحصيله. فعدم الشرطين الأوَّلين يوجب التحريم، وعدم الشرط الثالث يسقط الوجوب ويبقى الجواز والندب اهـ. إتحاف المريد (١٦١).

ووضَّح الباجوري عدم توفُّر الشرط الثالث بقوله: يسقط الوجوب، ويبقى الجوازُ إذا قطع بعدم الإفادة، والندبُ إذا شك فيها اهـ. تحفة المريد (١٢٦).

(١) قال حُجَّة الإسلام الغزالي بعد أن عرّف النميمة بأنَّها مَن ينمُّ قول الغير إلى المقول فيه: (وليست النميمة مختصّة به، بل حدُّها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال، أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه، أو لم يكن. بل حقيقة النميمة إفشاء السرِّ، وهَتْك الستر عمَّا يكره كشفه) اهـ. إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٦). ومسلم (١٠٥).

ولو بالعين إن أفهمت[١]، وهي محرَّمة إجماعاً. قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[٢].

والغيبة بالقلب كاللسان في الحرمة[٣]، واستثني من ذلك مسائل نظمها بعضهم[٤]:

لِسِـتٌّ غيبـةٌ كـرِّرْ وخُـذْهـا   مُنَظَّمَـةً كـأَمْثَـالِ الجَـواهِـرْ

---

(١) زاد الباجوري على ذلك: ولو بحضوره، لكنَّ ظاهر المادة يؤيد ما قيل من أنَّ ما في الحضور لا يُسمَّى غيبة بل بهتاناً، وإذا ذكره بما ليس فيه فقد زاد إثم الكذب اهـ. تحفة المريد (١٢٧).

(٢) سورة الحجرات (١٢).

(٣) قال الإمام الغزالي في باب بيان تحريم الغيبة بالقلب:
اعلم أن سوء الظنِّ حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدِّث غيرك بلسانك بمساوىء الغير فليس لك أن تحدِّث نفسك وتسيء الظنَّ بأخيك، ولستُ أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء. فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفوٌّ عنه، بل الشكُّ أيضاً معفوٌّ عنه، ولكن المنهيَّ عنه أن يظنَّ، والظنُّ عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب. فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ انظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٠).

(٤) وهو الجَوْجريُّ بجيمين على الصواب. وبيان هذه المسائل:
الأولى: التظلم، كأن يقول المظلوم لمن له الولاية كالقاضي: فلان ظلمني. **والثانية**: الاستعانة على تغيير المنكر كأن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فأعني على منعه. **والثالثة**: الاستفتاء كأن يقول للمفتي: ظلمني فلان فهل له ذلك، وما طريقي في الخلاص منه؟. **والرابعة**: التحذير، كأن تذكر عيوب الشخص لمن يريد الاجتماع عليه. **والخامسة**: التعريف، كأن يقول: فلان الأعمش أو الأعرج بنية التعريف. **والسادسة**: أن يكون مجاهراً بفسقه، كالمجاهر بشرب الخمر، بشرط أن يقصد أن تبلغه لينزجر. انظر تحفة المريد (١٢٨)، وانظر إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٢).

١٣٤ـ وأْمُرْ بعُرْفٍ واجتَنِبْ نَميمَهْ وغِيبَةً وخَصْلَةً ذَمِيمَهْ
١٣٥ـ كالعُجْبِ والكِبْرِ وداءِ الحَسَدِ وكالمِرَاءِ والجَدَلْ فاعْتَمِدِ

. . . .

تظَلَّمْ واستَعِنْ واستَفْتِ حَذِّرْ وعَرِّفْ واذْكُرَنْ فِسْقَ المُجاهِرْ

قوله: (وخصلة ذميمة)

أي: ويجب على الإنسان أن يجتنب كلَّ خصلة مذمومة شرعاً.

قوله: (كالعُجْب)

وهو رؤية العبادة واستعظامها، وهو حرام غير مفسد للطاعة؛ لوقوعه بعدها[١]. بخلاف الرياء فإنَّه يقع معها فيفسدها[٢].

فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ما يتقرَّب به لسيِّده؛ فإنَّه لم يصل له منه شيء. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[٤].

---

(١) قال الأمير: وقد يقع معها تحقيقاً اهـ. حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٦٢).

(٢) لم يسلِّم الباجوري بالإفساد، وقال: الرياء حرام غير مفسد للطاعة، خلافاً لمن قال بأنَّه يفسدها، فإنَّ الذي صرَّح به بعض المحقِّقين أنه محبط للثواب فقط، مع وقوع العمل صحيحاً. انظر تحفة المريد (١٢٨ ـ ١٢٩).

وفصَّل الإمام الغزالي في ذلك فقال:

إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص، ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ؛ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل؛ إذ العمل قد تمَّ على نعت الإخلاص سالماً عن الرياء... وإن ورد قبل الفراغ من الصلاة مثلاً فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل، وإما أن يكون رياء باعثاً على العمل، وختم العبادة به فيحبط أجره. انظر إحياء علوم الدين (٣/٣٠٨).

(٣) سورة الإسراء (٣٧).

(٤) سورة الأنعام (٩١).

١٣٥ـ كالعُجْبِ والكِبْرِ وداءِ الحَسَدِ   وكَالمِرَاءِ والجَدَلْ فاعْتَمِدِ

. . . .

قوله: (والكِبْر)

وهو احتقار الناس. وفي الحديث: «لَنْ يَدخُلَ الجَنَّة مَن في قَلبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن الكِبْرِ»(١).

وهو من أعظم الذنوب القلبية.

قوله: (وداء الحسد)

الإضافة بيانية، أي: داء هو الحسد، وهو تمنِّي زوال نعمة الغير سواء تمنَّاها لنفسه أم لا.

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(٢)، وفي الحديث: «إيَّاكُم وَالحسَدَ؛ فإِنَّ الحَسَدَ يَأكُلُ الحَسَناتِ كمَا تأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ أَو العُشْبَ»(٣). قال بعض العارفين:

أَلا قُل لِمنْ باتَ لي حَاسِداً   أَتدرِي عَلى مَن أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَأْتَ على اللهِ في فِعْلِهِ   كأَنَّكَ لم تَرْضَ لي مَا وَهَبْ
فكانَ جزاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي   وسَدَّ عَلَيْكَ طَرِيقَ الطَّلَبْ

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) عن ابن مسعود مرفوعاً. وأبو داود رقم (٤٠٩١). والترمذي رقم (١٩٩٩). وأحمد في المسند (١/ ٣٨٥ و٤٢٧) وتتمَّة الحديث: فقال رجل: إنَّ الرجلَ يحبُّ أن يكون ثوبُهُ حسناً، ونعلُهُ حسنةً، قال: «إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ».

(٢) سورة الفلق (٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣). والبيهقي في الشعب (٦٦٠٨) عن أبي هريرة مرفوعاً وإسناده حسن.

١٣٥ـ كالعُجْبِ والكِبْرِ وداءِ الحَسَدِ **وكَالمِرَاءِ والجَدَلْ فاعْتَمِدِ**
١٣٦ـ **وكُنْ كَما كَانَ خِيَارُ الخَلْقِ** حليفَ حِلْمٍ تَابِعاً لِلحَقِّ

. . . .

قوله: (وكالمِراء)

هو منازعة الغير فيما يدَّعي صوابه، فالمذموم طعنك في كلام الغير؛ لتحقيره وإظهار مزيَّتك عليه. وأمَّا إن كان لإظهار حقٍّ وإبطال باطل فهو مطلوب شرعاً.

قوله: (والجدل)

هو مقابلة الحُجَّة بالحُجَّة، والمراد به هنا ما كان لإبطال حقٍّ أو لتحقيق باطل، أو لينسب شرف العلم له، ويصفِّر به وجوه الناس.

قوله: (فاعتمد)

كمّل البيت بذلك إشارة إلى انقضاء فنِّ التوحيد، أي: فاعتمد ما ذكرته لك؛ فإنَّه مذهب أهل السنة والجماعة.

التخلق بأخلاق النبيّ ﷺ ومن سار على هديه

قوله: (وكن كما كان خيار الخلق)(١)

هذا شروع في ذكر شيء من فنِّ التصوُّف.

---

(١) المراد بخيار الخلق نبيُّنا ﷺ؛ لأنَّه جمع ما تفرَّق في غيره من الخصال الحميدة، فهو الخيار المطلق، ويحتمل أنَّ المراد به الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم خيار الخلق. والأولى أن يُراد به كلُّ من ثبتت له الخيرية، ولو بالنسبة لما دونه، فيشمَله ﷺ، ويشمَل الأنبياء والعلماء والشهداء والأولياء والزُّهَّاد والعُبَّاد اهـ. تحفة المريد (١٣١).

وهو علم بأصولٍ يُعرف به إصلاح القلب وسائر الحواسِّ، فبذلك تصلح الأعضاء؛ لما في الحديث: «أَلا وإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إِذا صَلَحَتْ صَلَح الجَسَدُ كُلُّهُ...»[1]. والتصوُّف مأخوذ من الصفا. قال بعض العارفين[2]:

يا وَاصِفِي أَنتَ في التَّحقِيق مَوْصُوفي   وعَارِفي لاَ تُغَالِطْ أَنتَ مَعْرُوفيْ

إنَّ الفَتى مَن بِعَهْدِهِ في الأَزَلْ يُوفي   صَافَى فَصُوفي لِهَذا سُمِّيَ الصُّوفيْ

أي: خَلَّص باطنه من الشهوات، وصفَّاه، فعُومل بالصفا، فمن أجل ذلك سمِّي الصوفي، وإصلاح القلب باتِّباع الأخلاق المحمَّدية؛ لأنَّه ﷺ جمع ما تفرَّق في غيره، فقد ورد: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ»[3] فمن تخلَّق بأخلاقه كان كامل الإيمان، ولا يدلُّ على الأخلاق المحمَّدية إلا الأشياخ العارفون بربِّهم، فمن أراد السلوك والوصول فليلزم عارفاً كاملاً على الكتاب والسنَّة، فيزنه قبل الأخذ عنه؛ فإن وجده كاملاً على القَدم المحمَّدي فليطلب رضا الله في رضاه، ويعتقد أنَّه أكمل أهل عصره، ولذلك قال العارفون: (حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) و(٢٠٥١). ومسلم (١٥٩٩). وأبو داود رقم (٣٣٢٩) و(٣٣٣٠). والترمذي رقم (١٢٠٥). والنسائي (٧/ ٢٤١ ـ ٢٤٣). وابن ماجه رقم (٣٩٨٤). وأول الحديث: «إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ...» من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) نُسِبَ هذان البيتان للشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله، كما ذكر الأمير في حاشيته على الإتحاف ص(١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

١٣٦ـ وكُنْ كَما كَانَ خِيَارُ الخَلْقِ حليفَ حِلْم تَابِعاً لِلحَقِّ
١٣٧ـ فَكُلُّ خَيرٍ في اتِّبَاعِ مَن سَلَفْ وكُلُّ شَرٍّ في ابتِدَاعِ مَن خَلَفْ

. . . .

وقال السيِّد البكري[١]:

وَالْزَمْ بَابَ الأُسْتَاذِ تَفُزْ وتَكُونُ بِذلِكَ خِلَّ نَجِيّ

قوله: (حليف حِلْم)

أي: محالفه وملازمه. وبدأ بالحلم؛ لأنَّه جامع لأوصاف الخير، والمراد به: التحمُّل لمشاقِّ عباد الله، والصبر على أذاهم، فلا يستفزُّه الغضب مع التكثير بالإخوان[٢] إلا فيما يغضب الله، وعليه حُمِل قول الشافعي: (من استُغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استُرضي ولم يرض فهو شيطان). وقال بعضهم:

إِذَا قِيلَ حِلْمٌ قُلْ فَلِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وحِلْمُ الفَتَى في غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

قوله: (تابعاً للحقِّ)

أي: للدِّين القويم مستمسكاً بأوامره مجتنباً لنواهيه. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

قوله: (فَكُلُّ خيرٍ في اتِّباع مَن سلَفَ)

هذا مفرَّع على قوله:

وكن كما كان خيار الخلق ... ...

والمراد بمن سلف الصحابة والتابعون وتابع التابعين.

---

(١) سبقت ترجمته ص(٢٧١).

(٢) خصَّه لأن الحكم إنما يظهر بكثرة المخالِطين. حاشية الأمير على إتحاف المريد (١٦٤).

(٣) سورة الحشر (٧).

١٣٧ـ فَكُلُّ خَيرٍ في اتِّبَاعِ مَن سَلَفْ وكُلُّ شَرٍّ في ابتِدَاعِ مَن خَلَفْ

١٣٨ـ وَكُلُّ هَدْيٍ لِلنَّبِيِّ قَدْ رَجَحْ فَما أُبِيحَ افْعَل وَدَعْ مَا لَمْ يُبَحْ

. . . .

قوله: (وكلُّ شرٍّ في ابتداع مَن خلف)

أي: كلُّ شرٍّ في البدعة التي أحدثها المتأخِّرون[١]. قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٢].

قوله: (وكلُّ هَدْيٍ للنبيِّ قد رجح)

أي: كلُّ خُلُق لسيِّدنا محمَّد ﷺ فهو الراجح المقدَّم على غيره من جميع الأخلاق، ما لم يثبت اختصاصه به[٣].

قوله: (فما أبيح افعل)

أي: ما أُذن فيه، بأن كان واجباً أو سنَّة أو مندوباً أو مباحاً فافعله.

قوله: (ودع ما لم يبح)

أي: لم يؤذن فيه، بأن كان محرَّماً أو مكروهاً أو خلاف الأولى.

---

(١) واعلم أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة: فتارة تكون **واجبة** كضبط المصاحف والشرائع إذا خيف عليها الضياع. وتارة تكون **محرَّمة** كالمكوس وسائر المحدَثات المنافية للقواعد الشرعية. وتارة تكون **مندوبة** كصلاة التراويح جماعة؛ ولذلك قال سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ في التراويح: نعمت البدعة هي. وتارة تكون **مكروهة** كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف. وتارة تكون **مباحة** كاتخاذ المناخل للدقيق، ففي الآثار: إنَّ أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذ المناخل. وإنما كانت مباحة؛ لأنَّ لين العيش وإصلاحه من المباحات، فوسائله مباحة اهـ. تحفة المريد (١٣٢).

(٢) سورة مريم (٥٩).

(٣) كتزوُّجِه ﷺ أكثر من أربع نسوة اهـ. إتحاف المريد (١٦٤).

قوله: (فتَابِعِ الصالحَ ممَّن سلفا)

أي: لقوله ﷺ: «عَلَيكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ مِن بَعدِي عَضُّوا عَلَيها بالنَّواجِذ»(١).

ومراده بالصالح: القائم بحقوق الله وحقوق عباده حسب الإمكان.

قوله: (وجانب البدعة ممَّن خَلَفا)

أي: احذر من البدع(٢) المذمومة التي أحدثها المتأخِّرون، كالطبل والزَّمْر وحلق اللحى وغير ذلك من البدع التي أحدثها مَن لا يخاف الله ولا رسوله ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٣).

وفي هذا قال سيِّدي عمر بن الفارض(٤):

تَعرَّضَ قَومٌ للغَرام وأَعْرَضُوا بجانِبِهِمْ عَن صِحَّةٍ فِيهِ واعْتَلُّوا
رَضُوا بالأمانِيْ وابتُلُوا بحُظُوظِهِمْ وخاضُوا بِحارَ الحُبِّ دَعْوى فما ابتَلُّوا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) وصحَّحه. وأحمد (٤/ ١٢٦). وأبو داود (٤٦٠٧). وغيرهم عن العِرباض مرفوعاً.

(٢) وإنما طُلبَتْ مجانبةُ البدعة بعد الأمر بمتابعة الصالح؛ لأنَّه لا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا يكمل قول ولا عمل إلا بنيَّة، ولا يكمل قول ولا عمل ولا نيَّة إلا بموافقة السنة، وكل ما وافق الكتاب أو الحديث أو الإجماع أو القياس الجليّ فهو سنة، وما خرج عن ذلك فهو بدعة مذمومة اهـ. إتحاف المريد (١٦٤).

(٣) سورة المجادلة (١٩ ـ ٢٠).

(٤) سبقت ترجمته ص(١٨٥). وانظر ديوانه (١٦٩).

١٤٠ـ هَذَا وَأَرْجُو اللهَ فِي الإخْلاَصِ   مِـنَ الرِّيـاءِ ثُـمَّ فـي الخَـلاَصِ

. . . .

فهُمْ في السُّرى لم يَبْرحُوا مِن مَكانِهِمْ   ومَا ظَعَنُوا في السَّيرِ عَنْهُ وقَدْ كَلُّوا
وَعَنْ مَذْهَبِي لَمَّا استَحَبُّوا العَمى عَلى الْـ   هُدى حَسَدَاً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِم ضَلُّوا

دعاء الختام

قوله: (هـذا)

مفعول محذوفٍ تقديره: افهم هذا. أي: الذي ذكرته لك من أوّل الكتاب إلى آخره.

قوله: (وأرجو الله في الإخلاص)

الرَّجاء: تعلُّق القلب بمرغوب فيه، يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب.

والإخلاص: هو تمحيض الطاعة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وفي الحديث: «مَن فَارَقَ الدُّنيا عَلَى الإخلاَصِ للهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَقَامَ الصَّلاَةَ، وآتَى الزَّكاةَ، فارَقَها واللهُ عنهُ رَاضٍ»[2]، وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلا ما كانَ خَالِصَاً، وما ابتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[3].

---

(١) سورة البيّنة (٥).
(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٣٢). وابن ماجه (٧٠) عن أنس مرفوعاً. وصحَّحه الحاكم والذهبي. وقال البُوصِيرِي في زوائد ابن ماجه: إسناده ضعيف.
(٣) أخرجه النسائي (٦/ ٢٥) عن أبي أمامة مرفوعاً، وإسناده قويٌّ.

١٤٠ـ هَذَا وَأَرْجُو اللهَ فِي الإِخْلَاصِ مِـنَ الرِّيـاءِ ثُـمَّ فـي الخَـلَاصِ

١٤١ـ مِنَ الرَّجِيم ثُمَّ نَفْسِي والهَوَى فمَنْ يَمِل لِهَـؤُلاءِ قَدْ غَوَى

. . . .

قوله: (من الرياء)[١]

وهو فعل الطاعة لقصد الناس، وهو قسمان: خفيٌّ وجليٌّ.

فالأوَّل: كأن يكون فاعلاً للطَّاعات مطلقاً، حَضَر الناسُ أو غابوا، لكن يفرح إذا حضروا.

والثاني: كأن يفعل الطاعات بحضور الناس لا غير، فإن خلا بنفسه لا يفعل شيئاً منها، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ...﴾[٢].

قوله: (ثمَّ في الخلاص من الرَّجيم)

أي: وأرجو الله في الفكاك من مكائد الشيطان الرجيم، أي: المرجوم المطرود عن رحمة الله، والمراد به إبليس وأعوانه، فهو أعدى الأعداء لنا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[٣].

---

(١) أي: بدله. يعني أنَّ (مِنْ) للبدل على حدِّ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ سورة التوبة (٣٨). ولم تُجعل (مِنْ) معدِّية؛ لأن الناظم لم يعبِّر بالخلوص.

والرياء: إيقاع القربة بقصد الناس، فخرج غير القربة كالتجمُّل باللباس ونحوه فلا رياء فيه. انظر إتحاف المريد وحاشية الأمير عليه (١٦٥).

(٢) سورة الماعون (٤ ـ ٥ ـ ٦).

(٣) سورة فاطر (٦).

١٤١ـ مِنَ الرَّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي والهَوَى فَمَنْ يَمِلْ لِهَؤُلاءِ قَدْ غَوَى

. . . .

قوله: (ثمَّ نفسي)

أي: في الخلاص منها؛ لأنَّها أمَّارة بالسوء(١)، ولا تأمر بخير أصلاً، وجهادها هو الجهاد الأكبر، ففي الحديث لمَّا رجع من قتال الكفار قال: «رَجَعْنا مِنَ الجِهادِ الأَصْغَرِ إِلى الجِهادِ الأَكْبَرِ»(٢).

مراده به جهاد النفس، وإنَّما كان أكبر؛ لأنَّ الكافر عدوٌّ ظاهريٌّ يحضر تارة، ويغيب أخرى، وإذا قُتل استرحت منه، وإذا قتلك متَّ شهيداً، ودخلت الجنَّة، بخلاف النفس؛ فإنَّها عدوٌّ باطني، ولا تغيب أبداً، وكلَّما قتلتها مِن جهة ظهرت من جهة أخرى، وإذا تغلَّبتْ عليك، وقتلتك، فإمَّا أن تموت كافراً أو عاصياً.

---

(١) وهي التي تأمر بالسوء ولا تأمر بالخير إلا نادراً، بخلاف **اللوَّامة**: وهي التي تغلب صاحبها، ثم ترجع عليه باللَّوم على ما وقع منه؛ لكونها أذعنت للحقِّ بسبب المجاهدة. **والملهَمة**: وهي التي ألهمت فجورها وتقواها بسبب المجاهدة. **والمطمئنة**: وهي التي اطمأنَّت إلى مكارم الأخلاق. **والراضية**: وهي التي رضيت بالله ربَّاً من غير منازعة باطنيَّة بسبب المجاهدة. **والمرضيَّة**: وهي التي تجلَّى الله عليها بالرِّضا والعفو عما مضى. **والكاملة**: وهي التي صارت الكمالات لها طبعاً وسجيَّة، ومع ذلك تترقَّى في الكمال اهـ.

انظر تحفة المريد (١٣٣).

(٢) أخرجه البيهقي في الزهد (٣٧٣) عن جابر قال: قدم على رسول الله ﷺ قومٌ غزاةٌ فقال ﷺ: «قدمتم خير مَقْدَم من جهاد الأصغر إلى جهاد الأكبر» قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة العبد هواه». قال البيهقي: وهذا إسناد فيه ضعف اهـ.

وأخرجه الخطيب في التاريخ (١٣/ ٥٢٣). وإسناده واهٍ جدّاً.

١٤١ـ مِنَ الرَّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي والهَوَى فمَنْ يَمِلْ لِهَؤُلاءِ قَدْ غَوَى
١٤٢ـ هَذَا وأَرجُو اللهَ أَنْ يَمْنَحَنا عندَ السُّؤَالِ مُطْلَقاً حُجَّتَنا
١٤٣ـ ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ الدَّائِمُ علَى نَبِيٍّ دَأْبُهُ المَرَاحِمُ

. . . .

قوله: (والهوى)

هو ميل النفس إلى محبوبها خيراً كان أو شرّاً، والمراد الثاني. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(١)].

قوله: (فمن يمل لهؤلاء قد غوى)

أي: من اتبع ما تقدَّم ضلَّ، وحاد عن طريق الهدى.

قوله: (هذا) أي: أسأل الله تعالى هذا.

قوله: (وأرجو الله أن يمنحنا)

أي: يعطينا، والضمير إمَّا عائد على المؤلِّف، أو هو وغيره، وهو اللائق بمقام الدعاء.

قوله: (عند السؤال مطلقاً) أي: في القبر، أو في القيامة.

٥١/ب **قوله: (حجَّتنا)** أي: المقبولة الصحيحة[(٢)]/ التي تُنجِّي من الأهوال.

قوله: (ثمَّ الصلاة والسلام)

لمَّا كان هذا الكتاب من النعم العظيمة، وكان رسول الله هو الواسطة في كلِّ نعمة ناسب أن يُؤدِّي بعض حقِّه الواجب عليه، وختم

---

(١) سورة ص (٢٦).
(٢) هنا انتهى الساقط من المخطوط وعاد برقم (٥١/ب).

بها كما ابتدأ بها؛ لرجاء قبول ما بينهما(١). وتقدَّم معنى الصلاة والسلام أوَّل الكتاب.

وقوله: (الدائم) أي: فضل كلٍّ منهما.

قوله: (على نبيٍّ دأبه المراحم)

أي: عادته المستمرَّة المراحم، جمع مرحمة بمعنى الرحمة، فرحمته عامَّة. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(٢) حتَّى للكفَّار بتأخير العذاب عنهم(٣)، فلم يعاجلوا بالعقوبة كغيرهم من الأمم، ولذلك قال العارف رضي الله عنه(٤):

---

(١) قال أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ؛ فإن الله عزَّ وجلَّ يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما اهـ. وروي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إذا سَألتُم اللهَ عزَّ وجلَّ حاجةً فابتدِئُوا بالصلاةِ عليَّ، فإنَّ الله تعالى أكْرمُ من أن يُسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويردَّ الأخرى» اهـ. إحياء علوم الدين للغزالي (١/٣٠٧) آداب الدعاء. وقال العراقي في تخريج حديث: «إذا سألتم الله...»: لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على أبي الدرداء.

(٢) سورة الأنبياء (١٠٧).

(٣) قال النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ سورة الأنفال (٣٣): اللام لتأكيد النفي والدلالة على أنَّ تعذيبهم، وأنت بين أظهرهم، غير مستقيم؛ لأنك بعثت رحمة للعالمين. مدارك التنزيل (٢/١٠٢).

(٤) هو عبد الرحيم البُرَعي. وهذان البيتان من مجموعة أبيات يقارن فيها البُرَعي بين سيِّدنا محمَّد ﷺ والأنبياء كلِّهم عليهم الصلاة والسلام، يبدأ بسيِّدنا =

١٤٤ـ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وعِتْرَتِهْ وتَابِعٍ لنَهْجِهِ مِنْ أُمَّتِهْ

. . . .

وَأَهْلَكَ قومَه في الأَرْضِ نُوحٌ بدعْوةٍ لاَ تَذَرْ أَحَداً فَأَفْنَى
وَدَعْوةُ أَحمدٍ رَبِّ اهدِ قَومي فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ كَما عَلِمْنَا

قوله: (وعترته) أي: أهل بيته.

قوله: (وتابع لنهجه) أي: طريقته وسنَّته.

قوله: (من أمَّته)

أي: أمَّة الإجابة، وهو لبيان الواقع؛ لأنَّ المتَّبِع له لا يكون إلا من أمَّته؛ لأنَّ بعثته عامَّة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا﴾[1]

صلَّى الله عليه وسلم.

= إبراهيم الخليل ﷺ. انظر ديوان البرعي في المدائح الربانيَّة والنبويَّة والصوفيَّة (٢٠٤).

(١) سورة سبأ (٢٨).

[خاتمــة المؤلف]:

وقد تمَّ ما أجراه الله ـ على يد الفقير ـ من التقييدات التي
خرجت بحول الله وقوّته مع العجز والتقصير ،
يومَ الإثنين المبارك آخر يوم من رمضان
المبارك سنة اثنتين وعشرين بعد
المئتين والألف من هجرة
البشير النذير صلَّى الله
عليه وعلى آله
وصحبه
وسلَّم.

* * *

[خاتمــة الناسخ]:

تمَّت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وكان الفراغ من كتابة
هذه النسخة المباركة يوم الخميس المبارك سبعة عشر
يوماً مضت من شهر رمضان المبارك سنة ١٢٣٢
على يد كاتبها لنفسه الفقير علي مطر الغرياني
الشافعي. غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
آمين. وصلَّى الله على سيدنا
محمد النبيِّ الأميِّ
وعلى آله
وصحبه
وسلَّم.

* * *

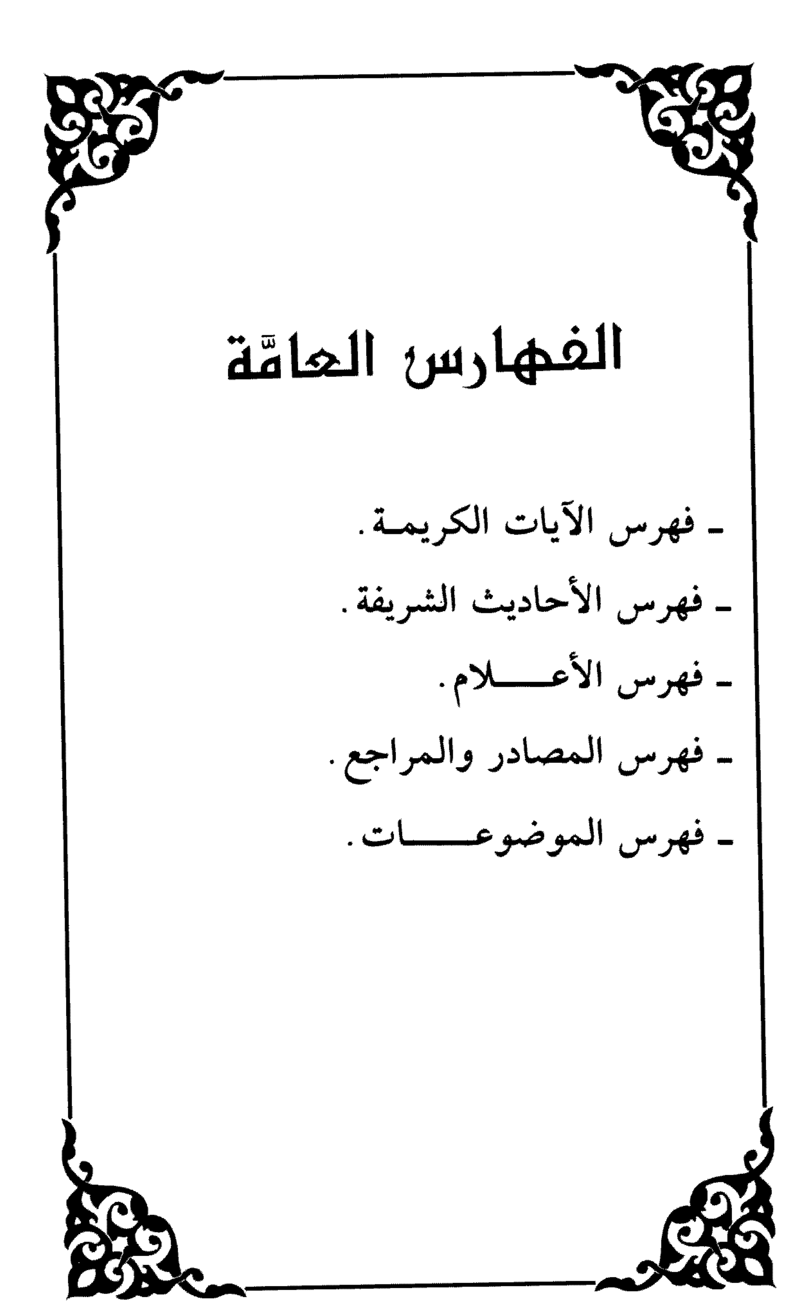
خاتمة المحقق

تمَّ بتوفيق الله ومنِّه وجوده تحقيق كتاب الصاوي على جوهرة اللَّقاني في ليلة الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة سبع عشرة وأربعمئة وألف من هجرة المصطفى ﷺ ، الموافق للثاني من شهر شباط سنة سبع وتسعين وتسعمئة وألف .

والله أسأل أن ينفع بالفرع كما نفع بالأصل ، وأن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزي عنا السابقين من العلماء العاملين خير ما جزى عالماً عن أمته . كما أسأل الله ذلك لوالدي فضيلة الشيخ رمزي البزم ـ رحمه الله ـ الذي حباني من فضله وعلمه فنشَّأني النشأة الإسلامية الصحيحة ، ولمشايخي الذين تلقيت عنهم ، فكان لهم جميعاً الفضل عليَّ بعد فضل الله ـ جلّ وعلا ـ بأن درجتُ في مسالك هذا المنهج القويم. كما أسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لي ولوالديَّ وزوجتي وأولادي وأرحامي ، ولكل من أخذتُ عنه وأخذ عني ، ولكل من مدَّ يد العون لإخراج هذا الكتاب بهذه الحلَّة القشيبة ، وأن يجعلني وإياهم جميعاً ممن رضي عنهم ورضوا عنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين.



الفهارس العامّة

- فهرس الآيات الكريمة.
- فهرس الأحاديث الشريفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحجّ

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة القصص

سورة الروم

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فُصِّلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

* * *

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
«آدم فمن دونه تحت لوائي»	٧٢
«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان. . .»	٣١٨ ـ ٣١٩ ـ
«احموا ظهورنا، واثبتوا مكانكم»	٣٢٤
«ادّخرت عند ربي شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»	٤٠٢
«إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه. . .»	٤١٨ ـ ٤١٩
«إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه. . .»	٢١٨
«أرواحهم في حواصل طيور خضر. . .»	٤٠٨
«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»	٣١٥
«افترقت الأمم السابقة على اثنتين وسبعين فرقة. . .»	٨٥ ـ ٢٠٦
«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت. . .»	٤٣٥
«أمزح ولا أقول إلا حقاً»	٢٨١
«أنا العاقب فلا نبي بعدي»	٧٢
«أنا لها، أنا لها»	٤٠١
«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون. . .»	٢٣٨
«إن الغزو في سبيل الله في البر يكفرها. . .»	٤٢٠
«إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. . .»	١٨٥
«إن عبداً كتب عليه تسعة وتسعون سجلاً من المعاصي. . .»	٣٨٧ ـ ٣٨٨

م . ن

ي

* * *

فهرس الأعلام

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الكتب المخطوطة

أ ـ المحفوظة في مكتبة الأسد وفق أرقام الفهرس العام المثبتة أدناه:

ـ **حاشية على إعانة المجدِّين في تصحيح الدين بشرح أمّ البراهين**: للملَّوي أحمد بن عبد الفتاح. رقم (٤١٤٧).

ـ **العقيدة المباركة المسمّاة (بالمقدِّمات)**: للسنوسي محمّد بن يوسف. رقم (١٢٤٤٨) (ق ١٦ ـ ١٩).

ـ **عمدة المريد لجوهرة التوحيد**: للَّقاني إبراهيم بن إبراهيم. رقم (٣٠٠١).

ـ **فتح المجيد بكفاية المريد**: للَّقاني عبد السلام بن إبراهيم. رقم (٣٠٢٩).

ـ **المزيد على إتحاف المريد**: للسُّحيمي أحمد بن محمد. رقم (٢٩٣٦).

ـ **مفاتيح الكنوز وحلّ الرموز**: لابن غانم المقدسي عبد السلام بن أحمد. رقم (١٧٥٥٨).

ـ **هداية المريد لجوهرة التوحيد**: للَّقاني إبراهيم بن إبراهيم. رقم (٢٩٣٨).

ب ـ المحفوظة في دار الكتب القومية بمصر:

ـ **مناقب الصاوي**: للششتي السيد أحمد. وتمَّمه الكتبي محمد بن حسين الحنفي. رقم (١٤٧١).

٢ ـ الكتب المطبوعة

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**: للزَّبيدي محمَّد مرتضى ابن محمَّد.
المطبعة الميمنية بمصر (١٣١١ هـ).
- **إتحاف المريد بجوهرة التوحيد**: للَّقاني عبد السلام بن إبراهيم.
طباعة: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة (١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٨ م).
- **أحاديث القصَّاص**: لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم.
طباعة: المكتب الإسلامي ـ بيروت (١٣٩٢ هـ).
- **أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي**: لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد.
تحقيق: عبد الرحمن الفريواني. مكتبة الدار. ط: أولى (١٤٠٤ هـ).
- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حِبَّان**: للفارسي علاء الدين علي بن بلبان.
تحقيق: شُعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م)
- **إحياء علوم الدين**: لأبي حامد الغزالي محمد بن محمّد.
دار المعرفة ـ بيروت.
- **الاختيار لتعليل المختار**: لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي.
دار المعرفة ـ بيروت. ط: ثالثة (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م).
- **الأذكار**: للنووي محيي الدين يحيى بن شرف.
تحقيق: محمد رياض خورشيد. مكتبة الغزالي ـ دمشق. ط: رابعة (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

- **الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة في أصول الاعتقاد**: لإمام الحرمين الجويني.
تحقيق: د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد. مكتبة الخانجي ـ مصر. (١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م).
- **الاستعاذة والحسبلة ممَّن صحَّح حديث البسملة**: للغُماري أحمد بن محمد بن الصديق.
دار البصائر ـ دمشق. ط: ثانية (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).
- **أُسْد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الجزري عزّ الدين بن الأثير علي ابن محمّد.
تحقيق علي محمّد معوّض، عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م).
- **أسرار العربية**: لابن الأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمّد.
تحقيق: محمد بهجت البيطار. طبع في المجمع العلمي العربي (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م).
- **الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة**: للقاري نور الدين علي بن محمّد الشهير بالملاّعلي.
تحقيق: محمّد الصبّاغ. مؤسسّة الرسالة ـ بيروت (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).
- **الأسماء والصفات**: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.
تحقيق: محمّد زاهد الكوثري. مطبعة السعادة ـ القاهرة.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي.
تحقيق: علي محمّد البجاوي. دار الجيل ـ بيروت. ط: أولى (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م).
- **الأعلام**: للزركلي خير الدين.
دار العلم للملايين. ط: خامسة (١٩٨٠) (٨مجلّدات).
- **الأغاني**: لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي.
تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الشعب (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).

- **أمّ البراهين (العقيدة الصغرى) المعروفة بمتن السنوسية**: للسنوسي محمّد بن يوسف حرّر المتن وقدّم له: محمد أنيس مهرات. دار الآثار الإنسانية للتوزيع ـ حمص (١٩٩٠ م).
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: للقفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف.
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي ـ القاهرة. مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).
- **الانتصاف من الكشّاف**: للإسكندري أحمد بن المنيِّر.
طبع ذيلاً على تفسير الكشَّاف. بتحقيق: مصطفى حسين أحمد. دار الكتاب العربي. ط: ثالثة (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).
- **إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق**: للدمنهوري أحمد.
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م).
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**: للبغدادي إسماعيل بن محمد أمين.
تحقيق: محمد شرف الدين بالتقابا، رفعت بيلكة الكليسي. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- **البحر المحيط** (تفسير): لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف.
طبع بعناية صدقي محمد جميل. دار الفكر ـ بيروت. (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).
- **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.
مكتبة النصر ـ الرياض. ط: أولى (١٩٦٦ م).
- **البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع**: للشوكاني محمد بن علي.
دار المعرفة ـ بيروت.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.

- **بُلغة السالك لأقرب المسالك**: للصاوي أحمد بن محمّد.
تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية - بيروت.
ط: أولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- **بلوغ الأماني من أسرار الفتح الربّاني**: للساعاتي أحمد عبد الرحمن البنّا.
دار إحياء التراث العربي. ط: ثانية.
- **البيان والتبيين**: للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر.
تحقيق: عبد السلام محمّد هارون. مكتبة الخانجي - القاهرة. ط: خامسة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: للزَّبيدي محمد مرتضى الحسيني.
تحقيق: محمود محمد الطناحي. راجعه: عبد السلام محمّد هارون.
(١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).
- **تاريخ آداب العرب**: للرافعي مصطفى صادق.
دار الكتاب العربي - بيروت. ط: أولى (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م).
- **تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق)**: لأبي القاسم علي بن الحسن.
تحقيق: لجنة من المحققين. مجمع اللغة العربية- دمشق.
- **تاريخ ابن معين**: ليحيى بن معين بن عون المرِّي.
تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف. جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة. ط: أولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- **تاريخ أبي زرعة الدمشقي**: للنصري عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله.
تحقيق: شكر الله القوجاني. مجمع اللغة العربية - دمشق (١٩٨٠ م).
- **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت.
المطبعة المصرية. تصوير دار الكتب العلمية - بيروت.
- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**: للديار بكري حسين بن محمد ابن الحسن.
مؤسسة شعبان - بيروت.

- **التاريخ الكبير**: للبخاري محمد بن إسماعيل.
المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر.
- **تبصرة الأدلّة في أصول الدين** (على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي): للنسفي أبي المعين ميمون بن محمّد. تحقيق: كلود سلامة. المعهد العلمي الفرنسي ـ دمشق (١٩٩٣ م).
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: للمباركفوري أبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم.
دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).
- **تحفة الجلساء برؤية الله للنساء**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: ثانية (١٩٨٥ م).
- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**: للباجوري إبراهيم بن محمد.
بهامشه تقريرات أحمد الأجهوري على تحفة المريد. مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر. (١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م).
- **تخريج أحاديث العقائد النسفية**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
تحقيق: محمد عدنان درويش. طبع على هامش شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني. دمشق (١٤١١ هـ).
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر. تحقيق: أحمد عمر هاشم. دار الكتاب العربي ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).
- **التذكرة في الأحاديث المشتهرة**: للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله.
تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).
- **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**: للقرطبي محمد بن أبي بكر.
تحقيق: السيد الجميلي. دار ابن زيدون ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

- **تذكرة الموضوعات**: للفُتّني محمد طاهر بن علي الهندي.
المطبعة المنيرية ـ القاهرة. ط: أولى (١٣٤٣ هـ).
- **الترغيب والترهيب**: للأصبهاني أبي القاسم إسماعيل بن محمد.
تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول. مؤسسة الخدمات الطباعية ـ بيروت.
- **الترغيب والترهيب**: للمنذري زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي.
تحقيق: مصطفى محمد عمارة. طباعة: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة. ط: ثانية (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م).
- **تفسير آيات الأحكام**: للصابوني محمد علي.
مكتبة الغزالي ـ دمشق. مؤسسة مناهل العرفان ـ بيروت. ط: رابعة (١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م).
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.
دار الأندلس ـ بيروت. ط: أولى (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦م).
- **تقريب التهذيب**: لابن حجر العسقلاني الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي.
تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. المكتبة العلمية ـ المدينة المنوَّرة.
- **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي.
تحقيق: عبد الله هاشم اليماني. شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م).
- **التمهيد**: لأبي بكر الباقلّاني محمد بن الطيِّب.
تحقيق: تشرد يوسف مكارثي. المكتبة الشرقية ـ بيروت (١٩٥٧م).
- **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**: للكناني أبي الحسن علي بن محمد بن عرَّاق.
تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق. مكتبة القاهرة ـ مصر. ط: أولى.
- **تهذيب التهذيب**: لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي.
خيدر آباد. ط: أولى. تصوير دار صادر ـ بيروت.

- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للمِزِّي جمال الدين أبي الحجاج يوسف.
تحقيق: د. بشار عوّاد معروف. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. ط: ثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
- **توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس**: للعسقلاني ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي.
تحقيق عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٩٨٦م).
- **التوحيد وإثبات صفات الربّ**: لابن خزيمة محمد بن إسحاق.
تحقيق: محمد خليل الهرّاس. مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: للجزري مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير.
تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. نشر مكتبة الحلواني (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).
- **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**: للقرطبي أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري.
الطبعة المنيرية ـ القاهرة.
- **جامع البيان في تفسير القرآن**: للطبري أبي جعفر محمد بن جرير.
بولاق. ط: أولى (١٣٢٣هـ). تصوير دار المعرفة ـ بيروت. ط: ثالثة (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).
- **الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. تصوير: دار خدمات القرآن.
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**: للحنبلي عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي.
تحقيق: د. وهبة الزحيلي. دار الخير ـ دمشق. ط: أولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

- **جامع كرامات الأولياء**: للنبهاني يوسف بن إسماعيل.
تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. المكتبة الشعبية - بيروت. ط: رابعة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- **الجامع لأحكام القرآن**: للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري.
تصوير دار الكتاب العربي عن طبعة دار الكتب المصرية. ط: ثالثة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت.
تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب. مؤسسة الرسالة - بيروت. ط: أولى (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).
- **جمهرة أنساب العرب**: لابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي.
تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار المعارف - مصر (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م).
- **جواهر البلاغة**: للهاشمي أحمد بن إبراهيم.
دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الثانية عشرة.
- **حاشية الأمير علي إتحاف المريد**: للأمير محمَّد بن محمَّد.
طباعة: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة. (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م).
- **حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية**: للخيالي أحمد علي.
مطبعة: كردستان العلمية (١٣٢٩هـ).
- **حاشية الدسوقي على شرح أمّ البراهين**: للدسوقي محمد.
دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي.
- **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**: للصاوي أحمد بن محمد الخلوتي.
دار الفكر - بيروت (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية**: للصاوي أحمد بن محمد الخلوتي.
مكتبة: محمد علي صبيح. ط: أولى (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).
- **حاشية الصاوي على الشرح الصغير: (المسماة ببُلغة السالك لأقرب المسالك)**: للصاوي أحمد بن محمد الخلوتي.

تحقيق: مصطفى كمال وصفي. دار المعارف ـ مصر.
ـ **حاشية الصبّان على شرح السلم المنورق للملّوي**: للصبّان محمد بن علي.
تصحيح: أحمد سعيد علي. مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة. ط: ثالثة ١٩٣٨م).
ـ **الحاوي للفتاوي**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
المطبعة المنيرية ـ القاهرة (١٣٥٢ هـ).
ـ **الحبائك في أخبار الملائك**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
تحقيق: محمد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).
ـ **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**: للأنصاري شيخ الإسلام زكريا بن محمد.
تحقيق: د. مازن المبارك. دار الفكر المعاصر ـ بيروت (١٩٩١ م).
ـ **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**: للشاطبي القاسم بن فيرُّه بن خلف.
ضبطه: علي محمد الضبَّاع. طباعة: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.
ـ **حلية الأولياء**: للأصبهاني أبي نعيم أحمد بن عبد الله.
مطبعة الخانجي ـ القاهرة. تصوير دار الكتاب العربي ـ بيروت. ط: ثالثة (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).
ـ **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**: للبيطار عبد الرزاق.
تحقيق: محمد بهجت البيطار. دار صادر ـ بيروت. ط: ثانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)
ـ **حياة الحيوان الكبرى**: للدَّميري كمال الدين محمد بن موسى.
دار الألباب ـ بيروت.
ـ **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**: للبغدادي عبد القادر بن عمر.
تحقيق: عبد السلام محمّد هارون. الهيئة المصرية العامَّة للكتاب. ط: ثانية (١٩٧٩ م).

ـ **الخصائص الكبرى**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
دار الكتاب العربي.
ـ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: للمحبِّي محمد بن فضل الله ابن محبّ الله. دار صادر ـ بيروت.
ـ **الخلاصة في النحو والصرف**: لمحمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي النحوي. دار الإيمان ـ دمشق.
ـ **الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان**: لابن حجر الهيتمي شهاب الدين أحمد.
نشر: برهان ساعي. ط: ثانية (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).
ـ **دائرة المعارف الإسلامية**:
ترجمة: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس.
ـ **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: لابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد.
تحقيق: محمد سيِّد جاد الحقّ. دار الكتب الحديثة.
ـ **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.
مطبعة: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م).
ـ **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**: للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر.
تصوير: بيروت، محمد أحمد دمج.
ـ **دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه**: لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الحنبلي.
تحقيق: حسن السقاف. دار الإمام النووي ـ عمان. ط: ثالثة (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).
ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.

تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية ـ بيروت.
ط: أولى (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).

ـ **ديوان ابن الفارض (عمر بن علي):**
تحقيق: فوزي عطوي. دار صعب ـ بيروت. ط: ثانية (١٩٨٠ م).

ـ **ديوان البُرعي (عبد الرحيم بن أحمد) في المدائح الربانيّة والصوفيّة.**
شرح حافظ حسن المسعودي. مطبعة: مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.
ط: ثانية (١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م).

ـ **ديوان البوصيري (شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد):**
تحقيق: محمد سيد كيلاني. مطبعة: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة.
ط: أولى (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م).

ـ **ردّ المحتار على الدرّ المختار (حاشية ابن عابدين):** لابن عابدين محمد أمين.
إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة:** للكتاني محمد بن جعفر.
تحقيق: محمد منتصر بن محمد الزمزمي. دار البشائر الإسلامية ـ بيروت. ط: رابعة (١٩٨٦ م).

ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** للألوسي شهاب الدين محمود البغدادي.
المطبعة المنيرية ـ القاهرة. تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **الروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام:** للسهيلي أبي القاسم ابن عبد الله الخثعمي.
تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. دار الفكر

ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد:** لابن قيِّم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي.

تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. ط: ثانية (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).
ـ **السابق واللاحق**: للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت. تحقيق: محمد بن مطر الزهراني. دار طيبة ـ الرياض. ط: أولى (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م).
ـ **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**: للمرادي محمد خليل. مكتبة المثنى ـ بغداد.
ـ **السنة**: لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي ـ بيروت. ط: ثانية (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).
ـ **سنن ابن ماجه**: لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
ـ **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر ـ دمشق.
ـ **سنن الترمذي**: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق: عزت عبيد الدعاس. مطبعة: الفجر الحديثة ـ حمص. ط: أولى (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م).
ـ **سنن الدارمي**: للسمرقندي عبد الله بن عبد الرحمن. تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).
ـ **السنن الكبرى**: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين. طبعة حيدر آباد الدكن بالهند (١٣٥٥ هـ) تصوير دار المعرفة ـ بيروت.
ـ **السنن الكبرى**: للنسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب. تحقيق: عبد الغفار البغدادي، سيد كسرواني حسن. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م).
ـ **سنن النسائي**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب. المطبعة المصرية ـ القاهرة.

- **السيرة النبوية**: لابن هشام المعافري.
تحقيق: مصطفى السقَّا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. دار القلم - بيروت.
- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد.
تحقيق: لجنة من المحققين. مؤسسة الرسالة - بيروت. ط: أولى (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م).
- **السير والمغازي**: لمحمد بن إسحاق.
تحقيق: د. سهيل زكّار. دار الفكر. ط: أولى (١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م).
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: لمحمد بن محمد مخلوف.
دار الكتاب العربي - بيروت. مصوّرة عن الطبعة الأولى (١٣٤٩ هـ) في المطبعة السلفية.
- **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**: للحنبلي عبد الحيّ بن العماد.
دار الفكر للطباعة.
- **شرح ابن عقيل**: لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: ثانية.
- **شرح الحكم العطائية**: للشرنوبي عبد المجيد.
تحقيق: د.عبد الفتاح البزم. دار ابن كثير - دمشق. ط: خامسة (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
- **شرح الخريدة البهية**: لأحمد الدردير أبي البركات.
مطبعة: محمد علي صبيح - مصر. ط: أولى (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م).
- **شرح السنوسي على أمّ البراهين**: للسنوسي محمد بن يوسف.
دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي).
- **شرح العقائد النسفية**: للتفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر.
تحقيق: محمد عدنان درويش.
- **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**: لجلال الدين السيوطي

عبدالرحمن. مطبعة: مصطفى البابي الحلبي ـ مصر (١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م).
ـ**شرح الفقه الأكبر**: لملاّعلي القاري.
دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م).
ـ**شرح الكفراوي على متن الآجرومية**: لحسن الكفراوي.
مطبعة: مصطفى البابي الحلبي ـ مصر. ط: ثالثة (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م).
ـ**شرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين**: للتفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر.
دار الطباعة العامرة. (١٢٧٧ هـ).
ـ**الشريعة**: للآجرّي أبي بكر محمد بن الحسين.
تحقيق: محمد حامد الفقي. مطبعة: السنة المحمدية ـ القاهرة. ط: أولى (١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م).
ـ**شعب الإيمان**: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.
تحقيق: محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م).
ـ**الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ**: للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي.
تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الكتاب العربي ـ بيروت (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م).
ـ**الشمائل المحمدية**: للترمذي أبي عيسى محمد بن سورة.
تحقيق: عزت عبيد الدعاس ـ حمص. ط: أولى (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م).
ـ**صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل البخاري.
تحقيق: محبّ الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية ـ القاهرة (١٤٠٠ هـ). تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

- **صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل البخاري.
تحقيق: د. مصطفى البغا. دار القلم ـ دمشق. ط: أولى (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).
- **صحيح مسلم**: لمسلم بن الحجاج القشيري.
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. تصوير دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **الصمت وآداب اللسان**: لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد.
تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م).
- **صفة الصفوة**: لابن الجوزي أبي الفرج جمال الدين.
تحقيق: محمد الفاخوري. دار المعرفة ـ بيروت. ط: ثانية (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م).
- **الضعفاء الكبير**: للعقيلي أبي حفص محمد بن عمرو.
تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م).
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.
منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
- **طبقات الأولياء**: لابن الملقِّن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد المصري.
تحقيق: نور الدين شريبة. دار المعرفة ـ بيروت. ط: ثانية (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).
- **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي.
تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة: عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة. ط: أولى (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م).

- **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد.
دار صادر - بيروت (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).
- **العظمة**: للأصبهاني أبي محمد عبد الله بن محمد بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني.
تحقيق: مصطفى عاشور، مجدي السيد إبراهيم. مكتبة القرآن - القاهرة (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
وتحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة - الرياض. ط: أولى (١٤٠٨ هـ).
- **عمدة أهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد**: للسنوسي أبي عبد الله محمد بن يوسف.
مطبعة: مصطفى البابي الحلبي - القاهرة (١٩٣٦م).
- **عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة (العقائد النسفية)**: للنسفي أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد (١٨١٨هـ).
- **غاية النهاية في طبقات القراء**: لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد.
عني بنشره (ج. برجسترا سر). مكتبة الخانجي. ط: أولى (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).
- **الفتاوى الحديثية**: للهيتمي أحمد شهاب الدين بن حجر المكِّي.
المطبعة الميمنية - القاهرة(١٣٠٧هـ).
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني أبي الفضل أحمد بن علي.
تحقيق: محبّ الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي. تصوير مكتبة الغزالي - دمشق.
- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**: للسخاوي محمد بن عبد الرحمن.
دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- **الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم**: للبغدادي عبد القاهر بن طاهر.
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ط: الرابعة (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).
- **فهارس التيمورية**: مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة. (١٣٦٩هـ ١٩٥٠م).

ـ **فهارس الكتبخانية الخديوية** : جمعه ورتَّبه أحمد الميهي ، ومحمد الببلاوي .
المطبعة العثمانية ـ مصر . ط : أولى (١٣٠٥هـ) .
ـ **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** :
للكتاني محمد عبد الحي بن عبد الكبير . تحقيق : د . إحسان عباس .
دار الغرب الإسلامي ـ بيروت (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) .
ـ **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد** : عبد الله الجبوري . مطبعة : الإرشاد . بغداد (١٩٧٤م) .
ـ **الفوائد البهية في تراجم الحنفية** : للَّكنوي محمد عبد الحيّ الهندي .
عني بتصحيحه والتعليق عليه : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني .
دار المعرفة ـ بيروت .
ـ **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** : للشوكاني محمد بن علي .
تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . دار الكتب العلمية ـ بيروت . ط : أولى (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م) .
ـ **فوات الوفيات** : للكتبي محمد بن شاكر .
تحقيق : د . إحسان عباس . دار صادر ـ بيروت .
ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير** : للمناوي محمد عبد الرؤوف .
مطبعة : مصطفى محمد ـ القاهرة . ط : أولى (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م) .
ـ **القاموس المحيط** : للفيروزابادي مجد الدين محمد بن يعقوب .
المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر . ط : خامسة .
ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** : للجرجاني أبي أحمد عبد الله بن عدي .
تحقيق لجنة من المختصين . دار الفكر . ط : ثانية (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) .
ـ **كبرى اليقينيات الكونية** : للبوطي محمد سعيد رمضان .
دار الفكر ـ دمشق . ط : ثامنة (١٤٠٢ هـ) .
ـ **الكتاب** : لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر .
تحقيق : عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي ، دار الجيل ـ مصر .
دار الرفاعي ـ الرياض . ط : ثانية (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) .

ـ **الكشاف عن حقـائق غوامض التنزيـل وعيون الأقاويـل في وجوه التـأويل**: للزمخشري محمود بن عمر.
تحقيق: مصطفـى حسين أحمـد. دار الكتـاب العربـي. ط: ثـالثـة (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م).

ـ **كشف الأستـار عن زوائـد البـزار**: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر.
تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
ط: أولى (١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م).

ـ **كشف الخفـا ومزيـل الإلبـاس عمّا اشتهر من الأحـاديث على ألسنة الناس**: للعجلوني إسماعيل بن محمد الجراح.
مكتبة القدسي ـ القاهرة. ط: ثانية (١٣٥١ هـ). تصوير: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **كشـف الظنـون عـن أسـامي الكتـب والفنـون**: لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، المعروف بكاتب جلبي.
قدّم له: شهاب الدين النجفي المرعشي. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **الكفاية في علم الرواية**: للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت.
حيدر آباد (١٣٥٧ هـ).

ـ **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**: للكفوي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني.
تحقيق: عدنان درويش، محمّد المصري. منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق. ط: ثانية (١٩٨٢م).

ـ **كنـز العمـال فـي سنـن الأقـوال والأفعـال**: للبرهان فوري علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي.
ضبط: حسن رزوق. تصحيح: صفوة السقَّا. مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب. ط: أولى (١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م).

ـ **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**: لنجم الدين الغزِّي محمد بن محمد بدر الدين.

تحقيق: د. جبرائيل سليمان جبُّور. دار الآفاق الجديدة ـ بيروت. ط: ثانية (١٩٧٩م).
ـ **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر.
المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر ـ القاهرة. ط: أولى (١٣٥٢ هـ).
ـ **اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع**: للقاوقجي محمد أبي المحاسن.
المطبعة البارونية ـ مصر.
ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل**: للخازن علاء الدين البغدادي.
دار المعرفة ـ بيروت.
ـ **اللباب في تهذيب الأنساب**: لابن الجزري عزّ الدين بن الأثير.
مكتبة المثنّى ـ بغداد.
ـ **اللباب في شرح الكتاب**: للغنيمي عبد الغني الدمشقي الميداني الحنفي.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي ـ مصر. ط: رابعة (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م).
ـ **لسان العرب**: لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.
دار صادر ـ دار بيروت. (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م).
ـ **لسان الميزان**: لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي.
حيدر آباد (١٣٢٩ هـ). تصوير: مؤسسة الأعلمي ـ بيروت. ط: ثانية (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١م).
ـ **لطائف المنن**: لابن عطاء الله السكندري.
تحقيق: خالد عبد الرحمن العكّ. دار البشائر ـ دمشق. ط: أولى (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م).
ـ **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرى)**: للشعراني أبي المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري. دار الفكر ـ دمشق.

- **المؤتلِف والمختلِف**: للدارقطني أبي الحسن علي بن عمر.
تحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر. دار الغرب الإسلامي - بيروت. ط: أولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: لأبي حاتم محمد بن حبّان البستي.
تحقيق: محمود إبراهيم زايد. دار الوعي - حلب. ط: أولى (١٣٩٦هـ).
- **مجمع البحرين في زوائد المعجمين**: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر.
تحقيق: عبد القدوس بن محمد نذير. مكتبة الرشد - الرياض. ط: أولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر.
مكتبة القدسي - القاهرة (١٣٥٢هـ).
- **مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية**.
مطبعة: كردستان العلمية - مصر (١٣٢٩ هـ).
- **المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لابن عطية أبي محمد عبد الحق الأندلسي.
تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم. الدوحة. ط: أولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).
- **مختار الصحاح**: للرازي محمد بن أبي بكر.
ضبطه: د. مصطفى ديب البغا. دار اليمامة - دمشق، بيروت. ط: أولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- **مختصر تفسير ابن كثير**: للصابوني محمد علي.
دار النمير - دمشق، دار القلم العربي - حلب (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).
- **المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)**: لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي الملك المؤيَّد. دار المعرفة - بيروت.

ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: للنسفي أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود.
دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ـ مصر.
ـ **مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح**: للشرنبلالي حسن بن عمّار بن علي.
تحقيق: محمود عبد الوهاب فايز. المكتبة الأدبية ـ حلب.
ـ **مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر**: للغُماري عبد الله بن محمد بن الصديق.
تحقيق: كمال يوسف الحوت. دار الجنان ـ بيروت. ط: أولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) طبع ضمن الرسائل الغُمارية.
ـ **المسائل المنثورة (فتاوى الإمام النووي)**: للنووي محيي الدين يحيى بن شرف.
ترتيب تلميذه علاء الدين بن العطار. مطبعة الاستقامة ـ القاهرة. ط: أولى (١٣٥٢هـ).
ـ **المستدرك على الصحيحين**: للنيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم.
حيدر آباد ـ الهند. تصوير مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.
ـ **مسند الإمام أحمد**: لأحمد بن محمد بن حنبل.
تصوير المكتب الإسلامي، ودار صادر ـ بيروت.
ـ **مسند أبي داود الطيالسي**: لسليمان بن داود بن الجارود.
حيدر آباد ـ الهند. تصوير دار المعرفة ـ بيروت.
ـ **مسند أبي يعلى الموصلي**: لأحمد بن علي بن المثنى.
تحقيق: حسين سليم أسد. دار المأمون لتراث ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).
ـ **مسند الشهاب**: للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة.
تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

- **المسند**: للشاشي الهيثم بن كليب.

تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة. ط: أولى (١٤١٠هـ).

- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**: للبوصيري شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الكناني.

تحقيق: كمال يوسف الحوت. دار الجنان ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: للفيُّومي أحمد بن محمد بن علي المقّْري. دار القلم ـ بيروت.

- **مصنف ابن أبي شيبة**: لأبي بكر عبد الله بن محمد.

تحقيق: عبد الخالق الأفغاني. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ كراتشي (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م).

- **مصنف عبد الرزاق**: لابن همام الصنعاني.

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

- **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**: للملّا علي القاري ابن سلطان المكي.

تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. ط: ثانية (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

- **مطالع الأنظار على طوالع الأنوار**: للأصفهاني شمس الدين بن محمود ابن عبد الرحمن. **وطوالع الأنوار**: لعبد الله البيضاوي، وبهامشها حاشية السيد الشريف الجرجاني. طبع سنة(١٣٠٥هـ).

- **المعتمد في أصول الدين**: للحنبلي أبي يعلى محمد بن الحسين.

تحقيق: د. وديع زيدان حدّاد. دار المشرق ـ بيروت. توزيع المكتبة الشرقية (١٩٧٤م).

- **المعجم الأوسط**: للطبراني سليمان بن أحمد.

تحقيق: د. محمود الطحان. مكتبة المعارف ـ الرياض. ط: أولى (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م).
ـ **معجم البلدان**: للحَمَوي أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي البغدادي.
دار صادر، دار بيروت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).
ـ **المعجم الصغير**: للطبراني سليمان بن أحمد.
تحقيق: محمد شكور محمد الحاج امرير. المكتب الإسلامي ـ بيروت.
ط: أولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
ـ **المعجم الكبير**: للطبراني سليمان بن أحمد.
تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
ط: ثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).
ـ **معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة**: ليوسف إليان سركيس.
مطبعة سركيس ـ مصر (١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م).
ـ **معجم المؤلفين تراجم مصنِّفي الكتب العربية**: لعمر رضا كحّالة.
دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
ـ **المعجم الوسيط**: د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
ط: ثانية.
ـ **المغني في الضعفاء**: لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان.
تحقيق: نور الدين عتر. دار المعارف ـ حلب. ط: أولى (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م).
ـ **المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير**: للغُماري أحمد بن محمد بن الصديق.
دار العهد الجديد للطباعة. ط: أولى.
ـ **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**: للرازي فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي.
دار الكتب العلمية ـ طهران.
ـ **المقاصد**: للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف.

تحقيق: برهان محمد بدر الدين الشعر. مكتبة الغزالي ـ دمشق (١٩٩٣م).
ـ **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**: لشمس الدين السخاوي محمد بن عبد الرحمن. تحقيق: عبد الله محمد الصديق. مكتبة الخانجي ـ القاهرة (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م).
ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين**: لأبي الحسن الأشعري علي بن إسماعيل.
عني بتصحيحه: هلموت ريتر. دار النشر ـ بفيسبادن. ط: ثالثة (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).
ـ **المقتدي بشرح الهدهدي على أمّ البراهين**: للسُّحيمي أحمد بن محمد الحسني.
المطبعة الميريَّة. ط: أولى (١٣٠٤هـ).
ـ **المقدِّمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية**: للحضرمي عبد الله بن عبد الرحمن.
تحقيق: محيي الدين الجرَّاح. ط: ثانية(١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).
ـ **الملل والنحل**: للشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أحمد.
تحقيق: محمد سيِّد كيلاني. دار المعرفة ـ بيروت.
ـ **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**: لابن قيّم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر.
تحقيق: عبد الفتاح أبو غدَّة. مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.
ط: أولى (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).
ـ **مناقب الشافعي**: للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين.
تحقيق: أحمد صقر. دار التراث ـ القاهرة. ط: أولى (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م).
ـ **مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا**: لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر.

تحقيق: سمير القاضي. دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

ـ **المنتخب من مسند عبد بن حميد**: لأبي محمد عبد بن حميد.

تحقيق: صبحي البدري السامراني، محمود الصعيدي. عالم الكتب ـ بيروت. ط: أولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)

ـ **المنطق المفيد**: للبهنسي محمد عبد العزيز.

مكتبة الكليات الأزهرية (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م).

ـ **المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**: للنووي محيي الدين يحيى بن شرف.

تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **المنهاج في شعب الإيمان**: لأبي عبد الله الحليمي الحسين بن الحسن.

تحقيق: حلمي محمد فودة. دار الفكر ـ بيروت. ط: أولى (١٩٧٩م).

ـ **منهج السالك إلى ألفية ابن مالك**: للأشموني علي بن محمد بن عيسى.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية. ط: ثالثة.

ـ **الموضوعات**: لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي.

تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة. ط: أولى (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

ـ **موطَّأ الإمام مالك**: لمالك بن أنس.

رواية يحيى بن يحيى الليثي. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م).

ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان.

تحقيق: علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة. ودار إحياء الكتب العربية. ط: أولى (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م).

- **النادرات العينية**: للجيلي عبد الكريم، ومعه المعارف الغيبية شرح عبد الغني النابلسي للعينية. تحقيق: يوسف زيدان. دار الجيل - بيروت. ط: أولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- **الناسخ والمنسوخ من الحديث**: لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين. تحقيق: علي محمد معوّض، عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: لابن تَغْري بَرْدي جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي. تعليق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).
- **نشر العلمين المنيفين في إحياء الوالدين الشريفين**: لجلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. ط: أولى (١٣١٦ هـ).
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**: المُقّري أحمد بن محمد. شرح الدكتورة مريم قاسم طويل، د. يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية - بيروت. ط: أولى (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- **نَكْت الهميان في نُكَت العميان**: للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك. وقف على طبعه أحمد زكي بك. المطبعة الجمالية - مصر (١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م).
- **النهاية (الفتن والملاحم)**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير. تحقيق: طه محمد الزيني. دار الكتب الحديثة - القاهرة (١٩٦٩ م).
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. المكتبة الإسلامية.
- **نور الإيضاح ونجاة الأرواح**: للشرنبلالي حسن بن عمار بن علي.

- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: للبغدادي إسماعيل باشا ابن محمد أمين.
تحقيق: شرف الدين بالتقابا، رفعت بيلكة الكليسي. طبع بعناية وكالة المعارف ـ إستانبول (١٩٥٥ م)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
- **الوافي بالوفيات**: للصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك.
طبع بعناية: هملوت ريتر. مطبعة فرانز شتايز بفيسبادن. ط: ثانية (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م).
- **الوافي في العروض والقوافي**: للخطيب التبريزي.
تحقيق: عمر يحيى، د. فخر الدين قباوة. المطبعة العربية ـ حلب. ط: أولى (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لابن خلِّكان أحمد بن محمد بن أبي بكر.
تحقيق: إحسان عباس. دار صادر ـ بيروت.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

* * *